رقم الايداع في دار الكتب والوثائق
ببغداد ١٤٣٦ لسنة ١٩٩٠

الطبعة الثانية

مطبعة ديانا - بغداد

ܒܝܬ ܡܪܕܘܬܐ

ܕܡܠܦܢܐ ܓܘܪܓܝܣ ܒܪ ܐܢܛܘܢ ܕܒܝܬ ܟܝܪܐܙ

Ex Libris

Beth Mardutho Library

The Malphono George Anton Kiraz Collection

ܟܠ ܐܢܫ ܕܢܣܒ ܠܗ ܠܟܬܒܐ ܗܢܐ ܡܢ ܒܝܬ ܐܪ̈ܙܐ
ܐܘ ܦܣܩ ܡܢܗ ܡܕܡ ܢܗܘܐ ܡܫܡܬܐ ܥܠ ܡܩܕ̈ܫܐ
ܘܥܘܕܪܢܐ ܡܢ ܒ̈ܢܝ ܘܟܬܒܐ ܘܣܦܪܐ ܕܪܫܡܗ ܢܦܠ ܥܠ ܐܘ
ܥܠܗ ܠܗ ܣܦܪܐ ܟܠ ܪܫܡܗ ܢܗܘܐ ܠܗ ܣܦܪܐ ܥܠܗ
ܓܚܢܘܗܝ ܟܕܡܐ ܕܢܦܩ ܠܗ ܠܕܘܟܬܗ܀

Anyone who asks for this volume, to read, collate, or copy from it, and who appropriates it to himself or herself, or cuts anything out of it, should realize that (s)he will have to give answer before God's awesome tribunal as if (s)he had robbed a sanctuary. Let such a person be held anathema and receive no forgiveness until the book is returned. So be it, Amen! And anyone who removes these anathemas, digitally or otherwise, shall himself receive them in double.

كتاب الرؤساء

ويتناول اخبار اناس فضلاء عاشوا في مختلف الأجيال
في دير « بيث عابي » المقدس

وضعه

توما اسقف المرج

عربه ووضع حواشيه

الاب البير ابونا

(باذن الرؤساء)

ܒܝܬ ܐܘܪܟܐ ܕܒܝܬ ܡܪܕܘܬܐ
Church History:
Chronicles (ABC)
Beth Mardutho Library

مقدمة المعرب

إنه لأمر يدعو الى الاستغراب أن يكون عبديشوع الصوباوي[١] قد أغفل اسم توما المرجي في جدوله الشهير الذي يعتبر أساساً لكل دراسة في الأدب السرياني الشرقي. فليس توما ممن يهملون هذا الاهمال، إذ هو الكاتب الألمعي والمؤرخ العبقري الذي جمع الى سعة العلم في تواريخ العصور وأحوال زمانه سلاسة التعبير وصدق الرواية. حتى انه لا يباريه في هذا الميدان مبار. والقليل الذي نعرفه عن حياة توما نحن مدينون به لما كتبه هو عن نفسه في «كتاب الرؤساء» الذي يعتبر أهم وثيقة تاريخية وصلتنا عن منطقة المرج منذ منتصف القرن السادس الى مستهل القرن التاسع.

ولد توما بن يعقوب في الربع الأول من القرن التاسع في قرية «نحشون» [٢] من مقاطعة بيث (شارونايي) (شيروان الحالية)[٣] الواقعة في بلاد سلاخ الداخلية التابعة لاقليم حدياب ودخل دير بيث عابي الشهير سنة ٢١٧ هجرية الموافقة لسنة ٨٣٢ ميلادية[٤]. وفي سنة ٨٣٧ أقامه

(١) هو عبديشوع بن بريخا. ابصر النور في منتصف القرن الثالث عشر واقيم اسقفاً على سنجار وبيث عربايي في نحو سنة ١٢٨٥. وفي سنة ١٢٩٠ اقامه البطريرك يابالاها الثالث [١٢٨٣ ـ ١٣١٨] مطرافوليطا على نصيبين وارمينية، ومن هنا اتاه لقب الصوباوي نسبة الى صوبا [نصيبين]. توفي سنة ١٦٢٩ يونانية الموافقة لسنة ١٣١٨ م وهي السنة التي فيها تبوأ طيمثاوس الثاني الكرسي البطريركي.

(٢) طالع كتاب الرؤساء جزء ٣ فصل ٧.

(٣) المرجع نفسه جزء ٢ فصل ٣٢.

(٤) المرجع نفسه جزء ٢ فصل ٤.

البطريرك ابراهام الثاني المرجي (٨٣٧ ـ ٨٥٠) كاتماً لأسراره . وقد كان ابراهام هذا أحد رهبان دير بيث عابي ، ثم عهدت اليه رئاسة هذا الدير . ولما أقيم جاثليقاً سنة ٨٣٧ اصطحب معه توما الذي نال ثقته وتقديره ، فأقامه بعد سنين قلائل اسقفاً على مقاطعة المرج .

ولما تطرق يوسف سمعان السمعاني[١] الى شرح حياة البطريرك تاذاسيس خلف الجاثليق ابراهام المرجي، إذا به يقول في الحاشية ابتساراً : يظهر ان توما مطرافوليط باجرمي واخا تاذاسيس هو كاتب « التاريخ الرهباني » الشهير . وقد نسج المستشرقون على منوال السمعاني في هـــذا الادعاء ، ونخص بالذكر منهم السير « بدج » الذي نشر كتاب الرؤساء مع ترجمته الانكليزية (لندن سنة ١٨٩٣) والأب بولس بيجان الذي أعاد طبعة النص الكلداني (ليبسيك سنة ١٩٠١) وغيرهما ممن كتبوا في الآداب السريانية (رايت وهوفمان وروبانس دوفال وبومشترك وشابو واورتز دي اوربينا ، الخ ...) .

وفي هـــذه الآونة الأخيرة ، عندما عكف الأب حنا فيي البحاثة الدومنيكي على تنظيم لائحة مطرافوليطي بيث كرماي (باجرمي) .لاحظ أن توما المرجى أبصر النور في بلاد سلاخ ، فلو كان هو توما مطرافوليط باجرمي نفسه لولد بالأحرى ، مثل أخيه تاذاسيس ، في مقـــاطعة باجرمي[٢] وليس في مقاطعة حدياب. وهناك دلائل اخرى تنفي أن يكون توما المرجي مطرافوليطاً لباجرمي . فقد وردت في كتاب الرؤساء عبارات تنضح بالاحترام المقرون بالتحسر لذكرى البطريرك ابراهام . إذ يقول : « كان القديس الحق مار ابراهام الجاثليق يزودني بتفاصيل عن سفره (أي سفر شوحاليشوع) »[٣]. وعند تطرقه الى ذكر المدارس الموجودة في المرج يقول : « هذه التي كان المقدس الذكر والطوباوي مار ابراهام الجاثليق يؤكد لي وجودها في مركا في ذلك الزمان »[٤] فهذه عبارات لا تقال عن شخص وهو بعد في قيد الحياة . وبما أن ابراهام الجاثليق قد توفي سنة ٨٥٠ ، فيتضح أن توما لم ينته من وضع كتابه إلا بعد هذا التاريخ .

ولم يذكر أحد قبل السمعاني أن توما اسقف المرج أصبح مطرافوليطا لباجرمي ،

---

(١) في المكتبة الشرقية ، روما سنة ١٧٢٥ ٣ ، ١ ص٥١١ حاشية١ .

(٢) طالع كتاب المجدل لماري بن سليمان ، الطبعة العربية لجيسموندي، روما سنة ١٨٩٩ ص ٧٨ ، وعمرو بن متى ، روما سنة ١٨٩٦ ص [٧١ ــ ٧٢] .

(٣) طالع كتاب الرؤساء جزء ٥ فصل ٤ و ٩ و ١١ .

(٤) المرجع نفسه جزء ٤ فصل ١٩.

والمخطوطات العديدة لكتاب الرؤساء تنسب الى توما « اسقف المرج » وليس الى « مطرافوليط باجرمي »[1]. واذا كان توما اسقفاً للمرج حتى موت ابراهام الجاثليق . فمن أقامه مطرافوليطاً لباجرمي لكي يحضر بهذه الصفة الرسامة البطريركية « لأخيه » تاذاسيس سنة ٨٥٢ ؟

فتوما مطرافوليط باجرمي وتوما اسقف المرج شخصان متعاصران وليسا شخصاً واحداً كما وهم السمعاني ومن تابعه . ومؤلف كتاب الرؤساء ليس إلا توما اسقف المرج الذي نفقد أثره بعد سنة ٨٥٠ .

كتابات توما المرجي

لم يرد ذكر لكاتبنا عند الادباء الذين عاصروه ولا عند الذين لحقوه ، لذا نضطر هنا أيضاً الى اللجوء الى كتاباته نفسها لكي نكتشف من خلالها ما جادت به قريحة توما من مصنفات أتى الزمان على بعضها وأدمج غيرها في كتاباته الأخـــرى . وبقي من المؤكد الآن أن هناك ، على أقل تقدير ، ثلاثة مصنفات يمكننا عرضها حسب الترتيب الزمني التالي :

١ـ كتاب « سيرة بعض الرجال القديسين » ، ويذكره توما في قصة ربان قفريانوس وربان جبرائيل ، في نهاية الفصل الخامس عشر . ولكن هذا الكتاب قد طواه الزمان .

٢ـ « قصتا ربان قفريانوس وربان جبرائيـــل » اللتان جرت حوادثهما في منطقة بيرتا الواقعة في بلاد مركا . وقد أدرجهما النساخ عامة ، وعلى أثرهم الناشرون أيضاً ، في نهاية كتاب الرؤساء بمثابة الجزء السادس منه . ولكن الظاهر أن هاتين القصتين كتبتا قبل كتاب الرؤساء والشواهد على ذلك كثيرة ، نكتفي بذكر اثنتين منها وردا في كتاب الرؤساء نفسه :

ـــ ورد في كتاب الرؤساء (جزء ٢ فصل ٣٢) عن مار ايشوعزخا الآرامي اسقف سلاخ هذه العبارة : « انني وإن كنت قد تطرقت الى قصة القديس مار ايشوعزخا اسقف بلادنا سلاخ في مكان آخر بايجاز ، عندما تكلمت عن ربان جبرائيل ، ...»[2] .

ـــ كذلك عندما يتكلم توما في كتاب الرؤساء عن عمران بن محمد يقول : « ... عمران بن محمد ، هذا الذي كتبت عنه أيضاً في قصة ربان جبرائيل »[3] .

---

(١) عن توما مطرافوليط باجرمي طالع ماري ص ٧٩ ـــ ٨٠ و م . ش . ٣ ، ١ ص ٥١٠ .

(٢) طالع قصة جبرائيل ، الفصل ١٥ .

(٣) انظر كتاب الرؤساء ، جزء ٤ فصل ٢١ = قصة جبرائيل . الفصل ١٦ .

... فقصتا ربان قفريانوس وربان جبرائيل ليستا إذن من صلب كتاب الرؤساء ، بل هما كتاب اخر وضعه توما المرجي في زمن سابق ، حسب الاشارات التي وردت في كتاب الرؤساء . لذلك فلا تتصف القصة بالدقة التاريخية التي امتاز بها كتاب الرؤساء ، ويدل اسلوبها أيضاً على أن المؤلف كتبها في عهد شبابه .

غير أن هذه القصة المزدوجة ذات قيمة نفيسة لما تحتويه مقدمتها بنوع خاص من المعلومات الهامة الفريدة عن الأساقفة والنساك الذين نزحوا عن بلاد الروم وأقبلوا الى جبل مقلوب (ريشا) هرباً من الاضطهاد الذي شنه عليهم الامبراطور الروماني والنس (٣٦٤-٣٧٨). انها الشهادة الوحيدة التي ظلت في حوزتنا عن انتقال الحياة الرهبانيـــة الغربية الى مقاطعاتنا الشرقية ، وقد استقى المؤرخ معلوماته هذه من مصادر مفقودة الآن . وسوف ننقل قصتي ربان قفريانوس وربان جبرائيل في نهاية كتاب الرؤساء ككتاب ملحق .

٣ـ «كتاب الرؤساء» ، وهو المصنف الثالث الذي أنتجه يراع توما المرجي ، وقد أنهاه بعد سنة ٨٥٠ ، كما ذكرنا آنفاً ، وهو الذي نقدمه اليوم الى قـــراء اللغة العربية بترجمة تكاد تكون حرفية ، وذلك حرصاً على الأمانة للنصوص .

يتكون هـــذا الكتاب من خمسة أجزاء ، فيها يتطرق المرجي الى الحديث عن حياة القديسين الذين عاشوا في دير بيث عابي ، وقد قام معظمهم بمهمة الرئاسة على هذا الدير ، ومن هنا كانت تسمية الكتاب باسمه هذا المشهور ، أي « كتاب الرؤساء » .

وعلى أن هذه الأجزاء قد جمعت وضمت في مجلد واحد ، إلا أن المرء ، لدى المطالعة الدقيقة ، يكتشف ان التصميم الأول كان يتضمن الجزء الأول والثاني والرابع والخامس فقط ، وكتب المؤلف هذه الأجزاء نزولاً عند رغبة رهبان دير بيث عابي ، وفي مقدمتهم الراهبان عبديشوع وبولس[1] . وقد طلب هؤلاء الى توما أن يقتصر في بحثه على الأشخاص الذين يشير اليهم عنوان الكتاب (أي الرؤساء) وعلى معاصريهم في دير بيث عابي . غير أن تدخلاً من الخارج دفع توما الى إضافة أعلام آخرين ، فكتب عن باباي الجبيلتي الموسيقار الكنسي الشهير[2] وعن المطرافوليط مارن عمه[3] الذي خصه بديوان ضاف يشتمل على ٤١٨ بيتاً من الشعر على

(١) طالع كتاب الرؤساء جزء ١ فصل ١ .

(٢) طالع المرجع نفسه جزء ٣ فصل ١ ـــ ٤.

(٣) طالع المرجع نفسه جزء ٣ فصل ٥ ـــ ١٤ .

البحر الاثني عشري ، أي النرساوي (السروجي) . وهل كان بوسع توما المرجي أن يرفض هذا الطلب الصادر عن شخص مثل الشريف حسن بن سبريشوع ، حاكم حدياب وآثور ؟[1].

الطبعات

١ـ ان أول من نشر مقتطفات من كتاب الرؤساء واطلع المستشرقين عليه في موجز باللغة اللاتينية هو الشيخ يوسف سمعان السمعاني (+ ١٧٦٨) في القسم الأول من الجزء الثالث من كتابه النفيس المسمى « المكتبة الشرقية » (روما سنة ١٧٢٥ ص ٤٦٣ ـ ٥٠١) ، وفي الجزء الثاني (ص ٤٩٠ ـ ٤٩٦) معتمداً مخطوطة فاتيكانية ترتقي الى سنة ١٦٦٣ .

ويعنون السمعاني (المكتبة الشرقية ٢ ص ٤٩٠ ، ٣ ، ١ ص ٤٦٤) ، وعلى أثره السيد « بدج » ، كتاب الرؤساء عنواناً ثانياً هو « التاريخ الرهباني » وهو عنوان قد يؤدي بكثيرين الى عدم تفهم غاية الكتاب . وقد ذهب بعض المستشرقين الى اعتباره تاريخاً كاملاً للحياة الرهبانية لدى النساطرة ، وأبدوا دهشتهم من عدم ذكر بعض أشخاص عظماء فيه ، أمثال مار اوجين الذي طبقت شهرته الآفاق ، لما حيك حوله من القصص الاسطورية . غير ان توما المرجي لم يدر بخلده البتة أن يكتب تاريخاً شاملاً ، بل كتب تاريخ ديره ورؤسائه ومن يمت اليهم بصلة .

٢ـ في سنة ١٨٩٣ قام العلامة المستشرق الانكليزي السير ي. ا . واليس « بدج » بنشر نص الكتاب باللغة الكلدانية وترجمته الانكليزية وذلك بمجلدين ، وقدم له مقدمة لا تقل عن ١٧٣ صحيفة ، ووضع له فهارس بالكلدانية والانكليزية وحواشي وافرة . وترجمة السيد بدج جيدة بصورة عامة ، حتى ان المرء ليعجب من سعة إطلاع هذا العالم على دقائق اللغة الكلدانية . غير ان حواشيه والخرائط الجغرافية التي صممها هي أقل دقة من ترجمته إن لم نقل انها غير صحيحة.

٣ـ أخيراً قام الأب بولس بيجان اللعازري الفارسي الكلداني بنشر النص الكلداني في باريس سنة ١٩٠١ . وقد اعتمدنا في نقلنا طبعته هذه التي لا تختلف عن طبعة العلامة « بدج ». ... وقد نشر القس سليمان صائغ (مطران الموصل السابق المثلث الرحمة) ثلاث

(١) طالع كتاب الرؤساء جزء ٣ فصل ١ .

مقالات عن توما المرجي وعن كتاب الرؤساء في مجلة « النجم » البطريركية التي كانت تصدر سابقاً في الموصل [١] .

كتاب الرؤساء

يقع هذا الكتاب النفيس في خمسة أجزاء ويتطرق لا الى الرؤساء العشرين الذين تعاقبوا على رئاسة دير بيث عابي حسب، بل أيضاً الى اخبار تخص الرهبان الشهيرين والبطاركة أمثال ايشوعياب الثاني وايشوعياب الثالث . وخير ما يمكننا ان نصف به هذا الكتاب هو ما قاله فيه السيد « بدج » في مقدمة طبعته الانكليزية[٢] : « يتضمن هذا الكتاب تاريخ الأديرة والنساك النساطرة الذين عاشوا في جهات دجلة الشرقية مدة ثلاثة قرون ، وهو خير ملحق ومكمل لتاريخ الكنيسة النسطورية في فترة يسودها الغموض . فانه يطلعنا بشيء من الاسهاب على أسباب احتكاك الكنيسة النسطورية بالسلطة الفارسية الحاكمة او اختلافها معها ، ويلقي أنواراً جديدة على هذه العلاقات والأحداث . ويستعرض الكتاب كذلك كيف تبدد رهبان جبل ايزلا وكيف أرسلت السلطات الفارسية الحاكمة البطريرك النسطوري على رأس وفد الى هرقل الامبراطور الروماني، ويتحدث أيضاً عن ارتداد سهدونا وعن ركود الكنيسة النسطورية في القرن السابع ثم عن استقرارها وعن تأسيس ستين مدرسة وإدخال الموسيقى الكنسية في منطقة مركا ، واهتداء الشعوب المجاورة لبحر قزوين الى المسيحية ، وارساليات النساطرة وقوة الدعاوة التي بذلها هؤلاء في الجنوب العربي وفي بلاد فارس والصين ، وعن أفول نجم الفرس وظهور الدولة العربية »[٣] .

أوصافه الأدبية

ليس من السهل أن يجمع الكاتب صفات المؤرخ الصادق الدقيق وصفات الكاتب البليغ الفصيح ، لا سيما ان ما جمعه توما المرجي تطلب منه جهوداً عظيمة في انتقاء الأخبار الصحيحة

(١) طالع مجلة « النجم » ، السنة السابعة عدد٩ ص ٣٤٧ ــ ٣٥٢ ، السنة الثامنة عدد ٤ ١٢٥ ــ ١٣٠ وعدد ٥ ص ١٦٥ ــ ١٧٠ .

(٢) لندن سنة ١٨٩٣ ، الجزء الاول ص ١١ .

(٣) طالع ايضاً روبانس دوفال ، الادب السرياني ، باريس سنة ١٩٠٧ ص ٢٠٧.

وتمييزها عن الأساطير التى نسجت حول الأشخاص الذين اشتهروا في الأجيال الثلاثة التى سبقت عصر الكاتب . فمهام أمانة السر ،واستقصاء الأخبار ، والأسفار التى قام بها توما لغرض الاطلاع على مآثر القديسين ، كل ذلك من شأنه ان يستغرق معظم وقت الكاتب ، وكان له الأثر الكبير في تنظيم الكتاب وإنشائه . فما عدا التكرارات التى وردت في مواضع كثيرة من الكتاب ، والتي يعترف بها الكاتب نفسه ويراها ضرورية لتلاحم القصص وارتباطها وانسجامها ، فان الاسلوب صعب معقد وخصوصاً عندما يفتتح كل جزء من كتابه بمثابة مقدمة يشرح فيها الأسباب الداعية الى وضع هذا الجزء . وفيه أيضاً عبارات غامضة استعملها لشرح مدارج النفس الروحية وتوغلها في التصوف السامي ، فضلاً عن الجمل الطويلة المسترسلة التي لا تناسب ذوقنا الحاضر . غير أن لغة توما المرجي بسيطة بصورة عامة ، وإن تخللها الابهام أحياناً . . .

ولقد قابل البعض بين ايشوعدناح البصري وتوما المرجي فقالوا بحق انالمرجي روحاني ومؤرخ ، أما البصري فهو مؤرخ أكثر منه روحانياً . وقالوا أيضاً « ان الخطة التاريخية التي انتهجها ايشوعدناح لا توجد عند المؤلف المرجي الذي لا يهمه كثيراً التتبع الدقيق الموجود عند الكاتب البصري »[١] ، وذلك ما لا نرضاه للمرجي ، لا سيما فيما يخص منطقة مركا ، فانه عاش فيها واطلع على أماكنها ، ولم يرتكب الأخطاء التي وقع فيها البصري ، كتقسيم الأبرشيات مثلاً الذي جرى في عهد مارن عمه مطرافوليط حدياب (نحو سنة ٧٦٠ـ٧٧٠م)[٢] كما سنذكر ذلك في الكتاب . ومهما يكن من أمر ، فتوما لا يكتفي أبداً بذكر الشخص ومحل إقامته بسطر واحد ، شأن البصري ، دون الافاضة بذكر تفاصيل اخرى تزيد القارىء علماً بالشخص وبسيرته وبفضائله وأعماله المجيدة . وهل يعاب على المرجي الوفاء لربان يعقوب مؤسس دير بيث عابي ، وهو الذي خصص عشرة فصول برمتها لسرد الوقائع التي تأثرت بها حياة هذا الرجل العظيم ؟ [٣] ، فضلاً عن الفصول التي تبحث عن مجيئه الى بيث عابي وتأسيس ديره[٤] .

أما نزاهة توما المرجي ، فهي جلية في كتابه : فهو يصرح مراراً وتكراراً انه لا يهدف من

(١) طالع كتاب العفة لايشوعدناح مطران البصرة في ترجمته العربيـة [الديورة في مملكتي الفرس والعرب] ، الموصل سنة ١٩٣٩ ، التي قام بها القس بولس شيخو [بطريرك الكلدان الحالة الكلي الطوبى] ، المقدمة ص ٢٢ .

(٢) كتاب الرؤساء جزء ٣ فصل ٥ .

(٣) المرجع نفسه جزء ١ فصل ٦ ــ ١٦ .

(٤) المرجع نفسه جزء ١ فصل ٢٠ ــ ٢٣ .

وراء كتاباته الى الأرباح النجسة او المجد العالمي الكاذب[1] ، إنما الأمر الذي حـــدا به الى تدوين مآثر القديسين وتراجمهم هو إطلاع الناس على تلك الكنوز الخفية التي طالما ظلت دفينة ، وتحريضهم على الاقتداء بسيرهم الفاضلة ، أما لطفه ودماثة أخلاقه فحدث عنهما ولا حرج . فهو يسدل ستار الغفران على الأخطاء التي صدرت عن بعض الأشخاص الذين دون ترجمتهم ، او يتكلم عنهم باحترام وبتعابير يشتم منها التقدير والاجلال . ولكنه عنيف وقاس عندما يتكلم عن الهراطقة وعن خططهم وأعمالهم ، فهو يرشقهم بكلمات نابية وينسب اليهم ألقاباً تنبىء عن التنافر الموجود بين المذهبين اللذين كانا يتقاسمان الشرق الأوسط ، أي المذهب النسطوري والمذهب المنوفيزيتي ، ذاك على المنطقة الشرقية الفارسية ، وهذا على المنطقة الرومانية الغربية .

مصادر توما المرجي

من المحتمل ان يكون توما قد بدأ بجمع الروايات والقصص منذ السنين الاولى من دخوله دير بيث عابي . ومعظم الأخبار التي كتبها عن الأعلام الذين جاء على ذكرهم إستقاها من السماع والتقليد عن شيوخ زمانه الذين قصوا عليه أخبار ديره والديورة الذائعة الصيت في ذلك العصر . وقد دفعته رغبة الوقوف على حقائق تلك التقاليد الى التجـــوال في عهد اسقفيته وقبلها في بعض المدن والقرى لتمحيص المقولات السماعية . هذا علاوة على المطالعات التي أطلعته على النفائس الموجودة في خزائن الكتب التي كانت أديرة ذلك الزمان تهتم بها كل الاهتمام. وقد أفاد توما المرجي في اسلوبه وأبحاثه من كتاب بلاديوس الذي نقله الى الآرامية داديشوع القطري[2] ، والذي جرى على اسلوبه عنانيشوع في كتاب « الفردوس » الشهير .

***

كانت مقاطعة مركا مسرح الأحداث التي يتطرق اليها كتاب الرؤساء ، فمن المناسب اذن أن نقول كلمة عنها .

---

(١) المرجع نفسه جزء ٢ فصل ٣٠ .

(٢) عاش داديشوع القطري في نحو نهاية القرن السابع ، وقد ذكره عبديشوع الصوباوي في جدوله واشار الى مؤلفاته [طالع جدول عبديشوع الصوباوي في السمعاني ، المكتبة الشرقية ، ٣ ، ١ ص ٩٨ ـــ ٩٩] .

مركا

« مركا » لفظة كلدانية تعني « المرج » ، وهـــو اسم اطلق على المنطقة التي تشكل مثلثاً متساوي الساقين ، قاعدته نحو الشمال في سلسلة جبال عقرة ، ورأسه نحو الجنوب عند ملتقى نهر الزاب الكبير بالخازر . ويحد هذه المنطقة من الشرق نهر الزاب الكبير ومن الغرب نهر الخازر ورافده نهر الكومل . والاسم مشتق من تربة المنطقة الخصبة والغزيرة المياه . ولقد أخذ الجغرافيون العرب هذه اللفظة وأضافوا اليها قرائن تميزها عن غيرها من المنـاطق المسماة بهذا الاسم ، فدعوا هذه المنطقة « مرج الموصل » او « مرج أبي عبيدة » (طالع ابن حوقـــل ، صورة الأرض ص ٢١٧ ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٥ ص ١٠١ في طبعة بيروت سنة ١٩٥٥ـ١٩٥٧ ، ياسين العمري ، منية الأدباء ، نشر وتحقيق الاستاذ سعيد الديوه جي مديــــر متحف الموصل ، الموصل سنة ١٩٥٥ ص ١٦٣ والحاشية ١) .

وتقسم مقاطعة مركا هذه الى مناطق أربع هامة :

أـ **سفسافا أو سفسفا** ، وهي المنطقة الواقعة في السفح الجنوبي من الجبل الممتد من عقرة الى الخازر . وفي هذه المنطقة قرى عديدة لعبت دوراً كبيراً في تاريخ دير بيث عابي ورد ذكرها مرات كثيرة في « كتاب الرؤساء » .

بـ **بيرتا** ، يرد هذا الاسم ـ ومعناه القلعة ـ أحياناً ليشير الى مقاطعة ، وأحياناً الى بلدة هي مركز هذه المقاطعة . وتشكل هذه المنطقة الجزء الغربي من بلاد مركا ، وهي كذلك على شكل مثلث متساوي الساقين رأسه نحو الجنوب ، ويكون الخازر جهته الشرقية والكومل جهته الغربية . أما من الجهة الشمالية فتقوم سلسلة جبال عقرة المسماة « جيايي خيري » أي جبل الخير لتفصلها عن منطقة طلانا .

جـ **نحـــلا** ، ومعناه الوادي ، ولا زال الاسم يطلق على هذه المنطقة ، وتسمى كذلك « نحلا دملكا » أي وادي الملك ، وهو الوادي الفسيح الواقع وراء جبال عقـــرة ، بينها وبين منطقة داسن .

دـ **طلانا** . وهو الوادي المكمل لوادي نحلا غرباً والواقع عبر الخازر . ويطلق اسم طلانا أي الظل على هذه البقعة نظراً الى موقعها الجنوبي من جبل كارا . وتتجسم هـــذه المنطقة

بقرية طلانيثا (طنيثا الحالية) الواقعة على مسافة عشرين دقيقة جنوبي قرية اركن القابعة على سفح جبل كارا .

دير بيث عابي

يقع هذا الدير جنوبي قرية « خربا » الكائنة على مسيرة خمس وأربعين دقيقة الى الشمال الغربي من بلدة عقرة[1]. ويحدد التقليد المحلي موقع هذا الدير الشهير في بيادر القرية المذكورة. وتأتي الأحداث التاريخية فتدعم هذا التقليد وتوليه ثقة كبيرة .

اما مؤسس هذا الدير فهو ربان يعقوب الذي أبصر النور بعد منتصف القرن السادس في بلدة لاشوم من أعمال مقاطعه بيث كرماي (باجرمي) . وبعد أن أمضى سنين عديدة متجولاً هنا وهناك في طلب الحياة النسكية ، انتهى به المطاف أخيراً الى جبل ايزلا ودخل الدير الشهير الذي كان ابراهام الكبير قد أسسه هناك ، وكان يرئس الدير آنذاك داديشوع خلف ابراهام المؤسس . وقد خلفه في الرئاسة ربان باباي الشهير . وفي عهده غادر يعقوب الدير هائماً على وجهه في الجبال والصحارى . ويذكر ايشوعدناح البصري[2] وتوما المرجي[3] إن سبب مغادرة ربان يعقوب لدير ايزلا كان الحسد الذي دفع بعض الرهبان الى أن يلصقوا به تهمة التقاعس والاهمال في إخبار الرئاسة عن رهبان أساؤوا السيرة بجوار صومعته . ويقول ايشوعدناح ان يعقوب انزوى في بلد المرج شمالي الناحية في الموضع المسمى « بيث عابي » وفيه غابات وقصب كثير ، وكان سابقاً معبداً للأصنام ، وبنى فيه هيكلاً باذخاً[4] . ويتفق ربان ايشوعزخا وقصة ربان برعيتا وتوما المرجي ان ربان يعقوب جاء الى بيث عابي في السنة الخامسة من ملك كسرى الثاني ابرويز ، أي في سنة ٥٩٥م ، في نهاية عهد الجاثليق ايشوعياب الأول الارزني (٥٨٢ ـ ٥٩٥). وهذا ما ردده عمرو أيضاً في كتاب « المجدل » الذي نقل هذه العبارة : « وكان في أيامه (أي ايشوعياب الجاثليق) من القديسين ... مار يعقوب صاحب دير باعابا [على جانب قرية

(١) يعين السمعاني ، وعلى اثره السيد بدج ، هذا الدير في سفح جبل نيفات الغير المعروف [طالع المكتبة الشرقية ٣ ، ١ ص ٤٢٠ حاشيه ٢ ، بدج ، كتاب الرؤساء ١ ص ٤١ ، ٢ ص ٢١] .

(٢) طالع كتاب العفة عدد ٣٤ .

(٣) طالع كتاب الرؤساء جزء ١ فصل ٦ ــ ١٥ .

(٤) انظر كتاب العفة ، عدد ٣٤ ص ٤١ في الترجمة العربية .

يقال لها باما زاي ببلد نينوى] »(١). غير أنه في نص عمرو الأصلي الذي لم يجل فيه صليبا قلمه تعود الفقرة الأخيرة [على جانب ... نينوى] الى « دير مار ابراهام الواقع عند قرية يقال لها بامادا »(٢) ، وهي قرية باطنايا الحالية . وقد زعم البعض ان مؤسس دير بيث عابي هو الراهب برحذبشبا. غير ان ما كتبه توما المرجي بهذا الشأن واضح لا لبس فيه ولا غموض . فانه يقول: « ظل [برحذبشبا] في الوادي الواقع فوق قريته «حذوذ» وأسس ديراً كبيراً وأقام فيه ... وعندما مر به ربان يعقوب في طريقه الى بيث عابي ، رافقه برحذبشبا الى هذا الدير المقدس ومكث فيه الى ان قام مار يعقوب بأمر رئاسته ، فرجع إذ ذاك الى ديره وسكن فيه كل أيام حياته »(٣). فكان يعقوب اللاشومي إذن اول القادمين الى هذا الموضع ، وهو الذي عمل ، بمؤازرة صديقه برحذبشبا ، على إقامة هذا الدير الذي سرعان ما أصبح مركزاً هاماً للحياة الروحية وللنشاط العلمي ، فقصده اناس كثيرون ، بلغ عددهم الثمانين راهباً في عهد يعقوب ، والثلاثمائة في أيام البطريرك ايشوعياب الثالث الحديابي ، أي في نحو سنة ٦٥٧م . ومن قراءة كتاب الرؤساء يقف المرء على التوسيعات التي اجريت لكنيسة الدير نظراً الى ازدياد عدد الرهبان ، ويطلع أيضاً على المكانة المرموقة التي كانت للدير في تاريخ الكنيسة الشرقية . فقد كان قبلة أنظار الغرباء عامة والذين تخرجوا منه خاصة ، وقد تبوأ بعض هؤلاء السدة البطريركية ، وصار غيرهم مطارنة او أساقفة على البلدان القاصية والدانية .

***

عندما تطرق السيد «بدج» ، في مقدمته ، الى تاريخ هذا الدير، توقف عند سنة ٨٥٢م(٤)، اعتقاداً منه أن الدير لم يعمر طويلاً بعد هذا التاريخ . بيد ان هناك مخطوطات كتبت لدير بيث عابي او فيه تشهد على ان الدير استعاد نشاطه في القرن الثالث عشر ، بعد فترة سادها الخمول والغموض . ولقد عثر البحاثة السيد كوركيس عواد ، مدير مكتبة المتحف العراقي في بغداد سابقاً ، على ثلاث مخطوطات في الخزانة اللندنية تعود الى دير بيث عابي (جدول رايت١ص١٩٣

(١) المجدل ، عمرو في طبعة جيسموندي العربية روما سنة ١٨٩٦ ص٤٩ .

(٢) طالع المجدل ، عمرو ، الملحق ص ١٢٩ .

(٣) كتاب الرؤساء جزء ١ فصل ١٥ .

(٤) طالع بدج ، كتاب الرؤساء ١ المقدمة ص ٦٩ .

عـــدد ٢٤٨١٢٥ ، ٢ ص ١٠٧٢ عدد ٤٣٠ ، ٢ ص ١٢٠٤ ملحق ١ عدد ٢٩) ترتقي الى سنة ١٢٠٧ وسنة ١٢٨٩ . وهناك أيضاً انجيل من سنة ١٢١٨ كتبه الراهب يهبالاها من بيث عابي لكنيسة بيث بوزي ، ونسخة من العهد الجديد بمجلدين تعود الى قرية « خربا » وهي موجودة الآن في مكتبة اسقفية عقرة يمكن الرقي بها الى القرن الثاني عشر أو الثالث عشر ، ويحتمل انها صادرة ايضاً عن دير بيث عابي .

ويتساءل الاب فوستي العلامة الدومنيكي عن صحة نسبة كتاب « محضر الرهبان » المؤرخ سنة ١٥٦٤ الى بيث عابي . ولكن يظهر ان النسبة صحيحة ، لأن التقرير الذي رفعه البطريرك ايليا الثامن (١٥٦١ ـ ١٦١٧) الى البابا بولس الخامس سـنة ١٦١٠ يروي الخبر المؤلم الذي مفاده ان المضطهدين قبضوا على رئيس الدير غريغور من دير مار يعقوب بيث عابي (وينقل البطريرك هذا الاسم بمعناه الى اللاتينية) واصعدوه على جبل عال ، ومن هناك طرحوه الى الهاوية فرضت عظامه ومات شر ميتة . وقد تكون قرية « خردس » مسرحاً لهذا الحادث الذي جرى في الربع الاخير من القرن السادس عشر ، وقد بقي اسم « مرج غريغور » تخليداً لهذا الحادث .

ويبدو ان الدير لم يزل حالا من الوجود . فان البطريرك ايليا الثامن الذيورد ذكرهالآن يحسبه بين الديورة الكبيرة التي فيها يجد المتضايقون الراحة والمعوزون الطعام ، وفيه يقطن الرهبان والمتوحدون وتقام صلوات مستمرة (١) . ويردف البطريرك الذى كان قد اصبح عرضة للاضطهاد قائلاً : « في بيت شهدائه (أي دير بيث عابي) ٣٨ ضريحاً للقديسين ، وقد دفن فيه سـابقاً ٧٠ اسقفاً . اما الآن فنكاد لا نستطيع الذهاب الى هنـاك من حين الى آخر لاقامة القداس ، وذلك لضعفنا » (٢) .

... اما اليوم فقد اندثرت معـالم هذا الدير واصبح اثراً بعد عين وبات من العسير على المرء ان يعثر حتى على موقعه بالتأكيد ...

---

(١) طالع الاب شموئيل جميل ، علاقات الكنيسة الكلدانيه مع الكرسي الرسولي ، روما سنة ١٩٠٢ ص ١٠٩ .

(٢) لقد استيقت معظم هذه المعلومات من كتاب العلامة الدومنيكي الاب حنا فيى « آثور المسيحية » . فلا يسعني هنا الا ان أشكر للمؤلف الجليل مساعدته الفعالة وتوجيهاته السديدة لي في هذه الترجمة ، ولاسيما في وضع الحواشي .

الجزء الأول

الفصل الأول

مقدمة المؤلف   جهة الى الشخص الذي طلب اليه أن يصنف هذا الكتاب

أيها الأخ عبديشوع، حينما كنا نتجاذب أطراف الحديث عن قصص القديسين ونتذاكر أمجادهم ، فأستعرض أمامك ـارهم وسيرهم بأنواعها ، كان فكرك يمتلىء من الحقيقة ولسانك يشيد بحمد القوة التي حلت فيهم و لتهم النصر . وإذا بك توجه الي طلبات ملحة والتماسات ملحفة تحثني فيها على أن أكتب أخبار رجال الله حرصاً عليها من الضياع . فأسطرها لك لتبقى ارثاً صالحاً ووديعة ثمينة فيها تتأمل فضيلتك وبها يتقدس فكرك السامي . ولم يخمد شوقك هذا طيلة سنين عديدة ، بل كنت تارة تحثني على ذلك شفوياً وطوراً تلاحقني بكتابات مسهبة تحاول فيها إقناعي . غير اني لم أجب فيما مضى الى طلبك هـــذا البتة ، بل كنت حيناً أندرع بضعف تعبيري وآخر بعدم الضرورة لتدوين هذه الامور ، لأن الكنيسة الجامعة تزخر بقصص القديسين كالبساتين التي تعـــج بشتى أنواع الأثمار . وليس ما أحبره إلا قاصراً عن مضاهاة الكتب التي

نتكلم عن القديسين؟ ... غير ان عزيمتك لم ترتخ وجذوة شوقك لم تنطفىء ، بل حضرت ، أنت الكريم ، بلهف وجد الى الدير الذي كنت أسكنه في نفر من الأصدقاء ، وقد انضم اليك خصوصاً في هذا الطلب والسعي ربان[1] بولس الحكيم والفيلسوف الجهبذ الحاذق ، فألنتم تحجر عقلي بندى تضرعكم الوادع . وعندها عزوت اهتمامكم بهذا الأمر الى إرادة الله فقبلت أوامرك بفرح . وهاءنذا مستعد بعونه تعالى لألبي رغبتك هذه بسرور عظيم ، كما يليق بمقامك واطلق كلامي في مدح وإطراء النساك القديسين الذين كانوا في « بيث عابي » ديرك المقدس . ولأنك طلبت الي ألا أكتب إلا عن هؤلاء حسب ، لذا فاني أضرب صفحاً عن ذكر سواهم ، إلا حيثما يقتضي سياق القصص وتتابعها وتلاحمها . لأن اصول الكتابة تتطلب تنسيق قصص القديسين الذين طلبت الي أن أتكلم عنهم . صل إذن بمحبة وهمة وإرادة صالحة لكي ينجز الرب المسعى على أحسن حال تمجيداً له عز وجل .

الفصل الثاني

دوافع السير والروايات

لما عزمت على السير في الطريق الوعرة التي سلكها القديسون في أعمالهم المضنية ، وقد أوصاني اخوتي الأعزاء بالمسيح أن أذكر أعمالهم بفمي ولساني ويميني ، فاني أتخذ المسيح هادياً لي وأسترشد بكلمته الحية القائلة : « إن كل ما تسألونه في الصلاة بالايمان تنالونه[2]. «وان كل شيء مستطاع للذي يؤمن»[3] ، وحيث ان كنزه الرباني مفتوح أمام الايمان ، وقد قال :

(١) ان « ربان » لفظة سريانية تعني المعلم أو الاستاذ ، وهي تطلق ايضاً على كل شخص كريم .

(٢) متى ٢٢/٢١ .

(٣) مرقس ٢٣/٩ .

« اسألوا تعطوا ، اطلبوا تجدوا ، اقرعوا يفتح لكم » (١) . فانني اقصي عني كل شك واومن بأن جودته لا تنبذني وانه لا يغلق بوجهي باب سخائه ، بل يظهر في جهلي موهبة تفوق استحقاقي ، كما اعطى اتان العراف نطقاً فوق طبيعتها(٢). فأظهر ثمة قوته القادرة على كل شيء ، وفي يظهر مجد قديسيه . وكلا الامرين عمله وكلاهما يؤولان الى مجد جلاله . اذ ان في تمجيد الصالحين تمجيداً لله ناصرهم ، لأنهم بدونه ليسوا بشيء . كما ان الآلات لا تؤدي عملاً بدون الفنان الذي يحركها ، وكما ان الجبلة لا تحاج جابلها وليس بمقدورها ان تتصرف حسب ارادتها . . .

فقد امرني الاخوة القديسون الساكنون في دير « بيث عابي » المقدس ، الذي امضيت فيه سنين كثيرة ، ان انظم سلسلة من سير الأشخاص الفضلاء الذين عاشوا فيه وجاهدوا جهاداً حسناً ، وان ادون اخبارهم المفيدة ، ما كتب سابقاً وما لم يكتب . فالذين كتبت سيرتهم ، علي ان املأ الفراغ الذي تركه المؤلفون . اما الذين لم تكتب سيرهم ، فعلي ان اختار بين الأخبار التي سمعتها عنهم من الشيوخ الشهيرين والصالحين الذين استجوبتهم ، وادون ما وجدته هنا وهناك من القصص الاخرى التي وردت في تواريخ كنسية كتبها مؤلفون قدماء ، ثم احاول أن اضع كل ذلك في كتاب موجز العبارة . لأني لن اقص اخباراً كاذبة من وضعي ، بل سأظهر الحقائق التي رووها هم .

فهاءنذا الج جنائن جهادهم ، التقط واجمع السنابل المختارة والسمينة واقيم من الحزم كدساً جليلاً ، يدخل الى بيادر المسامع ويطحن في رحى التمييز ويعجن في صحفة الايمان ويخبز في تنور الحب ويقدم قربان مجد على مذبح العقل ، قدس الاقداس . فقد قيل ان العقل ، اذا ما سار على سنته ، امكنه ان يتطلع ويرى ويصدق أمجاد الفاضلين وبسالة المجاهدين الابطال وذلك حينما يضيف الايمان الى معرفته ، كما قال من قال ، وبالايمان تكون الثقة ، وبالثقه الفضيلة ، وبالفضيلة البرارة ، وبالبرارة القداسة ، وبالقداسة الثبات ، وبالثبات الرجاء ، وبالرجاء الرسوخ ، وبالرسوخ البطولة ، وبالبطولة المحبة وهي اكليل الفضائل وكمالها . فقوام ديانتنا في هذه الامور وعليها يرتكز تعليمنا . فكل ما كان أو هو كائن أو سيكون ، نصدقه بالايمان ، عندما لا نراه . وبدون ايمان لا نقبل امراً لم نشاهده باعيننا . لان الذين عكفوا على بعض اعمال القداسة وذاقوا العذوبة

(١) متى ٧/٧ .

(٢) اشارة الى بلعام في الكتاب المقدس [طالع عدد ٢٢/٢٨] .

الممنوحة للفعلة النشيطين وللتائبين البصيرين . يحصلون في باطنهم على يقين تام تجاه هذه الامور ، دون ان يؤثر عليهم عامل من الخارج صادر عن الكتابة والسماع . فالخبرة قد علمتهم أن ما يقال هو حقيقي صادق .

فليعرف القارىء إذن ، وليفهم السامع انما أرويه عن القديسين ليس من اختلاقي . فاني إنما أجمع المواد مما قيل عنهم شفوياً ومن الكتابات التي وجدتها في روايات الآخرين وأحكامهم. ثم اكمل المهمة التي قبلتها نزولاً عند رغبة اخوتي ، فأزيد من عصارة فكري ما يقبله العاقلون ولا يخالف الحقيقة . ولا أقول ذلك عن العجائب والآيات والقوات التي عملها هؤلاء القديسون، بل عن الزمان وعن تتابع الحوادث وتناسقها وتلاحمها ، وهذا ما يهتم به المؤرخون ويقتضيه السياق . واني لا أخلط القصص بعضها بالبعض لئلا يرتبك القارىء من امتزاجها ، بل أكتب كل قصة على حدة بكثير من الايجاز . فتكون هنا الرواية جامعة ، واعطي كل قصة فصلاً خاصاً تحت عدد خاص . وأبدأ بمار ابراهام الكبير معلم أبي القديسين الذين خصصت حديثي لتمجيدهم كالعلة للمعلولات وكالجنس للأنواع التي يتضمنها ، كما يعتبر البار ابراهيم أباً للشعوب قاطبة(١)، واسرائيل أباً للاسرائيليين(٢) وهارون أباً للكهنة(٣) . واني أطلب من الرب متضرعاً بشفاعة مار ابراهام وبنيه القديسين أن يمنحني من الروح ما أعطى شيوخ اسرائيل من روح موسى(٤) لكي أسمع وأخبر بتسابيحه وأصف أمجاده في قديسيه ، فيتقدس سمع السامعين بمقال فمي ويترنم لسان المنصتين باسمه القدوس ، فيضفر المؤلف والكاتب والقارىء والسامع والمعترف والمؤمن اكليل تسابيح لاسمه القدوس الى الأبد .

---

(١) تكوين ٥/١٧ .

(٢) تكوين ٨/٤٦ .

(٣) خروج ١/٢٨ .

(٤) عدد ١٧/١١ ، ٢٥ ـ ٢٩ .

الفصل الثالث

مدخل الرواية

سبق الله بحكمته الأزلية الفائقة فميز المختارين ووسم المدعوين الى ملكوت السماء. وتشهد على ذلك أحكام العناية الالهية التي أخبر عنها موسى . فانها تعلن الأشياء العتيدة التي تتحقق في النهاية إثباتاً لسبق معرفة الله بشأن اختيار القديسين . وقد تطرقت هذه الحكمة الى ما يخص الرب المسيح جلياً ، ولأنها معرفة سماوية فقد كتبت على صخرة في وجه السماء . فهناك ، على جبل سيناء المجلل بالسحاب طيلة أربعين يوماً ، كتب [موسى] أخبار العوالم التي كانت من قبل والوصايا التي اعطيت لنسل ابراهيم[1] . وقد تجلت هذه المعرفة بالمجد الذي كان يشع من وجهه ، وأشارت الى أن البتولية والقداسة ستزدهران وتعظمان في النهاية . ولكي تقف على صدق هذا القول ، تتبع خطوات تدبير المسيح تر انه شرحها وعلمها بوضوح لرسله حينما أصعدهم على جبل طابور وهناك تغير الى هيئة مجيدة أمامهم ، وأمر الأرض فأخرجت موسى ، وأوعز الى السماء فأنزلت ايليا . وأظهر أن بتولية أتباع موسى وقداستهم ندان لبتولية آل سمعان وقداستهم في علياء سمائه. وقد أولاها طابعاً نهائياً لدى صعوده من اورشليم الأرضية الى اورشليم السماوية المدينة العظمى ، إذ رفع يديه المقدستين وباركهم وأمرهم قائلاً: « إذهبوا وتلمذوا كل الشعوب وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس ، وعلموهم ان يحفظوا كل ما أوصيتكم به ، وهاءنذا معكم كل الايام الى نهاية العالم (٢) .

لقد سارت البتولية والقداسة رويداً رويداً في الشعوب كلها ، لاسيما لدى فئات النساك القديسين في مختلف الأمصار . فقد ابتدأت في الجبال ومنها انبثقت : بموسى في جبل سيناء (٣) ،

(١) خروج ١٨/٢٤ ، ٣٥/٣٤ .

(٢) متى ١٩/٢٨ ــ ٢٠ .

(٣) خروج ١٨/٢٤ .

وبايليا في جبل الكرمل (١) ، وباليشاع الطوباوي (٢) ، وابناء الأنبياء (٣) ، والقديس يوحنا في البرية (٤) ، وبأتباع سمعان في جبل طابور (٥) ، وبرب الأنبياء في زمن صومه في البرية (٦) . وفي وقت صعوده على جبل الزيتون (٧) . وهؤلاء الآباء المتوحدون خرجوا الى البراري والجبال ليحافظوا على البتولية والقداسة اللتين اودعهما اياهم الرسل ، ولكي يحاربوا الشيطان والسلاطين والارواح الشريرة تحت السماء (٨) . فواحد هـــو الروح وواحدة هي الارادة الالهية التي انجزت وتنجز هنا وهناك ، ويشهد على ذلك احد القديسين اذ يقول : « ان القوة التي رأيتها ماثلة في المعمودية تعطي ذخيرة البنين والحرية للمعمدين ، هي التي رأيتها في لباس الاخ حينما يتوشح بالزي الرهباني فتقدس عمله» . ولكي لا يقل في عينك شرف عظمة الرهبان الاطهار عن سيرة الأنبياء والرسل ، ادخل بفكرك الى جنة انتصاراتهم وهناك تقدر أن تقرأ وتفهم عظمة هذا الزي العفيف الطاهر وسمو مقامه . اذ ترى هناك الانبا بولس الذي كانت الطيور تخدمه مدة سبعين سنة تقريباً على مثال ايليا العظيم (٩) ، والانبا انطيونيوس الذي كانت فرقةمن الشياطين مع ما لديها من الوسائل، تقف امامه ذليلة ، والانبا بمبو (١٠) الذي اضحى محياه مثل وميض البرق وكأنه ملك جالس على عرشه ، كما كان موسى(١١) قد نال مجداً يضاهي مجد آدم فتلألأ وجهه . وكذلك الانبا سلوانا (١٢) ، والانبا سوسائيس (١٣) ، والانبا نسطير في عهد الابتداء والانبا

(١) ٢ ملوك ٢٠/٢٨ ــ ٢١ .

(٢) ٢ ملوك ١٥/٢ .

(٣) ٢ ملوك ٣/٢ .

(٤) متى ١/٣ .

(٥) متى ١/١٧ .

(٦) متى ٢/٤ .

(٧) متى ٣/٢٤ .

(٨) افسس ١٢/٦ .

(٩) ١ ملوك ٦/١٧ .

(١٠) الانبا بمبو هو أحد تلاميذ أنطونيوس الكبير . ولد سنة ٣٢٣ وتوفي سنه ٣٩٣ [طالع «بدج» في كتاب الرؤساء ٢ ، ص ٣٥ ــ ٣٦] .

(١١) خروج ٢٩/٣٤ .

(١٢) الانبا سلوانا راهب دخل دير فاخوميس الكبير [+ ٣٤٨] ثم زاغ عن الحياة الرهبانية ولكنه عاد الى رشده وأمضى ما تبقى له من العمر بقداسة .

(١٣) الانبا سوسائيس راهب انزوى في برية الصعيد المصري بعد موت أنطونيوس، ثم رحــل الى جبل قليسما وتوفي سنة ٤٢٩ وله من العمر ٦٢ سنة .

ارسانيس (١) ، المتوشح بنور سماوي ، وآخر كانت صومعته تضيء ليلاً كما في النهار. فلتساعدنا صلواتهم لكي نسلك في طريق اعمالهم الوعر . امين .

الفصل الرابع

الطوباوي ربان مار ابراهام الكبير رئيس دير جبل ايزلا(٢)

كما اختار الله سابقاً الطوباوي ابراهيم من اور الكلدانيين وأقامه أباً بالايمان لشعوب كثيرة ، كذلك قد عظم هذا السلك الرهباني المقدس ورفع شأنه في أرض المشرق كلها بواسطة رجل روحاني هو ند لابراهيم في الاسم والمكان والأعمال ، وأقامه أباً لطغمة البتولين والنساك.

(١) ولد الانبا ارسانيس سنة ٣٥٤ . وبعد أن أشرف مدة على تربية ارقاديوس وهونوريوس ولدي الامبراطور تاودوسيوس ، عزل هذه الخدمة وانزوى في الصعيد حيث وافته المنية سنة ٤٤٩ وقد بلغ من العمر عتياً .

(٢) مار ابراهام الكبير هو مؤسس الدير الشهير في جبل ايزلا الواقع على مقربة من مدينة نصيبين . ولد في نهاية القرن الخامس . وبعد أن زار أماكن عديدة واطلع على الحياة الرهبانية والنسكية في جبل سيناء والصعيد المصري عاد وانزوى في صومعة في جبل ايزلا واجتمع اليه اخوة كثيرون ، فجعل لهم زياً خاصاً وفرض عليهم حلق الرأس على شكل دائرة او اكليل وبدأ باصلاح الحياة الرهبانية وضبطها بالقوانين التي وضعها في نحو سنة ٥٧١ . توفي في نحو سنة ٥٨٦ ، ولا يزال الدير الذي أسسه قائماً على مسيرة أربع ساعات غربي نصيبين [طالع عن ابراهام الكبير : كتاب العفة ، رقم ١٤ ، السمعاني ، المكتبة الشرقية ٣ ، ١ ص ١٥٤ ــ ١٥٥ ، لابور ، المسيحية في الامبراطورية الفارسية ص ٣١٦ ــ ٣١٨ ، التاريخ السعردي ٢ص ٤١ ــ ٤٣ ، ادي شير ، كلدو وآثور ، بيروت سنة ١٩١٣ ، ٢ص ٢٥٧ ــ ٢٥٩ ، وغيرهم ...] .

فقد كتب عنه الأولون ، لاسيما الانبا يوحنا كاتب حياة ربان برعيتا (١) ، وربان روسطم (٢) من دير بيث قوقا (٣) في القصة التي وضعها عن ربان مار ابراهام رئيس دير ربان زخايشوع (٤) والذي كان من دير بيث عابي . فهولاء يقولون انه ذهب الى الصعيد وهناك لبس الزي النسكي ثم عاد بأمر الهي وسكن في مغارة خفية في جبل ايزلا بالقرب من نصيبين . وسرعان ما انتشر خبره بين الناس ، لان الله سبق بمعرفته الازلية وميزه ليكون سبب فوائد عامة لكثيرين ، لكي يتتلمذوا على يده آباء قديسون أسسو أديرة شهيرة في ارض الفرس والاثوريين والبابليين (٥) . وكرائحة عطور ذكية فاح عرف امجاده في الجهات كلها ، فاجتمع اليه عدد غفير من النساك .

---

(١) لقد ظن الكثيرون ، على اثر السمعاني ، ان برعيتا هو كاتب تاريخ كنسي [طالع المكتبة الشرقية ٣ ، ١ص ٤٥٨ ، هوفمان في مختصره ص١٨١ ، بدج في كتاب الرؤساء ٢ص٣٣ ، حاشية٢ ؛ شابو ، الأدب السرياني ص٥٦]. ولكن منذ أن نشر السيد جوسن حياة سهدونا وكتاباته [ليبسيك سنة ١٨٩٧ ، ص١٣ حاشية ١] يميز المؤرخون شخصين باسم برعيتا : الأول هو مؤسس دير في مقاطعة المرج سنة ٥٦٢ ، والثاني هو ذاك الذي اتهم ببدعة المصلين في نحو سنة ٦٩٠ . [طالع توما المرجي في كتاب الرؤساء جزء١ فصل ٢٨] .

وليست نسبة تاريخ كنسي الى برعيتا إلا مجرد خطأ نتج عن سوء ترجمة للنصوص الواردة في كتاب الرؤساء حيث يذكر توما المرجي قصة الربان برعيتا أو نبوءاته [جزء١ فصل٢٣و٣٤ ؛ جزء٢ فصل ٦] . وقد كتب هذه القصة الانبا يوحنا الفارسي [كتاب الرؤساء ، جزء ١ فصل ٤] بعد سنة ٦٦١ ، لأن آخر تاريخ ورد في هذه القصة [بيت ١٣٣٠/١٣٣١] هو جلوس سرجيس على كرسي حدياب سنة ٦٦١ . إلا أن ما كتبه يوحنا ضاع ولم يبق منه إلا مختصر من ٢٠٣٦ بيتاً من الشعر السباعي وضعه الكاهن ابراهام زابايا . وقد نشر السيد بدج النص الكلداني مع ترجمته الانكليزية في لندن سنة ١٩٠٢ [المجلد الأول ـــ النصوص الكلدانية ص١١٠ ـــ ٢٠٣ ؛ المجلد الثاني - الترجمة الانكليزية ص١٦١ ـــ ٣٠٤] عن نسخة نقلت له على مخطوط من القرن الثاني عشر أو الثالث عشر في ألقوش. ومن الجدير بالذكر ان هذه القصة لا تنسب الى برعيتا إلا دفاعاً عن الايمان بالاشتراك مع الأساقفة والملافنة وقدمه الى كسرى الثاني في عهد البطريرك سبريشوع [٥٨٦ ـــ ٦٠٤] [طالع مجلة الشرق السرياني الفرنسية ، مجلد ١١ عدد ١ سنة ١٩٦٦ ص ١ ـــ ١٦] .

(٢) ولد روسطم او سبريشوع في «حريم» [تل الخيم الحالية] الواقعة في اقليم حدياب على مسافة ١٢ كم الى الجنوب الشرقي من الكوير ، وذلك في منتصف القرن السابع . وقد وضع كتباً اخرى يذكرها توما المرجي في جزء ٢ فصل ١٧ .

(٣) بيث قوقا دير شهير يقع على الزاب الكبير في الجنوب الغربي من أسكي كلك الحالية في الموضع المسمى [ملا عمر] ، وقد أسسه سبريشوع الذي أصله من قرية اوانا الواقعة في منطقة الطيرهان ، وذلك بين سنة٦٢٨ وسنة٦٣٢.

(٤) لا نعلم شيئاً عن ربان ابراهام. أما دير ربان زخايشوع فكان في منطقة داسن، ويعرف أحياناً بالدير الكبير .

(٥) إن المؤلفين المعاصرين لتوما المرجي يميزون في الكنيسة السريانية الشرقية ثلاثة أقاليم : الشمالي وهو اقليم آثور ، وبه يقصد مدينة الموصل وما يدور في فلكها ومنها حدياب القديمة . والاقليم الجنوبي المعروف سابقاً ببيث آرامايي، وهو المقاطعة المحيطة بساليق وقطيسفون [المدائن] وبغداد . أما الاقليم الثالث ، فهو بلاد ايران الحالية .

وهو الذي فرض زينا الخاص هذا وأمر بأن يحلق رأس الراغبين في الانخراط في هذا السلك على شكل اكليل. فحتى زمانه لم يكن المسيحيون الحقيقيون ليتميزوا بالزي عن زي السويريين الحليقين (١) كما انه كان عهد فيه يترتب على كل الذين يريدون اكتساب الفلسفة المدنية أن يؤموا اثينا مدينة الفلاسفة الشهيرة ، كذلك كل من يرغب في تلقي الفلسفة الروحية (٢) كان يقصد دير ربان مار ابراهام المقدس فيسجل نفسه في عداد ابنائه. وهكذا بعد مرور سنين عديدة ، حينما توسعت، وامتدت الحياة الرهبانية والنسكية بواسطة [مار ابراهام] وابنائه الروحيين ، تخرج من جمعيته، وهو لا يزال في قيد الحياة ، آباء شيدوا اديرة مقدسة مثله ، ثم توفي باكرام وانتقل الى حياة لا تبلى.

الفصل الخامس

مار داديشوع

لقد اطلعنا مما كتبه اسلافنا على حياة الطوباوي مار داديشوع ، الذي صار رئيساً بعد ربان

(١) لا نعلم شيئاً عن زي الرهبان النساطرة والسويريين [نسبة الى سويريوس الأنطاكي ٥١٢ ــ ٥١٩] ، إنما نعلم أن ابراهام الكبير غير زي الرهبان النساطرة ، كما جاء في الحاشية الاولى من هذا الفصل [أنظر التاريخ السعردي ٢ ص ٤٢] وأمر بحلق قمة رأسهم على شكل دائرة . ويعلق المطران ادي شير على ذلك بقوله : ان «سوبارا» دائرة محلوقة في قمة الرأس تظهر ما بقي غير محلوق من الشعر كاكليل على الرأس [طالع كلدو وآثور ٢ ص٣٥٧، حاشية٣] . أما السويريون فكانوا يحلقون رأسهم كله [طالع كتاب الآباء لشمعون الشقلاوي ، طبعة الأب فوستي . روما ١٩٤٠ ص ٣٨] .

(٢) يقصد الكتبة الروحيون بكلمة الفلسفة السلك الرهباني الذي فيه تتجلى الحكمة الحقيقية بأسمى مظاهرها .

مار ابراهام. اقام هذا القديس اولاً في « ديرا دريشا » [1] (دير القمة) في مقاطعة مركا هذه[2] لدى ربان اسطيفان [3] العظيم الذائع الصيت في الشرق كله . وبعد ان مكث لديه مدة سبع سنين توجه الى ربان مار ابراهام . ويقال انه هو أول من ذهب اليه وخدمه [4] مدة طويلة . ولما انتقل مار ابراهام من هذه الحياة الدنيا الى مقر الراحة ، صار بعده مار داديشوع رئيساً ومدبراً . وقد روى عنه المؤرخون انه فاق أهل زمانه قاطبة تواضعاً واحتقاراً لذاته وزهداً وتقشفاً . وذاع خبر سـيرته في كل مكان ، نظير معلمه . فازدهر ذلك الدير المقدس في عهده وعظم شأنه باناس قديسين تتلمذوا له .

الفصل السادس

معلمنا مار يعقوب مؤسس دير بيث عابي

ولد القديس ربان يعقوب في مدينة لاشوم[5] من أعمال بيث كرماي (باجرمي)[6] ، ثم أقام سنين طويلة في أماكن شتى ، تارة يعلم ويطالع الكتب لنفسه وللآخرين ، وطوراً يسكن

(١) « دريشا » هو الجبل المسمى حالياً جبل مقلوب . وديرا دريشا أسسه أحد الأساقفة والنساك اليونانيين الذين أقبلوا من بلاد الروم في القرن الرابع وجدده الراهب النسطوري ابراهام في نهاية القرن السابع او مستهل القرن الثامن ويعرف حالياً بدير مار ابراهام وهو واقع على مسافة قريبة شرقي دير مار متى .

(٢) يتكلم توما هنا تبعاً للتقسيمات الكنسية التي اجريت حديثاً منذ عهد مارن عمه مطرافوليط حدياب [أي بعد منتصف القرن الثامن] ، وبموجبها يعد جبل ريشا من مقاطعة المرج ، بينما كان سابقاً يعد من مقاطعة نينوى .

(٣) لعله اسطيفان عينه الذي تنبأ لربان برعيتا انه مزمع أن يؤسس ديراً ، وقد حدث ذلك في سنة ٥٦٢ .

(٤) « خدمه » في الاصطلاح الرهباني تعني صار له تلميذاً .

(٥) لاشوم [ويقال لها الآن لاشين] تقع على مسافة ١٢ كم شمالي داقوق في منطقة بيث كرماي .

(٦) بيث كرماي او باجرمي مقاطعة فسيحة مركزها مدينة كرخ سلوخ [كركوك الحالية] وقـد كانت كرسي المطرافوليط ، وهي تشمل مراعيث عديدة. وهنا نحب أن نعلم القراء اننا نستعمل لفظة مرعيث للدلالة على رعية الاسقف. ولفظة أبرشية للدلالة على رعية المطران او رئيس أساقفة او مطرافوليط .

منفرداً في مواضع هادئة ، ثم صعد الى ذلك الدير (ايزلا) وتتلمذ لربان مار داديشوع ، وأقام منزوياً في الصومعة التي سكنها الطوباوي مار يعقوب اسقف نصيبين[1]. ففيها مكث أبونا الطوباوي يعقوب مدة نحو سبع سنين ، حسبما روى عنه سهدونا[2]. ولما انتقل القديس مار داديشوع الى حياة السعادة ، خلفه مار باباي الكبير في رئاسة هـذا الدير المقدس . أما أبونا القديس مار يعقوب فقد اختار لنفسه تواضعاً عظيماً وعدم مبالاة باعتبار الناس له ، كما كتب عنه تلاميذه . فقد عد نفسه غريباً[3] عن أمجاد العالم كلها وحسب ذاته كأصغر فرد في تلك الجمعية الرهبانية المقدسة . وبينما كان عظيماً ورفيع الشأن لدى الله رب العالمين ، كان محتقراً ومرذولاً لدى الجهلة بسبب تقشفه وتجرده . وقد أصبح عرضة لهجمات كثيرة وشدائد مختلفة سببها له الشياطين المردة هناك . ولكنهم عندما لم يجدوا الى التغلب عليه سبيلاً ، أثاروا عليه فتنـة ، كما سنذكر ذلك قريباً .

---

(١) توفي القديس يعقوب اسقف نصيبين نحو سنة ٣٣٨ ، وكان له الفضل الأول في توجيه حياة القديس أفـرام الملفان ، ثم أتاح له التعليم في المدرسة التي افتتحها قبيـل انعقاد المجمع المسكوني الأول سنة ٣٢٥ في نيقية ، أما نصيبين ، وتسمى أيضاً صوبا ، فهي مدينة تقع الآن في تركيا مقابل مدينة قامشلي السورية . وقـد اشتهرت نصيبين في الحروب الرومانية ـ الفارسية لوقوعها على الحدود بين الامبراطوريتين الكبيرين . واشتهرت أكثر من ذلك بجامعتها حتى لقبت بجدارة « أم العلوم والعلماء ومدينة المعارف » [طالع أدي شير ، مدرسـة نصيبين الشهيرة ، بيروت سنة ١٩٠٥ ص ٣ ـ ٤] .

(٢) انظر ترجمة سهدونا في الفصل الرابع والثلاثين من هذا الجزء والفصل ٦ من الجزء الثاني .

(٣) الغريب ، ويسمى بالكلدانية « نوخريطا او اخسنايا » وهو لقب من ألقاب الراهب .

الفصل السابع

الطوباوي مار باباي (١)

كان الطوباوي مار باباي من قرية بيث عيناثا (٢) في مقاطعة بيث زبدي (٣) . ويقال انه تتلمذ هو أيضاً مثل أبينا يعقوب لمار ابراهام العلامة الحكيم . وكان ذا طبع حاد وكلام عنيف وأمر صارم شيئاً ما . وقد وضع شرحاً جلياً لكتب الآباء (٤) . وعندما توفي مار داديشوع قام بعده باباي رئيساً ثالثاً على الجمعية حسب التسلسل . فشرع الشيطان يزرع زوّان تعاليمه البغيضة في حقل الحنطة المختارة ، ذلك الحقل المبارك الذي حرثه وزرعه فعلة نشطاء .

الفصل الثامن

ظهور اناس فاسدين على عهده في ذلك الدير المقدس

ان الشيطان عدو الجنس البشري الذي حارب أبوينا منذ البدء في عدن (٥) وزرع

(١) ولد باباي الكبير في بيث عيناثا سنة ٥٥٣ . وبعد أن تلقى العلم في مدرسة نصيبين انخرط في سلك رهبان الدير الكبير في ايزلا ، وتولى رئاسة الدير بعد داديشوع ، وعاش في عهد الجثالقة : حزقيال [٦٠٥ ــ ٦٠٩] ، وايشوعياب الأول الارزني [٥٨٢ ــ ٥٩٥] ، وسبريشوع [٥٩٦ ــ ٦٠٤] ، وغريغور [٦٠٥ ــ ٦٠٩] ، وقام بمهام خطيرة لدى شغور الكرسي البطريركي الى سنة ٦٢٨ ، ووافته المنية سنة ٦٢٩ .

(٢) « بيث عيناثا » ــ هناك أماكن عديدة بهذا الاسم الذي يعني «بين الينابيع» . وهو هنا يشير الى مدينة واقعة على دجلة فوق جزيرة ابن عمر ، يصفها المقدسي [أحسن التقاسيم ص ٣٥ ، ٥٤ ، ١٣٧ ، ١٣٩ ، وياقوت الحموي في معجم البلدان ١ص ٢٢٥] .

(٣) بيث زبدي مقاطعة واقعة في أعالي دجلة ، وكان مركزها الكنسي القديم بلـــدة « فنك » ، ثم انتقل الى جزيرة ابن عمر .

(٤) انظر جدول عبديشوع الصوباوي [م. ش. ٣ ، ١ ، ص٩٤] .

(٥) تكوين ٣/١ .

في الأرض زوراً ونفاقاً اسماء آلهة كثيرة ، ذلك الذي دفع قائين الى إنجاز رغبته (١) ، وأغوى ابناء الله (٢) وأبعدهم عن أبيهم السماوي ، وجعل حام الفاحش يسخر بعورة والده (٣) ولقن اولئك البنائين الجهلة أن يشيدوا برجاً في أرض شنعار ليقارعوا به الله (٤) ، ونحى عيسو عن السيرة الفاضلة (٥) ، وحرض اولاد موسى النبي على أن يتمردوا ولا يسيروا سيرة والدهم الفاضلة ، ودفع ابناء عالي وأبناء صموئيل(٦) الى الارتشاء والى هتك النساء في قبة العهد ، واقصى جحزي عن الدعوة والسيرة التي كانت تتطلبها خدمة الطوباوي اليشاع (٧) . فاذ رأى هذا العدو الجهنمي ان تلك الجمعية المقدسة كانت تسطع ببهاء يفوق الوصف بالطهر وبالأعمال السامية ، اختار لذاته بعض رهبان من ذلك القطيع وملأهم روح النجاسة وشوش أفكارهم بشهوة الجسد الشبقة . فلو قاوموا مكائد الشيطان في بدء اختلاج افكارهم ، ولو نبذوا عنهم منذ اللحظة الاولى الرغبات الاثيمة التي نفثها فيهم الشيطان ، لما استطاع الرجيم ان يمس استقامة افكارهم ويجعلهم آنية مهيأة لتحقيق رغبته . ولكنهم كما قال الانبا فومان (٨) وقعوا فريسة لأحابيل الشيطان الثلاث التي تسبق كل خطيئة ، وهي الضلال ثم الاهمال فالشهوة . فحينما يستحوذ الضلال على الراهب يزيل عن قلبه ذكر الله ويؤدي به الى الأهمال الذي يضعه في حالة من الاغفاء والرخاوة يعسر عليه الانتفاض منها . وسرعان ما تداهمه الشهوة الدنسة ، فيصبح الانسان بكليته إناء معداً للهلاك. ماذا حدث؟ فقد انحدر اولئك الشقاة الحقراء خفية بمشورة ابليس الشريرة الى الدساكر الآهلة وأخذوا لهم نساء وخطفوهن وأتوا بهن، كما تروي القصة. الى الصوامع الخارجية(٩) التي

(١) تكوين ٤/٨ .

(٢) تكوين ٦/٢ .

(٣) تكوين ٩/٢٢ .

(٤) تكوين ١١/٢ .

(٥) تكوين ٢٥/٣٤ .

(٦) ١ صموئيل ٢/٢٢ .

(٧) ٢ ملوك ٥/٢٠ .

(٨) الأنبا فومان أحد نساك برية الصعيد المصري ، عاش في نهاية القرن الرابع .

(٩) كان الدير يتكون من بناية واسعة تشتمل على الكنيسة والغرف العامة وبعض غرف لسكنى رؤساء الدير ومدبريه والمبتدئين والرهبان الذين اختاروا خدمة الدير . وخارج هذه البناية كانت أكواخ او مغائر مشتتة يسكنها الرهبان المتوحدون الذين كانوا يأتون الى الدير في فترات متفاوتة حسب درجة نسك كل منهم ، وأعلى هذه الدرجات مرتبة كانت درجة الحبيس الذي لم يكن ليغادر كوخه البتة .

كانوا يسكنونها ، وظلوا على ذلك الفعل القبيح المقيت زماناً يسيراً . غير ان الهنا الصالح والجواد الذي يتأنى على الخطأة ويريد ان يرعووا عن غيهم ويجدوا الحياة ، لما رأى ان الندم لم يجد منفذاً الى قلبهم المتمرغ في حمأة الخطيئة وانهم يقطنون موضعاً مقدساً مع القديسين وهم مدنسون وملوثون ولا يخجلون ، فضح أمرهم وجعلهم عرضة للسخرية ، كما سأذكره الآن .

الفصل التاسع

القديس ربان مار ايليا (١)

كان في ذلك الدير رجل طوباوي فضيل يدعى مار ايليا ، واصله من الحيرة مدينة العرب الكبيرة وتلقى العلم في مدينة نصيبين وانخرط في سلك الرهبانية في ذلك الدير المقدس ، فسار في طريق النسك بدون شائبة ، وقد أبى ان يمنح جسده أياً من اسباب الراحة والهناء . فاشتهر مثل سميه بممارسة التجرد وبالغيرة على مكافحة الشياطين والاهواء الجسدية . وكما قال الانبا مقاريس (٢) للحكيم اواغريس (٣) : « اننا حينما نحقد على الابالسة نظل بعيدين عن اذاهم » ، هكذا فقد حفظ هذا الطوباوي قوة الغضب المستحوذة على طبيعته ووجهها ضد مناهضي الفضيلة .

(١) هو ايليا المذكور في كتاب العفة [رقم ١٤ و ١٩] أحد تلاميذ ابراهام الكبير ، وهو الذي أقبل الى المنطقة المحاذية لنينوى وأسس فيها الدير الذي لا زالت آثاره باقية الى الآن [ديـر سعيد] على مسافة قريبة جنوبي الموصل .

(٢) هو الانبا مقاريس المصري [+ ٣٩٠] [طالع التاريخ الكنسي لسوزومين ٤ ، ٢٣ ؛ سقراطس ، ٣ ، ١٤ ؛ م. ش. ٣ ، ١ ص ٤٤ ـ ٤٥] .

(٣) هو اواغريس البنطي [+ ٣٩٨] الذي عاش مدة في القسطنطينية ثم انزوى في الصعيد المصري الى وفاته .

غير انه كان مضطرماً مع ذلك بمحبة البشر الذين رأى فيهم صورة الله وجلاله . وقد فضح الله رب الكل على يد هذا الرجل العجيب تلك البدعة الشنيعة التى وقعت في أيامه في ذلك الدير المقدس وكما ان الله اباد بيد الطوباوي مار ايليا (١) انبياء البعل فأعمل فيهم القتل ، هكذا بواسطة هذا الموسوم باسمه وصنوه في العبادة حسن لدى الله رب الكل ان يستأصل شأفة الزؤان الرديء المعد للنار المحرقة ، وأعني بذلك عمل هؤلاء الأشرار وسيرتهم الدنسة . فهناك من يقول ان الله أوحى اليه الأمر برؤيا وان ملاكاً أمره بالنزول من صومعته ليلاً وبالذهاب الى صوامع اولئك الناس . وهناك من يقول أيضاً انه حضر صدفة وسمع صوت أنوال النساء وهن ينسجن أثواباً . وآخرون يقولون انه شاهد أطفال اولئك الفجار يلعبون على مقربة من صوامع آبائهم ، وحينما سألهم من هم ومن أين أقبلوا ، أجابوا قائلين : « اننا من هنا وآباؤنا هم فلان وفلان » . ومهما يكن الأمر فالظاهر انه لم يترك صومعته إلا باشارة الهية ، لا سيما في المساء حيث يترتب على الناسك أن يهتم بوضع عطور فاخرة في مجمرة قلبه لكي تفوح منها رائحة ذكية الليل كله(٢) ، وانه على كل حال لم ينزل بطريق الصدفة الى صوامع النساك . وما أن رأى وعرف جلية الأمر حتى اسقط في يده . ولما كان جنس الاسماعيليين مجبولاً على طبع حاد وغيرة عارمة ، فقد اضطرمت غيرته وتأججت نار غضبه ، وأخذ يتشكى الى الله مثل ايليا النبي ويقول : « ان بني اسرائيل تركوا عهدك(٣) ووطئوا شريعتك ونسوا وصاياك ، وعوض التشبه بابراهيم أبيهم ، اختاروا لنفسهم أباً هو الشيطان عدو الجنس البشري » .

(١) ١ ملوك ١٨/٤٠ .

(٢) اشارة الى السكوت والاختلاء العميق الذي يجب أن تمتاز به امسيات الراهب الصالح .

(٣) ١ ملوك ١٩/١٠ .

الفصل العاشر

ما قام به الطوباوي غداة ذلك اليوم

كانت العادة في ذلك الدير المقدس تقضي بأن لا يقرع ناقوس الجمعية لأية علة كانت إلا بأمر الرئيس. وإذا ما قرع بدون أمره فتلك إشارة الى خلع رئيس الدير من منصبه. فلما كان صباح الغد نزل الطوباوي مار ايليا من صومعته وجاء الى الدير وأمر الساعور بأن يصعد ويقرع ناقوس الجمعية. ولما سمع الساعور لم يمتنع او يقول: « انني لا أفعل ذلك بدون أمر الربان رئيس الدير »، بل، من أجل مكانة الآمر وكرامته، امتثل الأمر حالاً، فاجتمع الكل وقصدوا الهيكل. فدهش القديس مار باباي الذي كان الرئيس في ذلك الزمان من أن الناقوس قرع بدون أمره وبغير داع. ودعا الساعور وسأله قائلاً: « بأمر من قرعت الناقوس؟ » فأجابه قائلاً: « ان مار ايليا الغيور أمرني بذلك ». فدعا الرئيس ايليا وطلب اليه أن يطلعه على سبب طلبه ذلك الاجتماع غير المعتاد. فأجابه قائلاً « يا أبانا ورئيسنا، انك تعرف الامور التي تحدث بعيداً عنك، فكيف خفيت عنك شرور قريبة تقترف داخل ديرك وعلى مقربة منك؟ وكيف يخشى الذين ليسوا تحت رئاستك ويختبئون لدى سماعهم باقترابك وابتعادك، وفي هذا الدير الذي هو إرثنا الالهي انبعثت سادوم وأقيمت « جبع »(1)؟ كيف انتشرت الآكلة، هذا القرح النتن، في أعضاء جسم أبنائك الطاهر؟ أين هي بركة أبينا ابراهام وهداية مار داديشوع وتعليمك المتدفق مثل نهر جيحون؟ فها قد أنتجت إدارتك أصلالاً ملعونة فراخ الحية القتالة. فان بعضاً منا، من هؤلاء الجالسين قدامك، وهم يرون ويسمعون. قد تمخضوا بالاثم(2) وولدوا الافك(3) وشربوا المياه العكرة(4) وتغذوا بالخرنوب(5) وزنوا ببنات موآب(6) حسب مشورة

(1) اشارة الى ما جاء في الفصل التاسع عشر والعشرين من سفر القضاة، وليس الى ما اورده « بدج » من النصوص في ترجمته لكتاب الرؤساء [طالع ۲ ص ٥٥ حاشية ٧].

(2) أمثال ٨/٢٢.
(3) مزمور ١٤/٧.
(4) ارميا ١٣/٢.
(5) لوقا ١٦/١٥.
(6) عدد ١/١٥.

بلعام العراف[1] ، فنسوا اله ابراهيم واسحق ويعقوب . فعليك أبانا أن تطعنهم بحربة غيرتك كما فعل فنحاس الغيور[2] . فتمزق هؤلاء الدنسين الذين لوثوا الدير الرئيسي لأبناء المشرق طراً باثمهم ، وعليك أن تبيد الذين رأيتهم بالرؤيا وتطردهم من بيت ايل ، بيت الرب اله آبائك » . وما أن نطق ذلك الفم المقدس بهذه الأقوال وبمثلها حتى استولى الرعب والخوف على الجميع ، وقال له القديس باباي : «اثبت لي صحة أقوالك بالفعل ، فأقوم بالاجراءات اللازمة» . فأومأ [ايليا] بيده الى اولئك الأشقياء وفضح أمرهم قائلاً : « هؤلاء هم الذين ضلوا وخرجوا من حظيرة الحياة ليرعوا الأشواك، هؤلاء هم الذين تركوا اورشليم وأرادوا السكنى بين الأفاعي المستوطنة في خرائب أريحا ، هؤلاء هم الذين صنعوا عجلاً في حوريب[3] وسجدوا للصنم واستبدلوا كرامتهم بقذارة زبل نتن ، ها هي ذي نساء في صوامعهم ومعهن أولاد . فهؤلاء هم الذين دفعني شرهم الى إصدار الأمر والقيام بما فعلت بدون أمر قداستكم » .

الفصل الحادي عشر

ما عمله مار باباي وجمع الآباء

لما تكلم ايليا الثاني بهذه الغيرة وأعلن هذه الامور ، إغتم قلب هؤلاء القديسين ، فنزعوا الثوب الرهباني عن المخالفين وحلقوا أكاليل رؤوسهم وطردوهم ونساءهم وأولادهم وأخرجوهم

(١) ٢ بطرس ١٥/٢ .

(٢) عدد ٧/٢٥ ــ ٨ .

(٣) خروج ٤/٣٢ .

من هناك ، ثم اضرموا النار بصوامعهم واحرقوها . وهكذا قطعوا دابر ذلك الشر من وسطهم ، كما فعل بنو اسرائيل حينما غاروا بغير الرب فأبادوا بني بنيامين (١) بحد السيف لأنهم افسدوا طرق العفاف وسبله وجددوا فيما بينهم عادات السادوميين ، وكما عد اسماعيل غريباً وطرد من بيت ابراهيم (٢) هو وأبناء قطورة لئلا يقاسموا ابن الحرة الارث الوالدي ، وكما رذل منسى الذي دنس مساكن الرب (٣) المقدسة فأقام في الهيكل الطاهر صنماً ذا اربعة وجوه . ومع انهم خرجوا يجرون اذيال العار ، حسبما تستحق سيرتهم . لكنهم في النهاية ارعووا وتذكروا المسيح سيدهم ولم ينهوا حياتهم بالاثم ، كما سيدور البحث عنهم في موضوع آخر بعون الله (٤) .

الفصل الثاني عشر

الظلم الفاحش الذي انصب على قديسنا مار يعقوب مؤسس دير بيث عابي والحكم الجائر الذي صدر بحقه

حينما اقصي هؤلاء المذنبون وتفرقوا شذر مذر ، ورأى الشيطان ان جهوده باءت بالفشل وان تلاميذه غلبوا على امرهم ، اراد أن يطرد من هناك المختارين الصالحين ايضاً الذين لم تتمكن منهم فخافه ولم تنجح فيهم شراكه . فقرف القديس ربان مار يعقوب بتهمة أن صومعته كانت قريبة

(١) قضاة ٢٠/٣٥ .

(٢) تكوين ٢١/١٤ : ٢٥/١ ــ ٦ .

(٣) ٢ ملوك ٢١/٧ : ٢ اخبار ٣٣/٧ .

(٤) طالع الفصل ١٦ من هذا الجزء .

من مساكن اولئك القوم وانه اطلع على سيرتهم كلها فأخفى الأمر هذه المدة كلها ولم يفضح سلوكهم . فقرعه القديس مار ايليا بطابع غيرته قائلاً : « ان هذا الذنب كله ذنبك ، وعلى عاتقك تقع مسؤولية هذه الخطيئة كلها . فانك لو كشفت الامر وأظهرته لنا من البدء لكانوا يؤدبون أو يطردون». وفي وسط هذا الاضطراب الذي ثار على من كان أشد الناس وداعة وأكثرهم تواضعاً، ذلك الذي ما كان يظن أن في الدنيا خاطئاً غيره وكانت عينه من الطهر بحيث لم يكن ليرى الشر في قريبه ، ولم يضر انساناً طيلة حياته ، ولم يزجر أو يوبخ أحداً ، فلم يحر جواباً على مقرفيه ، بل كان نظره مخفوضاً وعيناه مغرورقتين بالدموع وقلبه مفعماً بالندامة المقرونة بالانسحاق حسب ما تأمر به حكمة الرب . فطرده مار باباي وخرج من هذا الدير وارتحل مع تلميذ طاهر قديس كان قد لزمه منذ أمد بعيد يسمى برنون . فذهب كلاهما الى جبال قردو(١) وعكفا على السيرة النسكية .

الفصل الثالث عشر

ماذا حدث في ذلك الدير المقدس اثر خروج مار يعقوب منه

ما أكثر الحوادث التي تعلمنا ان الوداعة والتواضع هما أسمى الفضائل التي تروض النفس والجسد . ونعلم من السماع والدرس والنظر انه لا شيء شر من الكبرياء والعجب بالذات . فحين تكون ، حسب وصية الرب يسوع المسيح ، وديعاً ولطيفاً ومحتقراً في عيني نفسك ، ويكون قلبك مملوءاً من الانسحاق ومن الاستهانة بنفسك ، تجد جميع البشر أصدقاء لك وتستميل قسوة الأعداء الى محبتك ، ويجعلك الرب محبوباً لدى الجميع ، ولا تمسك الحيوانات الكاسرة والديب

(١) جبال قردو هي المنطقة الواقعة شرقي نهر دجلة والمقابلة لمنطقة بيث زبدي .

الضار بأي أذى . وهكذا جرى الأمر لأبينا القديس . فحينما أدين بغير عدالة وقرف بغير حق ، لم يحكم على أحد ولم يقابل أحداً من الذين أدانوه ، بل فوض أمـــره كله الى الله الذي له الأرض برمتها وهو سيدين المسكونة بالعدل . خرج الطوباوي يعقوب من هناك ، وقد كتب عليه ذلك الرئيس الموقر حرماً كثير المواد مشحوناً بالوشايات والادانات . ومن يرد الاطلاع على ما جاء فيه فليقــــرأ الرسالة التي تلقاها مار يعقوب من القديس ايشوعياب(1) اسقف بلد(2) الذي أصبح أخيراً جاثليقاً ، ومنها يقف على الموضوع بجلاء . واني لا أكتبها هنا احتراماً لمار باباي ، لأنه يجب أن لا نذم القديسين لأنهم عرضة للنقائص مثل سائر الناس . ولا ننس أن إرادة الله خفية عنا وهي التي تدفع الصالحين الى القيام بما تراه صواباً .

ولما عاين الآباء القديسون الحاضرون هناك ما حدث ، وكيف ان ذلك الشخص الكريم قد اضطهد زوراً وبهتاناً ، اضطرمت فيهم نار الغيرة وأخذوا ينحون باللائمة على ذلك الرئيس ويذمونه ويصخبون عليه قائلين : «إنك لا تدبر الشؤون الالهية بعدالة ، بل حسب الهوى البشري وبميل غير حميد . فانك نسبت الذنب الى الطوباوي يعقوب المتواضع بدون علم منا وطردته بدون مشورتنا . فأرسل إذن في اثره حيثما هو ، وإلا فاننا سنغادر المكان كلنا ، لأننا نراه قد فعل ارادة الله في كلا الأمرين . فان كان قد رأى الشر ، حسب حكمكم عليه ، فحسناً عمل إذ ستر على الخطأة وتركهم لدينونة الله . إنه لم يكن عليكم رئيساً أو مصلحاً . لذا فلم يكن يدين سوى نفسه ، وقد طهر قلبه لكي لا يرى شرور الآخرين . وهل بوسعكم أن تدلونا على الكتب التي تنهانا عن التفكير بنفوسنا وتنصحنا بالانهماك في الحكم على خطايا الآخرين كما هو دأب القضاة

---

(1) هو البطريرك ايشوعياب الثاني الجدالي . ولد في النصف الثاني من القرن السادس في قرية جدالا . وبعد أن تلقى العلم في مدرسة نصيبين [illegible] احتجاجاً على استاذه حنانا الحديابي بسبب آرائه ، واتى الى « بلد » [اسكي موصل] حيث اصبح استاذاً في مدرستها ثم اقيم اسقفاً عليها . ولأن بلد كانت تابعة لابرشية نصيبين وواقعة في منطقة بيث عرباي ، لذا فقد سمي ايشوعياب « عربايا » ايضاً . انتخب جاثليقاً سنة ٦٢٨ وتوفي سنة ٦٤٤ أو ٦٤٦ .

(2) « بلد » وقيل اسمها « بلط » لأن الحوت بلطت يونس عليه السلام هناك [انظر منية الادباء لياسين العمري الذي نشره الاستاذ سعيد الديوه‌جي في الموصل سنة ١٩٥٥ ص ١٣١] وهي مدينة على الضفة اليمنى من نهر دجلة على مسافة أربعين كيلومتراً في الشمال الغربي من الموصل ، وكانت تسمى بالفارسية شهراباذ وكانت ذات مزارع واسعة كثيرة القصور ونبغ فيها جماعة من أهل العلم والفضل [طالع معجم البلدان ١ ص٤٨١ ـــ ٤٨٢ ، أحسن التقاسيم ص ١٣٩ ، منية الادباء ص ٣٢ حاشية ٢] وكانت مرعيثاً نسطوريا يعود الى أبرشية نصيبين وليس الى نينوى القريبة منها . ولكنها خربت الآن وبالقرب من خرائبها تقع قرية تسمى اسكي موصل أي « الموصل القديمة » .

المدنيين الذين يستعظمون البق بينما هم يبتلعون الجمال[1] ؟ إن الأمر على الخلاف . فقد أمرنا الرب أن نصلي لأجل أعدائنا وأن نحب مبغضينا وأن نعطي رداءنا من يريد أن يخاصمنا ويأخذ قميصنا[2] ، فكان عليكم أن تصلحوا حتى هؤلاء الخطأة برحمة وعطف ، فتغادر أزواجهم هذا المكان ويتبررون هم بالصوم والصلاة . وهكذا كان الأمر مع بعض الخطأة المنحرفين في شتى الأماكن ، كما تروي لنا ذلك الكتب المقدسة . مثل الشخص الذي تزوج بامرأة أبيه بين الكورنثيين[3] فأصلح وقبل . وكما كتب في سفر أقوال الشيوخ عما فعله الانبا فومان نحو ذلك الذي ولدت امرأته فنقى قلبه وعاد الى سيرته الاولى الفاضلة ، وكذلك الشيخ الذي قصده شاب من الاسكندرية فهداه الله بوساطته ، لأن الرب لا يريد موت الخاطىء بل أن يتوب عن اثمه ويخلص[4] .

لما رأى مار باباي ان آباء جمعيته القديسين قد ثاروا عليه ، اسقط في يده ولم يحر جواباً ، إذ لم يكن يعرف الى أين توجه الطوباوي مار يعقوب .

الفصل الرابع عشر

تفرق الآباء القديسين الى كل صوب . وكانت تلك إرادة الله وإن كان البعض قد نسب ذلك الى الميول والأهواء الشخصية

كما ان المغناطيس يجمع الحدائد ويجذبها ويضمها اليه ويمنحها قوة من قوته ، كذلك كان الشأن مع اولئك الآباء القديسين الذين اجتمعوا في ذلك الدير المقدس ، ولكنهم من جراء هذا الخصام الذي بدأ بأمور طفيفة وتدرج منها الى الكبيرة ، غادروا المكان ، لأن الرباط الذي

(1) متى ٢٣/٢٤ .
(2) متى ٥/٤٠ .
(3) ١ كور ٥/١ .
(4) حزقيال ١٨/٢٧ .

كان يجمع شملهم قد انفرط. وقد سبق القديس مار برعيتا الناسك البصير فرأى بعين الروح هذا التشتت ، فدعا يوماً شيوخ جمعيته وقال لهم : « أيها الاخوة ، تجري في العالم أمور كثيرة يخالها الانسان بظواهرها ناجمة من هجمات الشياطين او الميول البشرية . غير أن الرب الاله يستهدف من ورائها إنجاز تدبير إرادته على أحسن وجه ، وعندها يعرف المتبصرون انها ليست بدون أمره وانها جرت لكي تؤدي بالعقلاء الى تمجيده ، كما جرى الأمر في هرب يعقوب من عيسو(١) ، وفي بيع يوسف(٢) ومصرع المصري على يد موسى(٣) واضطهاد شاؤول لداود(٤) ، وفي أمور كثيرة مماثلة . كذلك الشأن مع جيمعية ابينا القديس مار ابراهام . فقد [شاء الرب] ان يرحل من هذه الحياة الزمنية مار داديشوع الوديع المتواضع وأن يتبدد بسبب خصام وشيك الوقوع آباء كثيرون من هناك الى كل مكان . ويقول المؤرخ انه لم تمض سنون قليلة على تلك الخصومة حتى توجه ربان مار ايليا ومار حنانيشوع ابن اخته الى نينوى عند الطوباوي الانبا يوحنان الشيخ الذي كان القديس ربان مار ابراهام قد أرسله الى هناك . فشيد ثلاثتهم ذلك الدير المقدس(٥) . وكذلك توجه الانبا بنيامين وبطرس وبولس ويوحنان وادي وايشاي الى شـرقة بيث عابي ، وذهب الانبا يعقوب الآخر عند أب حبيس ، والانبا يوحنان الى انحل(٦) ، واوكاما(٧) وسابوخت الى بيث زبدي ، والانبا سهدوي (سهروي) الى ارزون(٨) وشيد هناك ديراً ، وربان سبريشوع

(١) تكوين ٢٧ و٢٧ .

(٢) تكوين ٣٧ .

(٣) خروج ١٢/٢ .

(٤) ١ صموئيل ١٩ .

(٥) هو دير مار ايليا المعروف بدير سـعيد أو الدير المنقوش أو الدير الخربان ، ويقع على مسافة قريبة غربي مدينة الموصل ، وحوله تلال كثيرة [طالع مسالك الأبصار للعمري ١ ص ١٨٩ ـ ٢٩٣] وسمي بالدير المنقوش لأن غرفه كانت منقوشـة [انظر عنه ، ياقوت الحموي في معجمم البلدان ، ٢ ص ٥١٥ ، منية الأدباء لياسين العمري ص ١٤٨ حاشية ١ ، حبيب زيات ، الديارات النصرانية في الاسلام ، بيروت ١٩٣٨ ص ٢١] .

(٦) « انحل » قرية من طور عبدين واقعة في الجنوب الشرقي من مدينة مديات .

(٧) طالع ترجمة ربان سابوخت واوكاما في كتاب العفة لايشوعدناح البصري [عدد ٢٩ و ٣٠]

(٨) ارزون مقاطعة صغيرة تمتد من نهر دجـلة الشرقي الى مياه بطمان بين سعرد وميافرقين [انظر ادي شير في كلدو وآثور ٢ ص ١٦ من المقدمة] . اما مدينة ارزون مركز هـذه المقاطعة فكانت في الشمال الغربي من سـعرد واطلالها ماثلة الى الآن [انظر كتاب اللؤلؤ المنثور ، تأليف البطريرك افرام برصوم ، حلب ١٩٥٦ ص ٦٢٢] .

الى دير « الغاب الجميل » (عابا شفيرا)(١) ، والانبا يوحنان آذرماه الى داسن(٢)، والانبا زخايشوع وربان ابراهام الى داسن أيضاً وشيدا أديرة مقدسة ، وذهب كثيرون آخـــرون الى أماكن مختلفة . وهكذا بقوة الله مدبر الكل أصبح هذا الانتقال والتفرق ، الذي كان في الظاهر مدعاة للحزن ونتيجة للخصام ، سبباً للسلام والاجتماع المفيد ، فملأ هؤلاء الرهبان أرض المشرق أعماراً وديورة ومناسك ، وخزي الشيطان الذي كان قد فـــرح بتبديدهم ، لأنهم جعلوا في كل مكان عباداً لله ومكملين لوصاياه المقدسة ... ليعضدنا الرب بصلواتهم لكي نحيا قدامه حسب إرادته بقوة نعمته . آمين .

الفصل الخامس عشر

ربان برحذبشبا والدير الذي أسسه

كان الشيخ ربان برحذبشبا من قرية « حذوذ »(٣) حسبما جاء في ترجمة حياته . وتلقى العلم في الدير الكبير ، ثم ارتحل هو أيضاً من هناك لدى تبـــدد الرهبان وأقبل الى بيث عابي بصحبة الزمرة المقدسة التي قصدته ، وظل في الوادي الواقع فوق قريته « حذوذ » ، وأسس هناك

(١) ولد سبريشوع في بلاد نينوى [كتاب العفة عدد ٢٦ و ٩٨] . اما دير الغاب الجميل فهو في قرية مار سبريشوع الواقعة في تركيا على مسيرة ساعتين في الشمال الغربي من قرية سناط العراقية .

(٢) داسن وبيث طوري ، أي منطقة الجبال ، مرعيث واسع يبتدىء من وادي نحلا وطلانا ويمتد نحو الشمال، يحده غرباً مرعيث بانوهذرا وشرقاً مرعيث بيث بغاش. وتشكل داسن مناطق الآثوريين الاصلية كتياري وتخوما وبز ...

(٣) « حذوذ » قرية صغيرة مندثرة قريبة من نيرم [كندك] في منطقة سنسفا المرجية .

ديراً كبيراً (١) وأقام فيه . فاجتمع [illegible] يمتاز فيما بينهم بسيرة وصلى طيلة حياته . واوقف لديره ارث آبائه . [illegible] في طريقه الى بيث عابي ، رافقه برحذبشبا الى هذا الدير المقدس ومكث [illegible] بأمر رئاسته ، فرجع برحذبشبا اذ ذاك الى ديره وسكن فيه كل ايام حياته . [illegible] هذا فقد ظل يزدهر سنين عديدة ويعلو شأنه بالاشخاص والقوات التي كانت تجري من مرقد عظامه . وقد خرب هذا الدير كله قبل عهدنا ، [illegible] القديس ووضع في بيت الشهداء [بيث سهدي] في هذا الدير [بيث عابي] مع الآباء [illegible] .. ليحفظ [الرب] جمعنا من الاضرار بجاه صلواته . آمين .

الفصل السادس عشر

الى أين توجه وسكن الاناس الذين طردوا من الدير وكيف استطاعوا أن يرضوا الله ؟

[illegible] الاثم والخطيئة [illegible] الذنوب والنقائص أن تثبت قدام فعل [illegible] التي أعادت الابن الشاطر الى والده واسترجعت له الارث الابوي (٢) وقدست [illegible] (٣) وبررت اللص على الصليب (٤) ورفعت منزلة العشار في الهيكل على الصائم (٥)

[illegible] مؤلفنا ، ثم جدده راهب مجهول اسمه عديشوع ، [illegible] الثاني [illegible]

(٣) لوقا ٧/١٨ .
(٥) [illegible] ١٨/٤ .

ونجت النينويين من الهلاك (١) . فهـــذه النعمة ذاتها أشفقت على اولئك الخطأة فقوت ضعفهم وأعادت اليهم لقب البنوة الجميل . فانهم حينما خرجوا من ذلك الدير تركوا الزوجات اللواتي كان الشيطان قد غررهم بهن، وذهبوا الى فوغنتا [فوغيثا] ، وهو موضع يسود فيه الهدوء ، وسكنوا هناك زماناً طويلاً وغسلوا الارجاس التي كانت نفسهم قد تلطخت بها ، وذلك بالدموع والندامة والحزن وتوبيخ الضمير وانسحاق القلب . فأصبحوا أحياء بعد أن كانوا أمواتاً ، وصالحين بعد أن كانوا ساقطين ، وثابتين بعد ان كانوا متزعزعين ، وأهل بيت بعد أن كانوا غرباء ، وقديسين ومكللين بعد أن كانوا مطرودين ومبعدين ، وذلك عندما نبذوا الفحشاء التي تمرغوا فيها سابقاً ، فصفت عقولهم وتجددت قوة أفكارهم التي كانت قد انهارت ، فأصبحوا مثل انسان جديد بقوة الوحدة القائمة من النفس والجسد ، وذلك بالعمل والتأمل ، وهما طاقتان متكاملتان بهما نرضي الله رب الكل ونكرم القريب .

الفصل السابع عشر

مجيء الانبا يونان القديس اليهم من الدير الكبير

لما شاء الله أن يغفر للملك داود خطاياه ارســـل اليه النبي يوناثان(٢) وأشعره بخطيئته بالمثل الذي ضربه له فأقر [داود] انه مستحق الموت واعترف باثمه . فقال له [النبي] : « ان الرب ايضاً قد غفر لك فلا تموت » . وارسل يونان النبي الى النينويين واعظاً بالحياة (٣) . فرجعوا

(١) يونان ٣/٥ ــ ١٠ .
(٢) ٢ صموئيل ١٢ .
(٣) يونان ١/٢ .

باندراه الى الصواب . كذلك كان الشأن مع اولئك الاخوة الذين أخطأوا فاحتقروا كما يستحقون واقصوا عن الجمعية . فانهم ما ان تابوا ورجعوا الى الله من كل قلوبهم حتى عمل الله لهم ما عمله سابقاً في [illegible] سوا الى البقية الذين نجوا من سبط بنيامين(١) واعتصموا في كهف رمون [illegible] وأعطوهم الأمان وأقسموا لهم باسم الرب بأن يرجعوا الى مدنهم وقراهم [illegible] حوا بنساء من بني اسرائيل لكي يعيشوا ولا يموتوا . فالله حسب جودته ورحمته [illegible] عظم خطايانا ، ولدلائل هينة من التوبة نبديها ، يفيض علينا من بحر رحمته لمساعدتنا ونجاتنا . قد أوحى برؤيا الهية الى الطوباوي ربان يونان ، فأقبل اليهم من ذلك الدير وبررهم وقدسهم وزودهم بالسلاح الروحي الذي يساعدهم على حفظ الوصايا . وهكذا بلغوا الكمال بسيرة فاضلة ، ثم غادروا هذه الفانية بسمعة حسنة وألسنتهم تذيع مجد المسيح الذي برر حياتهم وغفر خطاياهم ، له المجد الى أبد الدهور .

الفصل الثا[illegible] عشر

أخبار شليمون بن غاراف من دير برطورا(٢)

كان ناسك اسمه شليمون بن غاراف من دير برطورا ، وكان معاصراً للقديس مار

(١) قضاة ٢١/١٣ .

(٢) هو دير برقيطي في الموضع المسمى برطورا المعروف حالياً بدير عاصي الواقع على مسيرة ساعة شمالي بلدة سنجار .

حنانيشوع الجاثليق (١) . هذا عكف على استقصاء الاخبار الاكيدة والاستماع الى اناس صادقين من معاصريه واستقى أيضاً ممن سبقوه فكتب قصصاً بليغة بانشاء فصيح عن نساك ورهبان سبقوه في امكنة مختلفة ، وفيها دار البحث ايضاً عن قديسنا مار يعقوب مؤسس دير بيث عابي . ويعلم الخبراء ان هذه القصة التي رواها عنه تخص الفترة التي عقبت خروجه من الدير الكبير وذهابه الى جبال قردو . ومنها نتأكد أمر خروجه ورجوعه الى هناك بعدئذ . وقبل ان انقل القصة التي يكتبها عن معلمنا ، اود ان اسرد في هذا الكتاب القصة التي دونها شليمون نفسه عن الطوباوي مار يهب وإحدى البتولات ، ومنها نعلم كيف عاد [يعقوب] الى صومعته في الدير الكبير .

الفصل التاسع عشر

الطوباوي مار يهب والبتول الراهبة الناسكة

روى أحد القديسين انه سمع الطوباوي مار يهب المظفر العجيب — وقد خلد ربان مار افنيماران ذكراه في كتاب بليغ — يقول : « حينما صعدت الى الجبل لاناجي الله الحاضر في كل موضع دون ان يحده مكان وجدت امرأة قديسة كانت قد نسجت لها قميصاً من الاعشاب ، وكان طعامها من عروق [الأشجار] والأثمار البرية . رأيتها واذ بها ترضع صبية ، لأن سقطة

(١) حنانيشوع الأول الجاثليق ، ويسمى الأعرج . ولد في النصف الأول من القرن السابع ، وصار جاثليقاً من سنة ٦٨٦ الى سنة ٧٠١ . وقاومه يوحنا الداسني مطران نصيبين طمعاً في منصبه ، حتى أمر بعض مؤيديه بأن يطرحوا الجاثليق من جبل عال ، وكادت السقطة تودي بحياته ، ولكنه نجا باعجوبة وأصبح أعرج من جراء هذا الحادث . دفن في دير يونان [النبي يونس الحالي] . [طالع م. ش. ٢ ص ٤٢ ، ابن العبري ، التاريخ الكنسي ٢ عمو ١٣٥] . ووجد هناك قبره سنة ١٣٤٩ .

طبيعتنا البشرية كانت قد شملتها هي أيضاً ، فانها بعد أربعين سنة قضتها بحياة صارمة وعيشة ملائكية سقطت أخيراً في مكائد الشيطان . واني اضرب صفحاً عن ذكر الحادث . ولكن الله الرؤوف أقام عوضها الابنة التي ولدتها كما أقام مريم عوض حواء والسماء عوض الأرض ، وجعلها منهل الحياة عوض امها التي ولدت الموت . وبعد مدة وجيزة رقدت والدتها القديسة بسيرة فاضلة مرضية عند الله ، وتركت ابنتها العجيبة » . وكان مار يهب معتاداً أن يزور هذه الطوباوية بين الفينة والفينة ، كما كان يزور والدتها. وقد أحس بقوة شفاعتها وقال عنها : « انها كانت في العالم ولكنها لم تكن من العالم. فلم ألاحظ قط انها رفعت عينيها لترى وجهي ، لأن منظر الله كان قد سبي عقلها. وحينما قلت لها :« هل تريدين أن أزورك كما كنت أزور امك؟» ، أجابت بكلمة واحدة وبهدوء : « كما تشاء » . وتعلمنا هذه القصة ألا نتكل على نفسنا حتى ولو كنا في حالة الفضيلة ، بل أن نحذر الناس ونخلد الى الصمت عملاً بنصيحة الآباء .

الفصل العشرون

ربان يعقوب مؤسس دير بيث عابي

يقال ان ربان يعقوب مؤسس دير بيث عابي خرج الى ذلك الجبل[1] في فصل الخريف وكان أحد القديسين يسكن بجوار مظلة هذا الطوباوي وهو لا يعرف بذلك ، بل كان في كهف فوقه يرى منه كيف يعيش هذا الطوباوي . ولما خرج الطوباوي يعقوب يوماً من مظلته ، نزل ذلك القديس ووضع داخل مأواه شيئاً من الأثمار كان يقتات بها . وعندما دخل [يعقوب]

(١) هو جبل قردو الذي جاء ذكره في الفصل ١٢ من هذا الجزء .

[illegible] أن ملاكاً من الله وضعها له هناك ، وشرع يسجد مرات عديدة ويؤدي الحمد لله .
[illegible] يقرأ ، صار الشيطان حلاً مثل حية بينه وبين الكتاب . فتولاه الذعر
[illegible] . . . » . وكان صوت ذلك القديس
[illegible] وكان يصرخ اليه حين هجمه الشيطان . وإذ ذاك قام وانحدر
اليه [illegible] يلاقيك امرأة ، فاعمل ما نقوله لك دون أن يداخلك ريب».
وأبصر تلك الابة جالسة فوق شجرة كمثري . وما ان لمحته حتى انحدرت وهربت . فقالت له
المرأة في مستهل كلامها : «إذا رأيت الآن صل الأفاعي وأفزعك هكذا ، فكيف تقوى على احتمال
هجوم الشياطين العنيف ؟ ولكن قم وعد الى صومعتك ، فان الله سيقيم على يدك ديراً عظيماً
يشتهر في الشرق كله . وخذ انجيلي هذا الذي قد امحى قليلاً وأعطني انجيلك . . . » . ولم يشتبه
[يعقوب] الفاضل في كلامها الذي تم بحذافيره . . . لتحل الرحمة علينا يوم الدين بصلواته
وصلواتها وصلوات كل الذين يتقون الله . آمين .

الفصل الحادي والعشرون

عودة القديس الى الدير الكبير

حينما سمع الطوباوي مار يعقوب ما قاله له الرب بفم تلك القديسة ، مع انه كان يؤثر البقاء في حياة النسك بعيداً عن عشرة الناس وان يكون مسكنه ومقامه مع الحيوانات ليبقى فكره بعيداً عن الامور البشرية ويتيسر له الاتحاد مع الله بالهدوء والسكينة ، إلا أنه لما علم من تلك

القديسة ان ارادة الله هي ان يعود الى السكنى مع الناس وان يصبح أباً ومربياً لرهبان فضلاء ، ويكثر زمر القديسين ابناء النور وورثته ، رضخ للعناية التي تدبر كل شيء ، فرجع مع تلميذه الوديع المتواضع الى ذلك الدير المقدس ولزم كوخه زمناً يسيراً ، ثم أرغمته القوة السماوية على أن يكمل ما اختير وانتدب له بدون ابطاء . فحركت مار باباي وبوساطته خرج [يعقوب] من هناك واتى الى بيث عابي . أما كيف كان ذلك ، فاننا نسدل ستار الصمت على الأمر لئلا يظن الجهلة اننا ننسب خصومة الى القديسين . وحينما خرج صحبه تسعة اخوة من ذلك الدير وتبعوه وفضلوا السكنى معه . ولما وصل الى ربان برحذبشبا ، كما جاء في قصته (١) ، قبله بحنان وسر به جداً وذهب بصحبته الى بيث عابي وتنبأ له بنجاح ديره وبالازدهار العظيم الذي يوليه المسيح الرب لجمعيته . ومكث الطوباوي برحذبشبا لديه زماناً يسيراً ثم عاد الى صومعته وديره.

الفصل الثاني والعشرون

الرهبان الذين سبقوه الى هذا المكان استقبلوه بفرح عظيم وحفاوة بالغة

كأني بهؤلاء الرهبان ابناء تركهم ابوهم وذهب يتاجر في بلاد بعيدة وتخلف هناك زماناً طويلاً ، ثم عاد الى بيته وقد درت عليه تجارته ارباحاً طائلة ، فظهر لأبنائه متمتعاً بصحة حسنة وقد غمره الابتهاج حينما رآهم دائبين على ما يرضيه . فلقد استحوذ الفرح والبهجة على قلب الانبا بنيامين ورفاقه بمجيء ربان يعقوب القديس الهيم . فتبادلوا القبلة المقدسة ، كما فعل يعقوب حينما رآه ابنه يوسف(٢) ، وتعانقوا وهم يذرفون دموعاً تتدفق من فرحهم الداخلي . وأقام معهم

(١) راجع الفصل ١٥ من هذا الجزء .

(٢) تكوين ٢٩/٤٦ .

كل ايام حياته سائراً بالتواضع الذي علمه الرب لتلاميذه اذ قال : « تعلموا مني فاني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لانفسكم » [1] .

الفصل الثالث والعشرون

في زمان مجيء ربان يعقوب الى هذا المكان وفي الملك كسرى

في سنة ٩٠١ يونانية (٥٩٠ م) استوى على العرش الملك كسرى بن هرمزد ، ودام حكمه ٣٨ سنة ، وكان مجيء ربان يعقوب الى هذه الشرقة في السنة الخامسة [2] لملكه ، كما كتب القديس ربان ايشوعزخا الذي كان معاصراً لمار ايشوعياب الاخير الذي بنى الهيكل الجديد . واذ حققت في هذا التاريخ ، بات أكيداً لدي ، مما ورد في قصة ربان برعيتا ، ما قاله الطوباوي عن مجيء [يعقوب] . فحينما اراد الملك كسرى ان يبني ديراً لامرأته شيرين في مقاطعة بلشفر [3] ، ارسل السعيد الذكر شمطا ابن الطوباي مار يزدين [4] الى مدينة الرها [5] لكي يجلب من

(١) متى ١١/٢٩ .　　　(٢) أي سنة ٥٩٥ م .

(٣) بلشفر مقاطعة مجاورة للحدود العراقية ــ الايرانية تشمل خانقين وحلوان ، وفيها يقع قصر شيرين .

(٤) كان يزدين من أهالي كركوك ويشغل منصب وزير المالية للملك كسرى الثاني الفارسي . وكان مكر[illegible] ذا أموال طائلة ، وهو من خيرة المحسنين الى الكنيسة الشرقة . توفي يزدين قبل كسرى أي قبل سنة ٦٢٨ [طالع فصل ٣٥ من هذا الجزء] .

(٥) الرها وتسمى اورهاي أو اديسا [اورفه الحالة] وهي الآن في تركيا ، وكانت في السابق مركز مقاطعة اسروينا . شيدها سلوقوس نيقاطور سنة ٣٠٤ ق. م. ، وهي واقعة على نهير ديصان الذي يختلط بنهر كولاب ويشكلان نهر البليخ أحد روافد نهر الفرات . اشتهرت الرها بمدرستها التي ازدهرت في عهد القديس أفرام الملفان سنة ٣٦٣ ، والتي سميت بمدرسة الفرس لأن أغلب أساتذتها وطلابها كانوا قد أقبلوا من نصيبين التي وقعت آنذاك تحت السيطرة الفارسية . اغلقت هذه المدرسة سنة ٤٨٩م . واشتهرت الرها أيضاً بكثرة ديورها والصوامع العديدة في الجبل «المقدس» المطل عليها ، حتى ان الاصطخري يقول ان مدينة الرها وحدها كان فيها وحولها « زيادة على ثلاثمائة دير وصوامع كثيرة » [طالع مسالك الممالك ص ٧٦] ، وأبلغها ابن الفقيه الى « ثلاثمائة وستين ديراً » [طالع كتاب البلدان ص١٣٤ ؛ الديارات النصرانية في الاسلام لحبيب زيات ، ص٣ ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ١ ص١٢٧ ــ ١٢٨] .

هناك كتب الطقس والأسفار المقدسة لتكون في ذلك الدير . ولما ذهب الى هناك وأكمل مهمته جلب لربانا معه كتباً كثيرة لينتسخها ، ثم طلب صلاته وقفل راجعاً الى بلاده . وكل الكتب التي انتسخها ربان هي من جملة الأشغال التي كلفه بها الشريف شمطا. وانك لتجد هذه العبارة مكتوبة في أغلب الكتب : « أعطى هذا العمل شمطا الجليل ابن يزدين رئيس المؤمنين » .

الفصل الرابع والعشرون

أخبار الشريف بسطوهماغ[1] والد مار ايشوعياب الجاثليق

إن سهدونا الذي كتب سيرة ربان يعقوب قد أسقط منها أشياء كثيرة حسبها خارجة عن نطاق البحث ، كمجيء ربان مار ايشوعزخا الى هذا القديس ، والنار التي نشبت في الدير وزجرها فانطفأت، والسيل الذي تدفق في كلا الواديين فخرج اليه وردعه ولطف انحداره لئلا يستأصل الدير مع الهيكل في المكان الأول الذي كان مبنياً فيه . وكتب جبرائيل[2] عن هذه الامور في المقال الذي وضعه عن ربان قائلاً : « إن النار التي استعرت داخل ديره انطفأت بغتة، وكذلك السيل الذي هدد باستئصال ديره» . [واهمل سهدونا أيضاً] ما جاء في الترجمة الوجيزة التي وضعها له ربان افنيماران ، وما رويناه في الفصول السابقة نقلاً عن شليمون بن غاراف . فان هذه التفاصيل من شأنها أن تزيدنا اطلاعاً على عظمة مار يعقوب ، وكذلك اغفل الخبر التالي :

(١) بسطوهماغ اسم فارسي يعني الرجل ذا العائلة الواسعة .

(٢) هو جبرائيل راقوذا [الراقص] الذي كتب عنه المرجي في الفصل ٣٣ من الجزء الثاني .

كان لبسطوهماغ الشريف من بلاد حدياب[1] الذي يستحق ذكراً طيباً مخالداً بين الأبرار بعض القرى في هذه المنطقة ، منها قرية بيث زيوا[2] . وكان غالباً ما يؤم المكان لكي يتفقد قراه او يتبرك من القديس ، فيجتاز جسر الملك الواقع تحت قريته[3] - وترى بقاياه الى اليوم - ويأتي الى قرية اسطوان[4] الواقعة على الزاب [الكبير] . ويوماً بينما كان مجتازاً من هناك شاهد نساء ساحرات يغسلن ثياباً على الزاب وهن يرددن أهازيج شيطانية وكل شيء يرقص حولهن . وما ان اقترب منهن ، حتى علق بقلبه وعقله شيء من تلك التراتيل . ولما جاوزهن وشرع يفكر فيما سمعه ، إذا بشياطين يتأثرونه بنوع ظاهر وشرعوا يطلبون منه قائلين : « مرنا بما تريد فنفعل » . وإذ ذاك استحوذ عليه رعب شديد واسقط في يده ، وشاء ان ينجو منهم فقال لهم: « إجمعوا هذه الحجارة واجعلوا منها كومة -والكومة تشاهد الى الآن- ثم اتبعوني حيثما أذهب». قال هذا وأسرع يستحث البغل الذي كان يمتطيه ، الى أن بلغ صومعة الشيخ القديس . وعندئذ قال لهم : « احتفظوا بهذا البغل حتى أخرج » ، ودخل مسرعاً ، والخوف آخذ منه مأخذه ، وأخبر مار يعقوب بما جرى له . فقال له ربان : « ردد أمامي ما سمعته » . فشرع بسطوهماغ يعيد الأهازيج وربان يكتب باصبعه على الأرض ما كان يسمعه . ولما أتى على النهاية ، رسم ربان إشارة الصليب على الكتابة، ثم قال لبسطوهماغ : «أعد ما قلت» ، فأجابه :« اني لست أعرف منه شيئاً البتة». فقال له ربان، وقد انبسطت أسارير وجهه : «قم واحرس بغلك فقد تركوه وولوا».

(١) تشمل حدياب جغرافياً المنطقة الواسعة الواقعة بين الزابين الكبير والصغير شمالاً وجنوباً ، ودجلة غرباً ، وسلسلة جبال سفين شرقاً . أما في التقسيم الكنسي ، فكانت هذه الأبرشية المترامية الأطراف تشمل مراعيث الجبال شرقاً وسهول نينوى ومركا وغيرهما من المراعيث شمالاً ، وكانت حزة ثم أربيل مركز هذه الأبرشية الواسعة .

(٢) « بيث زيوا » قرية مجهولة الموقع . وقد تكون قرية « باساوا » الحالية الواقعة على مسافة ٧ كم جنوبي قرية خرجاوة على الطريق المار من معبر الزاب الى دير بيث عابي .

(٣) يقع «جسر الملك» على الزاب الكبير في الموضع المسمى حالياً «كرد ءامك» ، لا زالت آثاره بادية. وكان يمر بهذا الجسر طريق الملك القائم بمحاذاة الجبال من مضيق زاخو الى معلثايا ثم الى بيرستك القريبة من قصبة عين سفني ويمر وراء جبل مقلوب متوجهاً الى قنطرة الكومل . وبعد عبوره الخازر يجتاز وراء جبل بردرش تجاه الزاب الكبير ، ومن هناك الى أربيل فكركوك فالمدائن . . . ولقد اجتاز بهذا الجسر الاسكندر الكبير مطارداً داريوس الفارسي بعد الانتصار الماحق الذي أحرزه عليه في « معركة كوكاملا » او « معركة أربيل » التي جرت فعلياً في سهل « نافكر ». وكان بالقرب من هذا الجسر دير اطلق عليه اسم « دير الجسر » .

(٤) « اسطوان » معبر على الزاب الكبير ، وهو الآن معروف باسم قرية « منداوا » الواقعة بين اربيل ودير بيث عابي .

الفصل الخامس والعشرون

غريغور بساميا

أيها الأخ [عبديشوع] ، لقد سبقت واعلمتك . في المقدمه الاولى ، حينما طلبت الي أن أكتب سير القديسين ، انه لا بد من ذكر الآخرين أيضاً الذين اصبحوا رؤساء للكنيسة في زمانهم فأذكرهم اذاً حيثما ينبغي لكي يعرف زمانهم ويكتسب التاريخ ترتيباً متناسقاً . كان في ذلك الزمان الطوباوي مار سبريشوع (١) الجاثليق رئيس الكنيسة الجامعة ، وقد اضطلع بهذه الرئاسة زهاء ثماني سنين ووافته المنية في السنة الرابعة عشرة (٢) للملك كسرى. وكان ايشوعزخا رئيس الدير قد توفي في مدينة نصيبين في السنة الثالثة عشرة (٣) . وعندما حاصر كسرى الجبار في سنته الخامسة عشرة (٤) مدينة دارا الواقعة على الحدود ، طلب المسيحيون جاثليقاً . فأمر الملك أن يقام على هذا المنصب غريغور الفاضل مطرافوليط مدينة نصيبين الذي كان مار سبريشوع قد أقصاه بغير مبرر ، وهذا الأمر المشين يذكر حتى اليوم في الكنيسة . غير ان قوماً من الأساتذة والمؤمنين الذين كان قد عهد اليهم القيام بهذه المهمة تآمروا على الطوباوي غريغور خوفاً من الغيرة العارمة

---

(١) ولد سبريشوع في نحو سنة ٥٢٤ في فيروزاباد الواقعة في منطقة شهرزور التابعة لاقليم بيث كرماي . وجاء في تاريخ حياته الذي كتبه راهب اسمه بطرس ان سبريشوع كان في صباه راعياً للغنم ، ثم التحق بمدرسة نصيبين ، وأقيم أسقفاً على لاشوم . ولما مات الجاثليق ايشوعياب الأول الارزني سنة ٥٩٥ ، أقيم سبريشوع خلفاً له . ووافته المنية سنة ٦٠٤ في نصيبين عندما رافق كسرى الثاني في حربه ضد الرومان .

(٢) أي سنة ٦٠٤ م .

(٣) أي سنة ٦٠٣ م .

(٤) أي في سنة ٦٠٥ م — ويقول المؤلف المغمور للتاريخ الذي نشره « كيدي » والذي كان معاصراً لكسرى ان سقوط دارا كان في سنة ٦٠٤ [طالع مجموعة الكتبة الشرقيين المسيحيين تحت إشراف جامعة لوفان ، مجلد ٢ الكتبة السريان ، جزء ٢ « كيدي » سنة ١٩٠٣ ص ١٩] ، ويوافقه ابن العبري على ذلك [طالع ابن العبري التاريخ الكنسي ٢ ص ١٠٧] .

التي كانت تتملكه . وكان في ماحوزي (١) مفسر اسمه غريغور ، فاحتالوا واقاموه جاثليقاً بدون ارادة الروح القدس ، الذي يكمل مقدسات الكنيسة حسب ارادته . اما آخرون ، وهم أيضاً لم يتصرفوا حسناً نحو غريغور [النصيبيني] ، اذ كان عليهم ان ينصاعوا للواقع ريثما يكمل الرب مقاصده أو يقضي غريغور (المفسر) نحبه ويبارح هذا العالم ، فقد كتبوا تهماً ومثلوا غريغور وهو يجس دجاجة ليرى هل هي سمينة تصلح لطعامه ، وصوروا الأساقفة الآخرين بأشكال اخرى متنوعة لا يليق ذكرها ، ورفعوا هذه الصور والتهم الى الملك كسرى .

الفصل السادس والعشرون

بقاء الكنيسة بدون رئيس بعد وفاة مار سبريشوع الجاثليق

حينما سمع الملك وعلم ان المسيحيين لم يرسموا غريغور الذي أمر أن يقام جاثليقاً بل اقاموا غيره غدراً ، نسي كل المودة التي كان يكنها للمسيحيين ، ولاسيما الصداقة التي كانت تربطه بسبريشوع . وصاح في سورة غضبه قائلاً : « لن يمارس غريغور مهام الرئاسة » . وأقسم بالشمس إلهه : « إني ما دمت حياً لن أسمح بقيام بطريرك في المشرق » . وأنجز وعيده هذا بالعمل . فقد حاول تلميذ الشيطان (٢) ان يزيل الكهنوت المقدس من بين مسيحيي مملكته . لأنه اذا انعدم الآباء ، ينتهي امر الأبناء رويداً رويداً . وهكذا كان الى ان قيض الله للمسيحيين ابناء الكنيسة

(١) ماحوزي هنا هي المدائن ، وسميت كذلك لأنها سبع مدائن بين كل مدينة الى الاخرى مسافة قريبة أو بعيدة [معجم البلدان ٥ ، ٧٥] وهي على مسافة سبع فراسخ جنوبي بغداد في الموضع المسمى الآن « سلمان باك ».

(٢) « تلميذ الشيطان » عبارة قد يقصد بها المؤلف كسرى الملك أو بالأحرى جبرائيل السنجاري الذي حرض وساند كسرى في حملته ضد النساطرة .

أن يودوا بحياته(١) ، فطيلة هذه الفترة ظلت الكنيسة بدون بطريرك ولم يرسم فيها رؤساء أساقفة ولا أساقفة ، وكانت لابسة الحداد لحرمانها من رئيس ومدبر ، أي من أبي الآباء البطريرك .

الفصل السابع والعشرون

مار باباي والخدمة الكنسية التي اقتبلها

في ذلك الزمان كان الطوباوي مار باباي الكبير يمتاز بين الرهبان بالعلم والسيرة الفاضلة. فتكاتب المطرافوليطون المتجاورون وهم : مار قرياقوس النصيبيني(٢) ، ومار يوناداب الحديابي(٣) ومار جبرائيل من كرخ بيث سلوخ(٤) . فان أديرة مقدسة كانت تقام في ذلك الزمان ، وكان هؤلاء الرؤساء يخافون من ان يبذر فعلة الشيطان في هذه الأمصار تعاليم المصلين(٥) الأثيم

(١) انظر الفصل ٣٥ من هذا الجزء .

(٢) كان قرياقوس هذا عضواً في البعثة الفارسية الى الامبراطور هرقل الروماني [انظر جزء ٢ فصل ٤ من كتاب الرؤساء] ، وكان أيضاً أحد مراسلي ايشوعياب الثالث [طالع م. ش. ٣ ، ١ ص ١٤١ — ١٤٢] ، وألف كتباً يذكرها الصوباوي في جدوله الشهير [انظر م. ش. ٣ ، ١ ص ٢١٥] .

(٣) يعد يوناداب مطرافوليط حدياب من مشاهير الرؤساء الذين جاهدوا في سبيل الحفاظ على المذهب النسطوري ومنع تسرب النفوذ المنوفيزيتي في مقاطعة حدياب . ولهذا الغرض استحدث مرعيث الحديثة سنة ٥٩٥ . وحضر مجمع غريغور الأول سنة ٦٠٥ وأصبح عضواً في لجنة رئاسة الطائفة طيلة فراغ الكرسي البطريركي [٦٠٩ — ٦٢٨] واشترك في المجادلة مع المنوفيزيتيين أمام كسرى سنة ٦١٢ وحاول أن يسترجع دير مار متى منهم في السنة عينها . وتوفي قبل سنة ٦٣٠ ، بعد أن ظل مدة طويلة على كرسي حدياب المطرافوليطي.

(٤) هو أيضاً أحد المتراسلين مع ايشوعياب الثالث الحديابي [طالع م. ش. ٣ ، ١ ص ١١٤ و ١٤١ و ١٤٢] .

(٥) نشأت بدعة « المصلين » في ما بين النهرين في أطراف الرها في القرن الرابع . وتنسب الى اوسابيوس

فتخيم عليها ظلمة الهرطقة ، ولم يكن بوسعهم ان يزوروا الكنائس خوفاً من أن يتهمهم كسرى الملك بأنهم أقاموا لهم بطريركاً فيسومهم العذاب . فرأو ان يكتبوا الى القديس مار باباي معلم الكنيسة ـ وكان الجميع يعرفونه راهباً وليس اسقفاً ـ طالبين اليه ان يزور الاعمار وأديرة الرهبان وأن يسد كل ثغرة وينبذ من الكنيسة كل سقيم ومصاب بالنفاق ، حتى يقيض الرب بجودته فرجاً للكنيسة . وقد وضعوا رأيهم هذا موضع التنفيذ ، فكتبوا اليه رسائل فيها يناشدونه القيام بهذه المهمة . فتقلد خدمة الكنيسة كالفاعل النشيط والعامل الصنديد وحرسها ورفع شأنها لى ان اغتيل كسرى الملك . ولما أقيم لها جاثليق ، عاد [مار باباي] فانزوى في صومعته .

الفصل الثامن والعشرون

مقدمة الكاتب موجهة الى السائل

قد يتساءل البعض :« ألم يكن باستطاعة هؤلاء المطرافوليطين العظام أن يدحضوا النفاق الذي ينشأ في ولاياتهم بدون اللجوء الى مار باباي؟ » فاجيبهم :« بلى ، ولكن ليس كل مطرافوليط عالماً حتماً ، وليس كل عالم يلم بكل أنواع الزيغ او يمكنه تفنيد كل المذاهب » . فهناك من

الرهاوي . والمصلون اناس يقضون أوقاتهم بالصلاة ويمتنعون عن العمل اليدوي ويتجولون من مدينة الى مدينة مدعين التجرد الكامل عن خيرات هذا العالم . والغاية من هذه الصلاة طرد الشيطان من الانسان ، وإذ ذاك تبلغ النفس حالة سعيدة من عدم التألم وتتحرر من أهوائها ويغمرها الروح القدس وتمنح مواهب النبوءة والوحي وتأمل الثالوث بأعين جسدية ! أما الجسد فلا دخل له في هذا الصراع . فلا حاجة من ثمة الى الأصوام والتقشفات . وبلغ الأمر بهم الى إباحة أشنع الخطايا . . . وقد قاومت مجامع الكنيسة الشرقية هذه البدعة مرات عديدة . ولكنها رغم ذلك انتشرت وقويت في بدء القرن السابع في أبرشية حدياب [طالع مقالة « جاري » عن المصلين في مجلة « بابل » البيروتية ، عدد ٢ ـ ٣ سنة ١٩٦٢ ص٦ـ١٣ من القسم الأجنبي ؛ ادي شير في كلدو وآثور ٢ ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣ ، التاريخ السعردي ١ ص ١٦٧ ـ ١٦٨ ، كتاب اسكوليون لتاودوروس بركوني طبعة ادي شير ٢ ص٢٢٨ ـ ٢٣١] .

المزية ، وهناك من له غيرها . اما القديس باباي فكانت له كل المزايا ، من الكفاءة في مجادلة الهرطقات ، الى النبوغ في شرح الاسفار المقدسة وتفسير كتب الآباء وتمحيص ابحاثهم . وبوسعك ان تطلع على تعليمه المتنوع اذا اتيح لك ان تطالع الكتب التى انتجها يراعه . فقد ترك في الكنيسة المقدسة اربعة وثمانين مجلداً (١) في شتى المواضيع ، وهي تحافظ عليها باجلال . وحيث أن هرطقة المصلين الذميمة ابتدأت عند الرهبان ، فكان يترتب على رهبان ان يفضحوها اذ انهم مطلعون على مفاعيل النعمة ولا تفوتهم احابيل الأبالسة التي تمتد الى الرهبان المستسلمين الى الهدوء في صوامعهم . فهكذا كان الامر مع هرطقة الملكيصادقيين (٢) التي نشأت في الصعيد المصري على يد رهبان جهلة كانوا يدعون ان ملكيصادق هو ابن الله . ومع انه كان في زمانهم ملافنة واساقفة مشهورون الا ان تاوفيلوس اسقف الاسكندرية [٣٨٥] طلب الى الطوباوي الانبا مقاريس ان يدحض هذا الضلال . فقام القديس بهذه المهمة وفضح سخافتهم . وهذا ما جرى ايضاً في دير ربان صليبا (٣) المقدس المجاور لقرية « هيغلا — اومد » الواقعة على ضفة دجلة ، للاخوة المتوحدين والنساك : ابا وتوما وبرعيتا (٤) الذين كانوا في ذلك الدير . فقد اتهمو زوراً وغيابياً بأنهم من المصلين . ونسب اليهم ذلك كذباً بعض من كانوا يحسدونهم لصلاحهم ونسكهم وكتبوا بشأنهم الى القديس مار حنانيشوع الجاثليق حينما كان في دير مار يونان النبي في نينوى (٥) . أما

(١) أما عبديشوع الصوباوي فيقول انها ٨٣ مجلداً [طالع م. ش. ١ ص٩٤] ويعدد قسماً منها ، غير ان أكثرها قد فقد .

(٢) هي بدعة أسسها مراب اسمه تيودوتوس سنة ١٧٤م [طالع « بدع » في كتاب الرؤساء مجلد ٢ ص ٩٤ حاشية ٢] .

(٣) يقع دير ربان صليبا على نهر صرصر أحد روافد دجلة [طالع كتاب العفة ، عدد ٥٥ و ٦٨ ، دائرة المعارف الاسلامية ، الطبعة الفرنسية سنة ١٩١٣ ص ٩٩٦ في مقالة «دجلة»] . أسس هذا الدير ربان شمعون الذي مات ودفن فيه [التاريخ السعردي ١ ص ١٩٥ ـ ١٩٧ ، ٢ ص ١٢٧ ـ ١٣١] في عهد البطريرك تومرصا ، أي في نهاية القرن الرابع [انظر ماري في كتاب المجدل ص ٢٨ و ٢٩] . وهو على مقربة من بلدة « هيغلا — اومد » التي كانت مرحلة على دجلة [كتاب الرؤساء جزء ٤ ، فصل ٦] . ويقع الدير على ضفة دجلة الشرقية تحت سامراء بالقرب من قرية التل مسقط رأس الجاثليق باباي .

(٤) راجع كتاب الرؤساء جزء ١ فصل ٤ حاشية ٢ .

(٥) لا نعرف من أسس هذا الدير ولا تاريخ تأسيسه . إنما نعلم انه كان مركز كرسي اسقف نينوى منذ نحو سنة ٥٥٠ الى أن أحرزت الموصل أهميتها الكبرى بعد الفتح الاسلامي [سنة ٦٣٧م] فانتقل كرسي الاسقف اليها في نحو سنة ٦٥٠ . وآخر ذكر ورد لدير مار يونان هو في سنة ٩٣٧ . ويظهر ان التوسيعات التي أجرتها حمية بنت نصر الدولة سنة ٩٨٥ للمسجد المجاور لهذا الدير شملت بقايا الدير أيضاً فزالت معالمه . إلا انه في سنة ١٣٤٩ وجدت في

الجاثليق فقد رأى من الواجب أن يحقق في الأمر ، فكتب اليهم يستقدمهم اليه ، فامتثلوا أمره فقال لهم : « ايها الاخوة ، اني لا انظر في هذه القضية التي اتهمتم بها ، لأني لست خبيراً بسيرة الرهبان ، بل لتعرض على اناس من مسلككم » . وزودهم برسائل وارسلهم الى ديرنا هذا في بيث عابي يوم كان القديس مار كيوركيس برصيادي رئيساً عليه ، يؤازره شيوخ الجمعية الانبا ثائيل والانبا صليبا وابروي وجبرائيل الذي كان يلقب بالعصيفير (صفرونا) مع آخرين كثيرين . ولما استجوبهم اخوتهم بلطف ، اثبتوا هم ان فيهم مفاعيل النعمة بعيدة عن كل ضلال، فزودوهم اذ ذاك بوثائق الى السيد الجاثليق . وهكذا رجع هؤلاء الطوباويون الى صوامعهم بأمر الجاثليق وهم ينعمون بنصر لا يمازجه شيء من الضلال. وهذا هو السبب الذي حدا بالآباء الى ان يطلبوا الى القديس مار باباي ان يدير الكنيسة ، ويرعى بنوع خاص الجمعيات الرهبانية .

الفصل التاسع والعشرون

مجيء مار باباي الى هذا الدير
والاعجوبة التي جرت أمامه في الهيكل

بينما كان الطوباوي مار باباي يطوف من قرية الى اخرى ومن دير الى دير ، يتفقد ويسأل ويتحقق من استقامة الايمان وصفاء اتجاه أفكار الرهبان ورؤساء الاديرة التي كان يؤمها ، بلغ به المطاف الى ديرنا هذا . ولم يسأل ههنا عن الايمان ولم يطلب الى الربان يعقوب أن يوقفه على

البناية رفات البطريرك حنانيشوع [انظر عمرو ، المجدل ص ٦٠] واعتبرت حينئذ عائدة الى النبي يونان ، وصار المسجد من ثم يعرف بمرقد النبي يونس [طالع كتاب الرؤساء ، جزء ١ فصل ٢٨ حاشية ٢ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٢ ص ٥٤٣] .

مؤلفاتهم . لأنه كان مطلعاً بوضوح على تعليمه وعلى حسن سيرته ، ونظر بعين بصيرته ورأى مزاياه الحسنة واستنشق منه عبير النعمة الذي يدخل مطاوي النفس ويضمخ قواها كلها . إنما طلب اليه أن يبطل طقس القراءات التي كانت تتلى في الآحاد إجلالاً للأسرار الغافرة ، وقال ان هذا العمل ليس من شأن الرهبان بل هو للاكليريكيين والعلمانيين . أما الرهبان فانهم فقهاء ومواظبون بحكم دعوتهم على مطالعة الكتب ، ولا حاجة لهم الى رتبة القراءات ، لأنهم لا يفتقرون ، مثل العلمانيين ، الى [معرفة] الوصايا أو تدابير الله في العالم ، ولأن هذا العمل يقتضي كلاماً وأسئلة وأجوبة وليس كل أحد كفءاً لأن يحفظ فكره ولسانه وان يكون سواء في خروجه من صومعته أو عدم خروجه منها . فخير لهم أن يغادروا صوامعهم الى الدير باختلاء وصمت ، وأن يعودوا اليها بسكوت أيضاً لكي يحفظوا اللسان مصدر الكلام . فقال له القديس مار يعقوب : « إننا اليوم نحتفل بالذبيحة الالهية حسب المعتاد ونشترك في جسد المسيح ربنا قبل ان تغادرنا ، ونتلو القراءات ولا ننقض طقسنا ، وبعدئذ نعمل ما يحسن لدى الرب وأنت بعد ههنا » . فاستحسن مار باباي هذا الكلام .

كان في بيت الشهداء(١) مخلع لم يمش قط ، بل كان يزحف زحفاً ويستند الى يديه ليرفع ثقل جسده كله . وحينما بدأت الذبيحة الالهية ، أرسل ربان الى المخلع يدعوه أن يزحف ويدخل الهيكل . واختار ربان قراءة من الفصل الذي أمر فيه الرب المخلع أن يمشي ، وأعطاه أحد تلاميذه وأمره بأن يقرأه ، أما المخلع فزحف ودخل الهيكل على مرأى القديس مار باباي. وما أن وصل القارىء الى المقطع الذي يقول [المسيح] فيه للمخلع : « لك أقول أيها المخلع ، قم احمل سريرك وامض الى بيتك » ، حتى قفز المُخلع في وسط الهيكل ووقف على رجليه . فدهش الاخوة كلهم وطفقوا يمجدون الله رب الكل. وشد ما كان عجب مار باباي نفسه واندهاله... وفهم عندئذ ان القديس مار يعقوب كان يترقب منذ زمان طويل الفرصة لكي يجري هذه الآية يوم تدعو اليها الضرورة ، فتكون إفحاماً للذين يحاولون إلغاء الطقوس التي وضعها في جمعيته . وفي غمرة الفرح والابتهاج الذي استحوذ على مار باباي والذين بمعيته ، أثبتوا الطقوس وأثنوا

(١) بيت الشهداء أو القديسين هو قسم من الكنيسة السريانية الشرقية الذي يحتوي على بقايا شفيع الكنيسة ، ويقع حسب التصميم القديم في غرفة ملاصقة لجدار الكنيسة الشمالي ويؤدي اليه باب فتح عند منتصف هذا الجدار لكي يتيسر الدخول اليه للرجال والنساء على حد سواء .

على قوانين ربان . وهكذا خرج الطوباوي مار باباي من هنا لزيارة أديرة اخرى وقلبه يطفح فرحاً ولسانه يلهج بتسبيح الله وحمد آلائه .

الفصل الثلاثون

الأشخاص الشهيرون الذين تتلمذوا لربان مار يعقوب في هذا الدير

حينما اريد أن أكتب عن أبناء [الربان يعقوب] وعن ورثته النشطاء وتلاميذه الأجلاء، يعن لي أن أنقل أولاً كلام الحكيم القائل : « ان الصديق السائر في سلامته ، طوبى لبنيه من بعده(١) . لأن إجراء الحكم فرح للصديق(٢)» ، ويخلد انتصاره في نسله. وقيل أيضاً :«أبو الصديق يبتهج ابتهاجاً ، ووالد الحكيم يفرح به »(٣) ، حينما يرى ان غبطته تسري الى بنيه كتراث حسن. مات الصديق مار يعقوب ولعله لم يمت ، لأنه خلف وراءه كثيرين أمثاله ، سأكتب عنهم بعون الله . إنهم لم يحزنوا لانتقال أبيهم . لقد فرحوه في حياته بصلاح سيرتهم ووعدوه بحفظ وصاياه الى الأبد . ولدى فراقه إياهم باركهم هو أيضاً بوضع يديه المقدستين على رؤوسهم ، فسجد على رأس عصاه في وقت رقاده(٤) . وقد تتلمذ لربان جمع غفير - كما ورد في قصته - بلغوا الثمانين رجلاً كتبت أسماؤهم في سفر الحياة .

(١) أمثال ٢٠/٧ .
(٢) أمثال ٢١/١٥ .
(٣) أمثال ٢٣/٢٤ .
(٤) تكوين ٤٧/٣١ .

الفصل الحادي والثلاثون

الانبا يوحنان الشيخ (سابا)

في مقدمة هؤلاء التلاميذ يأتي الانبا يوحنان الشيخ المرهق من مقاطعة بيث كرماي ، وهو ند للقديس الانبا يعقوب أبيه وصنوه في الحياة الرهبانية . وقد امتاز بسيرة حميدة حتى انه اصبح مرآة طاهرة تعكس امام معاصريه كل الخصال السنية . فأمر القديس يعقوب ان يخلفه في رئاسة [الدير] . وحينما امتنع ولم يرضخ ، اضطروا الى ارغامه على القيام بهذه المهمة . ووجه القديس مار ايشوعياب ، يوم كان اسقفاً في نينوى ، رسالة بشأنه الى هذا الدير ، عندما فكر الرهبان في أن يقيموا عليهم رئيساً آخر عوض يوحنان الممانع . وقد الف سهدونا الترجام الثاني في الانبا يوحنان ومطلعه : « قبل قليل حينما كنا نشيع أبانا » ، وحسبما بلغني من الشيوخ القدماء الذين ادركتهم في الحياة ، قام الطوباوي [باعباء الرئاسة] نحو نصف سنة ثم تركها وانطلق خفية الى منطقة بيث كرماي ، الى الجبل الواقع في الجنوب الشرقي من مدينة داقوق (١) ، واختار له مكاناً ملائماً للصمت ، وقد بني فيه اخيراً دير يعرف بدير بيث حزقيال (٢) . أما حزقيال هذا فكان تلميذ ربان خوداهوي من بيث حالي (٣) . وقد أدرك الانبا يوحنان في الحياة ، واستفاد منه نوراً لعقله وشجاعة لحياته . وهكذا بموازرة الربان حزقيال وبصلاة الانبا يوحنان اقيم ذلك الدير

(١) داقوق أو طاووق تقع على مسافة ٤٥ كم جنوبي مدينة كركوك .

(٢) يمكن المرء ان يقرأ اسطورة حزقيال مؤسس هذا الدير في كتاب العفة [عدد ٨٥] وقصص الشهداء في طبعة بيجان [مجلد ٤ ص ١٨٤ ـ ١٨٨] وفي شهداء المشرق [٢ ص ٢٩٥ ـ ٢٩٧] وفي كلدو وآثور [٢ ص ١١٠] . وتجعله الاسطورة تلميذاً لمار اوجين ، بينما يجعله توما المرجي بصواب تلميذاً لخوداهوي . وحزقيال راهب عاش في منتصف القرن السابع .

(٣) خوداهوي ناسك من القرن السابع ، أسس دير بيث حالي المسمى أيضاً بدير الطين في برية الحيرة [طالع كتاب العفة عدد ٧٥ و ٧٩ ، التاريخ السعردي ٢ ص ٢٢٩ ، ٥٩٠ ، شهداء المشرق ٢ ص ١٠٠] .

المقدس . وفيه ختم الانبا يوحنان حياته ورقد بسلام . وكتب ربان حزقيال نفسه الى ديرنا هذا يعبر لرهبانه عما يكنه لهم من المحبة والصداقة ، ويتمنى ان تبقى أواصر صداقتهم متينة وان تحفظ هذه المودة بين الديرين الى آخر الأيام. واني أشهد امام الله واؤكد انني قد وقفت على هذه الامور مما رواه نرساي الشيخ الذي كان يدعى ببرداديشوع من قرية عين برقي[1] . ومما قاله لي شيخ من دير بيث حزقيال يوم كنت في صباي انتسخ الكتابات امام سدة البطريرك القديس مار ابراهام الجاثليق . وفعلاً لقد استمرت المودة [بين الديرين] حتى انه كلما كان في ذلك الدير اثمار وخيرات لا تتوفر عندنا ، كان اولئك الاخوة يرسلون منها الى ههنا ، وكنا نرسل نحن ايضاً ، من هنا الى هناك ، وذلك انجازاً لرغبة الانبا يوحنان ، والقديس مار يعقوب (حزقيال؟) لأن كليهما كانا من هناك .

الفصل الثاني والثلاثون

ربان يوسف من بيث قوقا وأخوه ربان ابراهام

كيف نمدح هذين الأخوين المباركين اللذين يستحقان كل الطوبى ؟ وكيف بالانسان ان يكلل بالمجد عمودي النور هذين اللذين يفوقان اشعة الشمس ضياء ؟ اننا لنعجب بهما ونطريء بني اب واحد وام واحدة ، على غرار ابناء الطوباوية شموني . فقد تلقيا تربية واحدة وأشرف على تهذيبهما حنان واحد وحظيا بتعليم روحي واحد . كان هذان الطوباويان من قرية « كافيثا »[2]

(١) عين برقي أو بقري في مقاطعة مركا لا نعرف موقعها بالضبط .

(٢) « كافيثا » وتسمى الآن « كوبا » وهي قرية تقع على المسافة المذكورة في الكتاب من دير بيث عابي في وادي نحلا .

الواقعة على مسيرة أربعة أميال شمالي هذا الدير . ومنذ نعومة أظفارهما تتلمذا لمار يعقوب في هذا الدير واقتبسا من تعليمه كل ما يلزم للحياة الروحية . وما ان أنهى الانبا يوسف القديس مرحلة الابتداء ، حتى توجه الى هذه الشرفة وعاش فيها متوحداً ، ولم يكن يأتي الى الهيكل حتى ولا في يوم الاجتماع . بل كان يقبل مساء تحت أجنحة الظلام الحالك ويدخل غرفة الطعام دون أن يعلم به أحد . وكانت هناك كوة كبيرة ـ وقد رأيتها أنا أيضاً في غرفة الطعام ـ أخبرني عنها أناس قدماء ان خبزاً محروقاً وسقاطة كان يطرح فيها ، فيأخذ منه الطوباوي ما يسد به رمقه ، ثم يعود الى مغارته . ولما انتقل الطوباوي مار يعقوب من الحياة الزمنية ، أخـــذ [يوسف] أخاه ورحلا كلاهما الى جبل زيناي[1] ، وشرعا يعيشان هناك حياة قشفة تفوق الطبيعة . ولأن أناساً قديسين أمثال ربان افنيماران وربان سبريشوع الذي يدعى روسطم كتبوا عنهما ، وجدت من النافل أن أكتب عنهما أنا أيضاً . ولذا فأمر بهما مروراً ، وألتمس من الذين يقرأون قصة جهادهما أن يذكروني في صلواتهم .

الفصل الثالث والثلاثون

ربان سركيس المدعو « محطم الأقوياء »

كان سركيس المستحق الطوبى من مقاطعة بيث كرماي . وتلقى العلم في مدارس مختلفة ، ولا سيما في مدرسة قرية « بيث رستاق »[2] في بلاد مركا ، إذ كان المفسر فيها ربان قاميشوع

(١) جبل زيناي سلسلة تتألف من جبلين تبتدىء من جنوب الكوير وتتوجه من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي، بين الزاب الكبير والزاب الصغير . وأمام النقطة الفاصلة بين الجبلين تقع مدينة مخمـــور التي كانت قديماً تدعى قرية زيناي ، ويسمى الجبل حالياً قرەجوغ الشمالي والجنوبي .

(٢) بيث رستاق هي برستك الحالية الواقعة على مسافة ٣ كم شمالي غربي قصبة عين سفني ، وهي جغرافياً تقع

الجرمقي من قرية « حاشا »(١) . ولما نزل الطوباوي مار قاميشوع الى المدائن التي فيها وافتـــه المنية ، تتلمذ سركيس للقديس مار يعقوب . وإذ كان ربان بعد في قيد الحياة ، إنتقل سركيس من هناك وسكن في وادي بيث كزا في الصوامع التي تدعى « بيث عيناثا » . وتلبيـــه لطلب ربان يعقوب ، كتب الطـــوباوي سركيس عن انتصارات ومدائح اناس قديسين عاشوا في بلاد بيث كرماي ، والكتاب الذي وضعه موجود في كل مكان ، وقصصه تدهش القارىء وتدفعه الى تمجيد الله . وقد أسمى الكتاب « محطم الأقوياء » ، لأنه لم يبحث فيه عن العظماء في الكنيسة ، بل عن الذين سمت سيرتهم في بيوت والديهم وفي كنائس قريتهم بزيهم البسيط وبقهر ذواتهم . ومن عنوان كتابه ، سمي هو الآخر « بمحطم الأقوياء » . وتتلمذ له أيضاً القديس مـار ايشوعياب وربان قاميشوع . وقد كتبت سيرتهما ، لذا فاني لا أتكلم الآن عنهما ، بل سأخصص لهما موضعاً مع اخوتهما في الفصول القادمة التي تقتضي أن أتكام عنهما ، وسأفعل ذلك بكل طيبة خاطر .

الفصل الرابع والثلاثون

سهدونا وتآليفه

ورد في قصة ربان برعيتا ان سهدونا كان من قرية هلمون(٢) من أعمـــال بيث

في بانوهذرا ، إلا أن المد المنوفيزيتي اقتطعها من نينوى ، وألحقها مارن عمه بمرعيث مركا في القرن الثامن ، ولذا حق لتوما أن يقول انها في بلاد مركا

(١) « حاشا » كلمة طرأت عليها تحريفات عديدة ، من خاصا وحاصا وغيرها ... ويظهـــر ان الاسم القديم كان « حاصا » أو « حاصين » كما ورد في آلام الشهداء الذين ماتوا في اضطهاد شابور . وقد ادمجت هذه القرية بمدينة كركوك الآن وأضحت حارة منها تسمى محلة « خاصا » .

(٢) « هلمون » قرية تقع في أقصى حدود بانوهذرا الشمالية ، وهي الآن في تركيا على مسافة نحـــو ٤٠ كم شمالي غربي العمادية .

نوهذرا (١) وبعد ان تضلع من الكتب الالهية في نصيبين ونال منها قسطاً وافراً ، توشح بالزي الرهباني في هذا الدير من يدي ربان يعقوب . وقد هام كثيراً بالسيرة الفضلى وعكف على الحياة النسكية وعلى الصوم والسهر والصلاة بارشاد ربان ، وشعر ايضاً بالعذوبة التي تدرها السيرة الفاضلة على النفس في قرارتها . وذلك واضح للعيان من المعاني الرفيعة المضمنة في التآليف التي وضعها في السيرة النسكية . فانه قد كتب عن الجهود التي يقتضيها النسك كله في مجلدين (٢) ، وله تعاز ومقالات اخرى في مواضيع مختلفة . وكتب ايضاً سيرة ربان [يعقوب] وبواهر الرهبان في ارض المشرق . وقد أبن ربان يعقوب عند دفنه بخطاب مطلعه « يا اعزائي ، لقد هوى اليوم رئيس كبير فينا ». ومن يقرأ هذا الخطاب يقف ملياً على سمو معانيه وبلاغة إنشائه ، ويعلم انه قد نبغ بين المؤلفين. إلا انه اشتط اخيراً وخولط في عقله(٣). وسوف اروي كيف اصابه هذا الاختلاط حيثما يقتضي ذلك سياق الحديث .

الفصل الخامس والثلاثون

في مصرع الملك كسرى

اما الملك كسرى بن هرمزد فقد اندفع بجنون وجشع الى جمع الاموال ، وزادته السنون شراً وظلماً . ولما توفي الطوباوي مار يزدين رئيس المؤمنين الذي اضاف المجد السماوي الى الجاه

(١) كانت مقاطعة بانوهذرا الكنسية قديماً تمتد من الزاب الكبير جنوباً الى أطراف هلمون شمالاً ، غير ان المد المنوفيزيتي في النصف الثاني من القرن السادس وبدء القرن السابع قطعها الى قسمين وهما : منطقة نينوى في الجنوب ، ومنطقة بانوهذرا [الصغيرة] في الشمال ، وأصبحت قرية معلثا [معلثايا] الواقعة بالقرب من دهوك مركز هذه المقاطعة الصغيرة . وتعرف هذه المنطقة عند العرب بالباهدرا . ويعرف اسم أساقفتها منذ سنة ٤١٠ . أما الآن فهي تابعة لكرسي اسقفية زاخو .

(٢) هو كتاب «كمال السيرة» الذي ينقسم الى جزئين كبيرين . ونشره الأب بولس بيجان سنة ١٩٠٣ معتمداً مخطوطة وحيدة تعود الى القرن الثامن وجدت في جبل سيناء ، وهي الآن في مكتبة ستراسبورغ .

(٣) يقول توما المرجي ان سهدونا خولط في عقله لأنه اعتنق المذهب الكاثوليكي القويم . وكانت مبادىء هذا

العالمي الذي كان يتمتع به ، وحق له أن يرث خدر الافراح السماوية ويسكن جنات النعيم ، نسي كسرى افضاله كلها ، واغتصب ثرواته وامواله جميعها وترك ولديه المباركين شمطا وقورطا المؤمنين الصادقين عرضة للفقر والذل . فلما رأى شمطا المبارك ان شر كسرى الملك يعظم ويتفاقم مع تقدمه في السن ، قام خفية ونزل الى المدائن عاصمة المملكة وقتل بحد السيف ابناء كسرى الاربعة والعشرين الذين كانوا يتربون هناك ، واقتاد منهم ابنه شيروي — وهوقباذ — وجاء الى مدينتهم وفتح السجن واخرج نزلاءه كلهم واركبهم خيولاً وزودهم بالسلاح ونادى بشيروي ملكاً بدون أمر والده وارادته . وكان كسرى قد سرح جيوشه جشعاً ، فدخل شمطا المغوار مع اتباعه بلاط كسرى وقتله بحد السيف ، فعاد الهدوء الى الكنائس كلها في جميع الجهات ، ونادت قوات شيروي ، بأمر شمطا ، ببشرى السلام للناس طراً . وأمر شيروي بأن يقيم المسيحيون جاثليقاً لهم . فنصب مار ايشوعياب اسقف بلد الذي كان يدعى الجدالي لكونه من قرية « جدالا » (١) في مقاطعة بيث عربايي (٢) . وعند التئام المجمع ، طلب كل الآباء الى القديس مار باباي أن يكون جاثليقاً ولكنه رفض ، لأنه فضل ان ينهي حياته في صومعة ديره على ان يقوم بالرئاسة المضنية . عندئذ صعد معه الجاثليق [الجديد] نفسه مع لفيف من الاساقفة حتى اوصلوه باكرام الى ديره .

ولما ودعهم [باباي] وعادوا ادراجهم ، ظهر له بغتة ملاك الرب بهيئة فارس ، متقلداً سيفاً من النار وممتطياً صهوة جواد أبيض ووقف في فنا صومعته ، وخاطبه وقال له : « الآن وقد رفضت البطريركية ونصب آخر ، ابذن لي بأن التحق به . فقال له مار باباي : « ومن انت يا سيدي ؟ » ، فأجابه : « أنا الملاك الذي أمرني الله رب العالمين بأن أخدم كرسي المشرق

التعليم قد تسربت اليه من حنانا الحدياني الذي أحدث ضجة كبرى في مدرسة نصيبين بخروجه على تفاسير تيودورس المصيصي . وقد أدت هذه الحركة الى انفصال عدد كبير من الأساتذة والطلاب ومغادرتهم المدرسة احتجاجاً على المعلم.

(١) جدالا أو جدال قرية واقعة في مقاطعة بيث عربايي غربي بلدة سنجار الحالية على مسيرة ساعتين منها . وقال عنها ياقوت الحموي انها قرية كبيرة عامرة على تل عال وعندها خان حسن عامر وأهلها نصارى ، بينها وبين الموصل مرحلتان وهي على طريق القوافل [معجم البلدان ، ٢ ص ١١٢] ، ولم تزل خرائبها باقية الى اليوم وهي تقع غربي « تل عوينات » جنوبي « تل الهوا » وتسمى خرائبها « خان جدال » [طالع منية الأدباء لياسين العمري ص٤٠ ؛ حاشية ٢] .

(٢) بيث عربايي أبرشية كبيرة غربي دجلة الأعلى ، مركزها نصيبين وتمتد جنوباً الى أطراف « بلد » [illegible]

البطريركي ، وطالما كنت أنت القائم بأعمال الجاثليق ، لازمتك من اليوم الأول حتى الآن . أما الآن فعلي أن أتبع ذلك الذي قبل المهمة » . فقال له ربان : « لو عرفت انك معي لقبلت هذا المنصب السامي بفرح ، والآن فامض بسلام وباركني » . وتوارى الملاك عن ربان . . .

لتكن صلاة مار باباي وطغمة اخوته الرهبان سوراً منيعاً للكنيسة المقدسة ولأبنائها آمين.

. . . واني بهذا آتي على نهاية هذا الجزء ، لكي تتقدس خاتمته بذكرى القديس مار باباي.

(أنتهى الجزء الأول)

الجزء الثاني

الفصل الأول

مقدمة الجزء

إن كل بداية لأعجز من النهاية التي تأتي شيئاً فشيئاً ، كمثل الصبي الذي برشـــد أولاً كطفل ثم يأخذ في النمو ويشب تدريجياً . كما انه عندما نهي آدم عن أكل الثمرة[١]. ظل العالم زماناً طويلاً في دور الطفولة دون الارتقاء الى عهد الشباب . أما الناموس الذي اعطي لموسى الطوباوي[٢] فهو أسمى من الذي اعطي لآدم ، لأن هذا كتب على ألواح القلب بالمعرفة الطبيعية. أما ذاك فقد سطر بالمداد أيضاً . غير ان كمال الحكمة الذي أعطي بالمسيح ربنا في آخر الأزمنة هو بمثابة الرجل الكامل ويفوق جميع السنن والشرائع القديمة . كذلك فقد اكتسبت الحكمة رونقاً جديداً بمار يعقوب ، ولكنها ازدادت أضعافاً حتى بلغت الأوج بأبنائه المدهشين وورثته الأجلاء الذين اقتفوا آثاره . وكما ان نفوذ سليمان الحكيم تقوى وعظم أكثر من نفوذ داود

(١) تكوين ٣/٣ .

(٢) خروج ٢٠ .

ابيه ، وليس في ذلك انتقاص لحكم داود ، اد ان ملك سليمان لم يتوطد الا بصلواته والوعود التي قطعها الله له . كذلك فان ازدياد جمعية ربان يعقوب وازدهار ديره تحت ادارة ابنائه أكثر منه في عهده لا ينقص شيئاً من قدأسته بل يضفي عليها رونقاً ويوليها نصراً مبيناً . لأن زيادة التلاميذ وفلاحهم تولي الاساتذة الغير فرحاً وفخراً. وهكذا فان الروح الذي ناله الطوباوي اليشاع اضعافاً على معلمه لم يكن انتقاصاً لسلطة ايليا العجيب ، بل اظهر مجده حينما كان يقول : « انك اكثرت في الطلب فيكون لك ما سألت » (١) . كذلك ازدهار هذا الدير على يد القديس مار ايشوعياب والطوباوي ربان قاميشوع قد زاد من مجد ابيهم الروحي . فقد بلغ في أيامهم عدد الرهبان في هذا الدير نيفاً وثلاثمائة رجل ولما فر الطوباوي يوحنان الشيخ (سابا) الذي كان الربان يعقوب قد أوصى بأن يكون رئيساً من بعده ، قبل الانبا بولس مهمة الرئاسة . ثم خلفه في ذلك ربان قاميشوع ، ودامت رئاسته سنين عديدة .

الفصل الثاني

ربان يعقوب من بيث نوهذرا

تتلمذ ربان يعقوب لربان قاميشوع وصار رئيساً على دير بيث ربان ايشوعياب(٢) . كان يعقوب من « ريشا »(٣) وهي منطقة واقعة في اقليم بيث كرماي ، وتلقى العلوم في مدارس

(١) ٢ ملوك ٢/٩-١٠ .

(٢) دير بيث ربان ايشوعياب هو الدير المعروف الآن بدير مار ياقو الواقع في الجبل القريب من دهوك فوق قرية شيزي [شيوز] . أسسه مار ايشوعياب الملقب « بمغادر مكانه » ، في منتصف القرن السابع [طالع كتاب العفة ، عدد ١٣٩] .

(٣) « ريشا » قرية في منطقة بيث كرماي مجهولة الموقع . ويجب تمييزها عن جبل ريشا المار ذكره في الفصل ٥ من الجزء الأول حاشية ١ .

« خربة جلال » وتضلع منها . ومنذ صباه دخل هذا الدير في عهد رئاسة ربان قامیشوع . وكان [يعقوب] يمتاز بحياته الروحية وعلمه ونسكه على كل معاصريه ، حتى انه كان يرى الاحداث البعيدة والمستقبلة ، ولذلك فقد لقبه معاصروه بيعقوب « حزايا » (أي البصير) . ولما شيد الطوباوي مار ايشوعياب هيكلاً في هذا الدير ودعا مطرافوليطين واساقفة لتقديسه اراد أن يظهر عظمة ديره قدام الحاضرين أثناء الذبيحة الالهية . وكان الطوباوي مار يعقوب مبتدئاً يقوم بخدمة المطبخ في تلك الساعة ، فاستدعاه ايشوعياب وأمره بأن يصعد الى البيم (المنبر) وينشد ترتيلاً . وكان مع السيد الجاثليق عالم كبير خرج الى رواق الهيكل يهيء خطبة بليغة في شرح الانجيل . فلما راح يعقوب الالهي ينشد هولال الترتيلة اجتذب انتباه الجميع وسبى ألبابهم لعذوبة صوته حتى صارت جميع الأبصار شاخصة اليه . وحينما أنهى الترتيلة ونزل ، صرخ العالم بصوت عال قائلاً : « يا لك من صبي ! فان عذوبة صوتك ولذة انغامك شردت الافكار التي كنت احاول جمعها ».

وجاء الأوان وانهى يعقوب الابتداء فاعتزل في الصومعة . وكان الله قد سبق واختاره ليكون مصدر خير للجميع . فقد رقد الطوباوي مار ايشوعياب الناسك رئيس الدير ، وكان الاخوة قلقين لعدم وجود من يرئسهم بعده ، وقال لهم ربان ايشوعياب في ساعة موته : « لا تضطربوا يا اخوتي واولادي بانفصالي عنكم ، لأن الله سيدفع الطوباوي مار يعقوب الناسك في بيث عابي الى المجيء اليكم ليصبح رئيساً عليكم». وفعلاً فقد اثار الله ضده غيرة بعض الجهلة ، كما كان قد أثار غيرهم على أبيه الطوباوي يعقوب في الدير الكبير ، فخرج خفية وذهب الى ذلك الدير المقدس . وقلق سكان هذا الدير كثيراً واضطربوا بشأنه وكانوا يرغبون في ارجاعه الى ههنا ، ونزلوا لهذا الغرض لدى مار حنانيشوع مراراً عديدة وحصلوا منه على رسائل المنع ضده ، ولكنه أبى الرجوع . ومن يرد الوقوف على عظمته وعلى الدالة التي كان ينعم بها لدى الله ، فليأخذ قصة حياته ويقرأها فتكون له خير حافز الى تمجيد الله الذي يرفع قديسيه الى هذ المقام السامي له المجد الى الأبد . آمين .

الفصل الثالث

ربان افنيماران

كان ربان افنيماران[١] من كرخ سلوخ[٢] في مقاطعة بيث كرماي ، وقد تتلمذ لربان قاميشوع ولربان افنيماران السعيد الذكر . ومنذ نعومة أظفاره سار على نهج الآباء القديسين في هذا الدير . ومارس الفضائل كلها ، ساعياً الى السماء ونعيمها تحت إرشاد ربان قاميشوع ، لأنه كان تلميذه بنوع خاص . وقد حباه الله الحكمة وتمييز الكتب ، فوضع تآليف كثيرة تحتوي على تعاليم وتراتيل شتى وهي تظهر طول باعه ، فجرت أنهار مياه الحياة من بطنه ، كما قال الرب[٣]. فهذا أيضاً أصبح مثل عمود النور الذي كان يهدي جحافل العبرانيين[٤]. وقيض الله له أن يكون هو أيضاً على غرار أبيه مؤسساً لدير ضم عدداً غفيراً [من الرهبان] . فثار عليه الحاسدون ووضعوه في نعش الموتى ، وباسم هرطقة المصلين[٥] أخرجوه بأناشيد الموتى الى الموضع المسمى « سباق الجحاش » . ولكن الرب شاد بواسطته هـذا الدير المقدس الذي يدعى اليوم باسمه تخليداً لذكراه . فلتكن لنا صلاته للخير . آمين .

---

(١) هو افنيماران الكبير تلميذ افنيماران آخر كان في دير بيث عابي . أسس ديراً معروفاً باسم دير الزعفران [ديرا دكوركما] الواقع في منطقة السليفاني على سفح جبل بيخير الجنوبي [وليس جبل جودي كما وهم « بدج » في كتاب الرؤساء ٢ ص ١٢٣ ، حاشية ١] فوق قرية كولي في الشمال الغربي من مضيق زاخو .

(٢) كرخ سلوخ مركز أبرشية بيث كرماي منذ القرن الخامس عوضاً عن شهرقرد . ويعني الاسم قلعة أو مدينة السلوقيين ، إشارة الى تجديد المدينة من قبل سلوقس اليوناني . ومنه اشتق الاسم الحالي «كركوك» .

(٣) يوحنا ٣٨/٧ .

(٤) خروج ٢١/٨ .

(٥) راجع جزء ١ فصل ٢٧ حاشية ٤ .

الفصل الرابع

ذهاب مار ايشوعياب الجدالي الجاثليق والأساقفة الذين معه الى بلاد الروم

لما أصبح ايشوعياب الجدالي جاثليقاً ، اختار مؤمنو نينوى ، بعد موت مارا اسقفهم . الطوباوي مار ايشوعياب ، تلميذ ربان [يعقوب] وابن النبيل السعيد الذكر بسطوهماغ الشريف من قرية كوفلانا(١) من أعمال حدياب ، ليكون مدبراً ورئيساً لأبرشية مدينتهم وبلادهم كلها . أما سكان مدينة ماحوزي داريون(٢) الواقعة في مقاطعة بيت كرماي ، فقد اختاروا سهدونا تلميذ ربان الذي ورد ذكره قبل قليل . وعندما استوى شيروي على العرش وأراد أن يخيم السلام على مملكته وأن يتجنب الاضطرابات والخصومات والسرقات والشرور التي اقترفها والده كسرى ، أصدر أمراً بالسلام ، فخيم الهدوء على كنائس مملكة فارس برمتها ، وسيم مار ايشوعياب عربايا(٣) بطريركاً . وإذ ذاك طلب الملك شيروي الى الجاثليق أن يصطفي من مملكة المشرق بعض مطرافوليطين وأساقفة ليصعدوا الى بلاد الروم على نفقته مع هدايا فاخرة ورسائل العاهل وتحياته. وذلك كي يزيلوا كل المشاحنات والعداء بين الفرس والرومان ويزرعوا السلام بحكمتهم في

(١) كوفلانا أو قوفلانا قرية واقعة في الجنوب الشرقي من دشت كنديناوة على مسافة ٢٥ كم غربي ألطون كوبري في مقاطعة حدياب .

(٢) كان الأقدمون يطلقون اسم « ماحوزا » أي المدينة [ولساليق وقطيسفون ماحوزي أي المدائن] ، على مركز المنطقة وكرسي مطرانها . وكانت منطقة اريون أو اريوان تمتد على ضفتي الزاب الصغير جنوبي غربي ألطون كوبري . ومركزها المسمى حالياً « ماحوز » يقع على مسافة ٤٠ كم عن ألطون كوبري ، وقد انتقل الكرسي الاسقفي من ماحوزي داريوان الى البوازيج في نحو سنة ٦٧٠م ، ولذلك يسمي التاريخ السعردي خطأ [٢ص ٦٣٦] سهدونا اسقف البوازيج .

(٣) هو ايشوعياب الثاني الجدالي [انظر كتاب الرؤساء جزء ١ فصل ١٣ حاشية ١] .

كلتا المملكتين . فرضخ ايشوعياب لأمر الملك ودعا مار قرياقوس مطرافوليط نصيبين ومار بولس مطرافوليط حدياب ومار جبرائيل مطرافوليط كرخ بيث سلوخ وغيرهم من الاساقفة الفقهاء والعلماء والحكماء . فصعد هؤلاء المطرافوليطون والاساقفة برفقة الجاثليق ، وكان من جملتهم قديسنا ايشوعياب [اسقف] نينوى وسهدونا . وهكذا ، بقوة المسيح ربنا ورب العالمين ومدبر كلا القطرين والعالم اجمع ، وجد هؤلاء الرعاة حظوة لدى الروم فقبلوهم مع مطاليبهم وكأنهم ملائكة الله ، ولم تذهب سدى المساعي التي بذلوها والجهد والتعب الكبير الذي تكبده اولئك القديسون في تلك الطريق الطويلة ، ثم عادوا بسلام الى هذه البلاد ، وذهب كل الى مركز أبرشيته .

الفصل الخامس

صندوق عظام الرسل الذي جلبه معه ايشوعياب من أنطاكيا ووضعه في هذا الدير

حينما اجتاز هؤلاء القديسون بمدينة انطاكيا ، حلوا في احدى كنائسها ومكثوا ثمة اياماً عديدة ، فرأى قديسنا ايشوعياب صندوقاً من رخام ابيض عليه علامة الصليب المسجود له وقد وضع على مناكب ملاكين . وعاين المعجزات التي كانت تجري هناك بواسطته وعلم ان فيه عظام الرسل القديسين وذخائرهم (١) . فأحس برغبة شديدة في الحصول على ذلك الصندوق ، وشرع يبتهل بحرارة الى الله رب الكل لكي يتيسر له اخذ تلك البركة الى هذه البلاد . وأخذت هذه الأفكار تساوره والقلق ينازعه . ففوض أمره الى الله واثقاً ان المسيح سيسدل بعطفه الالهي

(١) يقال ان جسد متى الرسول جلب بعد موته الى أنطاكيا [طالع كتاب النحلة الذي نشره «بدج» ص١٩٦].

الحجاب على العمل البشري الذي سيقدم عليه هو ايشوعياب . وكان له ما اراد . فقد سرق الصندوق وأتى به معه الى ههنا بالاكرام الذي يليق بالدرر المقدسة التي يحتويها . ونحن متأكدون من أن الامور جرت على هذا النحو . والى اليوم يتداول ذكر هذا الحدث في مدينة انطاكية . كما قد وصل الينا أيضاً بالتقليد من اناس سبقونا في هذا الدير .

الفصل السادس

كيف زاغ سهدونا عن الايمان المستقيم

لما وصل هؤلاء القديسون الذين ذهبوا الى الروم بلاد افامية (١) ، تأخروا هناك بعض الوقت ليأخذوا قسطاً من الراحة . وكان هناك دير لبعض الهراطقة (٢) الذين تنكروا للديانة الحقيقية . فعن للطوباوي مار يوحنان اسقف المتشتتين في كورة الشام ان يذهب اليهم ليجادلهم . وكان [يوحنان] رجلاً عظيماً وقديساً صنع في تلك البلدان آيات كعجائب الرسل . والى الآن تروى أخبار زهده وقداسته السامية . وكان بصحبته ايشوعيابنا هذا وسهدونا . ولما خرج ابناء ذلك الدير للقائهم دهشوا وتعجبوا من جدال هؤلاء الكواكب الثلاثة النيرين ، ورأوا ان هشيم علمهم لم يستطع الصمود البتة امام لهيب حكمة المشارقة وبراهينهم الدامغة . وكان لهؤلاء الرهبان رئيس قد بلغ من العمر عتياً . فدخل عليه تلاميذه وقالوا له : « لقد اتانا ثلاثة اساقفة شرقيين من وفد

(١) افامية كانت مدينة كبيرة في الشمال الشرقي من حماة السورية . وهي الآن خربة يقال لها قلعة المضيق [طالع اللؤلؤ المنثور ، للبطريرك أفرام الأول برصوم ، حلب سنة ١٩٥٦ ص ٦٢٢] ، وهي غير افامية الواقعة في المنطقة البابلية .

(٢) هنا أيضاً يقصد المؤلف بالهراطقة الروم الملكيين . أما الدير فهو دير افامية الشهير الواقع بجوار المدينة المسماة بهذا الاسم .

ملك الفرس ودحضوا محاولتنا وأفحموا براعتنا في تركيب الكلام للدفاع عن المعتقد الذي نحن به متمسكون » . وبلغني من الأسلاف ان ذلك الشيخ المنافق كان ساحراً ، فأمر تلاميذه بأن يدعوهم الى الدخول عليه ليراهم ويسمع شيئاً من البحث الذي أثاروه . فامتنع الطوباويان مار ايشوعياب ومار يوحنان ، لأنهما حسبا رؤية ذلك المنافق كرؤية الشيطان . اما سهدونا الذي كان واثقاً بعلمه فتجاسر ودخل ، وقد ناشده أصدقاؤه ألا يفعل ، ولكنه لم يقم وزناً لكلامهم . ويقال انه حينما دخل عليه ورأى شيخوخته أحنى رأسه تحت يمينه ، وسرعان ما تغير عقل سهدونا ، كما يقولون ، ومال عن استقامة الايمان الذي كان متمسكاً به . وكتب سهدونا شيئاً فشيئاً مع تمادي الزمان والظروف تآليف غريبة عن المعتقد القويم لطبيعتين واقنومين في شخص البنوة الواحد[1]. ولما أقيم القديس مار ايشوعياب الحديابي جاثليقاً ، فصل سهدونا عن الكنيسة حسب النبوءة التي سبق وتنبأ عنه القديس ربان برعيتا الناسك الحقيقي .

الفصل السابع

كيف ان ايشوعياب الجاثليق[2] يريد تأسيس مدرسة في هذا الدير

حينما أصبح الطوباوي مار ايشوعياب جاثليقاً بطريركاً وتسلم بيده زمام الامور المقدسة،

(١) يتكلم توما المرجي هكذا بصفته نسطورياً . أما الايمان الكاثوليكي فيعترف بطبيعتين : الهية وبشرية في شخص اقنوم الابن الواحد .

(٢) هو ابن النبيل بسطوهماغ المار ذكره . أبصر النور في الربع الأخير من المئة السادسة ، وتلقى العلم في مدرسة نصيبين على عهد حنانا الحديابي ، ثم أقيم اسقفاً لنينوى حتى قبيل سنة ٦٣٧ حيث أقيم مطرافوليطاً لحدياب . ولما توفي « مار امه » الجاثليق سنة ٦٤٧ [أو سنة ٦٥٠ ؟] ، انتخب ايشوعياب عوضه : وتوفي سنة ٦٥٨ [أو ٦٦٠] تآليفه كثيرة [طالع جدول عبديشوع الصوباي في م . ش . ٣ ، ١ ص ١١٣ - ١٤٠] وفضله كبير على الطقس النسطوري والكلداني ...

شرع يقوم بكل ما يعود بالمجد والجاه والازدهار على الكنيسة المقدسة ، بالهام الروح القدس الذي منه تأتي عظمتها ، وأظهر نشاطاً واهتماماً يجدر بالأبناء أن يولوه تراث آبائهم . فشيد في هذا الدير هيكلاً جميلاً كلف نفقات طائلة ، وزوده بكل المقدسات ، وقام بتقديسه مع القديس مار سبريشوع مطرافوليط بيث كرماي ومار كيوركيس تلميذه مطرافوليط حدياب الذي سيدور الكلام عنه فيما بعد ، مع كل أساقفة أبرشية آثور وحدياب هذه[1] . وبعد مدة وجيزة أراد أن يبني مدرسة في موضع صومعته ويجهزها بكل ما يلزم ويجلب لها أساتذة ومدرسين ومفسرين، ويجمع عدداً كبيراً من الطلاب ويهتم بتهذيبهم . وعقد النية وعزم على القيام بهذا المشروع ليتسنى لكل طالب ان يدرس ويتهذب ويتضلع من الكتب ، ويكون الدير موئله ليترهب فيه . فتكون المدرسة والدير واحداً : فهي تلد وتربي والدير يتلمذ ويقدس لعمل الزهد . فأتى بالفعلة والبنائين لكي يحقق ما ارتآه .

الفصل الثامن

المقاومة التي أثارها ربان قاميشوع رئيس الدير ضد مار ايشوعياب

رأى القديس ربان قاميشوع رئيس الدير ولفيف الاخوة الذين ينقادون لمشيئته ويعملون تحت إدارته ان ما يقوم به الجاثليق سيجلب عليهم التعاسة والضجة وانهم سيضطرون الى التخلي عن الصمت وفوائده وعذوبته وعن طريقة الزهد كلها التي يتركز مجدها وجمالها في الحفاظ على السكون ، سواء كان ذلك من جهة اللسان أو النظر أو السمع . فاجتمعوا كلهم وأتوا الى السيد

(١) يعتبر توما المرجي ومعاصروه آثور مدينة الموصل . ونعرف فعلاً ان مدينة الموصل كانت قد أصبحت كرسي المطرافوليط في عهد البطريرك ايشوعبرنون [٨٢٣ - ٨٢٨] . وهكذا فأبرشية آثور الجديدة شملت أبرشية حدياب القديمة أيضاً .

فصمموا يصيحون اليه بالحاح ويناشدونه بخضوع وتواضع أن يعدل عن تحقيق عزمه الذي يحول بينهم وبين الراحة ، وقالوا : « ان هذا ليس مؤاتياً للحياة النسكية ، أي أن نكون قابعين في صوامعنا ونرفع نغمات التهاليل والألحان والأغاني والتراتيل التي يصدح بها الصبيان والساهدون(١) . اننا لم نقرأ في الكتب ولم نسمع ان هذا الأمر جرى في أحد أديرة الآباء . فاننا مدعوون الى العكوف على البكاء والكرب في صوامعنا حسب التعليم الذي وجدناه في الكتب وتلقيناه من أبينا مار يعقوب . فهو لم يأمرنا في حياته أو عند مماته أن نعلم بعضنا فن الموسيقى وقراءة المصنفات، فهمك ان تعود رواد المدرسة . بل على كل منا أن يعتزل في صومعته ويقرأ منفرداً . واذا رغبت في بناية المدرسة فلك السلطة على مدن فارس وقراها بأسرها ، فابنها حيثما شئت . انها لن تكون في هذا الدير ما لم نغادره كلنا » . فأجابهم السيد الجاثليق قائلاً : « ما بالكم تتعارضون بأمر سيعود عليكم بالعز ويولي هذا الدير مجداً وازدهاراً ؟ فان عملي سيكون له نتيجتان فضليان : اولاهما عملية وهي تعليم الكتب الالهية . والاخرى نظرية وهو إشغال العقل والفكر . وهكذا سيصبح دير آبائنا هذا مرآة المحاسن للنبهاء والنشطاء ، ويزداد عدد الرهبان الذين يتخرجون من المدرسة . ولي السلطة ان أفعل هذا لسببين لا يقوى أمامهما أي عائق. لاني أنا الذي جهزت الدير باللوازم الجوهرية والأموال الأرضية ، ولأن لي السلطة الروحية على كل الأديرة والامصار . وعوض ان أهتم باعلاء شأن الامور العامة ، علي بأولى حجة ان اعزز وازين ما هو لي بنوع خاص . فأمر الرب اذن أمنعكم عن إعاقة هذا المشروع الذي فيه مرضاة الله رب الكل »

---

(١) الشهاري او [السهاد أو الساهدون] هم الذين يؤمنون الصلاة ليلاً ، وكانت تجري لهم رسامة خاصة لهذا الغرض وقد ذكرها السمعاني [م . ش . ٣ ، ٢ ص ٨٢٠ - ٢٦] . وبيث شهري أو شهاري [أي بيت السهاد] هو الموضع الذي يقيم فيه هؤلاء الأشخاص ، ويتكون من غرف تقع عند مدخل الكنيسة .

الفصل التاسع

ربان قاميشوع والاخوة يغادرون الدير الى «خربا» قرية سفسفا

حين رأى ربان قاميشوع وبراز سورين الذي تولى رئاسة الدير خلفاً لربان قاميشوع انه يتحتم عليهم مغادرة الدير اذ لا يسعهم ان يقاوموا مار ايشوعياب ، تهيأوا جميعهم مع سبعين رجلاً من رهبان هذا الدير ودخلوا ليلاً الى بيت الشهداء دون ان يحس بهم الجاثليق ، واخذوا صندوق [عظام] القديس مار يعقوب ابيهم الروحي وهم يذرفون الدموع الحرى وينوحون وينتحبون ظانين انه لن يقدر لهم أن يروا هذا الدير بعد ، بل هو خروج لا رجعة بعده ، وذهبوا فوق « خربا » قرية سفسفا عاقدين النية على إقامة دير هناك ليضعوا فيه [ذخائر] ربان ويعكفوا على اعمالهم وسيرتهم . واستعدوا لدحرجة الحجارة واعداد المواد اللازمة لتشييد الهيكل والصوامع ، ولم يدر بخلد اولئك الطوباويين ان الرب سيعيدهم قريباً الى ارث أبيهم يعقوب .

الفصل العاشر

في الحلم الذي حلمه مار ايشوعياب ليلاً ورأى فيه ان الاخوة اخذوا ربان وانتقلوا

لا غرو ان سعي مار ايشوعياب ، وان لم يكن مرغوباً فيه لدى اولئك القديسين ، اذ رأوا فيه عائقاً يصدهم عن تكميل واجباتهم الرهبانية ـ وكان عائقاً بالفعل ـ ، الا انه كان ينطوي

على خير لا يهتم أن يظهر لدى نجاحه . فكرة الخير هي التي حدته الى عقد النية على القيام به . ولو انه لم ينل رضاهم . وقد رأى الرب المسيح نيات كلا الطرفين : نية [الجاثليق] الذي شاء ان يبني مدرسة يزدهر فيها العلم الالهي والتهذيب الروحي . ونية الرهبان الذين يهربون في سبيل حبه لكي يعكفوا على إرضائه في السكينة بعيداً عن الضوضاء . كما نفرض عليهم الخلوة الاشيمونية(١) التي يسكنون فيها . وبينما كان السيد الجاثليق نائماً في تلك الليلة نفسها التي فيها غادروا الدير ، ظهر له ، بين يقظة وسبات ، نسر كبير قوي الجسم طويل الجناحين وفوق ظهره فراخ عديدة ، وخرج من بيت الشهداء الذي كان فيه ضريح ربان يعقوب وطار من الدير متوجهاً شطر الشمال . وكان يسمع صوت الفراخ مزقزقة وكأن أحداً قد اختطف منها طعامها. فاستيقظ سريعاً ، وقد أذهله المنظر وأدهشه الحلم . وأرسل تلميذه ليدعو الساعور . فجاء هذا وقال للجاثليق ، قبل ان يتلقى منه سؤالاً : « منذ وقت وجيز جاء رئيس الدير والشيخ براز سورين مع سبعين رجلاً وأخذوا [عظام] ربان وغادروا المكان . وكل الجماعة مستعدة الآن للالتحاق بهم ومغادرة المكان » . ولما سمع الطوباوي مار ايشوعياب هذا الكلام علم ان الله لا يريد تحقيق مقصده . فقام في اليوم نفسه وكتب اليهم يناشدهم العودة الى ديرهم . أما هو فذهب الى كوفلانا قريته وأقام فيها المدرسة التي كان ينوي تأسيسها في هذا الدير . وعاد اولئك الطوباويون ايضاً الى صوامعهم .

الفصل الحادي عشر

ربان عنانيشوع المعلم والناسك الذي نظم كتاب « الفردوس »

ليس من العدل ان نطوي كشحاً عن ذكر الجليل الانبا عنانيشوع القديس ونغفل نشاطه

(١) يقول باين سميث في معجمه [عمود ٤٠٦] ان « اشيمون » موضع لا ماء فيه . ويقول ابن بهلول أيضاً في معجمه [طبعة روبانس دوفال ، باريس سنة ١٨٨٨ ١ عمود ٣٠٧] ان اشيمون اسم موضع !!

واجتهاده ، بل علينا ان نذكره مع أقرانه ، لأنه مدعو ان يتمتع بصحبتهم بالنعيم السماوي عن يمين الرب . كان الطوباوي عنانيشوع وأخوه ايشوعياب من مقاطعة حدياب . وتلقيا العلم في مدينة نصيبين ، وكانا زميلي دراسة للطوباوي مار ايشوعياب ، وقد ربطتهما به أواصر المودة ووشائج الاخاء . ثم تتلمذا في الدير الكبير ، كما تشهد على ذلك كتبهم الموجودة في مكتبة هذا الدير ، ومنها نعرف انهما قد كتباها هناك . ولما أخذ الأنبا عنانيشوع يزداد تبحراً في كتب الآباء المتوحدين ، فكر في الذهاب الى اورشليم والسجود فيها . ومن هناك توغل في الصعيد المصري واطلع على سيرة الآباء النساك المدونة أخبارهم وسيرهم في الكتب ، وكذلك مساكنهم والبلدان التي قطنوها . وفي طريق عودته اجتاز بالقديس مار يوحنان اسقف المتشتتين الذي ورد ذكره سابقاً[1] ، لكي ينال بركته ويحظى بمحادثته . وعندما عاد الى ديره أخذ أخاه وأقبل الى هذا الدير بسبب الفوضى والخصام اللذين نشبا هناك ، إذ قام بعض الحاسدين والمناوئين للقديسين وطردوا القديس ربان نرساي[2] تلميذ مار باباي ، الذي صار في النهاية رئيس الدير وتلألأ بالفضيلة . وبشأنه كتب مار ايشوعياب ـ وكان لما يزل اسقفاً على نينوى ـ رسالة الى الدير الكبير فيها يوجه اليهم اللوم ويقول : «انكم لم تتصرفوا بالعدل نحو ذلك الشخص ، إذ أخرجتموه من جمعيتكم » . ولما أتيا الى هذا الدير وأقاما في السكوت حسب قانون الرهبان ، تفقه ربان عنانيشوع في معاني الكتب حتى فاق برجاحة عقله كل الذين سبقوه ولحقوه . ولما أصبح مار ايشوعياب مطرافوليطاً لأربيل وأراد ان ينظم كتاب القوانين الذي أرسله الى كل البلدان في عهد بطريركيته ، اختار له مساعداً في تنظيم هذه القوانين الانبا عنانيشوع الحكيم الذي أكن له حباً جماً لما أنتجه من النظم والكتابات . فقد رآه وحده كفءاً للقيام بهذا العمل الخطير نظراً الى عقله الثاقب واطلاعه على الفن الموسيقي والمعنى الصحيح . أما الفاضل والصفي ايشوعياب أخوه فقد اسيم اسقفاً لقرديلاباد وهي السن مدينة بيث رمان[3] . ولعنانيشوع الجليل آيات وتعاريف شتى كان قد كتبها على جدران صومعته . فأتى يوماً أخوه مار ايشوعياب الى هذا الدير ليصلي ، ورأى الآيات الحكمية التي أبدعتها مهارة أخيه عنانيشوع ، فطلب ان يكتب له

(١) راجع الفصل السادس من هذا الجزء .

(٢) عن ربان نرساي انظر الجزء ٢ الفصل ١٨ .

(٣) السن مدينة على ضفة دجلة الشرقية تحت ملتقى هذا النهر بالزاب الصغير ، وكانت مركز اسقفية بيث رمان أو بارما [طالع كتاب العفة عدد ٤٧] .

[illegible] . فلبى عنانيشوع رغبته وكتب له فصولا كثيرة تنطوي على معناها الجلي ، وكل من يطالعها يقف على مدى سمو حكمته . ومطلعها : « الرسالة التي كتبها أخ الى أخيـــه ، الى الفاضل والقديس مار ايشوعياب الاسقف . عنانيشوع يهديك السلام بالرب » . وقد بلغني من الشيوخ القدماء انه هو الذي نقـــل الينا وزودنا بتصحيح الأسماء والكلم الغامضة لكتب الآباء الموجودة في مكتبة هذا الدير ، وهي تفوق بدقتها كل ما جاء في كتابات الآخـــرين . ولما توفي الطوباوي مار ايشوعياب الجاثليق . أصبح القديس مار كيوركيس بطريركاً بعده .

الفصل الثاني عشر

الطوباوي مار كيوركيس الجاثليق(١)

كان القديس مار كيوركيس من «كفرا»(٢) الواقعة في رستاق بيث كوايا في مقاطعة بيث كرماي . وكان والداه غنيين شريفين ولهما في هذه المقاطعة(٣) قريتان هما تلا زالي أو تل زلا (أي تل القصب) وبيث حبا(٤) . فأرسله أبواه ليتفقد هاتين القريتين ويدير شؤونهما . ولما دخل هذا الدير للصلاة والتبرك من الرهبان ساكنيه ، استهوته حياتهم فأراد الانخراط في سلكهم المقدس . وقد نقل إلي أنسباؤه الذين علق ذكره بفكرهم انه دخل الدير بعد وفاة ربان [يعقوب] . وكل الأحداث تشير الى مجيئه بعد هذا التاريخ ، إذ لم يكن قد بلغ سن التلمذة في

(١) ولد كيوركيس في الربع الاول من القرن السابـــع وترهب في دير بيث عابي ثم اقيم مطرافوليطاً لحدياب واخـــيراً جاثليقاً [٦٦١ ؟ - ٦٨٠] خلفاً لايشوعيـاب الثالث الحديابي . ولقد ذكر الصوباوي التآليف التي وضعها كيوركيس الجاثليق [طالع م . ش . ٣ ، ١ ص ١٥٣ ، ٦٠٨] .

(٢) كفرا هي كفري الحالية الواقعة بين بغداد وكركوك على نحو ١٠٠ كم جنوبي شرقي كركوك .

(٣) « هذه » تعني هنا مقاطعة مركا .

(٤) لا يزال اسم « حبا » يطلق على بقعة قريبة من قرية خربا شمالي دير بيث عابي .

ذلك الوقت. ويظهر انه حلق [١] قبل رئاسة ربان قاميشوع. وبعد وفاة والده، طلب كيوركيس الى اخوته ان تكون قرية بيث حبا حصته من الارث الذي يصيبه، وقد وهبها لهذا الدير. وحين كان الطوباوي مار ايشوعياب اسقفاً على نينوى، لاحظ ذكاء الشاب كيوركيس ووداعته وتواضعه، فأحبه كما احب الطوباوي نقطريس [تلميذه] اواغريس [٢]، وقربه اليه. وما إن صار مار ايشوعياب مطرافوليطاً لحدياب حتى اخذ عنده كيوركيس الفضيل المتواضع. ولما اصبح مار ايشوعياب جاثليقاً رسمه عوضه مطرافوليطاً لهذه البلاد، ثم اقامه في عهد بطريركيته مدبراً عاماً على البلدان البعيدة، والتف حوله تلامذة وموالون كثيرون، ومن جملتهم كيوركيس الذي أقامه مطرافوليطاً لفرات ميشان [٣]، وكيوركيس آخر، عدا هذا الذي نحن بصدده، ورسمه مطرافوليطاً لنصيبين، وهو مؤلف تسبحة تقديس البيعة التي مطلعها: « المجد لمراحمك ايها المسيح ملكنا ابن الله الذي يسجد له الكل ... ». وهذان الكيوركيسان الآخران هما من اصل فارسي. ولما أراد الرب أن يستأثر بمار ايشوعياب طلب اليه الآباء الذين كانوا يحيطون به قائلين: « ايها السيد الجاثليق، من تأمر أن يقوم مدبراً للكنيسة من بعدك؟ » فأجاب قائلاً: « ان الانتخاب ليس من شأني بل يعود الى الآباء الأساقفة. ولكني أرى من بين كل الذين يعيشون في زماننا يليق أن يكون كيوركيس جاثليقاً ». وكان الامر كذلك. وحينما رسم، حسب وصية معلمه القديس، كان كيوركيس الفارسي اسقف نصيبين قد اوفده مار ايشوعياب، وهو بعد في قيد الحياة، الى بلاد فارس. فلما عاد وسمع ان الجاثليق أمر بأن يكون كيوركيس خلفاً له، وانه لم يفرق أي كيوركيس يقصد، اوغر صدره بعض المداهنين والطامعين قائلين له: « ان البطريركية

---

(١) « حلق » لفظة تشير الى توشح الراهب بالاسكيم واقتباله اكليل الرأس.

(٢) كان نقطريس هذا اسقف القسطنطينية وتوفي سنة ٣٩٧ م. ويقول « بدج » بأن توما المرجي قد وهم بذكره هنا، لأن اواغريس لم يكن اركذياقونا لنقطريس بل للقديس غريغوريوس النزينزي.

(٣) ان ميسان أو ميشان تقع في الصقع الكائن في دلتا دجلة والفرات، وهي من الدول التي خلفت المملكة السلوقية اثر انحلالها. وكانت مملكة ميسان هذه تشمل «الجزيرة» التي يؤلفها دجلة والفرات والخليج الفارسي. والمؤرخ الكلاسيكي ديوكاسيوس يصفها « بجزيرة في دجلة » [طالع مجلة الاستاذ البغدادية ـ مجلد ١٢ سنة ١٩٦٣ ـ ١٩٦٤ ص ٤٣٣ و ٤٦٣ حاشية ٢٤، مقالة « ميسان » بقلم شيلدن ارثر نودلمان وتعريب فؤاد جميل]. وقد اصبحت ميسان أو ميشان أو فرات ميشان مركزاً للابرشية التي تدعى الآن البصرة. واسم ميشان كان يؤخذ بالمعنى الواسع للدلالة على مقاطعة ميشان كلها وبالمعنى الآخر كان يشير الى مدينة كرخ ميشان [طالع كتاب الديورة في مملكتي الفرس والعرب، في الترجمة العربية للقس بولس شيخو. الموصل سنة ١٩٣٩ ص١].

كانت تليق بك ، وان البطريرك السابق أوصى لك بها دون شك » . وعندما رجع من بلاد فارس وبلغ عاصمة بيث ارمايي[1]، لم يدخل على كيوركيس الجاثليق ، بل ازدراه وأهمله بخيلاء واجتاز الى نصيبين .

الفصل الثالث عشر

تواضع القديس كيوركيس الجاثليق ووداعته

كان هذا القديس منذ صباه قد أرسى حياته على تواضع المسيح ولم يحسب نفسه أهلاً لكرامة ، بل اعتبر ذاته في قرارة نفسه دون الكل ولم يدر في خلده تفكير مثل هـــذا : « اني جاثليق ولي السلطة ان أحتقر ذلك الذي احتقرني وان أسخر من ذلك الذي سخر مني ». وكان باستطاعته ايضاً ان يمنعه أو يوقفه عن الخدمة الى أن يأتي ويبرر موقفه ويظهر الندم على كبريائه. غير انه لم يعط للغضب مجالاً لأي من هذه الاسباب ولم يجد العجب منفذاً الى نفس هذا الرئيس المتواضع . وبينما كان على رأس الكنيسة وكانت تجري بوساطته القدسيات لكل الفئات كمن منهل فياض ، لم يستل سيف العدالة التي تجدر بالله رب الكل وحده ، لكنه فكر بفطنة وحكم برحمة ، لأنه سمع الرب يقول : « من يريد ان يكون فيكم كبيراً فليكن آخر الكل وخادماً للجميع »[2] . فساقته المحبة الى الذهاب الى مدينة نصيبين لكي يصالح المطرافوليط كيوركيس الذي كان ناقماً وحانقاً من غير مبرر .

(١) عاصمة مقاطعة بيث ارامايي هي ساليق وقطيسفون أي المدائن . وبيث ارمايي هـــي المنطقة الواقعة جنوبي بغداد ما بين النهرين .

(٢) متى ٢٠/٢٦ - ٢٧ .

وكان دخول السيد الجـاثليق الى كنيسة نصيبين على النحو التالي : بينما كان كيوركيس وأهل المدينة كلهم مجتمعين في الكنيسة في وقت قداس الأحد ، وكان المطرافوليط في البيم(١) ، وإذا بالجاثليق يدخل . فما ان أبصره المطرافوليط حتى نزل من البيم وخرج من الهيكل وذهب الى غرفته . فساء هذا التصرف في عيني أهل نصيبين واستشاطوا غيظاً على مطرافوليطهم. فصعدوا اليه حالاً وقالوا له : « كيف لا تخجل وكيف نحسبك راعياً ورئيساً وأنت لا تقيم وزناً للتعب الذي تكبده السيد الجاثليق ولعنائه وتواضعه نحوك ؟ فاعلم إذن انك إن لم ترض بمصالحته ولم تظهر الندم على غلطتيك ، الواحدة لأنك احتقرته في المدائن والاخرى هنا في مدينتنا ، فلسنـا رعيتك ولن تكون علينا رئيساً » . فاضطر الى النزول وأظهر كلاهما الأسف بانحناءات متبادلة، ثم قال السيد الجاثليق : « لماذا نفرت وقطعت ربط الخضوع الأبوي وخلعت التواضع وأخللت بالنظام الواجب حفظه تجاه الكرسي الأبوي ؟ » . فقال له المطرافوليط : أنا الذي أقامني رئيسنا ايشوعياب السعيد الذكر لأكون بطريركاً خلفاً له ، لأني انا الذي كنت أعمل طائعاً بين يديه ، وقد طفت بلاد فارس برمتها بأمره » . فأجابه الجاثليق : « أنت طفت بطاعتك له ، أما انا فقد تربيت على ركبتيه المقدستين وهو الذي غذاني بالعلم المقدس ، وهو الذي رسمني مطرافوليطاً على بلاد آبائه ، وأنا الذي أغمضت له عينيه كما فعل يوسف بأبيه يعقوب(٢) . فاذا أنت عملت أمامه فقد كافأك باقامتك مطرافوليطاً على نصيبين وهي أشهر مدن المسكونة ، فحسبك هذا وهو لك أجر مضاعف . فلأي فضل كان يتحتم عليه أن يمنحك البطريركية أيضاً ؟ أولعلك حينمـا رأيتنا متواضعين ـ كما أوصانا الرب ان نكون ـ أردت أن تتعظم علينـا ، كقورح وداثان على موسى(٣) ؟ ولكن اعلم اننا قد سرنا بمقتضى أمر ربنا ووصية الآباء ، أما انت فأظهـــرت على النقيض من ذلك تكبراً أنست سيادتك منه ، فليغفر الله رب الكل لجميعنا آمين » . وهكـذا استطاع بتواضعه أن يهدىء سورة غضب [المطرافوليط] الحانق وضفر لنفسه اكليل النصر في السماء حيث تنتظره السعادة المحفوظة للمتواضعين . أما انا فقد اطلعت على هذه الامور كلهـا ،

(١) « البيم » ومعناها الكرســي أو العرش ، وهو القسم المربع المرتفع الواقع في منتصف الكنيسة الكادانية القديمة . وفيه كانت تقام الصلوات الفرضية والقراءات ايام الآحاد والأعياد ، وكان فيه عرش الاسقف وبجانبه كرسي للاركذياقون أي رئيس الكهنة .

(٢) طالع تكوين ٢٩/٤٦ .

(٣) عدد ١/١٦ ـ ٣٥ .

ايها العزيز مار عبديشـــوع ، من التاريخ الكنسي الذي وضعه مار اثقن (١) الملقب بمستأصل لحيته ، وهو من الدير الكبير .

الفصل الرابع عشر

كيوركيس الآخر مطرافوليط فرات ميشان الذي حنق هو أيضاً وأراد أن يشق عصا الطاعة على السيد الجاثليق

يعيش الابرار في الضيق ، ولا يدعهم الشيطان ينعمون بالسكينة مطلقاً ، بل يقلقهم كل حين وفي كل الظروف ، ويزعج الانقياء ويثـــير عليهم االتجـارب ، وقد سبق المخلص وقال [لتلاميذه] : « سيكون لكم ضيق في العـالم » (٢) ، « اذا كانوا قد اضطهدوني فسيضطهدونكم ايضاً » (٣) . فما أن هــــدأ كيوركيس مطرافوليط نصيبين ورأى الشيطان عظم التواضع الذي اظهره الجاثليق والطريق الطويلة والاتعاب المضنية التي تجشمها ، حتى هب اللعين يسبب للطوباوي اضطراباً جديداً . فلدى عودة الجاثليق الى عاصمة بيث ارامايي ، سمع ان كيوركيس مطرافوليط فرات ميشان اخـذ يسعى به الى الوثنيين وانه يحاول إثارة فتنة عليه . ورغم ان التعب كان قد انهك قوى السيد البطريرك فقد نزل لكي يبطل مكائد الشيطان هناك ايضاً . ولكنه عندما وصل غادر [كيوركيس] المكان وارتحل الى العاقول [الكوفة] . ولما كانت تصرفات القديس متسمة

(١) ترهب مار اثقن في ديـــر ايزلا ولكنه انهى حياته في دير افنيماران [رابـــع عن تآليفه م . ش ٣ ، ١ ص ٢١٧] .

(٢) يوحنا ٢٣/١٦ .

(٣) يوحنا ٢٠/١٥ .

بالتواضع لصد هجمات الشيطان ، فقد استعان برجل روحاني سار في التنسك على درب انطونيوس ومقاريس ، وهو القديس الجليل ربان خوداهوي رئيس دير بيث حالي(١) . وقد لبى هذا القديس رغبة السيد الجاثليق بكل فرح باذلاً كل الجهود الواجبة على المرء تجاه رئيس الكنيسة . وهكذا بوساطة ربان خوداهوي ، وبتواضع السيد الجاثليق هدأ غضب كيوركيس هذا ايضاً . وبعد ذلك نزل السيد الجاثليق الى بيث قطرايي(٢) لكي يصالحهم . لأنهم كانوا قد شقوا عصا الطاعة على كرسي ريوارداشير (٣) وهو كرسي فارس ، ودخل جزيرة ديرين(٤) وحل الهدوء هناك ايضاً . وصعد من تلك الاقطار وجاء الى هذا الدير المقدس وجلب معه ستراً للمذبح نسجت له في جزيرة ديرين في منطقة بيث قطرايي ثم طلب الى الحكيم الانبا عنانيشوع القديس أن ينظم سير الآباء والرهبان ومآثرهم والأسئلة والاجوبة التي كانت تدور بينهم ، ـــ وكان يدعى ذلك كتاب كلام الشيوخ(٥) ـــ فيختار الأسئلة المبعثرة هنا وهناك والمدسوسة بدون ترتيب في تلك المجلدات ، ويلحق بكل سؤال جواباً يلائمه .

الفصل الخامس عشر

تنظيم كتاب « الفردوس »(٦)

لقد عاش الانبا عنانيشـــوع السعيد الذكر الذي دار الحديث عنه قبل قليل في عهد كلا

(١) راجع كتاب الرؤساء ، جزء ١ فصل ٣١ ، حاشية ٣ .

(٢) بيث قطرايي هي شبه جزيرة قطر الواقعة على الساحل الشرقي من شبه الجزيرة العربية في الخليج الفارسي [العربي حالياً] بجانب جزيرة البحرين .

(٣) ريوارداشير هي ريشهر القديمة الواقعة شمالي غربي ريشهر الحالية [بوشير] على الخليج الفارسي [العربي] على حدود الفارس والخوزيستان .

(٤) « ديرين » واقعة على جزيرة بحرين ويسميها ياقوت الحموي « دارين » [طالع معجم البلدان ٢ ص ٤٣٢].

(٥) انظر السمعاني في المكتبة الشرقية [٣ ، ١ ص ٤٩] .

(٦) « الفردوس » ـ هناك كتب عديدة بهذا العنوان ، من أشهرهـا كتاب لبلاديوس وهو يشتمل على تراجم

البطريركين العظيمين وكان خاضعاً لكليهما ، لمار ايشوعياب في تنظيم قوانين كتاب الفرض ، ولمار كيوركيس في تنظيم كتاب الآباء ، وقد تحمل أعباء القيام بهذه المهمة . فطلب صلاة الجاثليق وشيوخ ديره القديسين وشرع في الامر الذي عهد به اليه وأنجزه بنجاح ، فنظم بترتيب متناسق بديع وعقل وضاء ورأي سديد ، - وقد أسبغ الروح شآبيب مواهبه عليه بنوع خاص - ستمئة وخمسة عشر [٦١٥] باباً في اربعة عشر قانوناً وفصلاً ، وكل باب يتبعه سؤال يتطرق الى موضوعه حتى اذا ما تعب الأخ في حرب مهما كان نوعها ، وأراد أن يجني تعزية او يتلقى مشورة في صدد الأمر الذي يقلقه ، يجد في متناول يده نصائح متسلسلة موضوعة بتناسق ونظام عجيب . وسرعان ما يجد تعزية وفرجاً لشدته ، وكأنه يضع مرهماً على جرحه الأليم . وهناك أربعمئة وثلاثون باباً آخر تتطرق الى أنواع الفضائل عامة ، وأبواب اخرى كثيرة لم يضع لها رقماً ولا ترتيباً . واقتبس من شرح انجيل القديس متى الذي وضعه القديس يوحنا [الذهبي الفم][1] الذي فيه يطري مآثر رهبان مصر . واستقى من الطوباوي مار ابراهام النثفري أسئلة وبراهين ، والتقط قصصاً اخرى من كتب الآباء . ووضع الكتاب كله في جزئين : يتضمن الجزء الأول منه قصص الآباء القديسين التي وضعها بللاديوس [٣٦٧ - ٤٢٠] وهيرونيموس [+ ٤٢٠] ، ويحتوي الجزء الثاني أسئلة الآباء وأخبارهم الملحقة بها . وسمي هذا الكتاب « الفردوس » ، وهكذا دخل وقبل في أديرة المشرق كلها ، وقد امتدح الآباء في كل مكان رأيه السديد والجهود التي بذلها في إخراج الكتاب . ولفرط حبي له فقد دونت ذكره الكريم بين قصص القديسين أقرانه وأعضاء جمعيته .

النساك الغربيين ، وآخر ليوسف حزايا ويتضمن حياة النساك الشرقيين . ويجب تمييزهما عن « فردوس عدن » لعبديشوع مطرافوليط نصيبين ، و « الفردوس » الصغير الذي وضعه داود مطران الأكراد . فترجم عنانيشوع الأول من هذه الكتب أي « فردوس » بللاديوس ، وقد تصرف بعض الشيء بترتيب الكتاب [طالع بدج ، كتاب الرؤساء ٢ ص ١٩٨ - ٢٠٦] .

(١) ولد القديس يوحنا الذهبي الفم في انطاكية سنة ٣٤٧ وتوفي سنة ٤٠٧ واشتهر بخطبه البليغة .

الفصل السادس عشر

وفاة القديس مار كيوركيس الجاثليق

انني أعتمد في ما أرويه هنا القصص الكنسية التي وردت مدونة في الكتب او التي تناقلها الحديث ، ومنها ما ورد في التاريخ الكنسي الذي وضعه الجهبذ مار اثقن . فقد جاء في هذا التاريخ ان ملك العرب في زمان مار كيوركيس الجاثليق كان يدعى الحسن بن علي . ويقول المؤلف ان الحسن تسلم زمام الملك في السنة التي رسم فيها كيوركيس [جاثليقاً](١) . وبعد ان خدم كيوركيس البطريركية وساس الحسن المملكة مدة اثنتين وعشرين سنة ، توفي كلاهما في سنتهما الثانية والعشرين . فرقد مار كيوركيس في الحيرة مدينة العرب ، ودفن بجانب مار آبا الجاثليق(٢) الشهيد باكرام لائق بالجهود والأتعاب التي احتملها بحراً وبراً في سبيل الكنيسة المقدسة والأبرشيات المعهود بها الى رعايته ، ولنا خير دليل على سعة علمه وسمو حكمته من الكاروزوث التي وضعها للباعوث(٣) ، ومطلعها : « ايها الاله الموجود منذ الأزل ، الأبدي الصلاح والذي لا يطرأ عا جودته تغير ... » ؛ وقد جعل لها فروعاً بألحان شجية وملحقات حسنة التنسيق .

(١) ان مار اثقن واهم بهذا القول ، لأن كيوركيس أصبح جاثليقاً سنة ٦٦١ وشغل هذا المنصب الى سنة ٦٨٠ ، بينما الحسن بدأ حكمه سنة ٤٠ هـ الموافقة لسنة ٦٦٠م ، وتوفي سنة ٤٩ هـ أي ٦٦٩م .

(٢) ولد مار آبا سنة ٤٩٠ في قرية حالا من أعمال رادان الواقعة جنوبي جبال حمرين على شاطىء دجلة الشرقي بين نهري العظيم وديالى . وبعد أن تربى على الديانة الزرادوشتية ، اهتدى الى النصرانية وأخذ يتردد الى « كنيسة الجص » في قطيسفون . وسافر الى بلدان عديدة وعلم مدة في مدرسة نصيبين [طالع بومشترك ، تاريخ الأدب السرياني بون سنة ١٩٢٢ ص ١٢٠ ـ ١٢٣] . اختير سنة ٥٤٠ جاثليقاً للنساطرة ، وأصبح عرضة في حياته كلها لاضطهاد المجوس واحتمل النفي والعذابات ولكن لم تفتر همته ، بل ظل مثابراً على رعاية الكنيسة وادارة شؤونها الى أن وافته المنية سنة ٥٥٢ . وقيل ان قيورا تلميذه نقل رفاته فيما بعد الى الحيرة [طالع ماري في المجدل ص ٤٥ : طالع عن تآليفه م. ش. ١ ص ٥٨٤ : ٣ ، ١ ص ٣٣ ، ٧٨ ; ٢ ص ٤١٢] .

(٣) انظر كتاب الصلوات للكلدان المسمى « حوذرا » [جزء ١ ص ١٨٣ ـ ١٨٤ : اثنين الباعوث]

الفصل السابع عشر

ربان سبريشوع المسمى « روسطم »

كان سبريشوع المسمى روسطم من قرية حريم[١] في مقاطعة حدياب وكان رجلاً طاهراً قديساً أغرم بمحبة الآباء القديسين الذين قاموا في هذا الدير المقدس وكتب سيرهم. وتتلمذ في حداثته في الدير الكبير لرئيسه الربان مار نرسي. ومكث هناك زماناً، وكتب مقالة في سبب شرح جمعة الذهب[٢] نزولاً عند رغبة الآباء. ووضع أيضاً كتاباً مسهباً بانشاء بديع ومعان جلية سار فيها حيناً على طريقة الجدال ضد الهراطقة وحيناً في شرح المعاني الغامضة الواردة في مختلف الشؤون. ثم غادر المكان الى ديرنا هذا. ولكنه لم يمكث فيه سوى مدة وجيزة. اذ وافاه رهبان من دير بيث قوقا المقدس، فأضطر الى ترك هذا المكان والانصياع الى طلبهم عملاً بنصيحة شيوخ هذا الدير ولأجل خير ذلك الدير المقدس. وألف ايضاً كتاباً بثماني مقالات يتناول تدبير الرب بكامله وتنصر البلدان على يد الرسل الطوباويين ويتطرق الى العفة والسيرة النسكية. وتلبية لطلب الشيوخ القديسين هنا، لاسيما الانبا قرداغ زميل القديس مار ايشوعياب، كتب ايضاً قصة ربان مار ايشوعزخا من دير الجص[٣]، وسيرة مار ايشوعياب وربان مار ابراهام رئيس هذا الدير الذي جاء الى ههنا من دير ربان زخايشوع، وربان قاميشوع. وكتب أيضاً قصة مار ابراهام

(١) طالع كتاب الرؤساء، الجزء ١ الفصل ٤ حاشية ٣.

(٢) جمعة الذهب هي الجمعة التالية لعيد البنطقوسطي أي عيد حلول الروح القدس، وسميت كذلك لأنها تروي اولى اعجوبة اجترحها الرسولان بطرس ويوحنا بشفاء المخلع الملقى عند باب الهيكل في اورشليم، وكان هذا ينتظر منهما صدقة مادية واذا بهما يمنحانه ما هو أثمن من الذهب والفضة، أي الصحة [طالع أعمال الرسل ١/٣ - ١١].

(٣) دير الجص المسمى أيضاً بدير حدياب يقع في جبل حدياب شمال شرقي اربيل.

النثفري(١) وربان مار أيوب الفارسي(٢) وقصة ربان سبريشوع من بيث قوقا . وبعد ان انهكته الجهود واستنزفت قواه وارهقته المساعي التي بذلها في التأليف غادر هذه الفانية الى الراحة الأبدية. واردت أن اضمخ هذا الكتاب بعطر صلاحه واخلد ذكر الحب الصادق الذي اظهر في كتاباته لهذا الدير .

الفصل الثامن عشر

رئيس الدير ربان جبرائيل الملقب « تورتا »(٣)

ايها الاستاذ الحبيب مار عبديشوع ، اني أود أن اخصص من هذا التاريخ فصلاً لسيرة العفيف جبرائيل الذي امتاز بذكاء وقاد وغيرة عارمة على الاعمال المجيدة . بعد ان ترعرع [جبرائيل] في منطقة شهرزور(٤) ، ابى الاقامة في تلك المقاطعة التي يخيم عليها الجهل ولا يتوفر فيها العلم ، فتركها وتوجه شطر مدينة نصيبين حيث عكف على الدرس وتعمق في معاني الكتب المقدسة، ثم دخل هو ايضاً دير مار ابراهام الكبير وجد في قراءة الكتب الكثيرة، وتمرس على مجادلة

(١) ولد ابراهيم النثفري في منتصف القرن السادس في قرية تثفرا أو نفترا [انظر السمعاني م. ش. ١ ص ٤٦٣ ، ٣ ، ١ ص ١٩١] الواقعة على الضفة اليسرى من الزاب الكبير قبل مصبه في دجلة ، وتسمى الآن «الكوير» [طالع موجز ترجمة ابراهيم في كتاب العفة عدد ٤٣ و ٤٤] .

(٢) كان أيوب الفارسي ابن تاجر غني من مدينة ريواردشير ويعيش في عهد كسرى الأول انوشروان [٥١٣ ـ ٥٧٩] . تتلمذ أيوب لابراهام النثفري ، ولدى موت معلمه شيد ديراً على المغارة التي كان يسكنها . وخرب هذا الدير على يد يعلي بن حمران في نحو سنة ٨٠٠م . واننا نجهل موقعه الأكيد ، إلا انه ليس بعيداً عن « تل الحيم » التي ورد ذكرها سابقاً .

(٣) عاش جبرائيل تورتا في القرن السابع .

(٤) يختلف الأثريون في تحديد موقع « شهرزور » المندثرة . إلا أن سهلاً بهذا الاسم يقع بالقرب من حلبجة [انظر مقالة للدكتور ناجي الأصيل في مجلة « سومر » ، سنة ١٩٤٩ ، جزء ٢ مجلد ٥ ص ٣١٥ ـ ٣١٦].

الهراطقة وبالأخص السويريين الحليقين [القاطنين] في دير قرتمين[1] وله معهم جولات وصولات فيها يحرق زؤان تعليمهم البغيض. ولما طرد سهدونا من الكنيسة ، ذهب في اثره الى الرها ، كما يشهد هو نفسه في كتاباته ، اذ يقول :« عندما طرد سهدونا الشقي من الكنيسة ، اضطررت انا جبرائيل ، بغيرة نفسي المتقدة الى المضي اليه الى الرها » ، وهناك جادله وأفحمه[2] . ولما بارح القديس مار نرسي رئيس ذلك الدير المقدس الحياة الزمنية الى الحياة الأبديـــة ، كتب جبرائيل قصة أعماله الجليلة. وجاء في نهايتها : « كفى ربان مار ابراهام وديره فخراً انه منه تخرج القديس ربان يعقوب مؤسس دير بيث عابي الكبير ، فأقام الرب بوساطته ملك الديورة». ومن هنا جرت العادة في كل مكان ان يسمى دير بيث عابي « ملك الديورة » . وصار هناك رئيساً للدير فترة وجيزة ، ثم غادر المكان وأتى هذا الدير . وعندما انتقل ربان قاميشوع الى ديره ، خلفه براز سورين . وهذا أيضاً توفي وخلفه الطوباوي مار برصوما الذي كتب اليه مار حنانيشوع رسالة في أوائل بطريركيته . ولما قضى برصوما نحبه ، تسلم ربان جبرائيل رئاسة هـــذا الدير المقدس . وقد وضع [جبرائيل] مقالة في غسل الأرجل تقال يوم عيد فصح الرب ، وألف أيضاً قصة بطولات شهداء جبل برآبين[3] القديسين وقصصاً اخرى مختلفة . أما القصيدة التي تقال في ذكرى ربان يعقوب فليست من وضعه حقاً ، بل كتبها مار جبرائيل مطرافوليط كرخ بيث سلوخ الملقب بجبرائيل « الراقص » ، وسيأتي الكلام عنه في حينه .

---

(١) دير قرتمين يقع على مسيرة اربع ساعات شرقي مديات في طور عبدين ، أسسه الناسكان مار صموئيل ومار شمعون عام ٣٩٧ . ثم اطلق عليه اسم رئيسه واسقفه مار جبرائيل [+ ٦٦٧] [طالع اللؤلؤ المنثور ص ٦٣٠] ويعرف أيضاً بدير « عمر » لكونه أشهر أديار طور عبدين .

(٢) ان هذا ادعاء محض ، لأن سهدونا لم يزل على معتقده الكاثوليكي الى أن وافته المنية ، وانه لم يكن أقل في العلم من جبرائيل لكي يتغلب هذا عليه في الجدال .

(٣) هؤلاء الشهداء هم اذربروا وميهرنرسا واختهما سلطان ماهدوخت وغيرهم ممن استشهدوا في سنة ٣١٩م أي في السنة التاسعة او العاشرة من حكم شابور الثاني الذي دام ٧٠ سنة [٣٠٩ ـ ٣٧٩] [انظر التاريخ السعردي ١ ص٧٧ ـ ٧٩ . والطبري طبعة اسطانبول ٢ ص ١٧٤ ـ ١٨٠ . كلدو وآثور لادي شير ٢ ص٦٠ ـ ٦١ ، شهداء المشرق ١ ص ١٤٣] . وذلك قبل الاضطهاد الأربعيني الذي ابتدأ في سنة ٣٣٩ .

الفصل التاسع عشر

ربان مار ابراهام رئيس دير ربان زخايشوع

قد تبان القصص التي أنقلها هنا بغير تسلسل متناسق ، لكني أحسبني حافظت ، جهد مستطاعي ، على ترتيب الأزمنة والأشخاص بمقتضى التقليد القصصي الذي وصلني من آبائي ، ولا غضاضة إن كان ثمة بعض التأخير والتقديم في الأشخاص ، لاسيما وان حكمتك ، أيها المنير العقل والمحب سير القديسين ، طلبت إلي انأعمل عاجلاً في التأليف وادلي أمامك بكل ما يمت بصلة الى حياة النساك الذين عاشوا في هذا الدير ، وازودك بمعلومات عن حياتهم . وقد حان الأوان للتطرق الى قصة ربان مار ابراهام من بيث ربان زخايشوع ، ولو انها جاءت متأخرة قليلاً عن مكانها .

قدم [مار ابراهام] في شيخوخته الى هذا الدير المقدس هرباً من البرد القارس الذي يسود منطقة داسن . ولدى وصوله ههنا ، ـ وقد سبقته شهرته وتفوق نسكه السامي ـ . أقامته جماعةالاخوة رئيساً عليها . فقاد هؤلاء الأبناء النشطين في سبل الحياة الفاضلة التي تفضي بصاحبها الى السماء . وأجرى هنا عجائب وآيات باهرة سامية اطلعنا عليها من القصة التي كتبها عنه روسطم الفاضل . وطيلة مدة إقامته هنا ، كان في آن واحد رئيساً لهذا الدير ولدير ربان زخايشوع الذي منه خرج . وعين وكيلاً ومدبراً واحداً لكلا الديرين، فلم يكن رهبان ذلك الدير يصنعون شيئاً بدون الوكيل الذي كان مفوضاً من هذا الدير ، ولا رهباننا يخالفون أمراً للوكيل المقام من ذلك الدير . وكان هذا الوئام مدعاة لتمجيد الله ، وقد انتشر خبره في جميع ديورة هذه البلاد ، ولا عجب في ذلك ، فان ربان يعقوب وربان زخايشوع قد تخرجا كلاهما من دير ايزلا المقدس ، ولم يكن انقسام في محبتهما . وبعد ان استأثرت رحمة الله بالطوباوي

مار ابراهام وانتهى الى مثوى القـــبر ، كما تجمع كومة الحصاد في اوانها[١] ويرفع النصب في حينه[٢] ، استمرت هـــذه العادة زماناً طويلاً ، بأن يكون وكيل ومدبر واحد لكلا هذين الديرين المقدسين .

الفصل العشرون

الرؤساء الآخرون الذين ساسوا هــذا الدير

بعد كل ما كتبته الى الآن ، كان بودي ان اتطرق الى مآثر الآباء القديسين الذين خلفوا هؤلاء في هذا الدير المقدس وعن سيرتهم الفاضلة ، أي الى ربان كيوركيس الحديابي الملقب بابن الصيادين ، وساما أخيه ، والانبا تثنائيل والانبا صليبا وربان جبرائيل الذي كان يدعى « عصيفير »، هؤلاء المدفونة اجسادهم في بيث سوباعا[٣] . ولكن بما ان الاسقف مار داود[٤] ـ وهـــو من الدير نفسه ـ قد سبق وكتب عنهم وعن آخرين استجابة لطلب « خوازناهير » المؤمن من قرية باشوش[٥] ، لذا فأمر بهم مروراً ، واتحدث عن الذين لم تكتب سيرهم .

(١) طالع سفر ايوب ٥/٢٦ .

(٢) اشعيا ٥/١٧ .

(٣) « بيث سوباعا » عبارة تعني عامة غرفة الطعام ، وهنا تعني أيضاً القسم من الكنيسة الذي فيه تتلى صلوات بعد وجبة طعام العشاء .

(٤) هو داود الذي صار اسقفاً في عهد البطريرك طيمثاوس الاول الكبير [٧٨٠ ـ ٨٢٣] . وقـد زودنا الصوباوي بلائحة مؤلفاته في جـدوله الشهير [طالـع السمعاني ، م. ش. ٣ ، ١ ص ٢٥٤ ؛ رايت ، الأدب السرياني ص ٨٤٥] .

(٥) باشوش [شوش الحالية] قرية في منطقة صفسفا على بعد ١٢كم في الشمال الغربي من بلدة عقرة .

الفصل الحادي والعشرون

الانبا شمعون الملقب بالسنوط (الأمــرد)

اطلب الى حكمة القراء البصيرين - اينما وقعت ايديهم على هذا الكتاب ، ألا يذموني اذا ما لاحظوا فيه قصة مقدمة واخرى مؤخرة عن ترتيبها . اذ ليس بوسعي ان اكتبها جميعها بالتسلسل المطلوب ، خوفاً من قطع مجرى القصة والسير بها الى اتجاه آخر يشوهها ويجعلها شبيهة بحيوان يحاول السير على قدمين . وهذا أمر محال . فما العمل ؟

كان في ديرنا هذا في عهد الطيب الذكر مار كيوركيس الجاثليق البطريرك رجل شيخ قديس اسمه شمعون . وبسبب صرامة معيشته وشــدة زهده لم يبق شعر على ذقنه ، كما حدث لآخرين أمثاله . ولذا فكان يلقب بالأمرد وكان رجلاً عظيماً كريماً يشرف بسدادة رأيه على ادارة امور الدير ويتسم بشيخوخة تشــع بأنوارها الى مدى بعيد ويتحلى بأفكار سامية وروح عالية . وكان مثل تاجر حكيم جمع في نفسه كل كنوز الروح حتى تمت فيه كلمة الرب : « ان كل كاتب يتتلمذ لملكوت السماء يشبه رجلاً حكيماً يخرج من خزائنه جدداً وعتائق »(١) . ولكونه يسبق زماننا بكثير ، فقد طغى النسيان على كل أمجاده .

---

(١) متى ٥٢/١٣ .

الفصل الثاني والعشرون

نزول ربان شمعون عند الجاثليق كيوركيس

صعد الطوباوي مار كيوركيس البطريرك من بلدان فارس وبيث قطرايي ، بعد أن أمضى هناك مدة غير يسيرة ، وكان الفرح والقلق يتنازعان هذا الدير المقدس بشأنه . فما ان سمع جمع الشيوخ القديسين بعودته الى كرسي بيث ارمايي الأبوي ، حتى فكروا في ان يرسلوا أشخاصاً محترمين لمواجهة أبي الآباء والسلام عليه . فطلبوا جميعهم الى الرئيس الأنبا شمعون الموقر ان يكون وسيطاً لدى ذلك القديس لتقديم الاكرام الواجب لأبويته . فرضي الشيخ القديس بفرح ونزل هو وآخرون الى باب البطريرك . وحينما دخلوا مدينة الحديثة(1) قبلهم في بيته رجل تقي كانت امرأته عاقراً . ومثل الشونمية(2) وبعلها الورعين اللذين وهبا ابناً بصلوات النبي اليشاع الذي دخل بيتهما ، فانه حينما سأل الانبا شمعون هذين الشخصين عن شأنهما ، أطلعاه على دخيلة الامر قائلين : « ان الله لم يهبنا قط ابناً وارثاً لشيخوختنا » . فأعطاهما القديس ماء باركه بالصليب الذي كان يحمله وقال : « سيعطيكما الله ابناً ذكراً وسيدعى يوحنان » . ثم استأنف طريقه متوجهاً الى ابي الآباء .

(1) « الحديثة » وهي حديثة دجلة وليست حديثة الفرات التي هي الآن محطة لضخ النفط . فحديثة دجلة تقع بالقرب من مخلط الزاب الكبير بدجلة في الموقع المعروف الآن بتل الشعير القريب من مرقد سلطان عبدالله الذي هو دير برقانا القديم . وقد رأينا سابقاً انيوناداب كان قد جعلها مركزاً لمرعيث تابع لأبرشية حدياب [انظر كتاب الرؤساء جزء ١ فصل ٢٧ حاشية ٢] . وآخر ذكر ورد لوجود مسيحيين في الحديثة يرتقي الى القرن الرابع عشر ، ثم اندثرت المدينة نفسها بعدئذ [طالع معجم البلدان لياقوت الحموي ٢ ص ٢٣٠ ، صورة الأرض ص ٢١٩ ، المسالك والممالك ص ٧٥] .

(2) ٢ ملوك ١٧/٤ .

الفصل الثالث والعشرون

مار يوحنان الديلمي[1]

ان القوة الالهية التي ترافق الصالحين والتي أجرت وتجري في كل الأجيال بوساطتهم أعمالاً مدهشة ، كما عملت لسارة[2] ورفقة[3] وحنة[4] والشونمية[5] ، هي التي حققت لهذين المؤمنين [امنيتهما] ، وولد ابن لشيخوختهما في السنة التالية، حسب صلاة الشيخ القديس ونبوءته فسمياه يوحنان كما أوصاهما ربان [شمعون] . وقد قدس الله الاولاد الذين ولدوا من العقر وخصصهم بخدمته واهتم بهم وجعلهم عظماء وأماجد في عصورهم ، كما فعل لاسحق[6] ويعقوب[7] وصموئيل[8] وآخرين. فهو سبحانه يظهر اموراً خاصة في قديسيه ويبدلهم من جسديين أثماراً روحية ـ وقد أقام الشخص الذي نحن الآن بصدده شاهداً على عمله السامي ، كما انه اختار صموئيل القديس منذ صباه واختصه بخدمته ، وتوسما فيه كل الخير واليمن . ولما ولد [يوحنان] طابت نفس والديه المؤمنين ، وانشرح صدرهما ، فأدخلاه المدرسة باهتمام عظيم . ويعرف الرب الذين اصطفاهم ويمهد السبيل أمامهم ليعرفوه هم ايضاً . فقد تعلم الولد في مدة وجيزة المزامير وبقية التعليم الذي يلقى على الصبيان . ولما بلغ من العمر أشده ، وقبل ان يختبر أميال الجسد وانحراف الأهواء ، ترك كل شيء ووالديه الشيخين السعيدي الذكر وأتى هذا الدير

---

(١) ديلم منطقة واقعة في الجنوب الغربي لبحر قزوين .

(٢) تكوين ٢١/١ .

(٣) تكوين ٢٥/٢١ .

(٤) ١ صموئيل ١/٢٠ .

(٥) ٢ ملوك ٤/١٧ .

(٦) تكوين ٢١/١ ـ ٦.

(٧) تكوين ٣٥/١١ .

(٨) ١ صموئيل ٧/ ١٥ ـ ١٧ .

المقدس . ولأن كثيرين قد كتبوا عن الطوباوي ، ولا سيما ابو نوح[1] طيب الله ثراه ، لذا فاني اتكلم عنه بايجاز . انه جاء في عهد القديس مار ابراهام رئيس دير بيث ربان زخايشوع ، كما سأبين ذلك فيما يأتي . والنعمة الالهية التي اوجـدته بصلوات القديس الانبا شمعون هي ذاتها استقدمته الى باب صومعته . وكما صار هذا وسيطاً لمولده ، أصبح كذلك مرشداً لصباه وهادياً له في سبيل الحياة النسكية . ولما استخبره من هو ومن أين وما سبب مجيئه الى الدير ، اخبره الصبي بذلك شيئاً فشيئاً ، فأحبه كثيراً ، وسر به سرور يعقوب الشيخ برؤية يوسف حبيبه[2] . ولأجل مكانة الشيخ القديس الرفيعة في هذه الجمعية ، ولأن الشيوخ القديسين علموا كيف جرى مولد الصبي ، لم يمنعوه من رتبة الاكليل [سوبارا] رغم صغر سنه . وارسل في مدة ابتدائه ليعتني بكرم الدير في قرية « دورا »[3] الواقعة في نحلا دملكا . وقد استمر في هذا العمل زماناً طويلاً عاكفاً على ممارسة الفضيلة مثل شيوخ تمرسوا بالسيرة الرهبانية منذ صباهم ، ورتب له في الكرم مغارة صغيرة كان يعبد الله فيها ويسهر ويكد طيلة اقامته هناك . والى اليوم تجري آيات وشفاء أمراض بصلاة ذلك القديس . ويشهد المؤمنون الفضلاء من سكان تلك القرية انهم يستشفعونه في كل ضيق مستمدين صلاته فينالون الراحة ويأتيهم الفرج . وكان الشيخ البار اليشاع يقول : « عندما ارسلتني الجمعية لأهتم بالكرم ، كانت آثار أصابع الطوباوي لا تزال بادية في الطين الذي كان قد سيع به تلك المغارة . وبينما كنت يوماً في الكرم وحيداً هاجمني الأكراد ليأخذوا الادوات والقوت الذي في حوزتي . ولما شـعرت بأنهم يثلمون السياج ويدخلون ، دعوت القديس مار يوحنان الى إغاثتي . فرأيت اذ ذاك رجـلاً شيخاً فارع القامة واقفاً على باب المغارة متوشحاً بلباس نوراني مجيد . وما أن رأيته حتى غمر الفرح قلبي . أما السراق فقد اصيبوا بغشاوة في بصرهم ولم يعثروا على المغارة . وبعد أن تسكعوا في الظلام طويلا ولم يهتدوا الى شيء ، تركوني وولوا . وهكذا فقد حفظني الله مع كل ما كان معي بصلاة ذلك القديس . وغرس الطوباوي هناك شجرة

(١) أبو نوح الانباري هو تلميذ ابراهام بردشنداد ، وكان زميلاً في الدراسة للبطريرك طيمثاوس [٧٨٠ ـ ٨٢٣] في مدرسة باشوش . ثم أصبح أبو نوح كاتباً لحاكم الموصل أبي موسى بن مصعب . وقد ساعد الجاثليق طيمثاوس كثيراً فأثنى هذا عليه كل الثناء في رسائله [طالع م. ش. ٣ ، ١ ص ٨٢ ، ١٦٤ . ٢١٢] .

(٢) تكوين ٤٦/٢٩ .

(٣) دورا وتسمى الآن «دفرية» تقع في وادي نحلا ، وفيها حتى الآن شجرة تسمى شجرة مار يوحنان .

جوز لم تحمل مثل اثمارها اية شجرة اخرى في أي مكان . وقد اخذ كثيرون غرساً منها وشتلوا ، ولكن الشجرة لم تنبت قط . وكما كتب عن النبي صموئيل[1] انه سمع صوته من دان الى بئر سبع ، كذلك جرى الحديث عن الآيات التي كان هذا يجترحها منذ صباه .

الفصل الرابع والعشرون

في المجاعة التي اجتاحت هذه المنطقة في ذلك الزمان
وفي ذهاب يوحنان ومعلمه الى وادي « بيث كزا »

في الكتاب الذي وضعه المفضال داود اسقف الأكراد والذي دعاه « الفردوس الصغير » وبدأه بسيرة رئيس الدير كيوركيس ابن الصيادين ، يخبرنا الكاتب في قصة الانبا صليبا الآرامي انه حدثت مجاعة كبيرة في هذه البلاد . ومن هنا يبدو ان الطوباوي مار يوحنان قبل الاكليل [سوبارا] من يد مار ابراهام ، لأن ابراهام كان قد رقد بالرب في زمان هذه المجاعة . واشتدت وطأتها ولم تردهم المعونة من أي مكان . وكان للأنبا شمعون ثلاثة تلاميذ ، من جملتهم هذا الطوباوي يوحنان ، فدعاهم وقال لهم : « هلموا يا أولادي نغادر هذا المكان ونيمم شطر الجبال ونقتات بأوراق الأشجار فندرأ عنا خطر الموت » . وأخذهم ومضوا الى وادي بيث كزا ، ويقول آخرون الى منطقة سلاخ . وشرعوا هناك يقتاتون بأوراق الأشجار ، والشيخ المبارك يرشدهم الى ما فيه خلاص نفسهم حتى دنا اجل الربان شمعون . فدعا تلاميذه كما دعا يعقوب أولاده[2] وقال لهم : «هلموا إلي يا تلامذتي فأقول لكما سيكون مصيركم بعد انتقالي من عندكم» . ولما دنا الأول ، قال له الربان : « انت سيختطفك الذئب » . وقال للثاني : « انت يا بني لن يعرف أحد الطريقة التي بها تنتقل من العالم » . و « أما انت ، يا ابني يوحنان ، فالرب سيرفع شأنك بالآيات والبواهر ويجعلك رئيساً عظيماً في هداية الوثنيين البرابر وفي جمعية الاخوة الرهبان » . وقد جرى لثلاثتهم حسبما تنبأ به عنهم القديس ، كما هو مكتوب في قصته .

(١) ١ صموئيل ٣/٢٠ . (٢) تكوين ١/٤٩ .

الفصل الخامس والعشرون

كيف سبى البرابرة يوحنان

لما وافت المنية ذلك الشيخ القديس وظل تلاميذه الثلاثة في مغارته ، أخذ أحدهم الكتب التي انتسخها استاذهم الطوباوي وانحدر الى القرى ليبيعها ويأتيهم بما يسد رمقهم . ولما رأى العالم وجماله ، تزوج . هذا هو ذلك الذي اختطفه الذئب . وإذ مكث الآخران أياماً عديدة ولم يعد اليهما رفيقهما ، نزل الثاني ليرى ماذا جرى له ، ولم يرجع هذا أيضاً ولا أحد يعرف ما حدث له . ويقال انه انزوى متنسكاً في الجبال الداخلية . ولما استبطأ يوحنان الفاضل رفيقيه انحدر ليرى ماذا كان من أمر أخويه . وشاءت العناية الالهية ، تحقيقاً للنبوءة التي أعلنت عنه ، ان يخرج الديلميون الى غزو البلاد التي كان فيها الطوباوي ونهبها ، فقبضوا عليه أيضاً واقتادوه الى بلادهم . وفي ما قلته عن هذا القديس الكفاية ، فقد كتب [آخرون] عنه الشيء الكثير .

الفصل السادس والعشرون

ربان يوسف رئيس الدير

ان القديس ربان يوسف . كما نعلم من قصته ، هو من بلاد شهرزور ونسيب الطوباوي ربان جبرائيل الملقب بـ « الراقص »(١) . وقد أقبل الى هنا في عهد ذلك الشيخ المبارك وتتلمذ

(١) جبرائيل الراقص هو الذي أقامه بعدئذ البطريرك صليبا زخا [٧١٤ - ٧٢٨] مطرافوليطاً على بيث كرماي [طالع ابن العبري ، التاريخ الكنسي ، ٢ عمود ١٤٩ وحاشية ٢] .

له ، وكان [يوسف] رجلاً متواضعاً ووديعاً وكدوداً زاهـــداً ، وعد كل الأرضيات قبض ريح ونفاية ازاء السيرةالنسكية . وإذ كان يمتاز بالفضل فيالسيرة الرهبانية الممدوحة الزاخرة بالحياة، فبعد تعاقب الرؤساء ، وقع اختيار الجمعية كلها عليه ، فجعل رئيساً ومدبراً للاخوة . وقام بأعباء هذا المنصب أربع سنين ثم ترك الرئاسة لأسباب سأذكرها قريباً ،

الفصل الســابع والعشرون

الجاثليق صليبا زخا وقدومه الى هذا الدير

بعد وفاة مار حنانيشوع الجاثليق(١) البطريرك المقدس الذكر رئيس الآباء ومنهل النعم والفواق في الامور الروحية ، قام برئاسة الكنيسة صليبا زخا . وكان هذا ، حسب ما جاء عنه في التواريخ الكنسية ، رجلاً جشعاً متعجرفاً . فلما سمع عن كتاب الانجيل الذهبي الذي استحصله السعيد الذكر مار ايشوعياب لديرنا هذا ، أتى بدافع الخيلاء ليستولي عليه ويحمله معـــه الى عاصمة بيثارمايي . فدخل الدير واستقبله الرهبان بفرح ، كما استقبلوا أسلافه البطاركةالذين جاؤوا لاكرام هذا الموضع والسجود فيه ، إذ ذاك طلب من ربان يوسف رئيس الدير أنيجلب له ذلك الكتاب ليمتع به نظره . فأجابه الى طلبه ، اذ لم يكن بوسعه ان يمانعه ، وهو لا يعرف ما يضمره الجاثليق ، فأخرج السفر من المكتبة وأعطاه إياه . أمـا الجاثليق ، فما ان وقع بصره على رونق الكتاب وجماله ـ وكان موشى بالذهبالابريـــز وبالأحجار الكريمة ـ حتى كلف به وأخذه ووضعه في حقيبته . فاعترضه رئيس الدير وقال له : انك لست تتصرف حسناً ، إذ تأخذ

(١) راجع كتاب الرؤساء جزء ١ فصل ١٨ حاشية ٢ .

كتابنا ظلماً » فقال له الجاثليق : « انكم رهبان وما حاجتكم الى هذا الكتاب ؟ فالأولى أن ينعم به المؤمنون » . وأمر الذين برفقته بالرحيل فوراً . وإذ ذاك قرع ناقوس الجمعية ، وسرعان ما هرعت ثلة من الرهبان الشباب الأشداء وسبقوا الجاثليق ، كما سبق داود جلياد(1) وانقضوا عليه وأخذوا يرشقونه بالحجارة والعصي ، وما ان وصلوا اليه حتى رموه عن بغله وانهالوا عليه ضرباً بالأكف والقبضات بنوع مشين . وقد كان باستطاعتهم ان يستردوا الكتاب بدون الضرب. ولكن شاء الله أن يصيبه ذلك . لأنه أراد الاستيلاء على ماليس له . وحينما سمع الشيوخ القدماء ما قام به المبتدئون ، اجتمعوا وخرجوا لمراضاة الجاثليق وشرعوا يعتذرون عما جرى بدون علمهم وارادتهم . وهكذا قدروا أن يهدئوا سورة غضب الجاثليق ، ثم قفل راجعاً من عندهم .

الفصل الثامن والعشرون

انتقال ربان يوسف الى دير ربان برعيتا(2)

لما رأى الطوباوي يوسف رئيس الدير ما فعل الاخوة بالجاثليق صليبا زخا ، تخلى عن الرئاسة واعتزل في صومعته . وسمع بذلك رهبان دير برعيتا ، فجاؤوا في طلب الطوباوي إذ لم

(1) ١ صموئيل ١٧/٤٠ .

(2) هناك دير ينسب الى برعيتا شمالي قرية ترجلا الواقعة على مسافة ٦ كم في الشمال الشرقي من قرية كرمليس فوق الطريق المؤدي من الموصل الى اربيل [طالع مجلة النجم ٧ سنة ١٩٣٥ ص ٤ ـ ١٠ ؛ الشابشتي لكيوركيس عواد ص ٢٦١] . ولكن ترجلا ليست في مقاطعة مركا بل في نينوى ! ويؤكد ايشوعدناح البصري مراراً وتكراراً ان دير برعيتا كان في مقاطعه المرج [طالع كتاب العفة ، عدد ٩١ و ١١٣] ، وانه في غربي المرج [عدد ١٥]. وتزودنا قصة برعيتا بتفاصيل اخرى اذ تقول ان ديره يقع في بلاد مركا بالقرب من مقاطعة نينوى [طالع القصة ص ١٨٦] ، وفي سهل مركا ، بين مركا ونينوى [القصة ص ١٩١] ، وعلى الضفة الشرقية من نهر الخازر في مجراه بين نينوى ومركا ، أي بعد مصب نهر الكومل فيه ، وقبل اتصاله بالزاب الكبير . وقد ذكره الجغرافيون العرب [طالع

يكن لهم رئيس ومدبر . ونزولاً عند رغبتهم وعملاً بمشورة شيوخ هذا الدير ، ذهب وصار هناك رئيساً ومدبراً ، سائراً بالاستقامة التي تفرضها الرئاسة .

الفصل التاسع والعشرون

هرب الربان يوسف من قدام اياس الشيباني الذي أراد قتله

وكان بجوار ذلك الدير رجل اسمه اياس ، وكان من بني شيبان ، وقد اقيم حارساً لأراضي ذلك الدير وسائر ممتلكاته . فطلب بمكر الى اولئك الاخوة ان يعطوه موضعاً ليبني فيه منزلاً لايواء قطيعه . فسمحوا له ببساطتهم ان يبني حيثما شاء فبنى داراً [موئلا] على حافة درب الملك في اراضي الدير . دعاه الرائحون والغادون « خان اياس ». ثم أخذ نفوذه بالازدياد رويداً رويداً حتى استولى على الاراضي المجاورة كلها واغتال وكيل الدير . وكما فعل [هيرودس] اغريبا[1] ، الذي بعد أن قتل الطوباوي يعقوب أخا يوحنا ، تمادى في الشر فألقى القبض على شمعون الصفا أيضاً . كذلك أراد أن يفعل هذا الوقح . فما ان قتل ذلك الطوباوي والقى بجثته الطاهرة في بئر ماء مزرعة الدير، التي تدعى الآن «محرقية» ، حتى أرسل ليلا متحسسين الى الطوباوي ليكتشفوا محل اقامته ويفتكوا به . أما الطوباوي ، فلما اطلعه المؤمنون الساكنون بجوار الدير على ان هذا الشرير حانق عليه ويريد الاطاحة به ، غادر المكان وانتقل الى جوار مدينة « بلد » في حدود قرية « اوانا»[2] الواقعة في مقاطعة بيث نوهدرا . وهناك اسس الرب بواسطته ذلك الدير

مسالك الأبصار ، القاهرة سنة ١٩٢٤ اص٣٠٣ ؛ حبيب زيات ، الديارات النصرانية في الاسلام ، بيروت سنة ١٩٣٨ ص ٥٨ ـ ٥٩] . أما الدير الذي تبدو آثاره بالقرب من قرية ترجلاً فلم ينسب الى برعيتا إلا في عهد متأخر جداً وليس ديره الأصلي [طالع أيضاً كتاب الرؤساء جزء ١ فصل ٤ حاشية ٢] .

(١) أعمال الرسل ١/١٢ .

(٢) يجب التمييز بين « أوانا » هذه واخرى واقعة في منطقة الطيرهان في بيث كرماي جنوبي تكريت . وكانت

المقدس الذي يدعى باسمه إخلاداً لذكراه . وأنا قد اطلعت على هذه الامـــور كلها من ترجمة القديس [يوسف] التي كتبها مار اثقن الراهب المتزهد من دير القديس ربان افنيماران .

الفصل الثلاثون

ربان مار يوحنان مطرافوليط حدياب

اني لأكون عدواً للحقيقة ولكلام المسيح الحي إن أظهرت بعض المداهنة للناس في هذه الكتابات ، او اذا تجرأت فتشبثت بأمور تفوق طاقتي في سبيل الحصول على أرباح نجسة . ولكني اظهر نقياً ونزيهاً إذ اكتب هذه الامور وانجزها واعلنها حباً بالله واستجابة الى رغبة قديسيه . فأنا اذن أركن أولاً في ما أكتب الى حديث التقليد الذي وصلني ، واضيف اليه مما عنـــدي ، لأسرد أخبار القديسين، ولا أنتقص شيئاً من بهائهم بكلماتي الوضيعة. ولا أدنسهم بسيرتي الدنيئة. فاننا نقتطف الورد من بين الأشواك ، ولكننا حينما نلتذ باستنشاق رائحته الذكية ، تنتفي فكرة الأشواك من ذهننا . ويقول الخبراء بالزراعة ان الناس يزرعون حول الورد الثوم والبصل وسائر النباتات الكريهة الرائحة ، لأن الورد بقربهـا يكتسب رائحة أذكى ولوناً أبهى . فلتكن هذه القصة التي أكتبها بمثابة ورد ، ورائحة نتانتنـا بمثابة الكراث والبصل والثوم ، فيزداد شرف [القديسين] ويعظم مجدهم .

كان للأنبا عنانيشوع الذي ورد ذكره سابقاً ابن أخ اسمه يوحنان وقد تتلمذ في هـــذا الدير بينما كان عمه لا يزال في قيد الحياة . وبعد وفاة الانبـا عنانيشوع ، أصبح وارثاً لسيرته

هذه الأخيرة مسقط رأس سبريشوع مؤسس دير بيث قوقا وابن بهلول صاحب المعجم الشهير . وهناك قرية اخرى تسمى « أوينا » تقع في مقاطعة حدياب على مسافة ١٨كم شرقي « نثفر » [الكوير] . أما « اوانا » التي نحن الآن بصددها فهي تقع ازاء بلد [أسكي موصل] على الشاطئ الشرقي من نهر دجلة .

وعلمه وصومعته وكل شؤونه . فأضاف يوحنان الى المكتبة كل الكتب التي وضعها وخلفها عنانيشوع وأخوه ايشوعياب . وقد صور في نفسه كل الخصال الحميدة التي يتقدس بها الانسان ويصبح أهلاً لسكنى الله . ولان محتده كان مباركاً في كلا أبويه الروحي والجسدي فقد أصبح أخيراً رئيساً ومدبراً لهذا الدير المقدس . وذاع خبر برارته في كل صقع ، وسيم اسقفاً لبلاد بيث بغاش(١). ولما وافت المنية الطوباوي مار شمعون المطرافوليط ، وقع عليه اختيار الأساقفة مع الولاة ومؤمني حدياب ، فرسمه مطرافوليطاً الجاثليق مار صليبا زخا الذي دار الحديث عنه قبل قليل . فزان رئاسته بكل المحاسن ومنع جسده من كل لذيذ ، فلم يمل قط الى شرب الخمر ولم يتدن الى أكل الأطعمة غير الطاهرة ، وكان يكره كل المجد الزائل . وكان قد استقى من فيض علم البار القديس عنانيشوع حياة خالية من كل شائبة ، وحافظ باخلاص حتى النهاية على تعليم عمه واستاذه ، وبسبب تعلقه بهذا البيت المقدس لم يكن يغادر صومعته البتة عاكفاً فيها على الاختلاء . وفي زمان هذا القديس شيد بنو قرية « بيث بوري »(٢) الواقعة في مقاطعة نينوى هيكلاً فخماً وجميلاً كلف نفقات باهظة . وكان اسقفهم البار أفرام من هذا الدير المقدس . فلما أرادوا تقديس ذلك الهيكل أقبل افرام نفسه الى المطرافوليط مار يوحنان في هذا الدير . اجابة الى رغبة الاسقف والبوريين ذهب [المطرافوليط] القديس وقدس ذلك الهيكل . وبعد زمان طويل قضاه في الرئاسة رقد في هذا الدير المقدس. فحيث ولد بالروح وتهذب وانتخب وعظم بالرئاسة ، ليقم من القبر مع الآباء القديسين الدين ولدوه ، ولينل معهم من لدن الرب مكافأة أتعابه . أما قبره ، كما بلغني من الأقدمين ، فهو موجود عند باب درابزين بيت الشهداء . لأن بيت الشهداء الذي دفن فيه مع سائر الآباء قد استؤصل بسبب بناء هذا الهيكل الجديد ، فترك هو وآخرون من المطرافوليطين والأساقفة في مثاويهم ولم يحولوا . واذا كان الأمر كما نقله لي الأقدمون ، فيكون عدد الراقدين في ذاك بيت الشهداء المقدس خمسة مطرافوليطين وثمانية عشر اسقفاً .

(١) بيث بغاش منطقة واقعة شرقي داسن وشمالي سلاخ ، وهي تشمل المناطق الشرقية التي كان الآثوريون يسكنونها غربي مدينة اورميا ، كبيت شمس دين وكاور وغيرها . . . وكانت بيث بغاش عائدة الى مطرافوليط حدياب . ويقول ياقوت الحموي ان «بابغيش ناحية بين اذربيجان واردبيل يمر بها الزاب الأعلى» [معجم البلدان ١ ص٣٠٨].

(٢) بيث بوري وتسمى الآن « بابيرا » تقع على مسافة ٦كم جنوبي قرية بقاق غربي الطريق المؤدي من الموصل الى زاخو .

الفصل الحادي والثلاثون

مار ديندوي اسقف معلتا[١]

كان للقديس مار يوحنان تلميذ اسمه ديندوي فرسمه اسقفاً على معلتا وحنيثا ، وكان رجلاً باراً وقديساً ، تتلمذ هو أيضاً في هذا الدار وله كتب كثيرة في هذه المكتبة تشهد على حبه وتعلقه بهذا البيت المقدس . ورقد هو ايضاً في هذا الدير ، وكذلك الاسقف مار سركيس الذي خلفه والذي سنفرد له أيضاً حديثاً

الفصل الثاني والثلاثون

مار ايشوعزخا الآرامي اسقف سلاخ[٢]

اني وان كنت قد تطرقت الى قصة مار ايشوعزخا اسقف بلادنا سلاخ في مكان آخر

(١) « معلتا - معناها المدخل أو الباب ، مثل كلمة « دربند » الكردية . فلا غرابة والحالة هذه ان يطلق هذا الاسم على امكنة عديدة. والموضعان المعروفان بهذا الاسم في تاريخ الكنيسة الشرقية هما : معلتا الواقعة في بانوهدرا ، وهي تشكل المدخل المؤدي من سهل نينوى الى منطقة الجبال [دهوك] . ومعلتا الواقعة عند خروج الزاب الكبير من الجبال [بخمة] . وكانت هذه الأخيرة مرعيثا يقع شرقي الزاب الكبير بجوار مرعيث حنيثا من الجهة الشرقية وبجوار مرعيث حبتون من الجهة الشمالية

(٢) « سلاخ » مرعيث ينقسم الى قسمين : القسم الجنوبي ويسميه المؤلف سلاخ الخارجية وهي راوندوز وشمالي ابرشية حدياب ؛ والقسم الشمالي ويسميه سلاخ الداخلية وهي قريبة من ذلك القسم من اذربيجان الذي يسمى بيث روستاقا ، ومركزه « أوشنو » [رضائية] .

بايجاز ، عندما تكلمت عن ربان جبرائيل(١) حسبما اقتضى الامر حينذاك، لكني ارى من العدل ان اتكلم عن مآثره بين زمرة رفقائه . كان هذا الطوباوي من بيث ارمايي وترهب في هذا الدير المقدس ، كما علمت من القدماء . وقيل ان طعامه اليومي طيلة السنة كان سبع لقم حسب . وكان نظير طير دأبه التحليق الى فـوق ابداً ، وافكاره ونظره متوجهة الى ما فوق الجسد ، وقد جعله التجرد مصوناً من كل ميل سافل . وكانت صومعته في « كار الكهنة »(٢) ، كما علمت من ربان متى الشيخ الذي سمع عنه من استاذه الانبا مارن زخا. وحينما اصبح مار يوحنان مطرافوليطاً لهذه البلاد ، أقام مار ايشوعزخا اسقفاً على بلاد سلاخ بعد وفاة راعيها. ويوم دخل [ايشوعزخا] سلاخ الخارجية المدعوة « سلاخ دنرسي » وتسمى أيضاً « سلاخ دبناس » ، وكان فيها قوم من الاشراف هم رؤساء سلاخ واسيادها ، اقام أحدهم يوماً تذكاراً لمار فرنسي [فرنرسي] في ديره لكل الطلاب هناك ، اذ كان فيه مدرسة سابقاً وفي ذلك العهد وبعده . اما اسم الشريف فكان « فروخبنداد » . ولما صبوا الخمرة وقدموا الكأس الأول للسيد الاسقف وذاقها اذا هي حامضة فقال لفروخبنداد : « يا فروخبنداد » ، فأجابه : « بارك يا سيد » . فقال له الاسقف : « هده الخمرة من أي كرم هي ؟ » فأجابه : « من الكرم الفلاني » . ففاه الاسقف بهذه العبارة : « ليبس ذلك الكرم ». وما ان رشق الاسقف ذلك الكرم بلعنته حتى حل عليه الغضب. وفي الغد ، بعد انتهاء تذكار القديس مار فرنسـي ذهب الرجل الى بيته وعلم ان الكرم يبس من اصله في الساعة عينها التي لعنه فيها الاسقف . واليوم يعرف مكان خرابه ، وكأن ناراً قد احرقته . فحل الخوف على تلك المنطقة كلها .

كان يعقوب ابي الجسدي يقص علي نقلاً عن آبائه انه كان في منطقة بيث شارونايي الواقعة فيها قريتنا(٣) سنديانة كبيرة هرمة . وكان قوم من الوثنيين القاطنين في القرى المجاورة يقدمون لها البخور ويسجدون امامها ، وكم مرة اردنا قطعها ولكننا كنا نخاف من الوثنيين الساجدين لها ومن الشيطان الذي يتراءى فيها . فلما سمعنا بقدوم البار مار ايشوعزخا الى بلادنا وطرق سمعنا

(١) طالع قصة جبرائيل في الفصل الخامس عشر من الملحق .

(٢) « كار الكهنة » ومعناها تل الكهنة ، ويظهر انها التلول المعروفة الآن باسم « كركاني » الواقعة جنوبي قرية خربا.

(٣) طالع مقدمة كتاب الرؤساء ص ٣ .

خبز الكرم الذي أيبسه ، قصده كهنتنا ليأتوا به الينا لدى اقترابه من القــرى المجاورة لنا . وأوصيناهم أن يجتازوا بتلك الشجرة في طريق عودتهم الينا بصحبة الاسقف . فكان ما أردنا . ولما وصل قرب الشجرة ورأى جمالها لفرط الاهتمام بها وعلم انها اله الوثنيين الساكنين في هذه القرى ، فانه لم يكلف نفسه حتى النزول من دابته ولم يدهش لهذا الأمر ، بل رفع عينيه ويديه الى السماء ودعا الرب قائلاً : « يا رب السماء والأرض ، إقتلع هــذا الاله الذي يتقبل معك السجود وينال العشور » . ولم يكد يتلفظ بهذه الأقوال ، حتى هبطت أغصان تلك الشجرة الى أسفل وارتفع أصلها الى فوق ، وهكذا بطل كذب الشيطان الساكن فيها وفضح ضلاله .

وفي سلاخ الداخلية قرية اسمها « جولاي » كان سكانها قديماً يدينون بالمجوسية . ولمــا اهتدوا الى ديانة المسيح وبنوا كنيسة في قريتهم ، وهبوا لها بعض أشجار الجوز لتكون وقفاً مقدساً يسد نفقات الكنيسة . وحينما مـات اولئك الشيوخ ، استرجع أولادهم أشجار الجوز وحرموا الكنيسة من الاستفادة منها . فلما دخل القديس تلك القرية، شكا أمامه كهنة تلك الكنيسة الظلم الذي ألحقه بهم بنو جلدتهم . وبينما كان الطرفان يتخاصمان ، وكان الكهنة يقولون ان تلك الأشجار ملك للكنيسة ، والعلمانيون يدعون زوراً ان الأمر بخلاف ذلك ، قـال لهم الاسقف : « كفوا عن الخصام ، لأني اؤمن بالمسيح رب الكنيسة انه اذا كانت تلك الأشجار ملكاً للكنيسة فستجلبها إشارة من إرادته الى فناء الكنيسة دون ان يلحقها ضر . وذلك لكي يردع ظلمكم. أما اذا كانت الأشجار لكم فلتبق في مكانها » . واذا القدرة التي تهيمن على العالمين بحولها الرباني ، وما يعسر او يسهل علينا سهل يسير لديها ، تسمع صوت عبدها وتقرب أشجار الجوز تلك الى جوار الكنيسة . كانت ثمة عجوز فقيرة قد خصص لها اولئك القوم ان تعيش طيــلة حياتها على نصف ما تدره عليها شجرة جــوز كبيرة كانت بين تلك الأشجار . فلما قام الساعور لكي يقرع ناقوس الليل ، اذا به يرى الأشجار كلها قد انتقلت الى جوار الكنيسة . ومن فــرط فرحه توجه تواً الى حيث كان الاسقف نائماً وبشره بانتقال الاشجار . فأجابه الاسقف قائلاً : « صه يابني فاني مطلع على ذلك » . ولما انبلج الصبح وبلغ الخبر مسامع الناس ، اجتمعت القرية كلها في ذلك الموضع وقد اعتراهم الانذهال وطفقوا يمجدون الله مندهشين متعجبين . ورأوا ان الجوزة التي كانت العجوز تعيش بنصف غلتهـا قد انقسمت شطرين : أتى نصف الى الكنيسة مع الشجر ،

وظل النصف الآخر في مكانه . وقد صنع القديس مار ايشوعزخا الاسقف اموراً اخرى كثيرة لكني اقتصرت على ذكر هذه الثلاثة منها وهي تدل على عظمته وتغني عن الكثرة .

الفصل الثالث والثلاثون

جبرائيل مطرافوليط كرخ سلوخ المدعو «الراقص»

كان جبرائيل من مدينة نصيبين . وبعد ان تلقى العلم في مدرستها الزاهرة ، غادرها وأتى الى هذا الدير المقدس ، فعكف على الحياة الرهبانية وعلى مطالعة الكتب الالهية والتعمق فيها ولفرط ممارسته التجرد ولشدة زهده وانحراف صحته ، بما بلغني عنه ، اختلت حواسه وفقد توازن العقل الرصين . وحدث له ذلك من جراء الصوم المتواصل والاجهاد والارهاق . وقد ادى خبر علمه وتقشفه ببني كرخ سلوخ في بيث كرماي الى التماسه رئيساً لهم . فعينه لهم الجاثليق صليبا زخا ورسمه مطرافوليطاً ، ورسم معه ايضاً المقدس الذكر مار يوحنان الحديابي . وجاء جبرائيل في شيخوخته الى ههنا للصلاة والتبرك بمراقد آبائه الروحيين . فسمع في يوم تذكار ربان [يعقوب] بعضاً من الطلاب يتشكون قائلين :« اما كان يجب على احد ابناء هذه الجمعية المقدسة كلها أن يضع مقالاً خاصاً عن القديس يعقوب ، إلا مقال المعلم ميخا الذي وضعه لشخص آخر فيقولونه استعارة للقديس ، كأناس معدمين ؟ » . واذ ذاك دخل جبرائيل الذي بسبب خفته لقب «بالراقص» الى بيث دياقون[1] في وقت الجلسة الأولى، واخذ ألواحاً وكتب هذه القصيدة التي تقال الآن لربان. ولكنك اذا امعنت النظر في تركيبها وانشائها لم تر فيها من حسن البيان ما يوجب

(١) « بيث دياقون » غرفة ملاصقة لقدس الأقداس شمالاً او جنوباً . فيها تحضر المواد الضرورية لاقامة القداس، وفيها قسم يدعى مستودع الزيوت ، ودرج يؤدي الى غرفة فوقها فيها التنور لصنع خبز القداس.

قولها فهو يستهلها بالصلاة ثم يردف قائلاً : « اننا نضع على بساط البحث واحداً من صفوف محبي ربهم ، الخ ...». وبعدئذ يتهجم على القديس مار باباي وكل الرهبانية التي منها خرج قديسنا [يعقوب] قائلاً : « حسده المعتوهون الذين بلغ جنونهم ذروته الخ ...». فاننا لا نظن ان ما قام به مار باباي وصار علة خروج كثيرين من ذلك الدير كان بدون ارادة الله . والا لما أخذ أحد من القديسين على عاتقه مهمة تأسيس دير . وحتى سهدونا ، في قصته عن ربان ، يكيل المديح لذلك الدير المقدس ويطري أمجاده . وكان سهدونا أقرب الناس الى ذلك الخصام . والجدير بالذكر أيضاً ان الذين هجروا ذلك الدير نتيجة الخصام المذكور ، ومن جملتهم : الربان قاميشوع والربان يعقوب القديس والربان افنيماران وأماليونطيس الزيني وربان يوسف ، وصاروا رؤساء ومدبرين في أديرة اخرى، لا يسمون هذا الدير بجماعة المعتوهين . وإذ يهدف جبرائيل الى تعظيم ديرنا هذا ، فهو يسب ساكنيه في نوبة جنونية ، قائلاً عن مار يعقوب انه لم يترك للرهبان على الأرض شيئاً من حطام الدنيا ، ولكنهم اذ اقتنوا [أموالاً] أصبحوا فقراء من كل شيء، وهو يقصد بهذا الكلام الأراضي التي أورثها الرهبان أبواهم الجاثليقان مار ايشوعياب ومار كيوركيس . ويقول أيضاً : ليس من هو أفقر منهم وهم في الشقاء الدائم من جراء الدخول والخروج والزرع والحصاد ، اذ ليس في تلك الامور فائدة للذي ينهمك فيها. ولم يسع [جبرائيل] في تنقيح هذه القصيدة ، بل ظلت على إسفافها . . . رقد هذا الطوباوي ايضاً في ديرنا هذا .

الفصل الرابع والثلاثون

الطوباوي مار أحا مطرافوليط حدياب ورئيس ديرنا هذا

ان كان الهابراهيم واسحق ويعقوب الأبرار الراقدين، هو اله الأحياء وليس اله الأموات، حسب شهادة الكتاب الالهي[1] ، لان الصديقين عند ربهم أحياء . ويحفظ الله لهم العهد والرعاية

(١) متى ٢٢/٣٢ .

الاحسان الى الوف الأجيال، كما جاء في الكتاب[١]، فان الابرار الاقدمين والصديقين في منتصف الاجيال والقديسين في آخر الازمنة هم كلهم بنو ملكوته، كما يقول فم يسوع الهنا[٢] الحي ومانح الحياة: «ان كثيرين سيأتون من المشرق والمغرب والشمال والجنوب ويتكئون مع ابراهيم واسحق ويعقوب في ملكوت الله»[٣]. وقد كمل وعد الكلمة الالهية لأبينا القديس مار يعقوب. لأنه بعد ان جد وجاهد في كل انواع النسك، وملأ نفسه بكل الخيرات وولاها شطر السماء لينعم بخيراتها عند الحاجة، أقام مدبرين يقتفون آثاره ويسيرون على نهجه، وهم هؤلاء القديسون الذين تكلمنا عنهم الى الآن. وان واحداً منهم هو القديس العجيب مار أحا الذي اقص سيرته باختصار. انه كان جمال النساك وفخر الرعاة ونموذج كمال ذوي الخمس الوزنات[٤] ووكيلاً أميناً وحكيماً للسماوات، متقلداً مفاتيح العلو والعمق بموهبة روح الله الفائقة.

ولد [مار أحا] في قرية « اواخ »[٥] من مقاطعة طلانا في منطقة مركا. ومثل النبي إرميا

الذي اختاره الله لمعرفة الاعمال العجيبة المستقبلة، فقد اجله الله وجعله بهياً ومرموقاً في هيئته وتركيب جسده وتناسق اعضائه. يا لبهاء الصالحين الذين يخصهم الله بروعة الجمال! فجمال شيت البار كان مدعاة لتمجيد خالقه الذي جدد فيه جمال أبيه آدم[٦]، ولم تقو المآثم على كسف جمال يوسف[٧]، وجمال موسى[٨] رفع شأنه، وبه واضع الرب المصريين وسخر بهم. وكان جمال داود[٩] يطرد الروح الشريرة من شاؤل، وجمال دانيال[١٠] ورفقائه أطفأ اللهيب وسد فم الاسود. ولست اقصد بذلك جمال الجسد فحسب، بل جمال النفس والجسد. فان [الصديقين]

(١) خروج ٦/٢٠ .

(٢) يعجب المرء من ورود هذه العبارة على فم نسطوري مثل توما المرجي. انما هذا دليل على ان كثيرين من أمثال توما لا يقيمون وزناً لهذه الفوارق المذهبية أو التعابير اللاهوتية الدقيقة.

(٣) لوقا ٢٩/١٣ .

(٤) متى ١٦/٢٥ .

(٥) أواخ هي قرية افوكي الحالية المندثرة بالقرب من جبل كارا في منطقة عطوش في مقاطعة طلانا القديمة.

(٦) اشارة الى ما جاء في كتاب « غار الكنوز » المنسوب خطأ الى القديس افرام [طالع طبعة بيزولد ص٢!]

(٧) تكوين ٦/٢٩ .

(٨) خروج ٢/٢ .

(٩) ١ صموئيل ١٢/١٦ .

(١٠) دانيال ١٥/١ .

أضفوا على الجمال المنظور الذي حبتهم الطبيعة اياه وأمدتهم به النعمة ، جمال النفس والارادة المتوثبة لارضاء الله . أما الرئيس [مار أحا] الذي عليه كلامنا الحقير ، كما بلغني عنه من الذين كتبوا أمجاده ، فانه كان ذا جمال رائع وقد رشيق وصوت رخيم ، علاوة على طهارة سيرته وصفاء تعليمه البديع . حينما أبصر النور من أبوين مؤمنين وورعين ، كانت هذه القرية تشتهر بالتقى والصلاح ، حتى قيل انه كان في كنيستهم سبعون كاهناً في آن واحد .

ذاق الطوباوي مار أحا مع أخيه الآخر واسمه شوحالماران طعم اليتم منذ نعومة أظفارهما بموت والدهما . فقامت امهما المؤمنة بتربيتهما حتى بلغا سن الرشد ، فخرجا من قريتهما وأتيا مع والدتهما الى « شلمث »[1] قريـــة سفسفا ودخلا مدرستها ، وكانا يعيشان عما يدره عليهما عملهما وشغل امهما العجوز التي تستحق الذكر الصالح . وكانا مثابرين على ارتشاف العلم الالهي. والله الذي صان جمال يوسف وموسى في مصر ودانيال في بابل ، صان أيضاً جمال الطوباوي مار أحا من التجارب . ولما بلغ الأخوان سن الشباب ، أتيا كلاهما وتتلمذا في هذا الدير . ويقال ان الزمان الذي فيه ولدا كان زمان قحط . ولما أنهيا فترة الابتداء ، استقدما والدتهما العجوز التي جدت في ترملها واشتغلت بيديها وربتهما بعمل يديها وقادت خطاهما في عهد الصبي وأبعدتهمـا عن الطيش بمشوراتها ، وعنيت بارواء غليلهما من الكتب المقدسة . فوفياها دين الطبيعة وظلت تعيش بقربهما الى يوم وفاتها ولم يهملا خدمتها قط . وكان ربان مار أحا يصنف كتباً وأخـــوه يصحفها. وبمقدار نموه الجسدي كان مار أحا يتقدم أيضاً في السيرة الفاضلة التي يمارسها الرهبان الحقيقيون في النفس والجسد ، وشرع يقمع أهواءه ويكبح حواسه وينظم قواه ، فتحقق فيه مـا كتبه أحـــد القديسين : « ان العلم في الصغر ينمو ويمتزج مع النفس » . ولزم الاختلاء زماناً طويلاً وهـــو يشتغل بالروح والجسد حسب وصية الآباء . فكان يعطي من ثمار عمله الجسدي للمحتاجين ويقبل الغرباء . وبشغله الروحي كان يستنير وينير ويهتدي ويهدي الى أن دعته الطاعة الى القيام بأعباء الرئاسة .

---

(١) شلمث هي شرمن الحالية الواقعة على مسافة ١٦ كم في الشمال الغربي من بلدة عقرة على سفح الجبل ، وهي من أشهر قرى سفسفا .

الفصل الخامس والثلاثون

إنتخاب الطوباوي مار أحا رئيساً لهذا الدير المقدس

لما انتخب الطوباوي مار يوحنان سلفه في الرئاسة لاسقفية كرسي بيث بغاش الرسولي ، ظل هذا الدير بدون رئيس . وعرف [مار أحا] ان الرهبان سيجمعون على انتخابه رئيساً عليهم، فترك صومعته واختفى مستتراً في الشرقة نفسها عدة أيام . وحينما رسم الطوباوي يوحنان بوضع يد البطريرك صلبا زخا وأتى الى هنا وسأل عنه ، قيل له انه قد هرب . فأمر منذراً أخاه ان يدلهم على مخبئه . فذهب الاخوة وأتوا به من المخبأ الذي كان مستتراً فيه . ونزولاً عند أمر مار يوحنان ، وتلبية لطلب جماعة الاخـــوة كلهم ، قام مار أحا الجميل الطلعة والفكر برئاسة هؤلاء الكواكب الناطقة ، أبناء ملاك النور مار يعقوب . فسار بالطهر والتواضع ، ولم تساور الأفكار نفسه الزكية انه رئيس ومدبر ، بل فوض الى الآخرين وكالة الامور العامة ومراجعة الولاة . أما هو فكان قابعاً باختلاء في صومعة الآباء ، حسب عـادة الرؤساء الذين سبقوه ، وحسب التقليد الجاري ، كان الدير يرسل له كل مساء وجبة وحيدة من الطعام ليست بالغالية او المطبوخة بعناية، إنما قوامها خبز بسيط وقليل من الطبيخ مع ماء . وهكذا شرعت سفينة نفسه تسير بقيادة الرياح الهادية ، وقد انتشر شراعها فصارت تطير وتمر فوق الأمواج التي تغرق سفن الغافلين وتجهز على ثرواتهم .

نقل الينا الشيوخ القدماء ما بلغهم عن أساتذتهم انه حينما كان يأتي الى الصلاة ويقف في رأس الزمر ، لم يكن ليرفع نظره قط ليتفرس في أحد منذ بدء الصلاة حتى ختامها ، بل كان يخفضه الى رجليه وينظر الى رأس مداسه ويظل هكذا من البدء الى « آمين » الأخيرة . فجعل حواسه عبيداً خاضعة للنظام منذ الابتداء . وتخلق بعادات حميدة ، ولم يعط الحرية لجسده وإن

كان منفرداً ، حسبما أوصاه استاذه الانبا اشعيا[١]. وهكذا ، طيلة مدة رئاسته ، لم يحتج بنو جمعيته الى تعليم او إرشاد ، بل كان حسبهم النظر الى شخص القديس . مثل ذلك الأخ الذي كان كل سنة ينطلق مع [رهبان] آخرين كثيرين الى الأب انطونيوس . ولما سأله الأب انطونيوس وقال له : « يا بني ، ان لك مدة طويلة تأتي إلي والاخوة كلهم يسألون ويتعلمون ، فلماذا أنت تلزم الصمت الى ان ترحل ؟ » فأجابه : « أبت ، يكفيني اني أراك » ، وكأني به يقول : ان منظرك يعلمني ان أقتدي بمزاياك . فقد كان أبونا القديس أيضاً مرآة المحاسن الالهية في كل شيء وكانت عيون أبنائه الرهبان تتفرس في وجهه الطافح جمالاً ، وكأني به وجه ملاك يوليهم الطمأنينة ويثير فيهم الاعجاب والرغبة في الاقتداء بمثل حياته الطاهرة .

الفصل السادس والثلاثون

إنتخاب القديس مار أحا رئيس الدير مطرافوليطاً

بينما كان أبونا الطوباوي مار أحا يتلألأ بهذه المحاسن ويوجه هذه الجمعية المقدسة شطر السماء بتعليمه سنين طوالاً ، غادر مطرافوليطنا الطوباوي مار يوحنان هذه الفانية وراح يتمتع بحياة لا تفنى مع الروحانيين . فقد وافته المنون بعد شيخوخة قضاها بالصلاح والخير . فهب قوم من رؤساء المؤمنين في حدياب ودهاقنتها[٢] ونبلائها الذين اختبروا دماثة أخلاق المطرافوليط

(١) الانبا اشعيا من نساك الصعيد المصري الشهيرين وعاش في سلخ القرن الرابع الميلادي [طالع م . ش ٣ ، ١ ص ٤٦] .

(٢) الدهقان - جمعها دهاقين ودهاقنة - كان رئيس القرية وعضواً في طبقة الاشراف الاقطاعية في بلاد فارس في العهد الساساني ، وكانت سلطته تمتد على الاراضي التي تأتيه بطريق الوراثة . ويقول ياقوت الحموي ان الدهقان هو « التاجر صاحب الضياع » [طالع معجم البلدان ٢ ص ٤٩٢] . وكان الدهاقنة يشكلون طبقة هامة ويمثلون الحكومة

مار يوحنان ، وسمعوا من آبائهم عن القديس مار ايشوعياب والطوباوي مار كيوركيس والبار شمعون المطرافوليطين الذين اتوهم من هذا الدير المقدس وساسوا ابرشيتهم ، واخذوا يطالبون الدير بضرورة التخصيص لهم ابداً من الجمعية نفسها رعاة نشطين في كل الأجيال والازمان ، وعلى هذا كانوا قد انتخبوا مار يوحنان . إذ قرر هؤلاء الرؤساء ألا يقوم عليهم رئيس ، قدر المستطاع ، الا من جمعية ابناء ربان يعقوب . ونزلوا عند أبي الآباء القديس مار آبا الجاثليق[١] ونالوا منه رسالة المنع[٢] للطوباوي ربان مار احا . فاضطر هذا الى الذهاب الى البطريرك وقبول الرسامة المطرافوطية السامية على مقاطعتي آثور وحدياب . ولما صعد وجاء الى بلده ، استقبله مؤمنو ولايته مثل ملاك النور ومثل الرسول شمعون الصفا ، ووجدوا الرئيس الذي اختاروه لنفسهم فوق حسن ظنهم به وتوقعهم منه ، لأنه كان مزدانا بالمزايا العالية في تعليمه وقداسة سيرته.

الفصل السابع والثلاثون

القديس مار ايشوعياب رئيس الدير

عندما ترك الطوباوي مار أحا رئاسة الدير وارتقى من مجد الى مجد « وانطلق من قوة الى

لدى الفلاحين وكانت مهمتهم الرئيسية جباية الضرائب . ويقسم المسعودي في كتابه « مروج الذهب » الدهاقنة الى خمس طبقات تتميز بزيها . وقد استمر ، بعد الاسلام ، عدد منهم في وظائفهم ودان عدد آخر بالاسلام وحافظوا على معظم اراضيهم ... غير ان ظلهم بدأ يتقلص لدى انتشار الاقطاع [القرن الخامس ـ الحادي عشر] وضعف نفوذ طبقات الملاكين حتى استعمل اسمهم كمرادف « للفلاح » . وفي عهد السلجوقيين كان الدهاقنة يسكنون القسم الشرقي من المملكة بصفة رؤساء قرى وملاكين صغار . ويظهر ان الكلمة تعني الآن « فلاح » في بلاد الفرس الحالية . وفي تركستان يدعى المزارعون « دهاقنة » .

(١) هو مار آبا الثاني البطريرك [٧٤١ ـ ٧٥١] المسمى ابن بريخصويانه ، وتوفي وله من العمر مئة وعشر سنين.

(٢) رسالة المنع هي الرسالة التي يوجهها الجاثليق الى شخص كنسي خاضع لولايته فيها يأمره بالتوقف عن ممارسة الخدمة الكنسية ريثما يمتثل الأمر ويلتحق بالمنصب الجديد الذي يعهد اليه .

قوة» ، كما يقول الكتاب[1] ، دبر الامر بحيث يخلفه الطوباوي ربان ايشوعياب في رئاسة هذا الدير المقدس . وبعد سنين عديدة أقام مار أحا رئيس ديرنا ايشوعياب اسقفاً لمدينة نينوى[2] ، بعد وفاة اسقفها البار مار ابراهام القديس والجندي الصالح لربنا يسوع المسيح . واني سأتكلم طويلاً عن مار ايشوعياب في الصفحات التالية .

الفصل الثامن والثلاثون

الاعجوبة التي أجراها الطوباوي مار أحا

لو كنا ندين أنفسنا نحن الخاضعين للرئاسة . لما أدانا القابضون على أزمتها . ولو خضعنا لمشوراتهم السديدة وأوامرهم الحكيمة ، لما شحذت العـــدالة سيف نقمتها علينا . لكننا حينما ندوس هذه الاوامر ، نعرض نفوسنا لنقمة رهيبة . كان رجل في حدياب قد سقط في ذنب علني لا تدعو الحاجة الى ذكره هنا . فلما حضر المخبرون بهذا الاثم والمتهمون به أمام الرئيس الحكيم الذي كان جالساً في الهيكل وقدموا شكواهم بين يديه ، شرع كل يتبرأ كالمعتاد ، ريثما يأتي خصمه ويفحمه . فاستدعى [مار أحا] المذنب وعاتبه بلطف قائلاً له : « يا بني إن كنت قد قترفت هذا الذنب ، فأقر به فيقبل الله توبتك إن كنت راغباً في ذلك » . ولكن [المذنب] أ مــذ يعاند

(١) مزمور ٧/٨٣ .

(٢) نينوى ـــ انفصل مرعيث نينوى النسطوري عن مرعيث بانوهذرا في نحو سنة ٥٥٤م وكان قبل هذا العهد يشكل قسماً منه . وكان أولاً مركز اسقف نينوى في دير مار يونان [النبي يونس] . وبعد الفتح العربي [٦٣٧] أخذ الحصن العبوري الذي سمي بعدئذ بالموصل يزيد أهمية ، فانتقل كرسي اسقف نينوى الى الموصل في نحو سنة ٦٥٠ واتخذ مركزاً له في دير مار ايشوعياب برقوسري [كنيسة مار اشعيا الكلدانية الحالية] . ثم بين سنة ٨٢٣ وسنة ٨٢٨ أصبحت الموصل ابرشـــية ، عوضاً عن اربيل ، يرئسها مطرافوليط . اما كاتب المجدل فيستعمل خطأ لفظة مطرافوليط لاسقف الموصل منذ البدء . وقد استعادت اربيل اخذاً لقبها المطرافوليطي في الربع الأخير من القرن الثاني عشر .

وخصومه يقرفونه ، ولم يخجل لا من شهاداتهم ولا من نصح القديس. عند ذلك خاطبه المطرافوليط وقال : « ما دمت متمرداً ولا تخجل منا بصفتنا بشراً ، فالرب يطالبك بطائلة ذنبك » ، ثم لعنه قائلاً له : « اني واثق بالرب الذي أقامنا عبيداً على رعيته وأعطانا السلطان على ربط وحل كل ما في السماء وفي الارض . وعليه فان كنت مذنباً فلينلك العقاب الذي تستحقه . وإلا فلا يلحقك أذى » . وما كاد القديس ينهي كلامه ، حتى سقطت أكداس من سقف الهيكل وتراكمت فوق رأس ذلك الشقي ، فهوى مهاناً ومفضوحاً في الهيكل أمام القديس والجمع الكثير وزهقت روحه. وكان لكلام الطوباوي مار أحا وقع رهيب على الجمع كله .

الفصل التاسع والثلاثون

في انكشاف ما سيحدث للطوباوي مار أحا القديس وكيف انه سينهي حياته ويستريح

ان الله اذ يحب نفس الصديق ، حسب كلام مار كسوسطوس(١) ، فهو ينير لبه لمعرفة المستقبل . وقيل أيضاً ان نفس الصديق تخطب لله ، وهي ترى الله لأنها تعيش قدامه حسب إرادته . وهكذا كان الشأن مع نفس القديس مار أحا الذي كان دائباً على إرضاء الله . فقد كشف له [الله] عن مدة حياته ومكان دفنه ومرقده ، وهذا ما حدا به الى مضاعفة أعماله الصالحة . واني بقوة صلاته اكتب ما تبقى واظهر للكسالى أقراني أي عمد نور انبثقت من هذا الدير المقدس ، وقد أهمل الخاملون قصصهم ولم يدونوها . وأنا أيضاً من عدادهم ، لأنك منذ مدة طويلة ، يا محب الله وصديق قديسيه مار عبديشوع ، طلبت إلي وألحفت ان اكتب لك ما

(١) هو البابا مار كسوسطوس [٤٣٢ - ٤٤٠ م] .

كنت القيه شفوياً على مسامعك ، ولم ارضخ . ذلك لان الرواية ايضاً تسبب للمؤرخين محنتين : اولاهما الانقطاع عن الأشغال ، وثانيتهما اجهاد العقل ليتذكر الحوادث ويتحدث عن جلائل الامور التى اختزنها في ذاكرته منذ مدة طويلة .

فعندما كان [مار أحا] صبياً في مدرسة قرية شلمث رأى رؤيا كان فيها متوشحاً بحلل كهنوتية على غرار اسقف وعلى رأسه تاج[1] وبيده صولجان وهو يدخل القرية وكأنه مقبل من مكان قاص ، وقد انهك التعب قواه ، فجلس في الكنيسة . ووقف فوقه رجل يكلل الجلال هامته وخاطبه قائلاً : « انك الآن قد تعبت وكللت . فادرأ عنك تعبك وضيقك في هذا الهيكل » . وأخذ منه الحلل الكنسية وقال له : « ارقد الآن حتى ادعوك » . ولم يفهم هذا الحلم في وقت صباه . وبعد أن اقيم مطرافوليطاً تذكره واضحى موضوع تفكيره الدائم . وحينما كان ربان شمعون المعلم القديس الذي اصبح أخيراً اسقف بيث بغاش يبني هيكل قرية شلمت بالحجارة والجص . ووصل القديس مار أحا حسب عادته لزيارة القرية مثل غيرها من القرى ، وبات في الهيكل الذي لم يكن بعد قد انجز بناؤه ، عادت الرؤيا فظهرت له ثانية : وكانت الاولى غامضة والثانية واضحة ، ولكني لم اقف على ماهيتها .

ولما انبلج الصبح ودخل عليه ذلك المعلم القديس ، استخبره [المطرافوليط] عن النفقات التي بذلها في بناء هذا الهيكل ، فقال المعلم : « اني انفقت كذا وكذا » ، فقال له : « وكم يجب لانجازه حسب قول البنائين ؟ » أجابه : « كذا » . فأخرج فضة من عنده واعطاه قائلاً : « ان الرب قد اعلمني اني ساغادر هذه الحياة الفانية في هذا الهيكل ، الذي سيكون لي موضع راحة الى ظهور الرب». فقال له المعلم مبتهجاً : « انك بشرتني بفرح عظيم اذ اننا في هذا الهيكل الذي شيدناه كلانا سندفن الى يوم ظهور باعث الأموات » . فقال له المطرافوليط : « ان الامر ليس كذلك ، بل انت تبني وانا ارث » . فقال له ربان : « وكيف ذلك؟ » ، أجابه : « ان لك هيكلاً آخر ترقد فيه وهو دير «بي»[2]، اذ ان المطرافوليط الذي سيخلفني يقيمك اسقفاً على بلاد بيث بغاش

(١) هو القناع أو القبعة التي كان الاسقف يضعها على رأسه اثناء الاحتفال بالاقداس ، كما لا زالت العادة جارية لدى السريان الغربيين .

(٢) كان دير « بي » مركز اسقفية بيث بغاش . ويجهل موقعه ، ولو ان البحاثين افترضوا عدة مواقع لهذا الدير .

وهناك تنهي حياتك» . وجرى الامر كما قال القديس مار أحا . فمن بعد موته ، خلفه الطوباوي مارن عمه الذي كان اسقفاً لسلاخ ، فرسم مار شمعون اسقفاً على بيث بغاش . وبعد ثلاث سنين توفي [شمعون] ودفن في كنيسة «بي» مرقد اساقفة بيث بغاش . وقد علمت هذه الامور من «راما» الشيخ الذي كان كاهن كنيسة قرية شلمث . وحينما رقد القديس مار ايشوعزخا الذي قلنا سابقاً ان مار يوحنان المطرافوليط رسمه لكنيسة سلاخ ، اقام مار أحا شخصاً آخر عوضه وهو مار مارن عمه .

الفصل الأربعون

الأنبا حننيا آكل البقول والراعي مع الحيوانات الذي كان في هذا الدير في عهد القديس مار أحا

كنت صبياً حينما اتيت هذا الدير المقدس في سنة مئتين وسبع هجرية [٨٣٢ م] . قبل أن اكتب هذه الامور ، ولدى سماعي قصص بعض القديسين ، كان يتأجج في شوق مذيب الى تعقيب اعمالهم ، فكنت اطلع على احوال كل منهم من الشيوخ الذين ههنا . نقل الي ربان متى الشيخ أنه كان له استاذ طاعن في السن اسمه الانبا مارنزخا وكانت صومعته في صباه بجوار كار الكهنة ، وكان [الربان متى] يقول لي بين الفينة والفينة : « هلم معي فاريك مغارة الانبا مارن زخا » . وقد حدثني عن ربان مار مارن زخا الذي اصبح اسقف بلادنا . فبينما كنت يوماً أروي له العجائب التي اجترحها عندنا في سلاخ ، وانا لم اكن اعرف انه من هذا الدير ، وان صومعته في كار الكهنة ، وكان له بالقرب من كار الكهنة جار يسكن مغارة صغيرة هو الأنبا حننيا الملقب « بأبي الايائل » ، كما علمت من استاذي مارن زخا ، الذي طال عمره وبلغ من الشيخوخة عتياً ،

حتى اني كنت أحمله على ظهري كل اسبوع او اسبوعين وآتي به ليتناول القربان . فلم يكن لصومعة الانبا حننيا سياج ولا باب ولا ستار ولا شيء آخر ، بل كان يقتات بالبقول وبقليل من الخبز كان يجلب له . فكانت حياة ذلك الشيخ الطوباوي مثل حياة النعامة التي لا عش لها ولا مأوى بل تضع بيضها على الرمال الحارة بدون اهتمام ، بمقتضى الطبيعة التي حباها بها مبدع الكائنات . فانه كان يتيه في الليل خارجاً ويبيت مع الحيوانات على قمم الآكام . ومن فرط ضنك سهره وجهده كان يفترش مكاناً صغيراً ويستريح معها . وقد ألفته الحيوانات ولم تعد تنفر منه ، مثل ذلك الطوباوي المذكور في كتاب « الفردوس » الذي صلى الى الله سائلاً أن تسالمه الحيوانات ، ونال ما أراد . وصلى أيضاً لكي تسالمه النار ، وكان له ما طلب . فكان يجمع الحطب ويضرم فيه النار ثم يصعد ويجلس فوقه . فحينما يتطهر قلب القديسين من أنواع الخطيئة الخمسة وهي محبة المال والنهم في الاكل وشهوة الجسد والغضب والكبرياء ، هذه خمسة أصناء الغني المعذب في الجحيم ، مثلما شبهها أحد القديسين ، عندئذ يضحي المرء مرضياً لدى الخليقة كلها ، لدى الحيوانات غير الناطقة ولدى الدبيب الضار ، كما نعلم ذلك من قصص القديسين . مثل الطوباوي شمعون القديم الذي كان أسد يخدمه ، ومثل الناسك الذي جاء ذكره في قصة المظفر مار ميلس وكان تنين يعيش بصحبته ولا يصيبه بأذى . ويجعل [الله] الملائكة لهم أصدقاء ومساعدين . ولماذا أقول الملائكة ؟ بل يكون [القديس] مسكناً للثالوث رب العالمين ، مثلما ساعد هذا الطوباوي في هذه الشرفة ، كما علمنا ، فاختار مأكل الحيوانات والسكنى معها حباً بالله .

ويقال أيضاً انه كان معتاداً ألا يتناول الطعام إلا مرة في الصباح في موعد معين . فكان يوقد النار كل صباح ويغلي الماء ويصبه على عروق أشجار وكسر يابسة ، وهذا كان طعامه وموعد أكله . فهل يا ترى كان الأمر حقاً هكذا ، او انه كان يريد بذلك إخفاء سيرته ابتغاء جلب الاحتقار له ؟ هذا أمر لم ندركه ولم يجزم به حتى اولئك الذين رووه لنا . وكان جيرانه يحسدونه ويحتدمون غيظاً عليه ويفكرون كيف ان رجلاً طاعناً في السن يقضي حياته في النهم ! وكان حكمهم هذا بسبب النار التي كانوا يرونها وهم لا يدرون ما طعامه وما لديه داخل مغارته . وكانوا كلما أتوا الى الدير يقرفون ذلك الشيخ ويتشكون منه قائلين : « ان العيش بجوار هذا الشيخ يؤدي بنا الى لجة الرخاوة وتفسخ الأخلاق » . ومرة عندما حضر القديس مار أحا المطرافوليط ،

قدموا له شكواهم من ذلك الشيخ القديس . فقال لهم : « إذهبوا وادعوه واحترسوا لئلا يفلت من أيديكم » . وما ان سمعوا هـــذا الكلام حتى انطلقوا بخطى حثيثة وأدركوه وقبضوا عليه ، وأخذ أحدهم منديله ورماه في عنقه وشرع الآخرون يخبطونه من الوراء قائلين له باستهزاء : ايها الشيخ الجاهل ، الى متى نحتمل رذائلك ؟ ألم تعرف ان العدالة واقفة لك بالمرصاد ؟ أسرع فان الحاكم بانتظارك » . اما هو فلم ينبس ببنت شفة حتى بلغ العين التي نسميها « عين ربان » ولمح على مقربة منها قطيعاً من الأيائل فقـــال لها : « السلام عليك يا ساكنة القفار ويا جارتي وصديقتي . اننا كنا نعيش بسلام سوية ولم تنكري صداقتي او تبتعدي عني . والآن وقد قبض علي الأبرار بعدل لأني مثلك آكل كل صباح ونعيش كمتساوين في العيش والأكل ، فهلمي نذهب سوية الى المحكمة ، حتى اذا ما رأى الحاكم اننا عديدون يشفق علينا من أجل كثرتنا . فقـــد لا يرحم فرداً لأنه فرد . هلمي اذن باسم الرب » .

فدهش الاخوة من هـــذه الكلمات التي ليست كلمات ممسوس ، ورأوا تلك الحيوانات أقبلت نحوه راكضة ، ومثل كلاب لم تر صاحبها منذ أمد طويل أخذت ترفع ايديهـا وتبصبص بأذنابها الى كل الجهات وأحاطت بالقديس . فلم يسعهم إلا ان يرخوا اياديهم عنه وخروا على قدميه طالبين منه الصفح عن كل ما بدر منهم . وحينما نهضوا لم يروه البتة . وهكذا أفلت من ايديهم . ولم يعرف احد الى اليوم الى اين ذهب واين رقد . ولما جاؤوا الى المطرافوليط والحزن والأسى باديان على وجوههم والخجل قد اعتراهم بتوبيخ ضمائرهم واخبروه بما جـــرى ، أنبهم بعنف وقال لهم : « يوم كان آخرون قبلكم في محل سكناكم اتخذوا ذلك الشيخ قدوة لكل الصالحات وكانوا يلتجئون الى صلواته في كل تجاربهم ، فكان يأتيهم الفرج . اما انتـــم الذين تعيشون بعدهم في مغائر القديسين ومناسكهم ، فقد غرر بكم الشيطان ونفخ فيكم غيرة باطلة كي لا يدعكم تنظرون الى محاسن القديسين كما يجب ، بل ان تلصقوا عيوباً بالأبرار والطوباويين ، خسراناً لنفوسكم وخزياً لمقاصدكم . ويطالبكم الرب بالدرة اليتيمة التي افقدتموها هذا الدير بحماقتكم . وانكم ستخجلون من الشر الذي جنته ايديكم حينما تذهبـــون الى موضع إقامته الضيق وترون هناك ما هي الأطعمة التي كان يقتات بها . ولقد نبهتكم بأن تحترزوا لئلا يفلت من ايديكم ، ولكنت طلبت اليه ان يعمل امامكم لخزيكم اموراً عظيمة والهية لم يأت احـــد بمثلها في ازمنتنا هذه » .

الفصل الواحد والأربعون

الطوباوي مارن زخا اسقف الحديثة والاسقف الجمال الذي وجده

في عهد المطرافوليط مار أحا القديس كان يجلس على كرسي كنيسة مدينة الحديثة المقدس الاسقف مار مارن زخا الطاهر تلميذ ربان مار افنيماران ومساعده . وكان الطوباوي مارن زخا معتاداً ان يذهب في ايام صوم الرب المقدس وينعزل في جبل قربة زيناي(١) . فبينا كان مرة في طريقه الى ذلك الجبل ، لمح على أكمة طيف رجل واقف ووجه شطر المشرق . وكلما دنا منه آتياً من جهة الغرب سمعه يرتل انشودة قداس أحد القيامة ومطلعها : « هلموا ايها الشعوب نحرك شفاهنا . . . » . وصعد رويداً رويداً الى ان وصل اليه . فدهش مارن زخا ـ قبل أن يحس الرجل به ـ كيف ان هذا راعي الجمال قد تعلم تلك الانشودة التي هي من الصعوبة بمكان حتى انه لا يسهل على الكل أداؤها . ولما رآه ذاك [الرجل] تعجب ، فبادره القديس مارن زخا بالسلام حسب المعتاد ، فرد عليه ذلك الطوباوي التحية باللغة العربية وبلهجة خشنة وهو يحاول إخفاء هويته . فخر الاسقف مارن زخا أمامه وأخذ يستحلفه ويقول : « اني لا أقوم إلا وتعدني بألا تخفي عني من أنت » . أما هو فشرع يعنفه بشدة باللغة العربية قائلاً : « قم يا راهب ، ما لي ولك ؟ مر بسلام من مكاني » . ولكن مارن زخا أخذ يشدد عليه بالقسم : « اني لا أنهض حتى ولو قتلتني الى أن تطلعني على شأنك ، فقليلون هم الذين يحسنون أداء انشودة قيامة ربنا . فان كنت عربياً ، حسبما تقول ، من أين تعلمتها ؟ ولماذا توجه ذراعيك ونظرك شطر المشرق ؟ » . ولما سمع ذلك القديس هذا الكلام ، ورأى انه قد اصطيد بانشودته وبالقسم الذي ناشده به القديس [مار زخا] ، أجاب قائلاً : « اقسم لي : بنعم ولا ، انك ، حينما البي رغبتك، لا تكرمني ولا تأتي عندي دوماً ولا ترسل لي شيئاً » . قال هذا إذ كان يعلم انه سينتقل سريعاً

(١) راجع كتاب الرؤساء جزء ١ فصل ٣٢ حاشية ٢ .

من العالم ، بعد ان أحس به انسان .

ثم اردف قائلاً : « يا سيدي ، اني قد اقمت قبل اربعين سنة اسقفاً للمتشتتين في الديار المصرية . ولما خدمت فيها مدة قصيرة ، احتبس المطر هناك . فجمعت المؤمنين وخرجت الى البرية لاقيم الطلبة [باعوثا] . فجاء هؤلاء العرب سكان الخيم وأحاطوني . ولما فر الجميع ، بقيت انا وحدي ، ظاناً انهم لا يسيئون الي بشيء . فسبوني واتوا بي الى خيمهم واقاموني راعياً لهذه الجمال التي تراها . فعزوت هـذا الامر الى ارادة الرب ، وها اني لم المس عند القوم شيئاً ينافي السيرة الطاهرة بل بقيت وحدي في البرية ، واني اشكر الله دائماً واتذكر القديسين الكثيرين الذين كانوا رعاة فأتعزى . اما بخصوص الانشودة التي طرقت سمعك اليوم فذلك أني معتاد ان اصلي كل يوم الصلاة المفروضة لعيد ماراني مع السهر . واليوم صليت صلاة عيد قيامة الرب ، وكأني واقف في الهيكل قدام مذبح الرب فرتلت هذه الانشودة . واني على هذه الحال منذ اربعين سنة وقد حفظني الرب من كل شر . فاعتبرني [العرب] كجد وكأخ لهم لأنهم ألفوني مستقيماً ومطيعاً ، ولم الاق منهم أي إكراه على الشر . هذا واني آمل ان تكون نهاية حياتي حسب إرادة ربنا » . لما سمع القديس مارن زخا ذلك ، ذهل كثيراً وتعجب وأجهش بالبكاء ، وكان ذلك القديس ايضاً يذرف الدموع ازاءه . فأجاب مارن زخا وقال له : « اني سأعود يا سيدي وأجلب فضة لأدفعها فدية لك ولا أتركك في هذا الذل والهوان » . فقال له ذلك الطوباوي : « اذهب بسلام الى عملك وعزلتك يا سيدي الاسقف ولا تشغل بالك بهذه الامور . فاني لو أردت منذئذ ان أهرب او أن أشتري نفسي لفعلت ، ولكنها إرادة الله أن أكون حيث أنا » . وألح على الاسقف بقوله : « اذهب بسلام ، وفي أحد السعانين ، حينما تنزل من الجبل الى مدينتك ، هلم إلي وشاهدني » .

فذهب [مارن زخا] . ولما عاد عشية الأحد المذكور ، رأى رجلاً في ذلك المكان وظنه الاسقف ، فصعد اليه . ولما رآه سلم عليه وسأله : « أين ذلك الشيخ الذي كان يرعى هذه الجمال قبل مدة يسيرة ؟ » . فأجابه الرجل : « انه قد مات » . فشق الخبر على الاسقف كثيراً وقال للرجل : « ومتى مات ؟ » ، أجابه : « في هذه الايام » . فأخرج مارن زخا منديلاً من عبه وناوله إياه قائلاً : « خذ هذا وهلم أرني قبره ، لأنه كان صديقي » . وحينما ذهب معه ورأى القبر من بعيد استوقف العربي وقال له : « إذهب الآن الى جمالك » . قال ذلك ليكون له المجال

ليبكيه وجلس على القبر وأخذ يبكي بمرارة ، كأني به أرملة وارت وحيدها التراب ، وكان يقول : « آه يا أخي ، آه يا أخي ، لماذا أخفيت عني موتك ولم تدعني أنعم بمشاهدتك ؟ بل أرجعني من عندك كما أطلق الطوباوي بولي الانبا أنطونيس ؟ » . ثم قام الطوباوي مارن زخا وذهب الى الحديثة واحتفل حسب المعتاد بعيد السعانين . وفي يوم الاثنين دعا لفيف الكهنة وجمعاً من المؤمنين وقال لهم : « هلموا نذهب الى البرية ونجلب من هناك ايليا . هلموا معي الى القفر لتروا يوحنا المعمدان، هلموا معي وأعطيكم جسداً مقدساً أسمى من جسد الأنبياء... ». فذهبوا بخوف مع اسقفهم القديس وبلغوا موضع القبر ، فبدأوا بالصلاة والرتبة التي تقال على شخص متوفى. وبعد أن صلوا النهار كله والليل الذي يليه ، بدأوا بالحفر والكشف عن القبر . ولكنهم لم يعثروا على ذلك الجسد المقدس ، بل وجدوا عباءتين من الصوف ، واحدة لكسائه والاخرى لغطائه . اما هو فقد اختفى الى اليوم . فأخذوا هذه الثياب بحزن وقفلوا راجعين بعد ان أعادوا تراب القبر الى موضعه(١) .

... يا لهما قديسين عظيمين تقدست قصتنا بسيرتهما وتشرفت حقارة كلماتنا بمجد هذين الرجلين الفاضلين اللذين حوت قصة القديس مار أحا سيرتهما بين دفتيها . فواحد منهما كان يرعى ويعيش مع الأيائل ، والآخر يرعى الجمال ويسير معها . ولم يستحق البشر جوار جثمان هذين اللذين لم يكن لهما سرير ولا وسادة ولا كرسي ولا منارة ولا مائدة . فكان فراشهما الأرض ، وموائدهما ركبهما ، وقوتهما البقول . ولم يغلبهما البطن بشهوته ، ولم يضرمهما الهوى باغراءاته ، ولم تداهمهما الأمراض بسبب الافراط في التنعم ، ولم يحتاجا الى أدوية أتباع جالينوس ، ولم تتفقدهما حواء بتزلفها(٢) ، ولم يذوقوا التينة الملعونة(٣) التي حلت لحلوق بني آدم ، ولم يعرقا من وراء الفدان ، هذا العمل التعيس الذي يولد الأشواك . انهما لم يقربا قرابينهما بجوار قائين لكي يحسدا ويقتلا(٤) ، ولم يشربا الخمرة لئلا يفتضحا(٥)

---

(١) ان الطقس النسطوري يسمي هذا الاسقف يوحنان ويحتفل بذكره في السبت السابق لأحد السعانين .

(٢) تكوين ٣/١٢ .

(٣) تكوين ٣/٢ ـ ٤ .

(٤) تكوين ٤/٨ .

(٥) تكوين ٩/٢١ .

ويسخر منهما كنعان المثالي . فان شرابهما كان الماء . ولم يجمعا اللبنات المشوية[1] لاقامة صرح الكبرياء الذي شـيد باتفاق مهندسين أغبياء . ولم يريا سوط البلبلة فهربا من امام القصاص . فانهما عوض علو البرج المتشامخ ، كانا يرعيان مع الظباء على الآكام . وقد عملا هـذا كله بالرجاء العتيد الذي لم يرياه ولكن آمنا به ، والذي كان بعيداً وحسباه قريباً . ان لهما دياناً عادلاً سيكافئهما في عالمه ، ليس حسب تقديرهما بل حسب جودته ، ذلك الذي كل الشدائد والآلام تقصر دون مكافأته . ليشركنا نحن ايضاً معهما في نعيمه بجاه صلواتهما . آمين .

الفصل الثاني والأربعون

الطوباوي مار سركيس اسقف حنيشا[2]

عندما غادر القديس مار ديندوي هذه الحياة الزاخرة بالشدائد ، وكان القديس مار يوحنان المطرافوليط قد رسمه اسقفاً لمعلثا ، أقام الطوباوي مار أحا سركيس البار خلفاً له. وكان [سركيس] راهباً من هذا الدير ، ورجلاً متضلعاً من الكتب ، ومطلعاً على معانيها . فساس قطيعه ببر وتواضع يليق برؤساء قطعان المسيح . وعلى أثر الاضطراب البسيط الذي حدث في بلاده ، لما جاء الديلميون الى سلاخ وحنيشا وأعملوا فيهما السلب والنهب ، اخذ كتبه كلها وأتى

(١) اشارة الى تكوين ١١/٣ .

(٢) كانت حنيشا مرعيثاً مستقلاً قبل ان يدمج في مرعيث حبتون سنة ٧٩٠ . وكان يقع شرقي حبتون ومعلثا وليس في بانوهذرا كما وهم السمعاني وعلى اثره السيد بدج [كتاب الرؤساء ٢ ص ٢٣٩ حاشية ١] الذي يقول أن حنيشا تمتد الى قرية داودية في وادي صفنا الغربي . اما هوفمان فكان الاول في تحديد موقعها بالقرب من وادي راوندوز ، احد روافد الزاب الصغير [طالع المختصر لهوفمان ص ٢١٦ - ٢٢٢] .

الى ههنا منتظراً عودة الاستقرار والهدوء ليرجع الى هناك . ولكنه لم يبلغ مأربه بل توفي ودفن هو أيضاً في دير آبائه هذا .

الفصل الثالث والأربعون

حجير المؤمن الشريف والدير الذي شيده

كان ثمة رجل مؤمن اسمه حجير من طبقة الأشراف . هذا بنى ديراً بين قرية باشوش وشلمث ، ولم يكن الدافع الى ذلك مجد الله ، بل الفخر والكبرياء . لأنه أراد أن يقتـــدي بالصالحـــين والفضلاء . وسمى الدير « حجير اباد » على اسمه الفارسي ، حسب عادة المجوس الذين كان يتحدر منهم . وبعد ان زوده بكل اللوازم ، أراد ان يجري تقديسه بواسطة القديس مار أحا . وانتظر موعد قدومه الى هذه البلاد . فذهب اليه حينئذ وطلب منه أن يتلطف ويصعد مع الأساتذة والطلاب لكي يقدس الدير الذي بناه . فرأى مار أحا المطرافوليط القديس بعين الروح ان الرب لا يرتضي به ، كما لا يرتضي بذبائح الأصنام . فقال للحاضرين: « ان هذا دير حجير اباد قد تهدم بجدته » . ثم تركه بلا تقديس ومضى . ولم يقدس بعد ذلك قط ، ولم يحل فيه مجد الثالوث الأقدس ، وحتى اليوم أطلاله موجودة ومعروفة .

الفصل الرابع والأربعون

مبارحة الطوباوي مار أحا المطرافوليط الحياة الزمنية

كنت مستعداً ان اضيف الى انتصارات القديس مار أحا النشاط العظيم الذي بذله في كنيسة الله في عهد البطريركية المزدوجة التي كانت في ايامه ، أعني بذلك تنازع البطريركين سورين[1] ويعقوب[2] ، وكيف انه نزل مع أساقفته وبقوته وشهرة سيرته الحسنه أبطل سورين الذميم من الجثلقة واثبتها ليعقوب . ولم يكن هناك من يقاوم هذا النشاط الذي أبداه . ولكن بما ان اخرين قد دونوا هذه الأحـــداث في كتاباتهم ، ولأننا ننوي الكلم عنه باختصار ، كما فعلنا مع رفقائه ، فقد تركت كل ذلك وآتي الآن الى الحديث عن نهاية أيامه الأليمة . فعندما بلغ الى قرية شلمث في زيارته ، أحس انه وصل الى خاتمة حياته . وعلى أثر مرض طفيف ألم به ، نام ورقـــد رقدة الموت ، شأن سائر الجسديين ، واسوة بأبناء آدم قاطبة . وحسب الرؤى والظهورات التي حدثت له في زمان صباه وفي عهد شيخوخته وضع جسده الطاهر في هيكل هذه القرية المقدس . وهو موئل الاسعافات لكل الذين يلتجئون به .

... فليجعل الله رب الكل بشفاعة صلواته ان ننتقل نحن ايضاً من هذا العـــالم باسم صالح نظيره ، فنصعد المجد للآب والابن والروح القدس، الآن وفي كل أوان والى أبد الدهور.

آمين

(انتهى الجزء الثاني)

---

(١) تلقى سورين العلم في مدرسة نصيبين وصار مطراناً لهذه المدينة ، ثم نقل الى مدينة حلوان . وكان مطبوعاً على المشاغبات والفتن حتى توصل الى ان يعينه امير المدائن سنة ٧٥٤ بطريركاً على النساطرة . غير ان الاساقفة رفضوه وطلبوا الى الخليفة عبدالله ان يعزله عن هـــذا المنصب ، فأرسل كمطران الى البصرة . ولكن سكان هذه المدينة أيضاً رفضوه ، فأنهى حياته في السجن [طالع م.ش ٣ ، ١ ص ١٦٨ و ٦١٦ : التاريخ الكنسي لابن العبري ، ٢ عمود ١٥٥ ؛ وكتاب النحلة ، طبعة بدج ص ١٢٠] .

(٢) اصبح يعقوب بطريركاً سنة ٧٥٤ عوض سورين ، بعد أن كان مطراناً لجند يسابور [طالع عمرو في المجدل ص ٦٣] ومات سنة ٧٧٣ بعـــد أن قضى تسع سنين من بطريركيته في السجون [عمرو ص ٦٣ : ابن العبري ، التاريخ الكنسي ٢ عمود ١٥٥ ، ١٥٧ : م. ش. ٢ ص ٤٣٣ ، ٣ ، ١ ص ٢٠٥ و ٦١٦]

الجزء الثالث

الفصل الأول

مقدمة الكاتب موجهة الى الكريم والمؤمن الحسن الشريف

ولو ان اخوة دير بيث عابي الطوباويين قد أهملوا قصة القديس مار مارن عمه مطرافوليط حدياب ولم تجد مكاناً خاصاً في كتابتنا ، حيث انهم حثوني على ان أقتصر في كلامي على القديسين الذين عاشوا في هذا الدير المقدس فقط وان أترك سواهم . غير ان هـــذا الامر لم يسرك . فطلبت إلي بأمرك السامي ان افرد لهذا الطوباوي ايضاً قصة وان ادون ما تنوقل عنه من الحديث، فتحتل سيرته مكانها بين قصص الرؤساء الذين سبقوه والذين أتوا بعده ، يا عضو المسيح الحبيب والساجد النشيط لصليبه المجيد . يا أيها الشريف المختار والكريم ، السيد الحسن نجل ووريث الجليل سبريشوع(١) والي حدياب وآثور العظيم عند الله والمستحق كل مـــدح والسامي المقام والمزايا ، هذا الذي يبدل غناه وأمواله بالغنى السماوي لكي يذهب ويرث الحياة السعيدة في

(١) ان الحسن هذا هو ابن سبريشوع والي حدياب وآثور الذي لا يزال موقع قصره يعرف بـ « قلعة شوريش » بالقرب من باقرتا الواقعة على مسافة ٣٠ كم في الجنوب الغربي من مدينة اربيل .

الملكوت السامي بصحبة المؤمنين الصادقين الذين آلى على نفسه ان يقتفي آثارهم . اني مجدتكم وامجدكم ، لأنكم مع كونكم مرتبكين بالامور العالمية وبالغنى الذي هو عثرة للآخرين وسبب كل الشرور وأداتها ، فإن ذلك لم يتمكن من إخضاعكم أنتم الحكماء البصيرين او جركم الى احد هذه المساوىء ، بل أنتم أخضعتموه وأذللتموه ، لئلا يصبح الهكم كجهلة غاشمين ، بل تكونون انتم آلهته . انه لأمر يستحق الاعجاب حقاً ، كيف انك ، رغم حداثتك ، قد بلغت ذروة معارف الحكماء مثل الشيوخ ، وانك مهتم بجمع قصص القديسين وحكمهم ومآثرهم ، لتمد نفسك بموضوع للتأمل ، فتضع نصب عينيها الأمور الروحية كنموذج وغاية ، وتغنيها بمفاهيم أسمى من العالم . فالفضائل الكثيرة والمحاسن المجيدة الزاخرة في شخصك الكريم هي التي حدتني الى تحقيق أمر سيادتك باهتمام كبير ، لأمثل لك صورة أمجاد مار مارن عمه المطرافوليط المستحق الطوبى ، واكتب أيضاً بايجاز ، حسب رغبتك ، عن الطوباوي ربان باباي العلامة وعن مجيئه الى هذه البلاد ، وعن المدارس التي أسسها . واني أكتب ذلك شيئاً فشيئاً حسب ما بلغني من الناس القدامى الذين أدركتهم ، وأتضرع الى الله رب الكل مسترحماً بأن يظهر قوته في انا الجاهل المسكين فيعظم مجد لاهوته في فم القراء وفي اذن السامعين بما كتبت سابقاً وبما سأكتب . ولتحل عليك نعم الرب وبركاته ، لأنك انت السبب والمحرض على تدوين اعمال هؤلاء الأبرار الذين أحبوه وأكملوا مشيئته . وانني سأتكلم أولاً ، حسب رغبتك الحكيمة ، عن الطوباوي ربان باباي وعن المدارس التي أسسها وجددها ، حيث انها كانت خربة لعدم وجود معلمين ومهتمين. ثم أتطرق الى الحديث عن مآتي تلميذه رئيس الكهنة مار مارن عمه ، وذلك بكلمة مجردة ، متغافلاً عن سوق البراهين التي تقتضيها الفصول ، لئلا اضفي على القصة وزراً زائداً . فاني اشيد بمجدهم باختصار ، كما مجدت رفقاءهم بايجاز .

(انتهت المقدمة)

الفصل الثاني

الطوباوي ربان باباي الملفان

كان القديس ربان باباي الملفان رجلاً نير العقل قوي الشكيمة سليم البنية متناسق التركيب ويقال ان صوته كان عذباً وعالياً مثل البوق ، وكان متحلياً بالعفة والطهارة والمحبة واللطف والوداعة والتواضع العميق . ولهذه المحاسن فقد برز في الازمنة الاخيرة مثل ملافنة الاجيال الاولى . وكانت كثرة فضائله تشيد باسمه . وهو الذي جدد كل القوانين والانظمة المدرسية التي كانت قد انحطت من جراء الانحلال والاهمال ، فاعاد اليها مجدها التليد .

ولد [باباي] في مدينة جبيلتا[١] الواقعة في مقاطعة الطيرهان . وقام فيها اولاً بعمل روحي وهذب اولاداً نشيطين يسيرون في اثر ابيهم ، فأصبحوا خير ورثة لهذا الاب الحكيم. وعاش ربان باباي في عهد صليبا زخا الجاثليق البطريرك ، وتشهد على ذلك الاسئلة التي وجهها الى الجاثليق في مواضيع مختلفة . وكما حدث للشعب الاسرائيلي عندما كان في بابل ، اذ اهملت التراتيل الالهية وفقدت، لأنه لم يكن يسمح لهم ان يرتلوا تسابيح الرب في ارض غريبة . كما جاء في الكتاب[٢] ، هكذا كان الامر في عهد القديس ربان باباي ، فقد تبلبلت المقامات والنغمات والعلامات واشارات كل التسابيح التي ترتل شفوياً ، مثل مزمور : « يا رب اليك صرخت »[٣] ، والسوياخات[٤] والزومارات[٥] والمقطوعات والردات وكل التراكيب التي تقال لحناً . فكان لكل بلد ومدينة

(١) جبيلتا قرية تقع في مقاطعة بيث كرماي شرقي دجلة شمالي تكريت ، وقد استملكها الخليفة المتوكل لانجاز مشروع النهر الجعفري في سنة ٨٦٠م أي أقل من ١٠ سنوات بعد تأليف كتاب الرؤساء .

(٢) إشارة الى المزمور القائل : « كيف نرنم ترنيم الرب في أرض غربة » [مزمور ٤/١٣٦] .

(٣) مزمور ١٤٠ وهو مزمور يقال كل يوم في صلاة المساء لدى السريان الشرقيين .

(٤) السوياخات هي جملة مزامير تصلى في الصوم وبعض الأعياد .

(٥) الزومارات هي بعض آيات من المزامير تقال قبل قراءة الانجيل .

ودير ومدرسة ألحان ومقامات خاصة فحينما كان يحضر معلم او تلميذ خارج مدرسته، كان يظهر بمظهر جاهل . وكما ان العبرانيين لما صعدوا الى اورشليم اكتسبت بدائع طقوسهم المشوهة مجداً وبهاء ، أو ان اردت ، كما ان الطقوس كانت تنجز بغير ترتيب في كل مكان قبل مار ايشوعياب الحديابي الجاثليق ، وبتنظيمه اكتسبت جميع الكنائس ترتيباً متناسقاً ، كذلك لقد هدى الروح القدس هذا الطوباوي وارشده الى الانغام الحسنة والالحان العذبة المنسجمة مع الفن الموسيقي ، وملأه من مواهبه واغناه بكنوزه وجعله آلة الهامه وكنارته الروحية ، فصار اباً للمعلمين ومعلماً للحكماء . وحرك الرب أوتار قلبه مثلما فعل ازربابل ، فترك جبيلتا ومدرستها تحت ادارة تلاميذ نشيطين خلفهم هناك ، وجاء الى منطقة حدياب . وأسس بادىء ذي بدء مدرسة كبيرة وشهيرة في كفر عوزيل[1] قرية بني الاحـــرار الافاضل ، في ايام وهمة « زدنفروخ » الشريف ابي النبيل «فروخزاد» والد المطيبي الثرى لوهرسف ومسلمه ، حينما كان مار يوحنان القديس مطرافوليطاً . فمكث الطوباوي ربان باباي في هذه المدرسة مدة سنين عديدة ، ثم اجتاز الى بلاد مركا واسس فيها اربعاً وعشرين مدرسة ، منها اقامها جديدة ، ومنها رممها . وقد يحسبنا البعض مهذارين وكذبة حينما يقرأون هذه الاسطر . لذا فاني سأذكر المدارس بأسمائها ، وان كان هذا الاسهاب في الكلام يعرضه الى التفاهة .

الفصل الثالث

المدارس التي أسسها ربان باباي وأسماؤها

ما إن بلغ الطوباوي بلاد مركا ، حتى جمع الطلاب أولاً ونظم المنهاج المدرسي وهيأ

(١) كفرعوزيل أو كفرعزي كانت مركز منطقة حزة قديماً. وكان يقع على مقربة منها دير مار ميخائيل في ترعيل. ولا نعرف الآن موقعها بنوع أكيد ، والأرجح انها قرية « سربس عزيز » الحالية الواقعة على مسافة ١٦ كم في الجنوب الغربي من اربيل . أما ياقوت فيقول انها تقع بين اربيل والزاب الأسفل [انظر معجم البلدان ٤ص ٤٧٠]. ويقع

المواضيع في باشوش قرية سفسفا . وبعد ذلك بنى مدرسة اخرى في دير بوصيل (أو برصيل) في منطقة غيرين (كارا) ، واخرى في دير شاميرا (الماس) [١] ، واخرى في دير قوري ، وغيرها في اقرا[٢] ، واخرى في خردس[٣] ، واخرى في شلمث ، واخرى في بيث ادري[٤] ، وغيرها في حطرا[٥] ، واخرى في مقبتا ، واخرى في عقبة نيرامدراعاواثا (نيرام الرعاة)[٦] ، واخرى في قوب[٧] ، واخرى في وادي برزي[٨] ، واخرى في كوبي[٩] (الاجباب) ، واخرى في دير مار افرام[١٠] ، واخرى في دير مار أحا ، واخرى في ميا قريري (المياه الباردة)[١١] ، واخرى في بيث آسا[١٢] ، واخرى في بيث ساطي[١٣] ، واخرى في بيث قرداغ[١٤] ، واخرى في حنس[١٥]

دير مار ميخائيل - ويعرف الأ باسم « الكليسة » - على مسافة ١٫٥كم غربي سربس عزيز .

(١) دير شاميرا مجهول الموقع ، ولا يذكره السمعاني في النص الذي نشره لكتاب الرؤساء [طالع السمعاني ، م. ش. ٣ ، ١ ، ص ١٧٨] .

(٢) « اقرا » هي عقرة الحالية .

(٣) خردس قرية من قرى سفسفا تقع على مسافة ١٠كم في الشمال الغربي من عقرة .

(٤) يظهر ان بيث ادري هي غير باعذري الواقعة بالقرب منقصبة عين سفني الحالية، والكلمة تعني موضع البيادر.

(٥) حطرا أو حطارا - هناك قرى عديدة بهذا الاسم الذي معناه الرحى . أما هنا فالقرية المشار اليها تقع على الخازر وكانت مسيحية الى عهد ربان جبرائيل الذي شفى ابن أحد شهارجة القرية ويدعى « نكارا » .

(٦) نيرم دراعاواثا [نيرم الرعاة] وتتميز عن نيرم [كندك] . والاولى واقعة في الشمال الشرقي من منطقة بيرتا بالقرب من الخازر .

(٧) قوب قرية من منطقة بيرتا على مسافة نحو ٢٥كم غربي عقرة عبر الخازر ، وكانت قرية مجوس ، ثم اهتدت الى المسيحية على يد ربان مار يوحنان المطرافوليط اليوناني المنفي في القرن الرابع ، وكانت القرية نسطورية في عهد توما المرجي ثم أصبحت منوفيزيتية . وفي مستهل هذا القرن غادرها سكانها المسيحيون وسكنتها جماعة من الاكراد المسلمين .

(٨) برزي هي قرية برازي الحالية الواقعة في الشمال الغربي من جبل مقلوب .

(٩) ... «كوبي» قرية عامرة سابقاً . إلا انه لم يبق منها الآن إلا ما هو بشكل تل يطلق عليه اسم « كبي » ويقع على مسافة كيلومتر واحد جنوبي بلان .

(١٠) لا يزال دير مار أفرام موجوداً على مسافة قريبة شرقي قرية هرماشي في منطقة المروزي أي أتروش .

(١١) « ميا قريري » [المياه الباردة] - لا يزال هذا الاسم يطلق على كرم يقع في سفح جبل خير [جياخيري] القريب من قرية تلان في منطقة بيرتا .

(١٢) بيث آسيا وهي قرية «اسين» الواقعة على مسافة ٦كم في الشمال الغربي من بلدة عين سفني ، وعلى مقربة من هذه القرية يجد المرء أنقاض دير ربان صليبا المعروفة الآن بدير الصليب .

(١٣) بيث ساطي هي حالياً قريتا بساط [او بيساطي] الواقعتان فيالشمال الغربي من « كاني فلا » في منطقة بيرتا

(١٤) بيث قرداغ او قرداغية هي على مسافة كيلومترين او ثلاثة شرقي باسفري الكائنة في الجنوب الشرقي من بيري أي بيرتا القديمة .

(١٥) حنس هي خنس الحالية الواقعة على الكومل على مسافة ١٠كم شمال شرقي عين سفني .

واخرى في بيث رستاق[1] واخرى في بيث نرقوس[2] واخرى في بيث ترشمابي (ترمشايي) ...

هذه هي المدارس التي اسسها وجددها في بلاد مركا هـذا البستاني الحكيم . ويقال انه اقام ستين معلماً من بين تلاميذه وشيد ستين مدرسـة ، وعهد الى كل منهم ادارة احدى هذه المدارس ، وخصص لها الموارد الاساسية والمعيشة ، وذلك بتحريضه المؤمنين الاتقياء الذين كانوا مهتمين بالعلم الالهي . ثم قفل راجعاً الى كفر عوزيل وكان يزور كل سنة هذه المدارس مرتين، لئلا تتسرب اليها الرخاوة ، فيفسد النظام الموسيقي والقوانين والترتيبات التي وضعها لتلاميذه . ومن هنا جاءت تسمية « موسيقى ربان باباي » .

الفصل الرابـــع

تآليف ربان باباي وخاتمة حياته

ورب امرىء يظن ان باباي كان حاذقاً في فن الموسيقى، بينما كان عديم الاطلاع على معاني الكتب ، أو انه كان خبيراً بالكتب المقدسة ، ولكنه كان بعيداً عن روحها ، فها هي ذي المصنفات التي وضعها في شتى المواضيع تزيل تلك الظنون . فله مقالات وتعاليم كثيرة حينما يقرأها المرء يرى انه كان وافر المعرفـة متبحراً في النظريات . وله اثنان وعشرون ترجاماً مرتباً على الحروف الابجديه يقولها الصبيان في عيد السعانين ، وتعاز وبركات مرتبة على الالفباء ، ورسائل كثيرة موجهة الى اشخـاص عديدين ، وبركات مسهبة تقال على الاختان والعرائس . ولأنه كان معتاداً

(١) بيث رستاق او بيرستك واقعة على مسافة ٥كم غربي بلدة عين سفني ، وورد ذكرها أيضاً في قصة برعيتا [ص ١٩١ ، ٢٤٥ ، ٢٧٠] وقد ذكر بونيون مدرسة بيث رستاق في كتابه « الكتابات السامية » [ص ٢٩].

(٢) بيث نرقوس قرية في مقاطعة مركا غير بعيدة عن دير برعيتا الأصلي .

ان يحضر مراسيم تذكار القديس مار يعقوب مؤسس دير بيث عابي ، فقد ألف في مدح هذا الشخص اثنتين وعشرين انشودة مرتبة على الالفباء على لحن « السر العظيم » وعمل فرعاً بديلاً لانشودة « ايامي قد طارت » و « هوذا للموتى » باثنتي عشرة اغنية ، واخرى في مدح مار نسطوريس مطلعها « في سبيل الابرار » ، هذا عدا تآليف اخرى مختلفة كتبها الملفان الطوباوي ، ويمكن للمرء ان يجدها في ديرنا بيث عابي المقدس(١) . وبعد هذه الاعمال الجليلة ، وبعد أن غرس وسقى ، وولد وربى ، وأنبت وأنضج وعتق ، ترك هذه المنطقة وذهب الى مدينته(٢) . وهناك بشيخوخة عميقة استراح من أتعابه وشدائده وهو مزدان بكل الاعمال الالهية المرضية لربه . فرقد في تربة آبائه ودفن جثمانه الطاهر الزكي في الكنيسة التي فيها تعلم وعلم . وقد حفظت له مكافأة مجيدة في يوم ظهور ربنا مع قيورا(٣) ونرساي(٤) ويوحنان(٥) وابراهام(٦) الذين استنار

---

(١) طالع السمعاني [م. ش. ٣ ، ١ ص ١٧٩ ؛ رايت ، الأدب السرياني ص ٨٤٤ عمود ١] .

(٢) أي الى الجبيلة مسقط رأسه .

(٣) قيورا ـ هو تلميذ القديس أفرام الملفان الكبير ، وقد خلف استاذه في ادارة مدرسة الرها سنة ٣٧٣ . ويقول عنه برحذبشبا عربايا انه كان ممتازاً بتقواه وغزارة علمه وقد أحسن تدبير المدرسة فازدهرت في عهده وتوافد عليها التلاميذ من كل صوب ، وكان من بينهم نرساي وبرصوما ومعنا . وتوفي قيورا سنة ٤٣٧ . ومن المعتقد ان قيورا هذا هو نفس كيرلونا أو قيرلونا [طالع ادي شير ، مدرسة نصيبين الشهيرة ص ٨ ، كلدو وآثور ٢ ص ٥١ ـ ٥٢] ، وليس تلميذ مار آبا كما وهم بدج [طالع كتاب الرؤساء ٢ ص ٣٠٠ حاشية ١] .

(٤) نرساي ـ ولد في نحو سنة ٣٩٩ في عين دلبي القريبة من دهوك . وهو من أشهر شعراء السريان الشرقيين . وبعد ان تلقى مبادىء القراءة في مسقط رأسه توجه الى مدرسة الرها . وسرعان ما تفوق على أقرانه الطلاب في كل المضامير حتى لقب بجدارة « لسان المشرق وباب الديانة المسيحية وقيثارة الروح القدس » [طالع ماري في المجدل ص ٤٤ ، والباترولوجية الشرقية ٧ ، ٢ ص ١١٤] ، ولو ان خصومه المنوفيزيتيين لقبوه بنرساي الأبرص . أقيم رئيساً لمدرسة الرها سنة ٤٣٧ بعد موت قيورا . وبعد عشرين سنة ذهب الى نصيبين وهناك أسس مدرسة بموازرة برصوما صديقه الذي كان قد أصبح مطراناً لهذه المدينة . أدار نرساي هذه المدرسة مدة اربعين سنة ومات في نحو سنة ٥٠٢ . أما كتاباته فكثيرة وغاية في الجودة [طالع التاريخ السعردي ٢ ص ٢٢ ـ ٢٣ ؛ ماري في كتاب المجدل ص ٤٤ ؛ السمعاني م. ش. ٣ ، ١ ص ٦٣ ـ ٦٦ ؛ رايت ، الأدب السرياني ص ٨٣٠ ، ابن العبري ، التاريخ الكنسي ٢ عمود ٧٧] .

(٥) يوحنان ـ هو يوحنان بيث ربان ، وسمي كذلك لانتسابه الى نرساي الملفان . كان يوحنان الساعد الأيمن لنسيبه ابراهيم بيث ربان في ادارة مدرسة نصيبين . وقد وضع مصنفات كثيرة [طالع السمعاني م. ش. ٣ ، ١ ص ٧٢ ـ ٧٣ ، التاريخ السعردي ٢ ص ٢٤] . وافته المنية في سنة ٥٦٧ .

(٦) ابراهام بيث ربان ـ بعد موت اليشاع برقوزبايي سنة ٥٠٩ ، قام ابراهام برئاسة مدرسة نصيبين ودامت مدة هذه الرئاسة ٦٠ سنة ، الى موته الذي كان سنة ٥٦٩ . وازدهرت في عهده هذه المدرسة حتى بلغ عدد طلابها الألف [طالع عنه وعن تآليفه ، ماري ص ٤٥ ، الباترولوجية الشرقية ٤ ص ٣٨٧ ـ ٣٨٨ ، م. ش. ٣ ، ١ ص

بتعليمهم وأنار وعلى نهجهم سار .

ويروى عنه انه حينما كان معلماً في كفرعوزيل جاءته ام ابراهام الأعرج من بيث صيادي[1] وهي حاملة ابنها ، واخذت تبكي امامه قائلة : « يا سيدي صل على هذا نصف الانسان الذي ولدته » . وحينما وضع يده عليه قال : « ان هذا ليس نصف انسان . إنما سيصبح أبا الآباء ورئيس الملافنة وينتشر اسمه وعلمه في المشرق كله» . وقد تحقق ذلك كما يعرف الجميع.

وفي زمان شيخوخته ، حينما ذهب الى مدينته ، ألقى سؤالاً على الطلاب المتجمهرين حوله ، ولا نعرف ماذا كان السؤال ، ولم يقدر أحد منهم ان يعطي له حلاً . فشرع باباي يبكي ويلطم وجهه وينتف شعر رأسه ويصرخ قائلاً : « الويل لي أنا أعمى الخطيئة . لقد ظننت اني خلفت ورثة فاضلين في الكنيسة ، ولكن كمثل ذلك الذي زرع ولم يحصد هكذا حدث لي أنا الشقي والغبي لأني لم افرح بعملي» . كان أمام القديس صبي نابه جداً اسمه كوريا ، ولأن النعمة الالهية معتادة ان تسبق ذويها وان تفرز طالبي الحكمة الروحية ، فقد تملكت هذا الصبي فقال لربان : « لعل السؤال الذي سألته هو هكذا يا سيدي ؟ » ، فأجاب الشيخ وهو يطرب فرحاً وقال : « آه من هذا ؟ » ، فقالوا له انه كوريا[2] ، فأمر ان يدنو منه ، فوضع يديه وفمه على رأس الصبي وقال جذلاً : « صلوا لأجل هذا الجرو فانه سيصير كلباً كبيراً » . وقد تحقق هذا أيضاً له ، حسب قول الشيخ المبارك . فبعد موت ربان باباي صار كوريا معلماً خلفاً له واقتدى اثر معلمه في تعليمه وسيرته ، وكلا جسديهما موضوعان في تلك الكنيسة المقدسة . ليكن ذكرهما للبركة ولتساعدنا صلواتهما . آمين .

(انتهت قصة ربان باباي الملفان)

٧١] . وهنا أيضاً وهم بدج في شخصية يوحنان وابراهام بيث ربان ، بينما الاشارة اليهما واضحة حتى لدى السمعاني الذي يعتمده بدج [طالع كتاب الرؤساء ٢ ص ٣٠١ حاشية ١ و ٢] .

(١) بيث صيادي أو بيث صيدا قرية تقع بالقرب من أربيل . ونجهل موقعها الأكيد [راجع م. ش. ٢ ص ٢٥١ ، ٣ ، ١ ص ١٧٩ ، ٣٤٣ ، التاريخ الكنسي لابن العبري ٢ عمود ٤٣٧] . غير ان بعضاً من أهالي قريـــة عينكاوة المجاورة لأربيل يقولون انها قريـــة « بني سلاوا » الحالية الواقعة على مسيرة ساعة ونصف الساعة في الجنوب الشرقي من أربيل . أما ابراهام هذا فهو ابراهام بردشنداد استاذ البطريرك طيمثاوس الأول الكبير في قرية باشوش . ثم انتقل الى الدير الأعلى وهناك وافته المنية [طالع كتاب الرؤساء جزء ٥ فصل ١٢ حاشية ٢ ، م. ش. ٣ ، ١ ص ١٩٤ ، رايت ص ٨٤٤] .

(٢) «كوريا» لفظة سريانية تعني الجرو .

الفصل الخامس[1]

المقدمة

إن مآثر القديسين مفخرة للكنيسة المقدسة ، وقصصهم المستعذبة إعلاء لشأن بنيها . فان الفوائد الجمة التي تأتينا منها ترسخ فينا محبة سيدهم ، والأعياد المجيـــدة التي نقيمها لاكرامهم نهدف من خلالها الاشتراك معهم في الملكوت السماوي ، وتذكاراتهم في كل سنة تشهر أمجاد تلك القـــوة التي عضدتهم هنا وأولتهم أسرارها وائتمنتهم على رعاية أغنامها ، وستمتعهم هناك بالمجد المعد لهم . فيحـــق للذين صاروا هنا مذبح الصلاة ، والذين كان يفوح منهم عطر بخور الحياة كل حين فيضمخ كل الجهات ، والذين صاروا هنا ملائكة لابسي جسد ، أن يقولوا لله : « أما انا فقـــد ثبتني في برارتي ، وأقمتني أمامك الى الأبد »[2] . وانا الشقي الخاطىء ايضاً سأكتب عن جلائل كل منهم واخباره بتفاهتي ، فأطلب منهم العون ، حتى يعطيني الرب أن أتكلم في نطاق قوتي الضئيلة ، وإن لم يكن كلامي وافياً بحقهم . لأن الرب يريد ان يقدم كل واحد منا قربانه أمامه حسب مقدرته ، بمثابة فلسي الأرملة[3] . وبجاه صلوات صديقه الحبيب وصفيه القديس الذي يتطرق كلامي اليه ، لا يكن دنوي منه للدينونة بل للغفران .

(١) هو الفصل الأول في طبعة العلامة « بدج » .

(٢) مزمور ١٣/٤٠ .

(٣) مرقس ٤٢/١٢ .

الفصل السادس

أصل مار مارن عمه وكيف وممن تلقى العلم الالهي

إن أصل مار مارن عمه من بلاد الطيرهان ، ومدينته تدعى حطرا[1] وقد خربت اليوم. فيها أبصر النور وأشرف على تربيته أبوان مؤمنان فسمياه مارن عمه [الرب معه] ، الاسم الذي يحمل بين طياته صلاة وابتهالاً لأجله ، لكي يكون المسيح الرب فيه ومعه . تلقى العلم في صباه في كنيسة مدينته . ولأن شهرة ربان باباي كانت قد طبقت الآفاق في ذلك الزمان أكثر من أي شخص آخر في التعليم ، وذلك في مدينة الجبيلة ، فقد ترك مارن عمه والديه وثروتهما وقصد هذا المعلم وأخذ يرتشف العلم بارشاده الى ان رسخ في فكره العلم الالهي وتهذب وتثقف عميقاً. ولما صعد الطوباوي ربان باباي الى هذه البلاد ، رافقه الطوباوي مارن عمه ، لأنه كان أحد تلاميذه ومن بين المعلمين الستين المشهورين . ولما شاد المدرسة في قرية كفرعوزيل ، أقام مارن عمه معلماً في هذه القرية . فذاع خبر محاسنه في هذه البلاد كلها ، لأن تعليمه كان مقروناً بطهارة سيرته . فقد منع جسده من كل ما يلذ ، وكان يقتات بخبز وقليل من الطبيخ لقوام حياته . وقد كان ذلك دأبه منذ صباه لئلا يكون سخرية في شيخوخته ، لأنه تعلم ان من يستسلم للذة في صباه يصبح عبداً ويندم في آخرته[2] . وكانت أعمال شبابه تذهل نساك زمانه ، فانه رغم التعب العظيم الذي يقتضيه ذلك العبء الذي وضع على كاهله من جراء التعليم ، قدر ان يتمسك بسيرة التجرد المجهدة والتقشف الصارم . وظل معلماً طيله سنين عديدة في عهد الطوباوي مار

---

(١) ذهب « بدج » الى القول ان حطرا هذه هي « الحضر » [كتاب الرؤساء ٢ ص ٣٠٥ حاشية ٥] . الا اننا نجد تلاً بأسم « هطرة » على مسافة ٨كم جنوبي تكريت ويسميه ياقوت الحموي « هاطرى » [معجم البلدان ٥ ص ٣٨٩] وهو في منطقة الطيرهان التي تمتد الى ضفتي دجلة من عكبرى جنوباً الى البوازيج شمالاً . وفي قسمها الشرقي كانت المنطقة تعود الى اقليم باجرمي ، ثم الحقت بالابرشية البطريركية .

(٢) أمثال ٢٩/٢١ .

احا المطرافوليط . وكانت سفينة نفسه تجري حسناً وبرعاية الله حاملة بين دفاتها كنوزاً من جلائل المآتي .

الفصل السابع

الاسقفية التي اقتبلها الطوباوي على بلاد سلاخ والآيات التي جرت هناك على يده

كان في بلاد سلاخ اسقف طاهر قديس هو ايشوعزخا الذي كتبت عنه سابقاً(١) . وقد جرت على يده قوات ومعجزات في تلك المنطقة . ولما انتقل من حياة الشقاء الى راحة الابرار الراقدين بالمسيح ، كانت البلاد لا تزال تتسكع في ديجور المجوسية ، والاهلون يسجدون بغباوتهم ليس للنيرات فحسب ، بل وللأشجار الزاهية أيضاً ، كما بلغني من جدي ـ اذ ان هذه العبادة كانت ضاربة اطنابها في البلاد حتى زمانه ـ . فاضطر الطوباوي مار أحا المطرافوليط ان يرسم القديس مارن عمه ويرسله الى هناك ، لكي يستأصل الزؤان من تلك البلاد بعلمه وقداسته ، لانه كان رجلاً عالماً وصديقاً . فاسيم وارتحل الى تلك المنطقة ، بعد أن قبل من الروح القدس ، مع الرسامة ، قوة صنع العجائب والمعجزات . فالحب الالهي المتأجج اواره في نفسه والطهارة التي حافظ عليها منذ صباه رفعا شأنه في رئاسة الكهنوت ومفاعيل الروح .

لما خرج لزيارة القرى بلغ قرية اسمها « بيث نوا » ، وكان فيها رجل قد تزوج بامرأة اخرى الى امرأته الشرعية . فاستدعاه ولم يحضر امامه ، وطالبه بطرد الزانية من داره فلم يفعل .

(١) راجع الفصل الثاني والثلاثين من الجزء الثاني .

فلعنه قائلاً : « اني واثق بالرب ان غضب الله سيأتي عليك وتترمل كلتا امرأتيك » . وفي الغد رفع الرجل الساطور ليقطع اللحم ، وبتدبير رباني ضرب يده اليسرى فبترها ونزف الدم حتى مات ، حسب كلام القديس له . فأخذ الخوف مأخذه من كل الذين سمعوا [بهذا الحادث] .

وسافر من هناك الى قرية اسمها « بيث ورك » في منطقة « حتر » . وكانت في هـــذه القرية امرأة أرملة لها ابن صغير وحيد ، واذا به يموت عند دخول الطوباوي . فاحتشد حول الصبي جمع غفير وأخذوا بالبكاء . ولما علم [القديس] بثكل تلك العجوز ، حزن جداً وأمر ان يأتوا بالجنازة الى الكنيسة . وأخرج الكل خارجاً وشرع يبتهل الى الله لأجل حياة الصبي . والله الذي يسهل كل شيء على قدرته ، والذي أعاد الاموات الى الحياه بواسطة ايليا(١) واليشاع(٢) منح الطوباوي طلبه وبعث الصبي حياً . فقام الولد وأعطاه لأمـــه وطفق الشعب كله يبتهج ويمجد الله .

وكان ايضاً في البلاد قوم من الشهارجة(٣) هم بالاسم مسيحيون ولكنهم يعترفون بالمسيح انساناً بسيطاً ويحسبونه كأحد الأنبياء . وقد بذل الأساقفة الذين قاموا في البلاد جهـــودهم لتقويمهم ، ولكنهم لم يرضخوا لتعليم الارثوذكسية القويم . فلما علم [القديس] بذلك ذهب اليهم في يوم سبت ليقضي الأحد عندهم ويصلي لأجلهم . وأقامهم معه في الصلاة وكان يبتهل الى الرب في قلبه من أجلهم لكي يشرق نوره في قلوبهم . ولما كان جميع أهالي القرية في تلك الكنيسة وبدأوا الصلاة [التي مطلعها] : « النور أشرق على الصديقين والفرح على مستقيمي القلب »(٤) ، امتلأت الكنيسة وفناؤها نوراً يفوق أشعة الشمس سطوعاً ، فتعجب كلهم ودهشوا . فقال لهم القديس : « الآن وقد أظهر لكم المسيح ربنا نوره ، وأشرق حقه في قلوبكم ، أتقرون

---

(١) ١ ملوك ١٧/٢٢ .

(٢) ٢ ملوك ٤/٣٥ .

(٣) « الشهريج » هو رئيس الكورة - والشهارجة طبقة اعلى من الدهاقنة ، أي انهم طبقة الملاكين الكبار - ويمكننا ان نقابل بين الشهريج والبك ، والدهقان والأغا [طالع المسعودي ، مروج الذهب ، طبعة باربيه دي مينارد باريس سنة ١٨٦٣ ، ص ٢٤٠ ، نولدكه . تاريخ الفرس ، ص ٤٤٦] .

(٤) بهذه الآية من المزمور استهل القديس افرام [+ ٣٧٣] الانشودة البديعة التي نظمها على حروف اسم « يسوع المسيح » ، وهي تقال صباح كل أو عيد من السنة [طالع الحوذرا الكلدانية ص ٣٥ ، كتاب « دقـــذام وذواثر » طبعة الدومنيكيين في الموصل سنة ١٩٠٣ ص ٤٦ - ٤٧] .

معنا ان يسوع المسيح هو رب واله[1] ، أولعلكم بحاجة الى رؤية أشياء اخرى ؟ » . فأجابوا وقالوا له : « اننا نؤمن ، يا أبانا ، نؤمن بأن يسوع المسيح هو ابن الله وانه اله » . وفي أثناء الأسرار المقدسة حلهم من ذنبهم فصاروا أبناء أحباء للكنيسة امهم ، من جراء الاعجوبة التي أجراها أمامهم المسيح بواسطة قديسه .

وكان لأحدهم بغلة للركوب حرون ، وكان صاحبها مغتماً جداً بشأنها لأنها كانت جميلة ورائعة ، فكلم الطوباوي بشأنها . فأمره ان يأتي بها الى الكنيسة بلجامها . فأخذ القديس اللجام ورسم عليه إشارة الصليب ، وقال لها ، وكأنه يخاطب شخصاً ناطقاً : « باسم الرب افتحي فمك واقبلي اللجام » . واذا بها فتحت فمها وقبلته بكل هدوء . فطفق الجميع يمجدون الله .

وكانت في كنيسة ضيعتنا « نحشون » قرية نمل كبيرة وقد استقرت في الجدار ولم يكن من السهل على المؤمنين استئصالها لأنها كانت منتشرة في الجدار كله حتى السطح . وكانت تلك الكنيسة مسقفة ومزينة بألواح جميلة . واستعصى الأمر على الأهلين . و لما جاء القديس عندهم أخبروه بذلك . فبارك على ماء بالصليب الذي كان حامله وأمر أن يرشوا منه على النمل ، وفي الغد لم يجدوا أثراً لأية نملة هناك .

في تلك الأيام كان الشهارجة يأخذون نصف الغلة والخمر والجوز وجزية الرأس من الدهاقنة ، حتى ضاق هؤلاء ذرعاً بوطأة ظلمهم الشديد ، فأقبلوا الى اسقفهم البار يشكون الجزيات والأتاوي التي تفرض عليهم . فقال لهم : « يا أولادي ، عن قريب سيأخذ فيه العرب هذه القرى كلها فيرحل جميع هؤلاء الشهارجة يطاردهم شخص اسمه حاتم بن صالح ويبيدهم وستخضعون له كلكم . لأن الظالم ينتقم من الظالم والرب من كليهما » . وحدث ذلك في تلك البلاد بعد سنين كثيرة اذ لم يكن في ذلك الزمان حاتم بن صالح قد ولد بعد ، ولكن حيث ان روح الأنبياء تطيع الأنبياء ، فقد سبق وأعلن ما سيكون .

---

(١) انها جملة تدل على أن معتقد المرجي مزيج من المذهب النسطوري والمعتقد الكاثوليكي ، كما لاحظنا سابقاً [راجع كتاب الرؤساء ، جزء ٢ فصل ٣٤] .

الفصل الثامن

كيف سيم القديس مار مارن عمه مطرافوليطاً لحدياب والاعجوبة الاولى التي عملها في هذه البلاد

أنهى الطوباوي مار أحا المطرافوليط الطاهر حياته متوجاً باكليل النور في بلاد مركا ودفن جثمانه في قرية شلمث. ووقع انتخاب البلاد كلها، وبالأخص لوهرسف[1] ومسلمة وبقية اخوتهم، على القديس مار مارن عمه الاسقف. فرسمه الطوباوي مار يعقوب الجاثليق البطريرك[2] ولما جاء استقبل بحفاوة عظيمة وإكرام لائق بقداسته، فدخل وجلس على كرسي الآباء. وان نسراً من عرب جسورين غزاة في المنطقة انتزعوا رحى من ممتلكات الآباء تسمى بيث وردا[3] فلقد انتهزوا فرصة وفاة مار أحا القديس ليستولوا عليها سريعاً ويستملكوها بتدبير خاطف. فلما سيم القديس مارن عمه حاول بكل الوسائل هو وأشراف البلد ان يسترجعوها من اولئك الغاصبين ولم يفلحوا. وكان هو يقول ان الرحى تخص المطرافوليط وهي لي. أما هم فكانوا يماحكونه ويصرون على عدم التخلي عنها له البتة. فقال لهم: « بما انكم تخاصمون ولا تريدون الاقلاع عن هذا الاثم، هلموا نذهب الى الرحى ونتعلم منها لمن تعود ». أما هم فأخذوا يسخرون من هذا الكلام الغريب، إذ لم يؤمنوا بقوة الله التي ترافق الطوباوي، وقبلوا الشرط وانطلقوا معه. ورافقهم جمع غفير من الشهارجة والدهاقنة ليروا ماذا يكون من الأمر، ولما دخلوا [الى الرحى] قال لخصومه: « اذا كانت لكم، فمروها ان تظهر ذلك فنتركها لكم

(١) يسميه المسعودي « بهراسف » [طالع مروج الذهب ٢ ص ١٢١].

(٢) هو البطريرك يعقوب الثاني [٧٥٤ - ٧٧٣].

(٣) يجب تمييز « بيث وردا » هذه عن غيرها من الاماكن التي يطلق عليها هذا الاسم. وهنا يطلق الاسم على رحى تقع بالقرب من شلمث [شرمن الحالية] في منطقة سفسفا.

ونرحل » . فأجابوه قائلين : « قل لها فهي تظهر لمن هي » . فقال لهم : « اذا امرتها وطاعت أمري فهل تتركونها وتذهبون ؟ » قالوا : « ان رأينا هذا الحجر يمتثل امرك ، فلن يكون لنا حصة [في الرحى] بعد ، بل سنذهب حالاً وهي تكون لك » . فركع وصلى الى الله ، ثم التفت الى الرحى وقال : « ايها الحجرة الصماء ، بقوة كلمة الله العظيمة الربانية المسيطرة على العلى والعمق ، اذا كنت لهولاء العرب فاطحني الطحين كشأنك . واذا كان الامر بخلاف ذلك ولست لهم بل انت ارث لمطرافوليط هذه البلاد ، فلينقلب طحينك رماداً » . ولم يكد ينهي كلامه حتى شرع الرماد يخرج من الرحى وغاب الطحين . فاستولى الرعب على الجميع وطفقوا يمجدون الله . واردف قائلاً لاولئك القوم : « والآن ايضاً اذا كانت لكم فمروها أن تبدل الرماد طحيناً » . ولكنهم دهشوا وخجلوا ونفضوا أيديهم من الرحى وقد التحفوا بالعار . ثم سمح المطرافوليط للرحى فأعادت الرماد طحيناً على مألوفها . وطار هذا الخبر في كل البلدان ...

سبحان الرب الرحوم الذي يفتقد كنيسته في كل حين وفي كل شعب ، ولا يترك ولن يترك نفسه بدون شهادة[1] ، بل يقيم في كنائسه مختارين صانعي قوات ويجعل لها آباء من أولادها . ويجدد على أيديهم قوات الرسل ابائهم وعجائبهم ومعجزاتهم .

الفصل التاسع

المقاطعات التي أخذها [مارن عمه] من المراعيث الاخرى ووضعها تحت ولاية أبرشية حدياب ، والمقاطعات التى أعطاها عوضها

أخذ [مارن عمه] مقاطعة ديبور[2] من منطقة سلاخ[3] وكتب صكاً ووضعه في قلايته

(١) اعمال الرسل ١٤/١٧ .

(٢) ديبور هي المقاطعة الواقعة عند منبع نهر الزاب الصغير في الجنوب الشرقي من راوندوز .

(٣) راجع كتاب الرؤساء ، جزء ٢ ، فصل ٣٢ .

الاسقفية ينص على الحدود التي لا سلطة لاسقف سلاخ عليها ولا ينـــادى باسمه في كنائسها . وأخذ من كرسي اذربيجان سلاخ الداخلية وأعطاها لاسقف سلاخ مقابل مقاطعة ديبـــور . وأعطى اسطيفان اسقف داسن الدير الكبير وكل مقاطعة نحـــلا وطلانا التي كانت من ولاية مركا وكتب له سنداً فيها لا يسمح للمطرافوليط الذي يخلفه ان يخاصم ويسترجعها من كرسي بلاد داسن . وأخذ دير برقا[1] من البار والقديس مار شليمون اسقف الحديثة وأعطاه قريتين من ولاية حدياب هما كملولوحي ومردي . ولأجل قداسة [مارن عمه] وسمو سيرته ، لم يختج أحد او يتذمر من هذه التدابير ، بل كان الجميع يقبلون بفرح كل ما يأمر به او يقدم عليه ، كأنه ملاك الرب[2] . أما التدابير التي اتخذها فما زالت نافذة المفعول الى اليوم .

الفصل العاشر

ظهور ملاك الرب له فى الرؤيا يطلب اليه ان يبيد الزرع الشرير والأولاد الفاسدين الذين عاثوا فساداً فى بلاد مركا

ليس بين الخطايا التي يقترفها الناس ما هو أشد شناعة وبشاعة من خطيئة الدنس . فانها تؤدي بالذي يتمرغ فيها الى كل الضلال وتدفعه بنوع مخجل الى المروق عن الواجب . ويشهد على ذلك عمل هـــذه الخطيئة نفسه المملوء خجلاً وخزياً ، اذ انه يكمل ليلاً وتحت سجوف الظلام . وهذا العمل النجس القى الى التهلكة كل الجيل المعاصر لنوح[3] ، وأحرق السادوميين

(١) دير برقا أو برقانا أو برقنايي هـــو دير الطين أو دير مار يوحنان الانجيلي [وليس مار يوحنان الحبري ، حسب التقليد العينكاوي] الذي اسسه حنانيشوع أو عنانيشوع الحديابي [طالع كتاب العفة ، عـــدد ١٢٣]في نهاية القرن السادس او بدء القرن السابع . ويقع هذا الدير تحت ملتقى الزاب الكبير بدجلة ، وهو مرقد السلطان عبد الله، كما قلنا سابقاً عندما تكلمنا عن حديثة الموصل [انظر كتاب الرؤساء جزء ٢ فصل ٢٢ حاشية ١] .

(٢) اشارة الى ١ صموئيل ٩/٢٩ ، ٢ صموئيل ١٧/١٤ ، غلاطية ١٤/٤ .

(٣) تكوين ١٢/٦ .

بالنار(١) ، ونشر الخزي في يهوذا(٢) ، وسحب من شمشون العناية الالهية التي ترافقه(٣) ، وألقى عاراً على داود(٤) . وقد أمرنا بولس الالهي ان نبتعد عن هذا الاثم قائلاً : « اهربوا من الزنى »(٥) . « فان الذي يفسد هيكل الله يفسده الله ، لان هيكل الله مقدس وهو أنتم »(٦) . فقد ركب بعضهم مركب الفساد والدنس في أمكنة مختلفة من بلاد مركا مع أعمال وتصرفات اخرى تغيض الرب . فكما حدث في زمان موسى ، وتحمل أناس لم يذنبوا قصاص الناس المذنبين ، كالمجاعات التي حدثت في أيام ابراهيم(٧) واسحق(٨) ويعقوب(٩) ، الاناس الأبرار الذين صاروا هم ايضاً شركاء الأشرار الذين بسببهم صارت المجاعة .

في احدى الليالي ، بينما كان القديس [مارن عمه] عاكفاً على الصلاة في قلايته ، اذا بملاك الرب يظهر له وجهاً لوجه برؤيا مجيدة سامية ، فامتلأ هيكل الطوباوي رائحة ذكيــة واضطرب هو كثيراً ، وقال للملاك : « من انت يا سيدي ؟ » . أجابه الملاك وقال له : « انا ملاك الرب الذي أخدم كرسي اربيل الرسولي هذا » . فقال له القديس : « وماذا يأمــر سيدي عبده؟ » . أجابه الملاك : «صدر أمر من الرب ان يبيد بواسطتك ويفني الشعب الخاطىء ، هذا الشعب الذي طغى اثمه على بلاد مركا . فقد صعد شرهم قدام الرب مثل شر السادوميين(١٠) وسينالون على غرارهم عقابات مختلفة بحسب أوامرك » . فأجابه الطوباوي : « ان الرب قـادر ان يبيدهم في ساعة واحدة ، كما أباد قوات الآشوريين(١١) ، فهل يحتاج الى وساطة ضعفي ذلك الذي يده تسند العالمين ؟ واذا تراءى لهم فانهم ينوحون مولولين ، ومن منظره ترتعش الجبال وتهتز الأرض(١٢) » . فقال له الملاك : « انا الملاك الذي ارافقك في إدارتك كلها وفي ادارة الذين قاموا قبلك والذين سيخلفونك ، الى ان تكمل الأزمنة وتزول ، وانا أكون معك في إبادتهم » . فأجابه الطوباوي : « ليس من العدل واللياقة ان أكون جلاداً لأولادي ، وان أذبح

(١) تكوين ١٩/٢٤ ـ ٢٥ .
(٢) تكوين ٣٨/١٨ .
(٣) قضاة ١٤/١ .
(٤) ٢ صموئيل ١١/٢ .
(٥) ١ كور ٦/١٨ .
(٦) ١ كور ٣/١٧ .
(٧) تكوين ٢/١٠
(٨) تكوين ١٦/١ .
(٩) تكوين ٤٣/١.
(١٠) تكوين ١٨/٢١ .
(١١) ٢ ملوك ١٩/٣٥ .
(١٢) مزمور ٩٦/٥ ؛ اشعيا ٥/٢٥ ؛ مزمور ١٠٤/٣٢ ؛ اشعيا ٢٤/٢٠ .

هؤلاء الذين على يدي تقدسوا بالعماد وبوضع اليد ، وقد سقيتهم مياه تعليم المسيح الحية . فحاشا لي انا الخاطىء ان أعمل ذلك . فان اهلاك الآشوري(١) وإبادة الشعب الاسرائيلي الذي جرى في عهد داود(٢) ، والمدن الكثيرة التي دمرت(٣) والمعجزات العظيمة التي أجراها الله في شتى الأجيال لم تكن بيد البشر ، بل جرت بوساطة الملائكة . فاذهب انت واعمل ما تأمرني به » . قال له الملاك : « لا تحتج على أمر الرب لئلا تكون عنيداً ومخاصماً . فان لم ينتقم منهم بواسطتك فسوف لا يعرفون انهم هلكوا عدلاً ، ومن الضروري ان يصيروا عبرة لئلا يقتدي بهم غيرهم » . ولما قال له الملاك هذا ، اختفى عنه فلم يره بعد .

الفصل الحادي عشر

مغادرة الطوباوي دار المطرانية وهربه وتدخل الملاك وردعه

عندما رأى القديس ذلك وعلم ان الكلمة خرجت من لدن الرب ، ترك خفية صومعته وقد اغرورقت عيناه بالدموع وهصر الحزن قلبه وخرج ليلاً ليعتزل الناس ولا يكون أداة للعمل الذي طلبه منه الملاك . فسار يحث خطاه متوجهاً شرقاً نحو الجبل وهو يذرف الدموع السخينة ويتمتم بالصلاة والابتهال . ولكن كما أعاد الرب [يونان] النبي الهارب من بطن الحوت الى وعظ الناس في نينوى(٤) وأنجز به كلمته ، كذلك أعاد هذا الكاهن الهارب الى خدمته ، ليس بالحوت ، بل بالنار . فبعد ان مشى سحابة النهار دون قوت او ماء ، بلغ وادياً فيه مجتمع مياه يحيطها القصب . فدخل ذلك الغاب الصغير لكي يسد رمقه بالنعناع والخضار الذي حواليه .

(١) ٢ ملوك ١٩/٣٥ .
(٢) ٢ صموئيل ٢٤/١٥ ؛ ١ أخبار ٢١/١٤
(٣) تكوين ١٩/٢٥ .
(٤) يونان ٢/١٠ .

واذا بالملاك النوراني الذي كان يرافقه كالسابق وقف فوقه وقال له : « أنى لك أن تهرب من أمام الرب، ؟ فان السماء والارض مملوءتان منه وأراك تتصرف كجاهل وقاصر؟ » فأجابه : « اني ، وان اضطررت إلى الموت والهلاك ، لن اصبح راعياً شريراً فأكسر مفاصل غنمي ، أو جزاراً للخراف البريئة التي ائتمنني الروح القدس عليها» . فقال له الملاك : « كان باستطاعتي الساعة أن انتشلك مثل حبقوق واضعك في صومعتك ، أيها الشيخ الساذج ، غير اني لا اريد ان تأتي خدمتك قسراً بل طوعاً » . وما كاد الملاك ينهي كلامه حتى أحاطت بالقديس نار اضرمها الملاك ، وصارت تلتهم الغاب . وقال له الملاك : « اتذهب الآن أم احرقك مع هذا الهشيم ؟ » ولما اخذت حرارة النار تلفح جسم الشيخ ، اجهش بالبكاء ووعد انه ذاهب لانجاز الامر . فأخذه الملاك وبساعة واحدة وضعه في صومعته .

الفصل الثاني عشر

ذهاب الطوباوي مار مارن عمه الى بلاد مركا والآيات التي جرت على يده

عندما عاد القديس من هربه مكث قليلاً ثم استعد للذهاب الى العمل المملو أسى الذي انتدب له . فعبر الزاب [الكبير] وتوجه أولاً الى منطقة ما وراء الزاب الواقعة شرقي مركا .وصعد الى قرية كبيرة واقعة في الجبل تسمى بيرتا[1] وبات في الكنيسة حسب عادته . واوحي اليه في الحلم ان هذه هي احدى القرى التي تغيض سيدك ، فارمها بسهام لعناتك وبادر في الخروج منها. وما ان بزغت الشمس حتى ركب حماره وخرج منها . وأدار وجهه نحوها وقال : « أيتها القرية المملوءة اثماً ، لا يصح فيك ديك مبشر بالسلام ولا يسمع فيك صوته الى الأبد». فخرجت نار من زواياها الاربع فوراً والتهمت المساكن في ساعة واحدة. والى اليوم لم يسكن فيها أحد .

(١) بيرتا هنا ليست تلك التي تطرقنا اليها سابقاً ، بل هي بلدة صغيرة تسمى حالياً قلوتنا او كلاتي [قلعوتا : قلعة صغيرة] تقع على مسافة ٢٠ كم شرقي عقرة على منتصف الطريق بينها وبين الزاب الكبير .

ومن هناك قصد « بيث طحوني »[١] وكان يسكنها قوم من الشهارجة لهم في المنطقة ممتلكات كثيرة. وكان لأحدهم واسمه ارمنازوي امرأة من كفرعوزيل وهي تعرف القديس معرفة جيدة وكانت ابنة أشراف. وكان في قرية بيث طحوني دير للراهبات، وكان زوجها يقترف الزنى باحدى اولئك الرواهب. فلما دخل الطوباوي الكنيسة، أتته تلك المرأة مجيئها عند أبيها ومربيها، وبدأت تتشكى من زوجها على تلك النجاسة الخفية التي يتعاطاها وكيف انه تركها ليتمرغ في الزنى. فدعاه [القديس] وبدأ ينصحه ويوبخه قائلاً: « انك لست تتصرف حسناً، فانك عوض الزواج الشرعي تفرح الشيطان بمضاجعات غريبة، وتشجب نفسك أمام الله وتفقد نعمة الانتساب اليه ». ولكن الرجل، عوضاً عن ان يقبل التوبيخ ويقر بخطيئته ويطلب الصلاة ويعد بالتوبة. شرع يقذف القديس بمسبات قبيحة وأدت به الجسارة الى رفع يده محاولاً ضربه. فقال له القديس: « اني واثق بالرب انك انت وكل قريتك ستهبطون أحياء الى الجحيم مثل قورح وداثان وابيرام ». أما المرأة فلما رأت ذلك. وطرقت سمعها لعنة الشيخ القديس عرفت ان أمره لا يعتم ان يتحقق، فقالت له: « أبت، وماذا نعمل انا وابناي هذان؟ ». قال لها: « بادري الى الخروج الى دير قوراي ولا تتخلفي ههنا ساعة واحدة لئلا تبيدي ». وفي الصباح إذ كان الحاصدون في الحقول، سمع صوت كصوت رعود قوية وانفتحت الارض امام القرية، وتزلزل الجبل المشرف عليها كأنه ينهار عليها. ولما كان حاصدو الدخن يتفرسون فيها عن بعد رأوا فارسين يمتطيان صهوة حصانين من نار متقلدين سيوفاً نارية وواقفين، الواحد من فوقها في الجبل، والآخر من تحت. فقال الواقف فوق لزميله الواقف في الأسفل: « انت اهدم من اسفل وانا من فوق ». وهكذا تلاشت في الارض قرية بيث طحوني مع سكانها الى اليوم. وكل الذين يتذكرون هذه الحوادث يروون لنا ان دخاناً ورائحة كريهة كانت تتصاعد منها طيلة شهرين وصارت مثلاً وعبرة الى الأبد.

ومن هناك رحل وجاء الى قرية بيث عيناثا[٢] الواقعة بجوار قرية باشوش. وأظهر له الله ما ستؤول اليه. فوقف راكباً دابته على الأكمة المشرفة عليها ورفع يده اليها ولعنها قائلاً: « ليثر الرب عليك رياحاً شديدة فتهدم بيوتك كلها ويهلك سكانك ولا يسكنك أحد بعد الى

(١) بيث طحوني هي قرية « بجيل » الحالية شرقي مضيق زنطا الواقع شرقي عقرة.
(٢) بيث عيناثا لا تزال معروفة بهذا الاسم، وهي غير بيث عيناثا التي قلنا انها واقعة في بيث زبدي. فهذه واقعة في منطقة مركا جنوبي باشوش [شوش] عند مدخل السهل، أي على مسافة ١٢ كم غربي بلدة عقرة.

منتهى الأرمان وترث قرية باشوش أراضيك . وفي الليلة التالية هبت عليهم ريح جنوبية شديدة فعاثت فيها ودمرتها واصبحت ميراثاً لبني باشوش الى اليوم .

وهناك قرية اخرى اسمها حبوشتا[1] واقعة بالقرب من باشوش . فأمره الملاك فيها أيضاً فألقى عليها كلمات الغضب فانقلبت قاعاً صفصفاً ، وتركها .

وقيل له ان يذهب الى « بيث ادري »[2] . وكانت هذه قرية والد القديس مار ابراهام الجاثليق المعاصر لنا . واسم ابيه شابور واسم أخيه قينارغ . وكان كاهن يدعى عمانوئيل من قرية باشوش يقص علي عن شابور انه طيلة حياته كان يسجد للشمس . ففي الصباح عند الشروق كان يتجه نحو المشرق ، وفي منتصف النهار كان يسجد نحو الجنوب ، أما في المساء فكان يتوجه نحو الغرب . وقد اصبح أخيراً وثنياً مبشراً . فجاء الطوباوي الى قريتهم وكان فيها مدرسة صغيرة تضم اثني عشر طالباً تحت اشراف معلم . فدخلها إذ كان المعلم يتهيأ ليقرىء نصاً من سفر اشعيا . فسأله الطوباوي أي اصحاح تقرىء ، ثم أردف بقوله : « اترك اليوم هذا الاصحاح وابدأ من حيث اريك » ، وفتح الكتاب وأراه : ولول ايها الباب ، اصرخي ايتها المدينة . قد ذبت يا فلسطين بأسرك لان قتاما وافد من الشمال وليس من ينفرد عن عصائبه»[3] ، واتبعه بالاصحاح الذي يليه . ولما انتهى قال للمعلم والطلاب : « غادروا هذه القرية واذهبوا الى شلمث المشرفة عليكم ، لأن سقوط أصحاب القرية وشيك » . وفي اليوم التالي جاء قوم من الشمال ، ـ كما جاء في النص الذي قرأوه ـ وقتلوا شابور صاحب القرية ، وأصبحت [قريته] خربة لا يسكنها أحد حتى يومنا هذا .

ومنها جاء الى « ميا قريري » ، قرية الاكرم زادوي ، وكانت فيها مدرسة شهيرة . وكان لزادوي اثنتان وسبعون قرية في مركا وفي كوكمل[4] وفي نينوى . ولا نعلم الذنب الذي حدا القديس الى لعنه قائلاً : « انك ستهبط من كل هذا المجد الذي ترفل فيه وتنزع منك قراك

---

(١) حبوشتا يحددها التقليد المحلي بقرية « سيلان » القديمة الواقعة شمال شرقي كنيسة مار ساوا في شلمث [شرمن].

(٢) راجع كتاب الرؤساء ، جزء ٣ فصل ٣ حاشية ٤ .

(٣) ـ اشعيا ٣١/١٤ ـ يوجد اختلاف طفيف في سرد النص الكتابي .

(٤) كوكمل هي كوكاملا الواقعة على نهر الكومل والمعروفة لدى العرب بقنطرة الكومل . اصبحت المنطقة منوفيزيتية منذ نهاية القرن السادس ومركزاً لمرعيث ، وبها سميت المعركة التي دارت رحاها بين الاسكندر وداريوس [راجع كتاب الرؤساء جزء ١ فصل ٢٤ حاشية ٤] .

واخيراً تهلك جوعاً » . وقد تحقق ذلك بنوع مدهش ، اذ قد اضمحل غناه وزال مجده ووقعت قراه كلها بيد الغرباء وهو بعد حي يبصر ذلك . وكان الشهريج شابوران من قرية قوب يقص علي بشأنه انه وصل في شيخوخته الى فقر مدقع حتى انه أمضى يوم رأس الصوم بدون خبز . فجاءه احد الذين تربوا في بيته بحفنة حنطة وقلاها على الجمر ، وبها قضى رأس الصوم الاربعيني[1] .

وكان هرطوقي[2] جالساً على عمود من الجص في قرية تدعى بيث قرادغ[3] ، وامضى سنين عديدة جالساً فوق ذلك البرج . ولم يكن عمله وسكناه هناك الا لمرضاة الابالسة ، كما ظهر ذلك من القصاص العادل الذي انزله به القديس . فلما رأى ذلك الهرطوقي الطوباوي [مارن عمه] مقبلاً ترافقه جموع غفيرة لكثرة العجائب التي كان يجترحها - ويقال أن سبعين شريفاً من الشهارجة والدهاقنة كانوا يرافقونه - عرف انه المطرافوليط فأسرع ودعا تلميذه وقال له : « بادر مسرعاً الى مطرافوليط النساطرة الذي يقدم من « ميا قريري » وبلغه سلامي وقل له : انت يا سيدي عالم بالرباط الذي يقيدني ويحول دون مجيئي للسلام عليك . ولكني اضرع اليك بمحبة الرب أن تدنو مني لأراك وأتبارك بك » . فلما وافى [التلميذ] الى مارن عمه سجد له وهو لم يزل بعيداً وأبلغه كلام سيده . فأجاب الشيخ القديس وقال : « ان الذي يمسك السلام عن رفيقه يترك مخافة العلي » . اما العمودي ، فلما رأى ان المطرافوليط ترك الطريق المؤدية الى قريته وثق من انه آت اليه . فأخرج رأسه من الكوة وخاطب بني قريته قائلاً : « انظروا

(١) كان المسيحيون سابقاً يقيمون الولائم في الاحد السابق للصوم الكبير ويأكلون ألذ ما لديهم من الأطعمة واللحوم ، ولا يكتفون بوجبة العشاء الرئيسية بل يأتون على ما فضل منها قبل منتصف الليل. وفي الاثنين الاول من الصوم كانت النساء يعنين بغسل الآنية كلها غسلاً دقيقاً لتطهيرها من كل آثار الزفر التي علقت بها ، وذلك احتراماً للصوم الذي لم يكن يسمح فيه أكل الزفر إلا في حالات اضطرارية نادرة .

(٢) يقصد توما المرجي بلفظة هرطوقي «المنوفيزيتي» ، بينما يسمي أبناء مذهبه النساطرة بلقب «الارثوذكس» أي ذوي المعتقد القويم [طالع بهذا الشأن كتاب الرؤساء جزء٣ فصل١٢ ، جزء٤ فصل١٦ و جزء٥ فصل١٢ ، الخ...]. وجدير بالملاحظة ان النساطرة لم يكن لهم نساك عموديون ، ولا نعرف إلا واحداً مارس ذلك ، بينما المنوفيزيتيون قد واصلوا هذه العادة القديمة ، ونعرف في منطقتنا ناسكاً غير هذا الذي نحن الآن بصدده ، وهو ميخائيل الجندي النينوي الذى أسس ديره في نحو سنة ٥٩٥ في قرية دير اسطون [تربه سبي] الواقعة على مسافة كيلومتر واحد شرقي طريق الموصل ـ زاخو على مسافة ٤كم جنوب شرقي بقاق .

(٣) بيث قرداغ - ورد ذكرها سابقاً [جزء ٣ فصل ٣ حاشية ١٤] . الى الآن يشاهد المرء في هذه القرية صخرة كبيره منحوتة ومدرجة يبلغ ارتفاعها ستة أمتار وضلع مربعها مترين ، ويبان ان هذه الصخرة كانت قاعدة لبرج الناسك المذكور .

ما اسمى اعمالي لدى الله حتى أن رئيس النساطرة المنافقين يأتي ليتبرك بي ، اما انتم فتحتقرونني ولا ترضونني » . وكان شرزاد الذي دعي بعد ذلك كيوركيس في رهبنته واصبح جاثليقاً قد خرج للصيد مع عبيده . فلما ابصر المطرافوليط نزل من حصانه ونبرك منه . فسأله [المطرافوليط] وقال : « أبن من انت يا بني ؟ » قال : « انا ابن ميهروي من قرية حنس » . فقال له : «امتط صهوة جوادك وهلم معنا لأننا ذاهبون الى قريتكم . » وعندما جاء [المطرافوليط] ووقف تحت العمود ، قال للراهب : « لماذا استدعيتني ؟ » ، أجابه ذاك : « لأطلب سلامك وصلواتك يا سيدي المطرافوليط» . فقال له الطوباوي : « اني واثق بمراحم ربنا انك اذا دعوتني للسلام والمحبة حسب كلامك ليطهر الرب قلبك من التجديف على ناسوته فتعرفه الهاً وانساناً في شخص البنوة المقدسة[1] ، وليجلبك الى الايمان الحقيقي الذي نحن به متمسكون ، وليبرر كل العناء الذي احتملته الى اليوم وليكن مقبولاً امامه ، وليؤهلك مع القديسين الى نعيم ملكوته . اما اذا كان الامر بخلاف ذلك ، وانك اقدمت على هذا العمل بروح العجرفة احتقاراً واستهزاء ، فليضرب الرب هذا البرج الذي انت عليه جالس خارج التعليم الارثوذكسي بحجارة البرد فتسقط وتتدهور ، وتخرج نار من البرد فتلتهم جسدك وتكون عاراً وعبرة للأجيال الآتية . » والذين كانوا شهود عيان قالوا لي ان الشيخ المباركلم يكد ينهي كلامه حتى ظهرت سحابة صغيرة دكناء وصعدت مقبلة من جبل متى [مقلوب] ترافقها رعود شديدة وبروق محرقة ، وجاءت واستقرت فوق العمود ، فانهار العمود بأحجار البرد الكبيرة الطاغية وتبددت احجار بنيانه . ثم خرجت نار من البرد ونشبت بجسد ذلك الشقي واحرقته . وهكذا أصبح سخرية ومضرب مثل كما نطقت اللعنة التي رشقه بها الشيخ .

اما شرزاد الذي سمي بعدئذ كيوركيس . فلما رأى ما حدث ، قال للمطرافوليط : « يا سيدي ، اتبلغ هذا الحد القوة التي ترافق القديسين ؟ » فأجابه : « وماذا رأيت الى الآن يا بني من الاعمال الرسولية ؟ » فقال له كيوركيس : « اذا كان الامر كذلك فحي الرب اني لأصير راهباً واكفر بالعالم وبكل ما نملك » . فقال له القديس : « أن تفعل ذلك وتصبح راهباً فسيجعلك الرب رئيساً على كنيسته كلها » . وتحققت نبوءة القديس عن هذا الطوباوي أيضاً فانه ذهب وتتلمذ في دير بيث عابي . ولما صار رئيس الدير صرح قائلاً لرهبان ديره : « بدأت رجلي تدرج

(١) اشارة اخرى الى معتقد توما الذي جاء هنا ملائماً للمعتقد الكاثوليكي القويم .

في مراقي الرئاسة حسب كلام الطوباوي مارن عمه » . فأصبح مطرافوليطاً لعيلام مدة خمس وعشرين سنة ، وأرسل يقول لبني ديره ان درجة اخرى تنتظرني حسب كلمة القديس . ولما توفي ربان ايشوعبرنون[1] ، أصبح كيوركيس بطريركاً خلفاً له[2] وارسل الى ديره يقول : « انظروا ايها الاخوة ، فقد تمت بالفعل النبوءة التي فاه بها عني مار مارن عمه » .

وخرج الطوباوي مار مارن عمه من حنس وصعد الى منطقة بيرتا حانقاً على قرية حطرا، فرشقها بسهام لعنانه قائلاً لها : « لا يكن فيك خبز ، وكل من يتجاسر ويسكن فيك لتبد حياته بالجوع والمرض » . فشملت اللعنة ايضاً هذه القرية وأصبحت يباباً الى الأبد . وبعدئذ رجع الطوباوي الى مقره كالجندي الصنديد ، بعد ان دمر أعداء سيده ومحق قراهم الى الأبد وفرق البقية منهم أيدي سبا .

الفصل الثالث عشر

ريح السموم والمجاعة التي حدثت فى أيام مار مارن عمه والآية التي أجراها بعصاه

في زمان شيخوخة القديس حدثت ريح سموم شديدة في أصقاع ولايته ، وكان الشيوخ

(١) ولد ايشوع برنون سنة ٧٤٣ في قرية « بيث كباري » [طالع ماري في كتاب المجدل ص ٨٥] التي كانت تقع بين نينوى والموصل [طالع عمرو في المجدل ص ٦٦] عند مصب الخوسر في دجلة . وتلقى العلم على ابراهام بردشنداد في مدرسة باشوش جنباً الى جنب مع طيمثاوس الاول الكبير . ثم ترك باشوش وذهب الى دير ايزلا وهناك رد على تعاليم طيمثاوس بخصوص التجسد . وبعد ذلك اتى الى المدائن ثم انزوى في دير مار ايليا القريب من الموصل وظل هناك الى وفاة البطريرك طيمثاوس الاول سنة ٨٢٣ ، فانتخب خلفاً له . توفي سنة ٨٢٨ ودفن في دير كليليشوع المعروف بدير الجاثليق ببغداد [عمرو ص٦٦ ، ٦٨ : كوركيس عواد . الديارات للشابشتي ، ذيل ٦ ص ٢٢١ ـ ٢٢٤ ؛ طالع م.ش. ٢ ص ٤٣٤ ـ ٤٣٥ ، ٣ ، ١ ص ١٦٥ ، ابن العبري ، التاريخ الكنسي ٢ عمود ١٨١] .

(٢) طالع كتاب الرؤساء جزء ٤ فصل ٢٠ حاشية ١ .

يسمونها السموم الاولى - بعد ان هبت ريح اخرى سنة ٢٠٤ هجرية(١) - . فاشتد الجوع وقضى على كثيرين بضراوة . فلما رأى الطوباوي اليتامى والأرامل يموتون جوعاً ، قام وتوجه الى الحصن العبوري (حصنا عبرايا)(٢) ، وبدأ يطوف طالباً الصدقة من المؤمنين ليقيت اليتامى والمساكين الذين في مقاطعته . وحيث ان المؤمنين الانقياء كانوا يعرفون مقامه السامي والعجائب والقوات التي يجريها ، كانوا يمدون له يداً سخية . ولما جمع فضة كثيرة وخرج ليعود ، سبقه الى بيث ترتر في ضواحي نينوى بعض لصوص رقبوه من الموصل وكمنوا له في واد يرصدون مروره . ولما مر وهو ينشد مزموراً عرفوا انه ليس حاملاً شيئاً . ولما دخل تلاميذه ذلك الوادي، انقض عليهم السراق وأوقفوا دوابهم . فاستغاث به التلاميذ ، فالتفت واذا باللصوص يتهيأون لسلب كل ما عندهم . فقال لتلاميذه : « اعطوني عصاي » ، ولما ناولوه إياها ، شد عمامته في رأس العصا وقذفها نحو السماء بحدة وشرع يبكي قائلاً : « ملت نفسي في جهادها(٣) ، وما أكثر ضيقاتي(٤) . فكم هي أيامي ولا تنقلني فلا أرى السيئة(٥) . فهوذا المال الذي استعطيته للمعوزين أسلمته بيدي الناهبين» . فاذا بالقضيب ينتصب بين الارض والسماء ، ثم هب عليه نسيم عليل وبدأت شرارات نار تتطاير من حواشي العمامة وترشق وجوه السراق . ولما رأوا هذه الاعجوبة حل بهم خوف شديد وأرخوا أياديهم عن البغال وجاؤوا يطلبون الصدقة مخذولين وهم قائلون : « ايها الطوباوي ، احسبنا نحن أيضاً مثل اولئك المساكين الذين تنقل اليهم هذه الفضة ، واعطنا منها صدقة ، لاننا انما فعلنا ذلك لفرط الجوع » . فأمر تلاميـــذه ان يعطوهم

---

(١) جملة متأخرة اضيفت الى النص كشرح له ثم كتبت معه مع تمادي الزمان . بيد انها خاطئة تاريخياً ، لان سنة ٢٠٤ هجرية تقابل سنة ٨١٩ - ٨٢٠م . وكان مارن عمه قد توفي قبل انتخاب البطريرك طيمثاوس الكبير الذي جرى سنة ٧٨٠م .

(٢) الحصن العبوري - في عهد الآشوريين كان قلعة على ضفة دجلة اليمنى مقابل نينوى لتدافع عن المدينة وتصد عنها غارات العدو المقبل من الصحراء . وقد خربت القلعة على أثر سقوط نينوى سنة ٦١٢ ق.م. ونشأت في موضعها قرية صغيرة دعاها الفرس « نواردا شير » ودعاها المسيحيون بعد ذلك « حصنا عبرايا » . وفي هذه البلدة بنى ايشوعياب برقوسري ديره في سنة ٥٧٠م وأصبحت نواة للمدينة التي أطلق العرب عليها بعدئذ اسم « الموصل » . وذهب البعض الى القول ان حصنا عبرايا يعني حصن العبرانيين اشارة الى الجالية اليهودية التي كانت تسكن هذه القرية مع الفرس والمسيحيين .

(٣) أيوب ٦/٧ .

(٤) مزمور ٣/١ .

(٥) مزمور ٨٤/١١٩ : أيوب ١٩/٧ . أمثال ١٥/١٥ .

شيئاً . وعاد اللصوص القهقرى . اما هم فساروا في طريقهم فرحين . ولما أتوا الى مركز الابرشية صاروا يذيعون على الملأ الاعجوبة التي صنعها الطوباوي .

هذه هي مآثر القديس مار مارن عمه والعجائب التي أجراها . واني لم أكتب منها إلا النزر القليل . وقد طوى الزمان معظمها نتيجة تغافل الكتاب عن تسجيلها .

الفصل الرابع عشر

مرض القديس وانتقاله من الحياة الزمنية الى الأبدية

لما بلغ الطوباوي شيخوخة أليمة ، بعد ان عمل بنشاط في كرم سيده منذ نعومة الاظفار الى مساء شيخوخة عميقة ، أزفت ساعة نهاية جهاده المجيد . وأحس بالمرض يدب في جسمه ، فأعدوا له مطية وذهب الى دير برقا آملاً ان يستفيد من شرب ماء دجلة . ومكث فيه عشرة أيام ، ولاحظ ان صحته تزداد تدهوراً ، فأراد العودة الى بلاده . ولما بلغ قرية بيث رواي[1] دخلها ليمضي فيها ليلته . أما أهل القرية فحينما رأوا مغادرته هذه الحياة وشيكة ، أرادوا أن يبقوه عندهم . وكانوا يتذرعون بكل الوسائل حتى ينهي حياته لديهم ويودع ذلك الجسد المقدس في كنيستهم . فأرسل سراً واستدعى الشريف لوهرسف . ولما جاء أخذ يجهش بالبكاء وهو يرى القديس وكأنه مضى عليه دهر في عالم الاموات . فهدأه القديس وساره قائلاً : « قد شاقتني جداً الرغبة في ان الحد في كنيستك ، وهذه إرادة الرب ايضاً لان قريتكم مزمعة ان تزدهر ازدهاراً عجيباً . ولكن سكان هذه القرية يحاولون بكل الوسائل ان يبقوني عندهم ههنا . فقل ان لك علي عشرة آلاف درهم وطالبهم باعطائك النقود لقاء تركك اياي ههنا ، وإلا فليتركوني وشأني

(١) بيث رواي قرية تقع بين دير برقا واربيل أي في الجنوب الغربي من هذه المدينة على الطريق .

فتأخذني معك الى قرينك . » فقال لوهرسف بصوت مسموع للمطرافوليط : « يا سيدي اعطني قبل انتقالك تلك عشـــرة الآلاف قطعة من الفضة التي اقرضتك ، لانها قوت اولادي » . فأقر المطرافوليط وقال : « حقاً ان لك علي هـــذا المبلغ ، فخذني لأذهب واؤديه لك » . ولما مانع الروايون قال لهم القديس ، اذا كنتم تريدون منعي من الذهاب ، فاعطوا هـــذا السيد الدراهم المتوجبة علي ، أو دعوني أذهب واوفيه وأنا بعد حي . ولفقرهم لم يستطيعوا دفع المبلغ ، فأمر [القديس] بأن تحضر له دابة . وما ان وصل الى منتصف الطريق حتى فاضت روحه المغبوطة وطارت الى الفردوس على يد الملائكة القديسين بتهاليل قدسية واستراحت مع ارواح الابرار وانفسهم الناعمة بكمال القداسة . فبالغ اشراف القرية ودهاقنتها في تكريم جسد القديس مع الجموع التي اقبلت من القرى المجاورة ، واحتفوا به كما يليق بعظمة الشخص ووضعوه في الهيكل بجانب قسطروم(١) قنكي من الجهة اليمنى ، ليكون في هذا العالم أمام وجه الرب في هيكله المقدس مدى الدهر ، كما سيكون عن يمين ملك الملوك يسوع المسيح الى الابد في العالم الذي لا يحده زمان وآن. وقد أمسى جسده المقدس ينبوع المساعدات للمتضايقين والمرضى وسوراً حصيناً للقرية كلها(٢) ونصعد المجد لله رب الكل ناصر القديس ، ونصلي من أجل الحسن الذي عني بتدوين قصته لتظهر امجاده ولا تندثر بالنسيان ، حتى بصلواته نحفظ في هذا العـالم من كل الاضرار وهناك نكون قريبين من المجد المعد له . وكلنا سوية نشكر الرب يسوع المسيح ونسبحه ، ولتكن نعمته ومراحمه مع جميعنا ، الآن وفي كل أوان وإلى الأبد .

(انتهت قصة اعمال البار مار مارن عمه القديس مطرافوليط حدياب
ولله المجد وعلينا مراحمه . آمين)

---

(١) « قسطروم » موضع مرتفع أمام باب قدس الأقداس [قنكي] أي المصطبة التي قدام باب المذبح . وكان القارئون يقفون فيها أثناء الاحتفال بالأسرار ، بينما يجتاز الشمامسة الرسائليون والانجيليون باب قنكي . أما في الكنائس الحديثة فالقسطروم ممزوج مع البيم الذي انتقل من وسط الكنيسة الى قرب باب المذبح .

(٢) هي قرية كفرعوزيل المذكورة في الفصل الثاني من الجزء الثالث .

قصيـــدة

وضعها مار توما اسقف المرج في القديس مارن عمه

اللازمة :

لنجد المراحم بصلوات الكاهن الذي يحتفى بذكره في جمعنا ،

اخوتي ، بارك يا سيد - بالقراءة الثانية [الوزن الاثنا عشري]

قدم الأحباء الى حقارتي طلباً صادقاً ، بأن اضفر بكلامي اكليل الأماديح للكاهن البار. وطالبني أولاد الحرية الأرضية والمسيحية بأمر مفعم بحب البار . وأقامني ندماء النور والناعمون بالسر الحي وسيطاً لاطراء جلائل العامل الصالح . وارغم بنو اليمين يميني غير المدربة لكي ترسم صورة كمال ذي المحاسن . ورغبوا في تمجيد رئيس الرعـاة وأبي الكهنة مارن عمه ، الرجل الذي تلألأ في الكنيسة المقدسة . أوعزوا إلي ان أذكر الراعي اليقظ ووكيل كنوز الروح بما عندي من الكلام . فنكرس كلامنا انا وهم لملاك النور والرجل الذي كله قدس وطهر في يوم تذكاره هذا . ونضع مقالاً ننشد فيه بطولته مع القربان والذبيحة الحقة التي يقتضيها عيده الساهر . واني ألجأ بفمي وفكري الى صلاته ليفيض لساني بمقال أمجاده الشهي. فيمضي كلامنا الضعيف في سرد قصته ونقل حوادثها شيئاً فشيئاً كما وقعت .

ولد القديس في مدينة حطرا في الطيرهان من أبوين بارين وأصل مقـــدس . فدعاه والداه « مارن عمه » ، وقد تجاوب شخصه مع هذا الاسم الذي اطلق عليه كأنه بالنبوءة . فكان الرب يسوع معه واختاره وميزه وقدسه منذ صباه ليكون خاصته . وقـــد لبى القديس دعوته السماوية . وأخذ يتقدم مع السن في علم الحياة . ولما بلغ الصبي الحبيب سن الشباب ، ترك أبويه وأصدقاءه وأقاربه ، ونبذ حب العالم الزائل ، وعلق قلبه كما بمرساة بذلك الذي اختاره .

فاضطرم قلب هذا العامل الصالح بمحبة سيده ، وشرع يسير في طـريق الحياة سيره نحو السماء .

في ذلك الزمان كان الجميع يطرون تعليم ربان باباي المتألق نورا . وقد اسس هـذا المعلم النابه مدرسة في مدينة جبيلتا ، وجرى من بطنه ينبوع المعاني على مثال دجلة . وبزغ نور عبقريته لدى كثيرين بتعليمه النظري والعملي . فاليه توجه مارن عمه في بادىء الأمر لكي يتتلمذ له مثل يشوع لموسى العظيم(١) . ودرس عليه الكتب المقدسة ، وتفقـه في تفاسير تيودوروس(٢) العلامة النابغ . وشرع يتقدم في العلوم الكنسية بعقله الثاقب ، حتى نال منها القسط الوافر . ولما ألهم الله ربان باباي بأن يصعد الى بلادنا ويزرع فيها علم الحياة ، أخـذ معه مارن عمه ، كما جـرى ليشوع بن يوزاداق مع زربابل(٣) . فبلغ كلاهما مع كثيرين آخرين منطقة اربيل ، وأسسوا أولاً مدرسة كبيرة في كفرعوزيل . ولمـا ازدهرت بالطلاب والأساتذة ، تركها القديس ربان باباي بعناية مارن عمه وراح هو يؤسس مدارس اخرى مثلها ويقيم عليها معلمين من تلاميذه . فأسس ستين مدرسة وأقام عليها ستين معلماً من الأساتذة الحاذقين ، وجعل مدرستنا هذه مقراً لمارن عمه ، أمـا هو فانتقل الى جبيلتا وهناك وافته المنية .

وكان مارن عمه معلماً في هذه الكنيسة وقد وضع فيها جسده الطاهر في نهاية حياته . وبأشعة تعاليمه الساطعة وسيرته الفاضلة استنار كل ما حواليه بفعل النعمة التي كانت ترافقه . صار معلماً وواعظاً روحياً . فوعظ ونشر تعليم سيده مثل بولس ، وغرس غرسات روحية في أفنية الكنيسة ورواها بمطر شفتيه وطلها . فطم جسده عن كل انواع الملذات وأنحف جسمه بامتناعه عن كل دسم ، لأن البطن المثقل يلد الفكر الجسداني عادة ويبقى عاقراً من العقل المرهف . قدس نفسه كقربان يصعد لاسم الخالق وطهر قلبه من كل أهواء الجسد والنفس . فاستنارت أفكاره وأضحت كالنور اللاجسماني . وأكسب حواسه نظراً عفيفاً وسمعاً طاهراً . وأشغل عينيه دائماً بأسفار الروح وقدس يديه بالصدقات . رجلاه ترسختا بالحق والعدل ، كما جاء عن أقـرانه في الكتب الروحية . وأصبح هيكلاً ومسكناً طاهراً ، كما تقتضيه الوصية ،

(١) تثنية الاشتراع ٩/٣٤ .

(٢) طالع كتاب الرؤساء جزء ٥ فصل ٩ حاشية ٢ .

(٣) سفر عزرا ٨/٥ .

وصار منزلاً للآب والابن والروح القدس، كما وعـــد ربنا يسوع لرواد محبته[1] بأن يكونوا منزلاً لألوهيته بسيرتهم، ومنحه ســـيده سلطة على شفاء كل الأمراض وبارك يمينه وعلامات الصليب التي كان يرسمها، فزالت بيمينه الامراض المختلفة، وببركاته أخصبت العواقر. وإذ كان يشع بالأنوار الالهية، كانت كل الأفواه تشيد بمجد سيده، ومن عمل التعليم رفعه الروح الى سدة الرئاسة على الكنيسة المقدسة. فعهد الى عبده الصالح بتدبير قطيعه في كرسي سلاخ بلد «يانس»[2] الذي نصبه الرسل. نال الراعي الصالح خمس وزنات من الروح[3] وتاجر بها كالوكيل الحكيم. أجل انه الحكيم الجليل الذي ساس الامور الزمنية حسناً فاستحق الطوبى الذي منحه ربنا في الانجيل[4]. فما ان دخل بلده حتى شرع يتفقد قطعان غنمه ويربيها وينميها حسب الوصية التي تلقاها. ثم سافر الى قرية تسمى «بيث نوا»، اذ علم ان هناك زؤاناً قد ظهر بين الحنطة فاجتث جذوره وطرحه في النار، فأصبح الزؤان مجهزاً على نفسه مثل شاؤل[5].

واجتاز الى قرية اخرى واذا بصبي ابن أرملة يشيعونه الى لحده بحزن عظيم، ورأى امه المنكوبة تنتف شعرها دون هوادة وتولول وتذرف الدموع الحرى على فلذة كبدها وتقول: «ويل لي ويل لي، يا ابني الحبيب، اذ ليس لي من يفتح او يقفل من بعـــدك. فلتمت معك امك العجوز ولا تبقى من بعدك، حتى لا تنقلب حياتها أياماً هي موت دائم». فانحدرت دمـــوع ذلك الراعي الصالح لمرأى غنمته، وأمر ان يعودوا بالجثة الى الكنيسة ليصلي عليها. فأخرج الكل ومكث هو وحده عند الميت وبدأ يسكب الدموع مع سجدات خاشعة. والله الذي عاين هذه الصلاة التي كان يرفعها مقرونة بالدموع، أعاد نفس الصبي الى جسده، وأولى عبده فرحاً عظيماً. فقد استجاب صلاة هذا المعلم الطاهر وأقام الميت كما أقام شمعون طابيثا[6]. فاخذه بيده وأعطاه امه كما فعل ايليا[7]. وطفق الجميع يمجدون الرب بقلب طافح فرحاً.

---

(١) يوحنا ١٣/١٤.

(٢) لعلها سلاخ دبنانس التي ورد ذكرها سابقاً [طالع كتاب الرؤساء جزء ٢ فصل ٣٢، جزء ٣ فصل ٩ حاشية ٣].

(٣) متى ١٥/٢٥.

(٤) متى ٢١/٢٥.

(٥) ١ صموئيل ٤/٣١.

(٦) أعمال الرسل ٤٠/٩.

(٧) ١ ملوك ٢٣/١٧.

وسمع ان في المنطقة اناساً فولونيين[1] لا يعترفون بألوهية ربنا يسوع ، فذهب اليهم وجمعهم في كنيستهم وقرب صلاة خاصة لأجلهم فأشرق عليهم نور الرب المجيد ، كما جرى لبولس الذي كان متوجهاً لاضطهاد رسول دمشق. فعادوا هم ايضاً مثل بولس الى الواجب وأقروا بان يسوع اله الكل وابن الله . وأخضع البغلة الحرون فقبلت اللجام بهدوء واستسلام حسب أمره . وطرد من جدار الهيكل المقدس مستعمرة النمل ، فانتقلت كلها على الفور بقوة صلواته.

ولما كان الكاهن المصطفى يشتهر بمثل هذه الامور ، رفعه الروح الى درجة اخرى أسمى ، وسلطه على مجاديف الكنيسة المختارة ، جاعلاً إياه مطرافوليطاً على حدياب برمتها وعلى مركا وحبتون[2] . وكلما ارتقى هذا الأب الى درجة ازداد قوة على صنع العجائب . فقبل دخول هذا الصنديد الى هذه الديار ، تجاسر اناس واغتصبوا رحى تعود الى كرسيه . أما هو ، فحينما رأى ظلمهم وسفاهتهم ، ذهب بهم الى الرحى ليريهم صدقه . وقال : « لنمض الى الرحى وهي تعلمنا لمن هي ولمن ينبغي ان تكون ، لي أم لكم» . فذهب معه جمع من المؤمنين الأشراف ومن الشعب ليروا ماذا سيحدث ، فأمر الرحى فطحنت رماداً عوض الطحين ، ثم عاد فأمرها واذا بالرماد ينقلب طحيناً ناصع البياض . فدهش الناظرون العديدون الذين كانوا معه ، وخجل الظالمون وتركوا الرحى للبار . وأطاعته العناصر الصماء كما أطاعت موسى[3] وأخرج منها قوة خارقة مدهشة .

كان في جهة مركا اناس ذوو سيرة سيئة ، فاستيقظ الرب ليجازيهم ضعفاً على شرورهم . فأرسل ملاكاً الى ذلك الجندي الروحي لكي يتسلح ويبيدهم بلعناته . فأتى الملاك وظهر للعامل الصالح وكان واقفاً للصلاة والسهر على مألوفه . ولما رأى القديس الملاك دهش وتعجب وسأله عن سبب مجيئه اليه . فأجاب : « انا ملاك العناية أرعى شؤون كرسي هذه البلاد بأمر سيدي. وأرسلني ذاك الذي بمشيئته يدبر العالمين ويزيل الأزمنة لكي تذهب وتبيد الشعب الأعمى الذي وطىء نواميسه ، الشعب الجاهل الذي لا اله له في بلاد المرج ؛ انه سيذوق الموت والهلاك بيديك . فتقلد سيف كلمة الرب بقسوة واصرع الصالحين والأشرار وأبدهم شر إبادة » . فقال

(١) فولونيون هم أتباع فولينوس أحد تلاميذ مار أفرام السرياني ، ويذكره عبديشوع الصوباوي [انظر م.ش.٣ ، ١ ، ص ١٧٠ - ١٧١] .

(٢) حبتون مرعيث يقع شمالي معلثا الزاب وغربي حنيثا وهي ايضاً تابعة لأبرشية حدياب .

(٣) خروج ٧/٢٠ ؛ ٨/١٧ ؛ عدد ٢٠/١١ .

للملاك : « اني لا أقوم بهذه المهمة ، لان قوة الخالق لا تحتاج الى عون الانسان . لانه بواسطة ملائكته خرب سادوم وعامورة[1] . فليعمل هذا ايضاً بواسطة ملائكة العلى » . فأجابه الملاك : « لا تحتج على كلماتي ، فعليك ان تذهب شئت أم أبيت » . ولما اختفى الملاك عنه ، ترك الموضع وهرب الى مكان قفر ليعيش فيه بالزهد بعيداً عن الناس ، كما فعل يونان عندما ركب البحر الى ترشيش[2] ليتجنب الذهاب الى مدينة نينوى ، كما أمره الله . فأدرك الملاك الشيخ المبارك وحوطه بالنار وهدده بالحرق إن لم يرجع . فالله الذي أعاد يونان من بطن الحوت الى اليبس أهاب بأبينا بطريق النار فقفل راجعاً .

فقام الجبار وركب الفارس المجاهد وفي جعبته ثمانية سهام تنفث الموت الزؤام لكي يطعمها لحم الناس الأشرار ودمهم وينتقم منهم نقمة كبرى حسبما يستحقون . ها انه يحمل الحربة للقتال مثل يشوع[3] وقد اتقد غضباً واضطرم غيظاً على المنافقين . فصعد الى قرية تسمى بيرتا ، فقال له الملاك : « العنها هي وساكنيها بحدة كلماتك » . فقام على الأكمة ومد يده مثل داود[4] وأخذ سهماً من جعبته[5] ولعنها ومضى . فخرجت فوراً نار من جميع جهاتها والتهمتها مثل قشة وفنيت وبادت من ساعتها . ثم جاء الى بيث طحوني القرية الواقعة على شاطىء النهر ، وكان فيها رجل باغ ، فاستدعاه القديس وأخذ ينصحه كأحد البنين قائلاً له : « ما أسمعه عنك ليس حسناً ، فكف عن الطريق المؤدية الى جهنم وعد الى الواجب فتغفر لك قباحة حياتك » . غير ان الشقي الذي يستحق موت السادوميين رماه بالتراب مثلما صنع شمعي لداود البار[6] ، وتطاول على القديس مثل شابع واسمع ذلك المعلم والراعي الصالح كلمات مهينة . فقام [القديس] وخرج واخذ سهماً روحياً وطعنه به ولعنه هو وقريته بغضب عظيم ، فابتلعته الارض مثل ابيرام ورفقائه الأشرار[7] ، [فقد قال القديس] : « لتنفتح الأرض وتبتلع قريتك بساكنيها » ، فظهر بغتة ملاكان بشبه فارسين ، الواحد في السهل والآخر في الجبل ، الواحد ازاء

(١) تكوين ٢٤/١٩ .
(٢) يونان ٣/١ .
(٣) يشوع ١٨/٨ .
(٤) ١ صموئيل ٢٠/١٧ .
(٥) ٢ صموئيل ٧/٨ ، ٢ ملوك ١٠/١١ ، ٢ اخبار ٧/١٨ .
(٦) ٢ صموئيل ٣٢/١٦ .
(٧) عدد ٣٢/١٦ .

الآخر . فقال الأعلى [لرفيقه] : « انت من الأسفل وانا من فوق نغرقها في الارض ونحرق سكانها داخلها » . فارتجت الارض ودوت مثل ضجيج البحر ، وتزلزل الجبل المشرف عليها . وانفتحت الارض تحتها وابتلعتها ، وبدأ دخانها يتصاعد كدخان سادوم(١) ، واستمر الظلام مخيماً عليها ستين يوماً . وذاع هذا الخبر مثل البرق في كل البلدان . ثم وصل بيث عيناثا وحبوشتا ، فرشقهما بسهمين وأبادهما ، وهبت عليهما بغتة ريح هوجاء مثل ريح أيوب(٢) وسقطتا وأصبحتا خربتين بدون سكان الى الأبد . ثم اجتازهما وأتى قرية بيث ادري الصغيرة ومزقها بسهم مسنون قائلاً لها : « ولولي ايتها القرية(٣) ونوحي على سكانك فانك ستلبسين الحداد بالدمار التام الوشيك » . وفي الليلة التالية ، كما قتل داريوس بلشاصر(٤) ، قتل صاحبها شابور وهرب كل الذين كانوا فيها . وغادرها وفي جعبته ثلاثة سهام وقد أفرغ خمسة منها في القرى التي اجتاز بها فأبادها . وأتى الى قرية الشيخ زادوي الشريف ، فأخذ سهماً ونزع منه مرارته وصوبه الى زادوي وتنبأ له عن المستقبل قائلاً : « ان عليك ان تخلع كل المجد الذي انت متوشح به ، وعليك ان تحيا حياة الجوع والشقاء » . وقد تحقق في زادوي الشيخ ما قاله .

وفي قرداغية (بيث قرداغ) كان رجل يجلس في أعلى عمود مثل العقاب والغراب الدنس . فلما رأى ابن الظلمة كوكب النور قادماً من بعيد وهو يسطع سناء ، حاول ان يسخر به . فأمر تلميذه ان يخرج للقائه عاجلاً ويطلب منه ان يأتي اليه ليباركه . ولما رأى ان الشيخ المبارك مال ليجتاز به ، جر ذيل الخيلاء وأطلق لسانه بالتجديف ، قائلاً لسكان المدينة الواقعة تحته : « هوذا رئيس النساطرة ايضاً يحتاج الى سلامي ، أما عندكم فأنا حقير ومرذول وصغير ولا تعترفون بالقوة الخفية الحالة في » . فمال الجندي المغوار الى ابن الهلاك المكار وسأله بلطف عن السبب الذي من أجله استقدمه . فأجابه كذباً : « اني أرسلت في أثرك لكي أتبرك بك وأرى وجهك » . فأجاب القديس بفمه البار وقال للمنافق : « ان لي ثقة بالرب الذي أعبده ، إن كنت قد دعوتني كما زعمت للتبرك ، فليقشع الرب سحاب الظلام عن فكرك وليضيء نور ايمانه في عقلك لكي تعترف وتقر به الهاً وانساناً في بنوة واحدة » . وأخذ من جعبته سهماً

---

(١) تكوين ٢٨/١٩ .

(٢) أيوب ١٩/١ .

(٣) اشعيا ٣١/١٤ .

(٤) دانيال ٣٠/٥ .

مسموماً يتطاير شرره ، وأضاف اليه السنان الباقي من سهم زادوي ، ووضعه في القوس وقذف به العمود ، فشد على الوتر وأطلق السهم ورماه به واجتاز قائلاً : « إن كنت قد دعوتني للاهانة والاستهزاء ، يا عابد الشياطين ، فليضرب الرب برجك هذا بأحجار من بـــرد وتقضي وسط حجارته بالموت الزؤام وتخرج ناراً من البرد وتلتهم عظامك وتصبح سخرية وعبرة الأجيال كلها ، ويعيرك عابرو الطريق الى الأبد » . ولم يكد الشيخ الجليل ينهي كلماته الحاملة موتاً ، حتى أقبلت سحابة ظلماء مملوءة برداً ممزوجاً بنار وأحاطت بغتة بالبرج كله إحاطة الثوب [بلابسه] لتنتقم من المستهزىء الحقير والصفيق الوجه . وكانت الحجارة التي تساقطت على العمود مثل الحجارة التي أنزلها الرب [على طلب] يشوع بن نون(١) . ووقف الجميع بعيداً يتأملون هذا الحادث وقد استولى الرعب والدهشة على قلوب الجموع الحاضرة . فرض الشقي وخرجت النار وأكلت جسده ، وأخذ الشيخ ثأر أبينا مار نسطوريس . فان ابن الوطواط الحقير الذي يحب الظلام ، هدد بشن حرب على النسر القوي الجناحين ، فضربه [هذا] برأس مخلبه ومزقه وتركه في ظلام عشه . فقد رضه الحجر والتهمته النيران وانتهى الى الهلاك ، فصار عاراً لعابري السبيل وعبرة للأجيال ، كما نطق فم أبينا البار المقدس . وارتفع شأن الكنيسة بهذا النصر وأصبح الهراطقة السويريون اضحوكة ، وانتشر الخبر انتشار البرق في كل البلدان فمجدوا القوة الحالة في القديسين.

وتنبأ لكيوركيس بروح الرؤيـا قائلاً : « ان الرب يسوع سيقيمك رئيساً على الكنيسة جمعاء » . وقد تحقق له ذلك بحذافيره ، واقيم جاثليقاً بطريركاً للكنيسة .

وخرج من هناك والملاك يقوده وذهب الى قرية « حطرا » الواقعة في نهاية البـــلاد ورشقها بالسهم الباقي ، فصارت بيداء وأخلاها سكانها وتفرقوا شذر مذر . وأباد الرب وشتت بين القرى اولئك الذين نجوا من النار كالجذوات ، وجعل قراهم المزدهرة خراباً وحجارتهـا أكواماً كالتلال . واجتاز المجاهد النشيط وأتى الى كرسيه وقـــد احمرت ثيابه بدم البشر مثل عاصر العنب(٢) . أجـــل ، مثل العاصر في المعصرة داس أجسادهم وطعنهم بسهام مشحوذة وأهلكهم . ليرحمهم الرب يسوع بصلواته . وليكفهم القصاص الذي حل بهم في هذا العـالم . فان الرب يتأنى برحمة على كل الخطأة ، أما هؤلاء فقد أنزل بهم عدله بدون شفقة ، وخفي

---

(١) يشوع ١٠/١١ .

(٢) اشعيا ٦٣/ ١ ـ ٣ .

عنا لماذا ساوى حكمه بين الصالحين والاشرار وابادهم على السواء .

وحدث في ايام الراعي الصالح جوع كبير وشملت الفاقة كل الاهلين واصبحوا بلا معين . فازداد عدد الجياع والمتسولين والمتضايقين واليتامى ، وألم بالطوباوي حزن مرير ازاء مصائبهم . فدخل مدينة الآثوريين(١) لكي يجمع ما يساعدهم على سد رمقهم . فكان الجمع يعطونه بيد سخية فياضة اذ كانوا يتخذونه مثل نبي ورسول ، وكانوا على علم بالاعمال الباهرة التي قام بها ، لذا كانوا يعتبرونه رجلاً عظيماً . أخذ الفضة التي دفعوها له باغتباط وخرج من هناك مثل ابراهيم من مصر(٢) . فلاقاه في الطريق ستة لصوص اشرار وارادوا ان ينهبوه وياخذوا الفضة التي معه . فاخذ عصاه وربط بها عمامته ورماها فوق في الهواء وقد اخذ منه الحزن مأخذه وشق عليه الأمر ، وصرخ بتنهد الى مخلصنا متظلماً ودعاه ايامه حياة مليئة ضيقات [وقال] : « اني عشت حياة تعيسة في الدنيا منذ أن وجدت فيها ، ولم ار ولو راحة صغيرة في الحياة الزمنية » . واذ ذاك انتصبت عصاه وقد احاطها الملاك الذي يرافقه بسهام ناريه من كل جهة ، واحد يقذف شرارات من طيات العمامة ويرمي بها فتأتي وتستقر على وجوه اولئك الأشرار . فخابوا وأفزعتهم شرارات النار المحرقة وطلبوا الفرار واعدين بعدم العودة الى الاساءة الى قداسته بعد [وهم قائلون] : « احجز سيول النار عن عبيدك ايها الشيخ المبارك ودعنا نذهب مثلما أتينا ، واننا لم نقدم على هذا العمل الا مضطرين بسبب الجوع . فارأف بحياتنا اذ انها فنيت وانطفأت من شدة الطوى » . فأخذ القديس ملء اكفه من صدقاته واشركهم بقوته ، ثم استأنف سيره . وقد اقتدى الطوباوي بعمله هذا بلطف الرب ازاء شرورنا . فوزع الفضة والذهب الذي جلبه على الجائعين واقات اليتامى والمعوزين بحكمة .

وبينما كان الكاهن يسمو بمثل هذه الاعمال ، كان يتقدم في السن ايضاً ويشيخ ويهرم حتى اقترب ووقف عند الختام وبدأ يترقب نهاية سيره وخاتمة حياته . فأدركه المرض واخذت قوى جسده في الانحطاط وبدأ جسمه يذوب رويداً رويداً ويفنى وينطفىء . فرست سفينته من بين لجج الخضم في ميناء السلام ونجت تجارته من بين الامواج . فترك مسكن الموت هذا المعد للفساد وأكمل سيره في طريق الأبرار العتيدة . فانتقلت نفسه على ايدي الملائكة في حفل عظيم

---

(١) هي مدينة الحصن العبوري [الموصل] التي ورد ذكرها في الفصل الثالث عشر من هذا الجزء .

(٢) تكوين ١/١٣ .

ترافقها تهاليل الروحانيين وأناشيدهم . دخلت نفسه البارة الفردوس[1] واستراحت حيث يحفظ أجر أتعابها وثوابها بأمان ، الى يوم ظهور الرب في مجده العظيم فترجع هي أيضاً وتلبس هيكلها المجيد . واحتفت الجموع وكل الطبقات بجسده الطاهر بأهازيج وتهاليل الروح القدس ووضعوه في الهيكل عن يمين المذبح المقدس ، رمز المقام المعد له في أعلى الأعالي .

... بجاه صلواته اسند يا رب ضعفنا وأحط بسور عنايتك أغنام قطيعك . بحق ابتهاله انزل سيول مطرك على حقولنا وأبعد عنها السوسة [السون] والجراد والبرد والسموم ، لتأت غلتنا بعشرات المئات مثل غلة اسحق[2] ، حتى ترد الى بيتك تقدمة الكبير والصغير . بارك يا رب أبقارنا وقطعان غنمنا ، لكي يلبس منها اليتامى والبائسون ، كما فعلت لأيوب[3] . بارك الأغنياء وزد غناهم مثل يعقوب[4] ، لكي يقتات المعوزون من موائدهم مثل ابراهيم[5] وهب المساكين قوت حياتهم لكي يشكروا لطفك بفيض خيراتهم . اسند الشيوخ بعظم قوتك واجعلهم أهلاً ليعلموا الشباب الحياة الطاهرة . بارك الشبان ورب الصبيان ودبر الضعفاء . أشبع الجياع واقت اليتامى لكي يسبحوك . ولتملأ الأرملة ايضاً كنفها من خيراتك لئلا تعجز عن سد رمقها. عظم وكرم الكهنة الأطهار خدام قدسك ، وألبس مجداً الشمامسة خدام مذبحك[6] . احفظ يا رب ديرنا هذا من الغزاة ودبر جميع شؤونه بمراحمك ونعمتك . استر حياتنا من كل ضيق في ظلال كنفك وابعد عنا كل الامراض وكل الأذيات . اردع عن عبيدك الظلم الطامي الذي يرتكبه أعداء شعبنا ، وأفض علينا حنانك في كل حين حفاظاً لحياتنا . لينبت فينا الايمان بمثابة الجذر والصلاح في الاعمال كأثمار . ادعم ضعفنا كل حين لنقف قدامك كما يليق بالعبيد الصالحين المحبين لربهم . ولتكن هذه الكنيسة التي فيها موضوع جسد عبدك البار ينبوعاً تتدفق منه حقيقة علم الحياة الى الابد . احفظ أبانا المطرافوليط ورب بيديه قطعان غنمك ورعيتك

---

(١) طالع كتاب النحلة [طبعة « بدج » ص ١٣٢] وكتاب النساطرة لبدج ايضاً [مجلد ٢ ص ٤١٩] والسمعاني [م . ش ٣ ، ٢ ص ٣٤٢ حاشية ٤] .

(٢) تكوين ١٢/٢٦ .

(٣) أيوب ١٢/٢٩ .

(٤) تكوين ٤٣/٣٠ .

(٥) تكوين ٥/١٨ .

(٦) عدد ٣ و ٤ ، يشوع ٣ / ١٧ .

مثل بولس[1] . بارك الكهنة واللاويين المحيطين به وليتاجروا في رضاك بالوزنات التي نالوها منك . وأهل المؤمنين والمؤمنات وجميع المراتب الذين يدخلون قدامك للصلاة في هـذا الهيكل ان يسبحوا اسمك في الكنيسة العلوية مع طغمات الكاملين . وتحنن ايضاً على الفم والأيدي التي سطرت أمجاد عبدك في يوم النشر كعادة لطفك . واحفظ هنا وأهل هناك لخدرك البهي الرجل الفاضل الذي أجابة الى طلبه كتبت هذه القصيدة . اغفر ذنوب جميع أبناء الكنيسة المقدسة الذين ختموا باسمك ليحيوا حسب ارادتك . وكلنا نصعد التسبيح لك والمجد لأبيك والتعظيم للروح القدس الى أبد الدهور .

(انتهت بعونه تعالى القصيدة في مدح القديس مار مارن عمه المطرافوليط ،
وقد كتبت ونظمت بأمر الحكيم الشريف السيد الحسن
بن سبريشوع المعلم الصادق)

(انتهى الجزء الثالث)

---

(١) اعمال الرسل ١٥/٤١ .

الجـــزء الرابع

الفصل الأول

المقدمة

انه كما كان الكاهن يكمل القرابين التي يقربها شعب العهد القديم للرب بالملح المادي، بحسب الناموس الذي لم يكن إلا ظلاً لحقائقنا ، كما قيل له بواسطة موسى أن ضع ملحاً في كل قرابينك ولا ترذل ملح عهد الرب الهك(١) ، كذلك نحن ايضاً نطيب امورنا بملح الفكر ونرفـــق قصصنا ، حيثما يقتضي المقام ، بكلمات الكتب المقدسة . وكما ان القرابين القديمة كانت تكتسب لذة فضلى بواسطة الملح ، كذلك يطيب طعـــم قرابيننا بواسطة نصوص الكتب الالهية . واننا نقتطف باديء ذي بدء باقة من الطوباوي اواغريس في هذا الجزء حيث نكتب عن أبناء مسلكه . فلنسمع الى نصيحته ونصغ الى وصيته إذ يقول : « انظر يا هذا لعلك لأجل فائده تجتنيها او سعياً وراء مجـــد عابر او في سبيل الوصول الى ما يبهجك تجرؤ فتتكلم عما لا يجب التكلم عنه . فينبذك الله مثل ذاك الدي كان يبيع فراخ الحمام في الهيكل»(٢) فينبغي

(١) لاويين ٢/١٣ .

(٢) متى ٢١/١٢ .

اذن ان ننقاد للحق اكثر مما الى أي شيء آخر ونتمسك بدقة بنظام الصدق في الرواية ، لئلا نحيد عن الواجب ، ونكتب ونكشف الامور التي تثير في قلب البصيرين نمجيد الله الذي أظهر قوته ويظهرها في الأولين والمتوسطين والآخرين ، كما انه كرم وساوى بدينار واحد وأجـر واحد اولئك الذين عملوا اليوم كله في كرم شريعته مع المتوسطين في ساعات النهار ومع أصحاب الساعة الواحدة[1] .

الفصل الثاني

فى أصل الطوباوي ربان ايشوعياب[2] رئيس الدير ووالديه وتربيته

في الأجزاء الثلاثة السابقة تطرقنا الى البحث عن القديسين الذين كتب حياة بعض منهم اناس نشطاء . اما حياة البعض الآخر فلم تكتب . فمما كتب روينا ما أهملوه ووجدناه نحن في اخبار الآخرين او استقيناه من السماع . اما اولئك الذين لم تكتب قصصهم بنوع خاص ولم ترد في سياق كتابات اخرى ، فقد أوقفني عل أخبارهم شيوخ قدماء كانوا في الدير . وقد نسقتها بنوع ملائم ، كما ساعدني المسيح الرب ، ثم عرضتها امامك . وهوذا اني بعون الرب وبقوة صلواتك أبدأ باسلوبي الحقير بالكلام عن هؤلاء القديسين الذين خدموا الرب قبل زمان قصير في هذا الدير المقدس ، وقد أطلعني على شؤونهم بوضوح القديسون الذين كانوا في عهدهم والذين كانوا لهم تلاميذ .

في مستهل هذه القصص نشيد بجلائل القديس ربان ايشوعياب . كان ايشوعياب هذا المقدس الذكر من بلاد مركا ومن اسرة شريفة من النبلاء ويمت بصلة القرابة الى ايشوعياب

(١) متى ٢٠/١ - ١٦ .

(٢) أصبح ايشوعياب التلي رئيساً على دير بيث عابي بين سنة ٧٤١ و سنة ٧٥١ .

الكبير البطريرك . ولد وتربى في قرية تلا(١) في مقاطعة بيرتا . وتتلمذ منذ نعومة اظفاره في هذا الدير لمار يوحنان الاسقف(٢) المطرافوليط يوم كان بعد رئيساً للدير . ولما رسم القديس مار أحا رئيس الدير مطرافوليطاً بعد مار يوحنان ، انتخب [ايشوعياب] ليكون رئيس هذا الدير المقدس . وقام بمهام الرئاسة زماناً طويلاً . ولما توفي الطيب الذكر مار ابراهام اسقف نينوى ، طلبـــه النينويون وأرادوه لهم اسقفاً ، فرسمه الطوباوي مار أحا اسقفاً وأرسله الى نينوى . وقام بأعباء الاسقفية الى ان كلل الشيب هامته . وعنـــدما توفي البأر مار حنانيشوع الأخير [الثاني] الجاثليق والتأم المجمع لينتخب خلفاً له . اتجهت الأنظار الى الطوباوي مار ايشوعياب بين جميع الأساقفة والمطرافوليطين ورؤساء المؤمنين وأرادوا ان ينتخبوه بطريركاً .

الفصل الثالث

مار طيمثاوس اسقف بيث بغاش وما تنبأ عنه أحد شيوخ هذا الدير

كان في هذا الدير ناسك شيخ طاعن في السن غاب عني اسمه . وكان لطيمثاوس عم اسمه كيوركيس وكان اسقفاً على بلاد بيث بغاش . فأرسل الصبي طيمثاوس من عنده الى ربان مار ابراهام [بردشنداد] المفسر الى باشوش قرية سفسافا . واجتاز الصبي في طريقه بهذا الدير . ولما جاء ذلك الشيخ القديس الى الجمعية ورأى الشاب واقفاً ، كشف له المسيح الرب عن كل

(١) تلا [تلان الحالية] قرية تقع على مسافة كيلومتر ونصف في الجنوب الغربي من قرية بيرتا ، وتذكر عادة مع بلا [او بربلا] ، وهما مركزان لمنطقة بيرتا في شماليها على سفح الجبل . وعندما تقلصت المسيحية في منطقة مركا أصبح مرعيث مركا يعرف بمرعيث تلا بربلا ، وذلك في القرن الثالث عشر .

(٢) راجع كتاب الرؤســاء ، الجزء ٢ الفصل ٣٠ ــ أصبح يوحنان مطرافوليطاً لأربيل في عهد الجاثليق صليبا زخا [٧١٤ ـ ٧٢١] .

ما ينتظره من الجاه وعرف انه سيصبح كبيراً في كنيسة الله . وحينما انتهت الصلاة في الكنيسة اخذه الى صومعته ورفه عنه وسأله قائلاً : « من اين أنت يا بني ؟ والى أين تذهب ؟ » اجابه : « انا أبن اخي كيوركيس اسقف بيث بغاش ، وقد ارسلني لأذهب الى المدرسة عند ربان ابراهام الى قرية باشوش » . ويقال انه في ذلك الزمان كان جراب الحنطة يباع بدرهم . فأخرج [الشيخ] درهماً واعطاه وقال له ناصحاً : « اذهب الآن واشـــتر حنطة وكل ، وليكن التفكير في الكتب نديمك ، واحفظ نفسك من النقائص ، لأنك ستصبح بطريركاً في ارض المشرق كلها ، والرب سيرفع من شأنك حتى لا يكون مثلك من قبلك ولن يكون من بعدك ، وستظل اثنتين وأربعين سنة على رأس ابرشيات المسيح كلها ، وحينما يرفعك الله الى هذا المقام ، ليمل قلبك الى تكريم هذا البيت المقدس الذي فيه كشف لك انك لست صغيراً أو حقيراً أمـام الله . فاذهب الآن بسلام واحفظ ما أوصيتك به » . وحينما تثقف الولد وعاد الى عمه الذي اقعدته الشيخوخة ، حاول هذا بكل الوسائل أن يثبت كرسيه لابن أخيه ؛ وكانت النعمة تدفعه الى ذلك . فقدم طلباً الى مار مارن عمه المطرافوليط ، وتخلى عن اعباء الكهنوت ، فرسم الشاب طيمثاوس اسقفاً لبلاد بيث بغاش .

الفصل الرابع

في كيف ان طيمثاوس اخذ البطريركية بخديعة كما أخذ يعقوب بركات اسحق ابيه مكراً[1]

بامكاننا ان نعلم من سياق الحوادث ونتحقق أيضاً بان الامور السماوية الفائقة هي نفسها تحتاج احياناً الى سبل ووسائل بشرية ، وانها تجري حسب ارادة الله وان جاءت بالخداع . فلما

(١) تكوين ٢٧/٢٧ ـ ٣٠ .

انزل الرب الاله على قلب الطوباوي اسحق انيبارك بنيه ، اثار فيه شهوة أكل صيد البريه ، لكي يكون عيسوا بعيداً ، فيتاح ليعقوب أن يخطف البركات ، والا لقال ذلك الرجل العظيم والغني لابنه : « يا بني ، اذبح لي جدياً من القطيع لآكل فتباركك نفسي قبل ان اموت » . لكنه دفع به الى موارد التعب في مطاردة الحيوان الشادر المارد . وكذلك حين امر الرب صموئيل أن يمسح داود [ملكاً] وخاف من بطش شاؤل ، أمره بأن يأخذ عجلة من الابقار ويقول : « اني اتيت لاقدم الذبيحة للرب »(١) وعلى هذا النحو أوحى الله برؤيا الى القديس بولس ان نفس احد منهم لا تهلك ما خلا السفينة ، فقال للذين معه : « تناولوا طعاماً ولا تغتموا لان الرب كشف لي أن نفس احد منكم لن تبيد ما عدا السفينة » . ولما عرف ان الربابنة يتهيأون للهرب ، قال للرومانيين الذين معه : « ان هرب هؤلاء فسنهلك جميعاً »(٢) . ولسنا بحاجة الى سرد أمثلة اخرى عديدة ...

فهنا ايضاً لما كانت العناية الربانية قد خصصت البطريركية بطيمثاوس ، جاء الحق وعمل ما أراد . ولما رأى [طيمثاوس] ان انظار الكل متجهة الى ايشوعيابنا هذا ، بذل له النصح على انفراد قائلاً : « انك رجل شيخ ولا طاقة لك للصمود امام شدة الحاسدين امثال افرام [مطرافوليط] عيلام ويوسف بن ماري ومناوئين آخرين . فارفض وكن من المؤيدين لي فاقيمك مطرافوليطاً لحدياب » . وخلاصة القول ، لقد سيم طيمثاوس جاثليقاً بطريركاً ونودي به رئيساً للآباء(٣) . وبعد أيام قلائل رسم مار ايشوعياب ونصبه اسقفاً على كنيسة حدياب ومطرافوليطاً على كل مقاطعاتها . لأن القديس مار مارن عمه مطرافوليط اربيل كان قد توفي .

---

(١) ١ صموئيل ١٦/٢ .

(٢) أعمال الرسل ٢٧/٢١ ـ ٤٤ .

(٣) نصب طيمثاوس الأول في المدائن يوم الأحد ٧ ايار سنة ٧٨٠ بحضور مطرافوليطي بيث كرماي وحلوان ودمشق ومرو . أما أفرام مطرافوليط كونديشابور وسليمان اسقف الحديثة وسركيس اسقف معلثايا فقد امتنعوا . وسرعان ما التحق بهم يوسف مطران مرو . . وأخيراً سويت الخلافات بين المطرافوليط أفرام وأتباعه وطيمثاوس الكبير وذلك بتدخل أبي قريش عيسى طبيب الخليفة المهدي الخاص . وهكذا قدر طيمثاوس ان يسوس الكنيسة النسطورية بحكمة ودراية مدة ٤٣ سنة ، أي حتى وفاته سنة ٨٢٣ .

الفصل الخامس

روسطم اسقف حنيثا

لما رأى شهارجة كفرعوزيل وسكان مقاطعة بيث اروعي[1] انه قد رسم لهم مطرافوليط دون إشراكهم في انتخابه ، وان الجاثليق اعتبرهم كأناس ليسوا في الوجود ، أقسموا كلهم وقالوا: « انا لن نطيع ايشوعياب البتة لأنه رسم بدون انتخابنا » . ثم نزلوا الى الحديثة لدى اسقفها مار شليمون . وكان هناك ايضاً يوسف بن ماري مطرافوليط مرو الشرير الذي قدم الى هناك لان القديس مار شليمون لم ينزل الى المجمع بسبب شيخوخته . وفكر يوسف بن ماري في أن يشاغب على طيمثاوس وقال لشليمون : « هوذا ان افرام [مطرافوليط] عيلام ايضاً يجمع أساقفة ومطرافوليطين لم يحضروا رسامة طيمثاوس ، لكي يقرروا خلعه » . وجاءت شكوى الشهارجة اضافة ، فانتهزها يوسف فرصة مؤاتية لتحقيق مأربه الخبيث . فغرر بالقديس مار شليمون ، كما خدع صيبا داود[2] ، [وكما خدع] النبي الكاذب نبي الله الذي أتى من يهوذا الى بيث ايل[3] . فأخذوا روسطم اسقف حنيثا ورسموه مطرافوليطاً لأربيل في دير الطين[4] الواقع على دجلة تحت الحصن العبوري في نينوى . وأخذه الشهارجة وأجلسوه على كرسي

(١) يبدو ان مقاطعة بيث اروعي تقع في الجنوب أو في الغرب من اقليم حدياب .

(٢) ٢ صموئيل ١٦/٣ ـ ٤ ؛ ١٩/٢٩ .

(٣) ١ ملوك ١٣/١٨ .

(٤) دير الطين أو دير « بيث حالي » كان على شاطىء دجلة بالقرب من الحديثة [طالع ابن العبري ، التاريخ الكنسي ، ٢ عمود ١٦٥ ؛ السمعاني ، م. ش. ، ٣ ، ٢ ص ١٦٠ و ٢٠٥ حاشية ٢] . ويجب تمييزه عن دير الطين الآخر الواقع في مصر [طالع كوركيس عواد ، الشابشتي ص ٢٥٥ ، الذيل ٢٢] ، وعن دير بيث حالي آخر أسسه الربان خوداهوي في برية الحيرة [طالع التاريخ السعردي ٢ ص ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٦٦ ، ٢٧٠ ـ ٢٧٤ ، كتاب العفة ، عدد ٧٥ ، ٧٧ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ١٢١ ، شهداء المشرق ٢ ص ١٠٠ ، م. ش. ٣، ١ ص ١٥٥ حاشية ١]

بيث مار قرداغ[1] المطرافوليطي . فاستولى على الكرسي وعلى جميع وارداته وشرع يأكل ويتنعم ، ولم يعرف التعيس ان سقوطه وشيك ، وانه لن يجد مفراً .

الفصل السادس

صعود قديسنا مار ايشوعياب الى حدياب

لما وصل مار ايشوعياب الى قرية هيغلا واسطرنيا[2] وسمع ما جرى بشأن روسطم ، كتب الى طيمثاوس قائلاً : « أهذه هي محبتك لصديقك ؟ انك خدعتني وسخرت بي . فقد أخرجتني من الكرسي الذي كنت عليه في نينوى ، وها قد سلبوني هذا الذي أردت ان تمنحنيه . خذ اذن الكهنوت الذي قلدتني فأذهب الى ديري وانهي هناك حياتي » . فكتب اليه مار طيمثاوس قائلاً : « لا تهبط عزيمتك ولا تضطربن من هذين الذنبين وهذين المحراكين المحترقين[3] اللذين رسما مطرافوليطاً بدون البطريرك . إذهب الى حدياب وكل قرية تقبلك امكث فيها[4] ، والتي لا ترضى بك ، لا تخاصمها . فان يوم انكسار الأئمة قريب وعاجل ما سيحل بهم[5] . فان الرب يدين شعبه ويتعزى بعبيده » . ولما قرأ الطوباوي مار ايشوعياب هذا

(١) يعجب المتتبع ان توما المرجى لا يستعمل هذا اللقب [بيث مار قرداغ] للدلالة على كرسي حدياب المطرافوليطي قبل هذا التاريخ . ألم يجده في مصادر قديمة أو ان شهرة مار قرداغ المتزايدة آنذاك ، التي جعلت منه أميراً وحاكماً تمتد سلطته من بيث كرماي الى نصيبين ، هي التي أدت الى هذه التسمية ، نظراً الى فيض الأساطير حول شخصه وبطولته في نحو القرن التاسع [انظر كتاب العفة عدد ١١ و ٤٧] ؟ فاننا لا نجد عبارة « كرسي بيث مار قرداغ » في مؤلف آخر غير توما المرجي .

(٢) اسطرنيا مرحلة على الطريق الآشوري والعربي المحاذي للضفة الشرقية من دجلة فوق البوازيج .

(٣) اشعيا ٧/٤ .

(٤) متى ١٠/١١ .

(٥) تثنية ٣٢/٣٥ - ٣٦ .

الجواب، تشجع وصعد وجاء الى بلده[1] . ولما لم يخرج الشهارجة ولا الاروعيون لاستقباله ، كما كانوا قد اتفقوا فيما بينهم ، صعد عند البانيقيين[2] ، فقبله هؤلاء بفرح عظيم وباكرام يليق بقداسته ، هم وكل منطقتهم وكل ابناء جبل حدياب وبنو حبتون . ومن هناك اجتاز الى مركا . وظل يتفقد شؤون هؤلاء المؤمنين الذين طابت به نفسهم . أما روسطم فكان منهمكاً في اقامة الولائم هو واشراف كفرعوزيل ، اذ كان يبكر اليهم ، فيلتفون حول الموائد ويهددون باقصاء الطوباوي مار ايشوعياب من نصف البلاد التي في يده ، ولم يدروا أن كيدهم سيعود الى نحورهم .

الفصل السابع

في القصاص العاجل الذي حل بروسطم وكيف خجل الذين رسموه وخذلوا

قابل روسطم طول اناة الرب بقساوة القلب ولم يخطر ببال الشقي ان يفكر ويقول: «كيف يمكنني الثبوت في المطرافوليطية ولم يرسمني ويعيني الجاثليق ؟ وكيف أتجاسر على ما انا عليه ؟» بل اراد مثل ابيشالوم ان يتجاسر على سلطة رئيس المشرق ، وكان يأمل ان يثير فتنة على الجاثليق حسبما نفثها يوسف بن ماري في مسامعه ، كما كان ابيشالوم يأمل ابادة داود بمشورة احيتوفل[3] . وبينما كانت هذه الافكار تراوده ، نهض الرب مثل نهوض النائم ونكص اعداؤه على اعقابهم ، واختار ايشوعياب عبده واقامه وكيلاً على بيته . فبينما كان روسطم راكباً يوماً بغله

(١) أي حدياب التي أصبحت أبرشيته .

(٢) البانيقيون ـ تقع بلادهم بين جسر الزاب وجبل حدياب أي في الشمال الشرقي من حدياب .

(٣) ٢ صموئيل ١٥ ـ ١٧ .

المبهرج وعائداً بخيلاء الى مقره من احدى الولائم، بلغ الى جوار مركز بيث مار قرداغ . واذا بكلاب هذا الموضع احاطت به واضطرته الى النزول من دابته . وما ان وضع رجله على الارض حتى انقضت عليه الكلاب سوية واوسعته عضاً حتى صار من الموت قاب قوسين، على غرار ايزابيل المنافقة التي اضطهدت الانبياء[1] . واستحوذت الدهشة والرعب على الذين سمعوا الخبر وخزي اصدقاؤه وشملهم العار ، وفشلت مؤامرتهم وتفككت عرى صداقتهم وانحل رباط المحبة التي كانت تشدهم الى بعضهم امام كؤوس بنت الحان يوم كانوا يتسارون ويهددون الصديق بالموت . وقدم البار مار شليمون ايضاً اعتذاره واستقالته ، ثم ترك الاسقفية وذهب وانزوى في دير ربان هارون[2] حتى نهاية حياته . أما يوسف بن ماري فقد نبذ المسيحية واعتنق الوثنية . وهكذا تم فيهم ما قاله البار طيمثاوس أن يوم اندحارهم وشيك ونهايتهم آتية عاجلاً .

الفصل الثامن

ندامة الحديابيين والطلب الذي رفعوه بكل تواضع الى مار ايشوعياب راجين ان يأتي الى مركزه

اذا كانت كنوز المملكة الارضية لا تودع عند كل انسان بل عند اولئك الذين اختبرتهم المملكة طويلاً فعرفتهم صالحين للايداع ، فكم بالاحرى يصح القول عن كنوز ملكوت السماء التي

(١) ١ ملوك ٤/١٨ ، ٢ ملوك ٣٥/٩ ـ ٣٦ .

(٢) دير ربان هارون ـ وهو دير خشبة الصليب المقدس ـ أسسه الأنبا هارون من اوانا في نحـــو سنة ٧٦٠ [طالع كتاب العفة عدد ١١٨] على طلب مار قرياقوس اسقف بلد الذي أصله من دورا عربايا ، وكان سابقاً رئيس هارون . أما موقع هذا الدير فلم يعين بعد بدقة ، ولكن يبان انه يقع شمالي « بلد » [أسكي موصل] على مسافة قريبـــة منها .

لا يستحق ان يكون حافظاً على جلالها إلا من ختم بأختام الأمانة وأقام البرهان على اجتهاده كل أيام حياته ، ومن ارتوى عوض الماء بالعلاجات الروحية وطرح جانباً كل خشونة التفكير ونفض عنه كل عتيــق وتعلم في المصح كل متطلبات الطب ، فأتقن فن تطبيب النفوس وكان صديقاً للأطباء الحكماء . وكذلك فان الاختيار الالهي يسبق وينظر الى الفائدة العامة فيقيم مثل هؤلاء على تصريف تدابــيره ويفرزهم ليكونوا أطباء لأمراض العالم ، لئلا يكونوا غير جديرين بالوساطة للبشر فيتسببون في سقوط وهلاك الذين تحت أيديهم ، علاوة على تبذيــر طاقاتهم .

فقد التجأ روسطم المنكود الحظ الى الناس ونسي كلمة داود الالهي : « ان الاتكال على الرب خير من الاتكال على الانسان الذي تخرج روحه فيعود الى أرضه ... »(١) . ولما رأت عين الله المشرفة على كل شيء الأضــرار التي سببها لنفسه والتي كان مزمعاً ان يسببها للآخرين أيضاً ، أصمت صداه بعضات الكلاب . وقد عوقب هنا بنهش جسده بدل طعنات اللسان التي كان بها ينال من القديسين مار ايشوعياب ومار طيمثاوس ، وهكذا بارح الحياة وذهب الى الجحيم . ولما رأى المؤمنون والشهارجة ما جرى ، جاؤوا الى البار مار ايشوعياب مطرافوليطهم وأبدوا له الندم والتمسوا منه ان يقوم ويصحبهم الى كرسيه . أما هو فقال :« اني سأظل حتى يرسل الي السيد الجاثليق ويأمرني بالمجيء ، وحينئذ آتي » . فكتب اليه مار طيمثاوس منشوراً في هذا الشأن واحتفوا بدخوله كيوم السعانين ، وخضع له أبناء البلاد بأجمعهم .

---

(١) مزمور ٨/١١٧ و ٤/١٤٥ .

الفصل التاسع

في ما حدا بالقديس مار ايشوعياب المطرافوليط الى هدم هيكل الطين الذي كان القديس مار ايشوعياب الجاثليق قد شيده ، وبناء آخر من الجص وكيف ان الرهبان المعاصرين له كانوا ينصحونه ألا يقدم على هذا العمل لكلفته الباهظة

ان ثمة اموراً تفوق توقع البشر وتفكيرهم وتذهل عقولهم وتدعوهم الى تسبيح الله في كل لغة وكل ضمير . وما أيسرها مع ذلك على قدرة البارىء الحكيم . وتقيم البرهان عليها الامور التي جرت منذ الدهر في مختلف أشكالها بتدبير الله الفائق كل إدراك ، وكذلك ما نكتبه الآن ، وفيه يظهر جلياً ان قوته قادرة على ان تعمل كل شيء بأسهل السبل ، وانه تعالى متى ما رأى مناسباً ، يتصرف بمال الغير كأنه له ، كما قال في النبي حجاي : « لي الذهب ولي الفضة »(١) . وانه ينجي من بين الأنياب وينتشل من أعماق البحر كما جاء في داود النبي. وهو يدفع الشعوب الغريبة البعيدة عن معرفته وعن السجود له الى تنفيذ أوامره قسراً ، ويفضي بهم الى وضع غناهم وأموالهم تحت تصرف ذويه . فحينما سبق فقرر بحكمته الأزلية ان يخرج الشعب [الاسرائيلي] من مصر على يد موسى علم بما سيحتاجه تجهيز قبة الزمان في البرية من الذهب والفضة ، فأمر بني اسرائيل بوساطة موسى ان يطلبوا حلي الذهب والفضة والألبسة الفاخرة من المصريين ، وجعلهم يجدون حظوة لدى المصريين فنهبوهم(٢) . وكذلك حينما تهيأ الملك سليمان لبناء بيت الرب حرك بعض ما تحت السماء وجعل أهل صور وصيدا وسبا واوفير وحويلا تلك الجزر البعيده تشترك في بناء الهيكل المقدس في اورشليم(٣) . وهكذا

(١) حجاي ٢/٨ .

(٢) خروج ١٢/٣٥ ـ ٣٦ .

(٣) ٢ أخبار ١ ـ ٢ .

كان الشأن مع الهيكل الذي جدده زربابل بعد العودة(١) . فان جيرانهم من الشعوب الحاسدين كانوا يعيقونهم ، وتثبطت عزيمة بني يهوذا ظانين ان هذه العودة ليست تلك التي نادى بها الانبياء ، وانهم تعوزهم النفقات اللازمة لاقامة هـذا البنيان المهيب العظيم . فشجعهم بفم النبي قائلاً : « اني احرك دفعة واحدة السماء والارض والبحر واليبس ، واحرك جميع الشعوب ، وأملأ هذا البيت مجداً ، يقول الرب القوي » . فحرك بني ماجوج(٢) فصعدوا بعتاد وغنى طائل . وابادهم الرب جميعهم فورث بنو يهوذا ثرواتهم وبنوا بيت الرب ، وفاض لديهم .

وقد صنع الرب مثل هذه الامور وما لا يقل عنها شأناً في هذا المكان مع عبده المختار مار ايشوعياب . فانه حينما فكر في استئصال الهيكل الذي بناه الطوباوي مار ايشوعياب الجاثليق لانه عتق مع كر الزمان والسنين ، كان اصدقاؤه ينصحونه بألا يفعل ذلك قائلين : « لا يمكنك ان تنجزه كله » . اما الحاسدون والذين لا يفكرون فيما هو لله بل يتطلعون الى كل شيء حسب الافكار البشرية ، فكانوا يعيقونه مثل الطوباوي فاخوميس(٣) العظيم محتجين : « اننا لا نريد أن تخرب هذا الهيكل الذي شيده الآباء القديسون وتبدأ ببناية آخر ولا تكمله وتتركه في نصف العمل وترحل » . ولكنه تغلب على كلتا الفئتين برسوخ رجائه بالله ، فجلب فعلة ونقارين عديدين وذهب معهم الى جبل « برحبتون » واراهم بجوار الزاب احجار الجص . وعمل اطوافاً وأتى بالجص الى ظاهر الدير ، ومن هناك جلبه الى الدير على ظهر الحمير والبغال . فأحرق الحجارة ودق الجص وجمع حجارة واحضر الطابوق ، ونقل المذبح الى المكتبة ونقل اجساد القديسين وصناديقهم من بيت الشهداء ، ثم بـدأ يستأصل بعناء كبير الجدران العريضة القديمة التي اقامها آباؤه . فتراكم تل من التراب وملأ جوار الهيكل كله .

واسقط في يـد ايشوعياب القديس حينما راى ان التراب المتراكم من هدم الهيكل قد اشغل ارضاً مساحتها ثلاثة اضعاف بناء الهيكل . ولم يكن يتوقع ذلك في الخطط التي صممها في فكره للبناء . فاستنبط حيلة عادت بالنفع على كلا الطرفين . فلما كان يوم الاجتماع قال للرهبان: « ايها الطوباويون ، لا يخفاكم ان التقليد نقل الينا ان القديس مار ايشوعياب كان لكل شـيء

(١) حجاي ٢/٤ .

(٢) حجاي ٢/٦ ـ ٧ .

(٣) ولد فاخوميس في مصر سنة ٢٩٢ من أبوين وثنيين . أصبح مسيحياً ومات شهيداً [طالع السمعاني في م. ش. ٣ ، ١ ص ٢٨٦] .

كفءاً ، وساعده الزمان ومنصبه الرفيع فجلب معظم هذا التراب من الحديثة والباقي من حدياب ولا مثيل لهذا التراب . فهو خير من الجص واقوى منه . فلا يأخذن احدكم شيئاً منه . وبعد أن نبني الهيكل بعون الله سنهدم جميع غرف الدير ونبنيها بهذا التراب » . فلما سمع الرهبان هذا الحديث ، وكان فيهم اصدقاء ومبغضون ، ارادوا اختلاس ذلك التراب ليسيعوا به صوامعهم . اما هو فانما قال ذلك لكي يتخلص من نفقات نقله الباهظة . وتمارض طيلة ذلك الاسبوع ولم يغادر غرفة الرئاسة . فوجدوا الفرصة مؤاتية واخذوا يسرقون ذلك التراب والبهجة والحبور على وجوههم ، حتى انهم كنسوا المكان بالمكنسة ونقلوا كل شيء الى صوامعهم . فلما سمع بالامر طار قلبه فرحاً فجاء ورأى ان مكان التراب قد كنس كنساً ومسح تماماً . فقال لهم بلطف وابتسامة : « انكم لم تتركوا ولو قليلاً من ذلك التراب ؟ عفا الله عنا وغفر لجميعنا » .

الفصل العاشر

كيف ان الله دفع البشر الى مساعدته في هذا العمل العظيم

لما بدأ القديس مار ايشوعياب بارساء اسس هذا الهيكل صارت المواد واجرة الفعلة والبنائين تصله كل يوم . وقد دهمته ازمنة صعبة في اثناء البناء اذ بلغني من الحديث المتداول ان حاكماً جشعاً وغاشماً تولى زمام السلطة على منطقة الموصل . واستخدمه الاباء الحاقدون للضغط على هذا الدير . ففرض عليه غرامة قدرها خمسة عشر الف درهم . ودفع الحسد مؤمني حدياب ايضاً الى التذمر قائلين : « لماذا يدع المطرافوليط كرسيه[1] يتهدم ويبني هيكلاً في بيث عابي ؟ » انما حدث كل ذلك بفعل الشيطان الذي اثار ضده ، حتى في ديرنا هذا ، حزباً من

(١) أي دار المطرانية .

فوضويين . فبينما كان يوماً جالساً الى المائدة مع لفيف الاخوة ، اذ بهم يقولون له : « انك هدمت هيكلنا ، ولا نريد الآن ان تبني لنا هيكلاً . فاخرج وارحـــل من ديرنا ، فاننا تحت سلطة البطريرك (١) . فاذهب الى ولايتك ولا تمكث فيما بيننا » . غير ان القديس لم يتخل عن تواضعه ووداعته ، وعرف ان ذلك يجري بتأثير الشيطان الرجيم . وقال لهم : « ليغفر الله لكم ، لأنكم لستم أنتم المتكلمين ، بل ذاك الذي لم يذق طعم السلام ولا يحلم بالسلام. فاني لا اغادر الدير ولو سحلتموني من رجلي حتى أبني هذا الهيكل المقدس » . ثم أردف قائلاً : « لما شرعت أهـــدم الهيكل الاول ، يعلم الرب انه لم يكن في حوزتي سوى مائة وخمسين درهماً ، ولا أعرف من اين ارسل لي الرب هذه النفقات التي رأيتموها . فان البنيان أوشك ان يبلغ نصفه . فهدئوا خواطركم ولا تستسلموا للشغب والاضطراب ، فالرب يبنيه ، ولا آخذ شيئاً منكم او من ديركم » .

الفصل الحـادي عشر

الرؤيا الشيطانية التى رآها الانبا ايشوعداد أحد شيوخ هذا الدير والفضة التي وجدها

بينما كانت الهموم تساور القديس مار ايشوعياب بشأن المصاريف ، لأن الاحد كان وشيكاً وفيه سيطالبه المعمار باجرته واجور فعلته ومقدارها سبعة آلاف درهم حسب اللائحة

(١) كان الدير في القديم تحت سلطة الاسقف المحلي . إلا ان بعضاً من البطاركة منحوا الأديرة التي ترهبـوا فيها امتيازاً ترتبط بموجبه رأساً بسلطتهم البطريركية . وقد أعطى ايشوعياب الجدالي الجاثليق هذا الامتياز لدير بيث عابي [انظر قوانين عبديشوع الثاني في عبديشوع الصوباوي ، طبعة « ماي » ، رومة سنة ١٨٣٨ ، مجلد ١٠ص٢٩٦].

المنظمة التي تسلمها منه . ورآه الاخوة في صلاة سوباع(١) يوم الاحد والكآبة بادية على وجهه وقد شحب محياه من الاعياء والقلق لأنه كان متفقاً عليه بأن يزن في غداة الأحد سبعة آلاف درهم للبنائين ، ولم يكن في حوزة الطوباوي درهم واحد ، على ما يقـــال . ولكن ماذا فعل ذاك الذي لا يصعب عليه شيء وتأتيه الخزائن الخفية والكنوز المستورة بدون نصب ولا كد؟

كان في الدير الانبا ايشوعـــداد الشيخ معلم مار كيوركيس الجاثليق واستاذ أبينا مار ابراهام الجاثليق ، وكانت صومعته(٢) في أعلى الظهر بين الواديين وتقع عن يمين الصاعد الى رأس الينبوع ازاء القمة المدعوة الصغيرة(٣) . فحينما انتهت صلاة الليل وصعد [ايشوعداد] في ختام مزامير الصبح الى صومعته ، وإذ هو سائر في الطريق حركته النعمة فنظر الى يمينه نحو المشرق ، واذا بنار تشتعل في تنورة صومعة خربة مهجورة . وكما قال الطوباوي موسى: « لأذهب وأرى هذا المنظر المدهش ، لماذا لا تحترق العليقة ؟ »(٤) ، كذلك فكـــر هذا الطوباوي في نفسه قائلاً : « ترى ما شأن هذه النار المضطرمة في هذا الوقت في صومعة خربة؟ لأصل هناك وأر » . ولما دنا أبصر الشيطان بزي رجل شيخ أسود يأكل خبزاً ويضرم ذلك التنور . ولأنه كان رجلاً جليلاً وقديساً ، كما روى لي عنه القديس مار ابراهام الجاثليق ، أمر الشيطان بقوة الرب ان يغادر المكان . فانشق ذلك التنور حالاً الى شطرين وقذفت من داخله جرة مليئة بالفضة أمام قدمي الانبا ايشوعداد وانكسرت الجرة وسمع رنين الفضة . فخر أمام الله ظاناً انها وليدة الخيال . ولكنه لما مسها بيديه وعلم انها بالحقيقة فضة ، أخـــذ الصليب الذي كان بعنقه وغرسه فيها ، ثم أسرع هذا الشيخ المبارك وانطلق راكضاً في طريق الوادي الى ان بلغ صومعة ربان وقرع الباب . فلما استجاب المبتدىء البواب، قال له ايشوعداد: « ادخل واخبر مار ايشوعياب ان ايشوعداد على الباب » فأجاب المطرافوليط وقال : « مـاذا

(١) صلاة السوباع هي الصلاة التي تتلى بعد الرمش في أيام الصوم وبعض التذكارات . وكانت تتلى قديماً وحدها مساء بعد أن يتناول الصائمون طعام الافطار ويصلوا صلاة الرمش . وكلمة « السوباع » تشير الى الشبع بعد صوم كان يدوم ١٣ ساعة على أقل تقدير .

(٢) وتنسب الآن هذه الصومعة الى ربان هرمزد لشهرته أكثر من ايشوعداد .

(٣) فوق قرية خربا قمتان : فالقمة المسماة بالكبيرة هي أعلى قمة من الجبل يراها الشخص الواقف على سطح كنيسة عقرة . أما القمة الصغيرة فهي أقرب الى خربا وفي سفحها يمر المسافر لدى مجيئه من عقرة الى خربا . وقد ظن « بدج » انهما قلعتان . غير ان التسمية واضحة ، ولا زالت على أفواه سكان المنطقة .

(٤) خروج ٣/٣ .

يريد منا الشيخ في هذا الوقت ؟ » . فقال له الشيخ حال دخوله : « قم فقد استجيبت صلاتك . فاني كنت أراك في صلاة الرمش والسوباع كاسف البال مغموماً ، فعرفت انك في ضيق ذات اليد . فضرعت الى المسيح ان يبعد العار عنك » . ولما علم ايشوعياب بما جرى ، قال : « لعله خيال ظهر لك بفعل الشياطين » . فقال له : « يا سيدي اني سجدت لله وقد لمستها ايضاً ووضعت عليها الصليب الذي كنت حامله . فانهض اذاً ولنذهب قبل بزوغ الفجر لئلا يرانا أحد » . فأخذوا معهم المبتدىء وشرع ثلاثتهم يركضون ، وجمعوا الفضة ، وجاء الربان الشيخ معهم الى الصومعة. وقال للمطرافوليط : «أستحلفك بقبر ربان [يعقوب] الحي ، بكم ألف درهم أنت مـــدين ؟ » قال له : « بسبعة » . ولما وزنوا الفضة اذا بها سبعة آلاف بالوزن الصحيح . هكـــذا يتفقد الله القديسين محبيه الذين لا ينفكون في الليل والنهار من السعي في إرضائه .

الفصل الثاني عشر

في كنز آخر أتحفه به المسيح الرب

بعد ان قبض البناء مرتبه سبعة آلاف [درهم] ، اتفق معه القديس على مواصلة العمل بمبلغ آخر قدره ثلاثة عشر ألفاً ، واثقاً بالعناية السماوية التي لا تخزي الذين يتكلون عليها . ومرت أيام وشهور ووصل الهيكل الى العقد الأخيرة . وبلغ الأحد الأخير من الاسبوع الذي في يوم أربعائه كان البناء مزمعاً ان يطالبه بثلاثة عشر ألفاً ، فتصدعت فقـــرات ظهر القديس مار ايشوعياب من الخوف وكان يصرخ الى الله بألا يتغافل عن هيكله لئلا يكون موضع عار وسخرية ، مثل البناء الجاهل الذي يبدأ بالبناء ولا يستطيع الانجاز[1] . فلما مضى الاحد شرع البناء يقول

(١) لوقا ١٤/٣٠ .

للمطرافوليط :« حضر الفضة ولا تنس ». ومما زاد في غصة المطرافوليط ان البناء كان ايضاً يرغب في مهانته ، لأنه كان هرطوقياً . فأجاب [المطرافوليط] وقال له : « لا تقلق فان فضتك موزونة ومعدة » . وبينما كان فمه يتلفظ بهذه الكلمات المشجعة ، كان الحزن والاسى يملآن طيات قلبه .

وكان شيخ طاعن في السن يسكن بجوار الدير في كار الكهنة[1] دفعته النعمة الى تقديم ما لديه لبناء الهيكل . ففي صباح الثلاثاء اقبل متوكئاً على عصاه ، ـ ولم يكن بوسعه المجيء الى الهيكل لتناول الاسـرار الا مرة في السابوع ـ[2] وقرع باكراً باب صومعة الرئاسة . فرد عليه البواب وأخبر [ايشوعياب] بمجيئه . فاضطرب المطرافوليط لدى سماعه بمجيئه وهرع الى استقباله وقال له : « لماذا تكبدت هذا التعب كله وأتيت إلي يا ربان ؟ فلو كانت لك حاجة وارسلت في اثري لأتيتك انا » . فقال له الشيخ : « كمثل محبة كلينا واستعدادنا الطيب كذلك غني كنز المانح القدير وهو لا يترك المحبة بلا مكافأة . لكني اطلب اليك ان تحمل اليوم نفسك عناء النزول الى الصومعة التي تراها » . فقال له المطرافوليط : « انا معك كل هذا الزمان ولم تطلب الي ان انزل الى صومعتك إلا الآن وقد اذنت شمس حياتي بالزوال ؟ » فقال له : « قم ولا تتضايق فان خلاص ربك قريب ». فلما سمع المطرافوليط ذلك سر جداً كأنه وجد الراحة والفرج، وكان قد اختبر الامر مما جرى له مع الانبا ايشوعداد ، فقام ونزل معه . وقال له الشيخ : « خذ معك هذا المبتدىء لأننا بحاجة اليه » . فنزل المطرافوليط تلبية لرغبته . فقدم له ربان كسرة خبز واخـذ يناشده ان يتناولها كبركة . وشق على المطرافوليط أن يجيب الى طلبه . فقال له الشيخ : « بكم من الفضة تبيع لي حفظ صومك اليوم ؟ اعلم اننا نحن ايضاً بذلك الامساك ونعرف زمان الانقطاع والزمان الذي يجيزه الحب » ولما اكلوا وشربوا ، قال له الشيخ : « ياسيدي المطرافوليط رايتك بالروح وكنت واقفاً في غرفة مظلمة وكنت تدعونا جميعنا الى نجدتك فعلمت انك محتاج الى نفقات بناء الهيكل . وانا اقسم لك بصلاة ربان [يعقوب] اني لا أملك ذهباً ولا فضة . فاني قمت بأودي من عمل يدي يوماً فيوماً ، كما تعلمون كلكم . ولكن عندي وديعة صغيرة اعطيها أياك ان وعدت بأن توفيها » . فقال المطرافوليط : « وكم هي وديعتك ايها الانبا ؟ » قال له : « اقسم بمحبتكم بأني لا اعرف . فقد اتتني عجوزان من وطني بيث بغاش قبل عشرين سنة ،

---

(١) راجع كتاب الرؤساء ، جزء ٢ ، فصل ٣٢ ، ص ١٠١ حاشية ٢ .

(٢) السابوع جزء من السنة الطقسية يتكون من سبعة أسابيع أو أقل .

وكانتا ذاهبتين الى اورشليم ، فوضعتا تحت السقف(١) ما وضعتا ولا أعرف مقداره ، لكني أخاله مالاً طائلاً ، ولم تعودا مذ ذاك . وقد أوصتاني قائلتين : « إن رجعنا فهذا مالنا ، واذا فاجأنا الموت في الطريق ، فاعطه هذا الدير . فخـــذه الآن ، واذا عادتا ـ وانهما لن تعودا ـ فترده ، وإلا فليس من يطالبك به ولن تكون ملتزماً بالوفاء » . ولما سمع المطرافوليط قبل كل شيء بفرح . ووزن الفضة وكانت ثلاثة عشر ألف درهم وأعطاها البناء بكل سرور . وقد سمعت هذه الامور من كثيرين ، وكما علمتها دونتها في قصة القديس مار ايشوعياب .

الفصل الثالث عشر

الاعجوبة التي أجراها المسيح على يد القديس مار ايشوعياب

كان الطوباوي مار ايشوعياب يبني هذا الهيكل والمساعدات المالية تنهال عليه من الكبير والصغير ، كل حسب امكانياته . وكان في قرية « حذوذ »(٢) بستاني أصم منذ صباه حسبما بلغني . وقد أنفق مالاً كثيراً على الأطباء قصد الشفاء ولكنه انقلب عنهم بصفقة المغبون . وكان هو أيضاً من الذين يقدمون المال للاسهام في العمل ، فأتى الدير بحمل بصل . فتقبلوا هديته . وكان هناك راهب يعرفه فأخذه وجاء به الى صومعة الرئاسة عند المطرافوليط لكي يباركه . وأخبره الراهب بالصدقة التي جلبها للدير وانه لا يسمع البتة . فحزن المطرافوليط وبارك على ماء بصليب ربان وأطلقه قائلاً له : « اننا واثقون بأن الرب سيمنحك السمع » . ولما ركب

(١) ذلك لأن المنازل المبنية بالحجر او اللبن كانت ــ ولا تزال في معظم القـــرى ــ مسقفة بجسور خشبية وعيدان أو ألواح يعلوها الهشيم وطبقة من الطين أو التراب تشكل سطح الدار . وفي الفراغ بين محط السقف من الجدار توضع أحياناً أدوات أو أشياء يراد الاحتفاظ بها بعيدة عن متناول الأولاد .

(٢) راجع كتاب الرؤساء ، جزء ١ ، فصل ١٥ ، ص٣٧ حاشية ٣ .

[الرجل] حماره وخرج ووصل الى مرتقى « سباق الحمير » سمع صوت أيائل تنفر ، فتعجب ودهش . ثم سمع وقع حوافر حماره . ولما دنا من القرية سمع صوت صياح الديكة ونباح الكلاب . فأخذ العجب منه كل مأخذ ولم يكن ليصدق ما جرى له من فرط فرحـــه . وإذ دخل باب بيته ورآه أحد أولاده ، سمع الولد يقول لأمه : « جاء أبي » . فأخبر امرأته بكل ما جرى . وهكذا شفي بصلاة ذلك القديس واحتفظ بعافيته الى يوم وفاته . وقد سمعت ذلك من ربان اليشاع الشيخ البار ، ليكن ذكره مباركاً . ومعروف ان كل القديسين الذين كتبت سيرهم قد صنعوا آياتٍ وعجائب . لكن الزمان أتى عليها بقدمه ، لان الذين عرفوا بها حينذاك لم يسجلوها .

الفصل الرابع عشر

إنجاز بناء الهيكل ووفاة مار ايشوعياب

لما انتهى بنـاء الهيكل ، ما عدا السقف ، تركه القديس في تلك السنة وأجل إتمامه لكي يتوطد . وفي السنة التالية أكمله مع بيت الشهداء وقدسه . ونقـــل رفات ربان يعقوب والسيد الجاثليق والآباء الذين معهم ووضعهم في بيت الشهداء . وكان ينوي ان يشيد بالحجر والجص الدير كله وغرفة البواب ، اذا أمده الله بالحياة . وبعـــد الصوم الكبير ، في الجمعة التابعة للأحـــد الجديد التي عونيثتها « بصليب الرب يسوع المسيح ... » خلع قميص الجسد وأوزاره وانتقل الى موطن النور والأفراح ، ودفن مع الآباء رفقائه في مركز أبرشية حدياب المطرافوليطي ، أي في بيث مار قرداغ(١) . لتكن صلواته سوراً منيعاً لهذا الدير ، تقيه من كل الأضرار . آمين .

(١) « بيث مار قرداغ » تعني هنا الكنيسة الكاتدرائية . ويقول التقليد المتواتر في عينكاوة القرية من أربيل ان هذه الكنيسة كانت مشيدة بالقرب من باب قلعة أربيـــل من الداخل ، وليس في حوزتنا نص يشير الى وجـــود كنيسة باسم مار قرداغ في مدينة أربيل نفسها .

الفصل الخامس عشر

قصة القديس مار قرياقوس الجبيلي رئيس دير بيث عابي واسقف مدينة « بلد »

يشهد تركيب الانسان ان الله الحكيم الاوحد كون الطبيعة المائتة من عنصرين ضدين هما في خصام دائم . اذ ان كلا منهما يريد جذب الآخر الى جانبه . وحسب هذا التركيب المضاعف . هيأ له مسكنين ، جعل المسكن الحاضر للتمرن والتدريب على ما تقتضيه الطبيعة الناطقة . فنكتسب خيرات كثيرة في جهادنا القاسي ، ونكتنز ما يليق بنطقنا وبالكرامة التي وسمنا بها . اما المسكن العتيد فقد اعده للنعيم والغبطة التي لا تخضع لأي تغيير . وقد اعطانا السلطة والقوة لاكتساب الامرين ، اذا كانت حياتنا متوجهة نحو النعيم الابدي بغير انحراف وان لم يكن فينا عائق يحول دون اختيارنا الحر . فمنوط بنا اذن ان نختار الصالحات ونرث الغبطة المنتظرة .

وقد ادرك هذه الحقيقة الطوباوي ربان مار قرياقوس الذي حان الاوان لنتكلم عن مآثره ، وقد سعى جيداً في هذا العالم المملو جهاداً والزاخر بالوقائع . فأفلح وربح بتصرفه الحسن كل ما ينفع ويلائم الراحة المحفوظة لنا في السماء على ما جاء في كلام بولس الالهي (١) ، حيث ننتظر ان يغير الرب يسوع المسيح مخلصنا جسدنا هذا الضعيف ليصبح شبيهاً بجسده المجيد .

(١) عبرانيين ٤/٨ ـ ١٠ ؛ فيلبي ٢١/٣ .

الفصل السادس عشر

أصل الطوباوي مار قرياقوس وقدومه الى هذا الدير

ينحدر هذا الطوباوي قرياقوس من أبوين غنيين تقيين من الجبيلة [جبيلتا][1] مدينة الارثوذكس في مقاطعة الطيرهان[2] . وتلقى العلم بهمة والديه في كنيسة مدينتهم على ربان كوريا المعلم الشهير والعالم النحرير ، تلميذ استاذ الاساتذة ربان باباي الملفان ومؤسس المدارس . وقد اختار لنفسه السيرة النسكية وفضل ان يعكف على العمل الروحي بين صفوف الذين يحاربون الجسد وشهواته ، وسمع بهذا الدير المقدس من معلمه ربان كوريا الذي اخبره استاذه ربان باباي عن اناس اشتهروا بالقداسة ، وكيف ان [الدير] كان يزدهر بسناء سيرتهم ويجتذب الكل الى ضياء فضيلتهم الباهر ، فخرج قاصداً اياه وبلغه في عهد رئاسة ربان مار أحا الذي كتبنا من قبل أمجاد سيرته . ولما انهى الابتداء وسمح له القديس مار أحا بالخروج الى الصومعة[3] ، تزود بالصلوات والبركات وأخلد الى السكوت . أما عن طهارة سيرته والاعمال

(١) راجع كتاب الرؤساء جزء ٣ فصل ٢ حاشية ١ .

(٢) راجع كتاب الرؤساء جزء ٣ فصل ٦ حاشية ١ .

(٣) كثيرة هي الكتابات والنصوص التي تطلعنا على مراحل الحياة الرهبانية في القديم . وأقربها الى عهد توما المرجي هي حياة ربان يوسف بوسنايا التي كتبها تلميذه يوحنا بركلدون [نشرها مع ترجمتها الفرنسية الأب شابو ، باريس سنة ١٩٠٠] ، وهذه المراحل هي :

١ ـــ فترة الرغبة ومدتها ٥٠ يوماً يقضيها الراغب بالشغل اليدوي المجهد .

٢ ـــ لبس الاسكيم وحلق الرأس على شكل اكليل كما قلنا سابقاً .

٣ ـــ الحياة في الجمعية في الدير وذلك لمدة ثلاث سنوات أو أربع وهي بمثابة الابتداء ، ثم يمكن الراهب اتباع ثلاث طرق :

أ) الدخول الى الصومعة التي يعيش فيها الراهب بالسكوت وله تلميذ في خدمته .

ب) الدرس والمطالعة داخل الدير مع حضور الصلوات الجماعية .

ج) الشغل في الكروم والحقول .

أما الراهب الذي يخرج الى الصومعة فكان يغادرها خلال السنة أو السنوات الاولى ليشترك مع الاخوة في الصلوات

المتنسكة التي كان يفرضها على ذاته فاذا أردت ان أكتبها مثلما سمعت عنها ، عرضت نفسي لجهد جهيد في تدوينها وعرضت سيادتك للملل في قراءتها . فأمر اذن عليها باختصار واعطي عنها نماذج مختارة ادونها لك لتنشرح بها .

كان الشيخ حنانيشوع رئيس الدير الذي أدركته في هذا الموضع والذي كان جاره يقص علي قائلاً : « انه من يوم خروجه الى الصومعة حتى نهاية حياته لم تدخل الخمرة الى صومعته . ولكنه كان يتناول منها وقت الضرورة على المائدة مع الاخوة اخفاء لزهده . وكان قد جعل صومعته محكمة له واجلس المسيح الديان على عرش عقله ، فيطفىء الأفكار الشريرة التي تأتيه ويسقي النقية منها ويظهر هكذا امام الديان في كل حين » . وحسبما سمعت عنه انه بعد مرحلة الابتداء بسنين قليلة وجد فرصاً مؤاتية لقمع أهواء الجسد ، لأن الآباء كانوا قد جزموا ان لا يزيد المبتدىء على أعمال الجمعية شيئاً لئلا يتعرض لمطاردة الأبالسة . فصنع له سيرين غليظين من جلد ، كان احدهما يضم ركبتيه . فحينما كان يجلس ويقرأ او يأكل او ينام يضع فيه ركبتيه مطويتين لئلا تنبسطا فتنبسط معها أعصاب الجسد وتمتلىء حيوية وتثور أهواء الجسد . كما كتب القديس باسيليوس(١) الى اخيه الطوباوي غريغوريوس(٢) قائلاً : « حينما تنام لا تبسط رجليك وبذلك تنجو من هذا الهوى » . اما السير الآخر فكان يضم احدى ركبتيه . فحينما كان ينهض ليسهر في الصلاة كان يطوي احدى ركبتيه ، مثل الجمل ، ويدخلها في تلك الحلقة الصغيرة ، وباليد التي رجلها مطوية في ذلك الشكل كان يمسك عصا ويقف مثل الكركي على ركبة واحدة حتى يتعب من خدرها ويهوي الى الأرض . وإذ ذاك كان يقوم وينقل الرباط الى الرجل الاخرى حتى يكيل ايضاً . وهكذا كان يسهر الى بزوغ الفجر » . وكان الشيخ حنانيشوع يقول لي أيضاً : « حيث ان صومعتي كانت فوق صومعته فكنت أراه وهو يضعف ويضنى من سهره ويظل على تلك الحال مدة طويلة . ومن فرط تعبه لم يكن يشعر بارتفاع حرارته . وكان يتناول الطعام في المساء فقط خبزاً يابساً يبلله بالماء والملح ويأكله . هذا كان دأبه طيلة زمن شبابه وما بقيت قوة الشباب في جسمه . ونظراً لطهارة قلبه

الجماعية ، ثم في حفلة مهيبة يدخل الصومعة ولا يبارحها بعد قط ، حتى ان بعض رهبان هذه الفئة كانوا يبنون باب الصومعة ويسدونه ويعتبرون حبساء .

(١) هو باسيليوس القيصري الكبير [٣٢٩ - ٣٧٩] [طالع السمعاني م. ش. ٣ ، ١ص ٢١] .

(٢) يشير توما المرجي هنا الى القديس غريغوريوس النزينزي [٣٢٩ - ٣٨٩] صديق باسيليوس الكبير.

الساكن فيه الله ، كما قال أحد القديسين ، كان لا بد ان يسمع الله صلاته. فقد أصبح ذهنه الصافي مقراً للثالوث . وبهذا الصدد يقول القديس نيلوس[1] : « دم في ذكر الله فيصبح فكرك سماء» .

يا للاستنباطات الجديدة التي يهتدي اليها القديسون ! فكل واحد منهم أوجد طريقة جديدة ليقمع بها الجسد مصدر الأهواء والشقاء : منها الصوم والصلاة ، ومنها السجدات والسهر ، والوقوف على رجل واحدة ... والى هذا كله فقد شنوا حرباً عواناً على الفكر بالتأمل والبكاء على نفوسهم والتفكير في ساعة الموت والدينونة وجهنم . انها أفكار ثلاثة وتأملات ثلاثة نظرية وفكرية يعكف عليها الرهبان الحقيقيون ، وبها يسمو الراهب المصون الى درجة الكمال ، لأن الكمال يأتي هنا كعربون ، ليس ان الانسان لا يحس بالأهواء ، بل انه لا يرضخ لها . فلما كان فكر أبينا القديس ينصرف لمدة طويلة الى هذه الامور ويتدرب عليها ، زال غشاء الأهواء عن عقله فاستنار فكره وصفا ذهنه وعرف كيف يحافظ على طاقاته الكامنة بنفس يقظة . ويقول أحد القديسين : لأن يمارس الانسان الفضائل فذلك أمر هين ، أما حفظها من الاختلاس فذلك شأن الكاملين . ولما رأى الله رب الكل ان [قرياقوس] قد صمم من كل قلبه على ان يحفظ وصاياه ويكمل إرادته ، عظمه ومجده بالآيات التي أجراها والرؤى التي قبلها والبواهر الاخرى التي صارت على يده ولم تعط لأحد آخر في زمانه ، كما سأثبتها شيئاً بعد شيء بقوة صلاته .

الفصل السابع عشر

دعوة أبينا مار قرياقوس الى الرئاسة

لقد اختار القديس مار قرياقوس لذاته أتعاباً كهذه وجهوداً تقمع الجسد في سبيل الحق، وكما قال مرقس الناسك انه احتمل عذاب انطواء الأرجل وانحناء الظهر وسار في طريق الرسل

(١) القديس نيلوس هو أحد تلاميذ القديس يوحنا الذهبي الفم . ترهب وعاش في صحراء نيترية في النصف الأول من القرن الخامس الميلادي [طالع بدج ، كتاب الرؤساء ٢ ص ٤١٩ حاشية ٤ : م. ش. ٣ ، ١ص٤٨].

مكبلاً بالسلاسل يحمل الصليب ويقتفي آثار معلمه . انه قهر كل الأهواء واحتمل بضوء الحق العذابات التى تقتضيها الحياة النسكية برجاء الخيرات العتيدة ، فجعل عقله مثل نسر سريع يحلق في الأجواء العليا بغبطة ، وأخضع عيني جسده لطاعة المسيح لئلا تميل الى مناظر كاذبة .

ولما كان البحث يدور حول رئيس يأخذ بزمام الامور في هذا الدير ، وقع اختيار الاخوة كلهم عليه واتفقوا على ان يتقلد الرئاسة عليهم . وبجهد كبير أقاموه [رئيساً] وأناطوا به مهمة تدبير حياتهم . أما هو فأقام وكلاء على الشؤون المادية ، وجلس في صومعة الرئاسة كعادة النسك. وكانت الجمعيه كل مساء ترسل له خبزاً وطبيخاً حسب المألوف . ولما بدأ الدير يشعر بالفاقة واسقط في يد أوليائه ولم يدروا من أين يجدون الفرج في محنتهم ، لأن الجراد كان قد أكل الزرع في تلك السنة ، حتى اضطروا الى زرع الدخن الصيفي ، قصد [قرياقوس] المدينة واقترض فضة بالرباء من التجار . وبينما كان الرهبان مرتبكين بأمر دفع الدين ، إذ أظهر الله آية بواسطة خادمه القديس .

الفصل الثامن عشر

الاعجوبة الاولى التي أجراها الله على يده وبقية آياته

كان في مدينة الموصل رجل عربي ايمانه قريب من ايماننا ، وكانت العطايا والهدايا التي يمد بها الجمعيات الرهبانية معروفة . ولم يكن له سوى ابن وحيد حبيب . فأصابه مرض عضال أعيا الأطباء حتى فقدوا الأمل بشفائه . فوعد والده ان يعطي كل شيء في سبيل انقاذ حياة ابنه . اذ كان يحسب غناه الطائل بدون جدوى حيث ان الوارث يسبق المورث الى اللحد . ولكن القوة

التي دفعت التلاميذ الذين في يافا[1] الى الارسال في اثر شمعون الصفا لانقاذ حياة طابيثا ، والتي جعلت الملاك يحرض كورنيليوس على استحضار شمعون الصفا[2] ليشرق عليه نور تعليم المسيح، تلك القوة ظهرت لذلك الاسماعيلي بالرؤيا وقالت له : « هناك في دير بيث عابي راهب ، ارسل في طلبه وهو ينقذ ابنك » . فلما سمع ذلك ، التجأ بدون ابطاء الى مار مارن زخا اسقف نينوى لكي يرسل في اثره ويستحضره . ولما سأله : « ما اسم الراهب الذي ظهر لك ؟ » أجاب : « لا اعلم اسمه » . فكتب البار مارن زخا القديس رسالة الى القديس مار قرياقوس لكي يرسل « حنانا »[3] لذلك الرسل ، واعلمه بالرؤيا التي ظهرت له . فأرسل له الطوباوي مع اخوين ماء بركه بصليب ربان ، اما هو فعاد يصلي لأجله . فلما ذهب الاخوان واعطيا « الحنان » والبركة التي معهما لذلك الرجل وسقى منه ابنه ، نهض الولد في الحال وطلب طعاماً . فاعترت الدهشة والديه وطفقا يمجدان الله ويشكرانه . وذاع هذا الخبر في المدينة كلها . فاشتهر القديس قرياقوس وذاع خبره .

(١) أعمال الرسل ٣٦/٩ .

(٢) أعمال الرسل ٥/١٠ .

(٣) «حنانا» كلمة سريانية تعني الرحمة . وهنا تشير الى نوع من الماء المقدس كان يعطى للمرضى ، أو الى تراب يؤخذ من موضع استشهاد الشهداء ممزوج بالماء أو بالزيت على شكل أقراص صغيرة أو كبيرة . أما عن طريقة إعداد « حنانا » فاليك ما جاء في السمعاني [م. ش. ٣ ، ٢ ص ٢٧٨] :

« أيها السيد ، خذ تراباً من موضع استشهاد الشهداء ، وضعه في إناء لم يسبق ان وضع فيه شيء ما خلا الماء أو الزيت . وصب ماء عليه واعجنه جيداً . وضع قليلاً من الزيت في اناء آخر . ثم خذ قطعة من جبلة الاناء الاول وأدرها على يدك بعد دهنها بالزيت ، ثم اقطعها واجعلها أقراصاً من الحنان . ثم خذ كل قطعة وأدرها على يدك اليسرى بمساعدة إبهام اليد اليمنى ، الى ان تصبح مثل خيط . وانشرها على منديل أمامك واتركها تنشف نهاراً وليلة . وخذ نعمة مار توما وضع منها على شكل صليب في الاناء الذي جبلته فيه . وقل : يرسم هذا الحنان ويقدس بنعمة مار توما الرسول لصحة النفس والجسد وشفائهما ، باسم الآب والابن والروح القدس » . والجدير بالذكر ان نعمة مار توما الرسول هو التراب الذي كان المؤمنون يأخذونه من مرقد مار توما لدى ذهابهم لزيارته في الهند [طالع م. ش. ٣ ، ٢ ص ٢٧٩ ؛ بدج ، كتاب الرؤساء ٢ ص ٦٠٠ حاشية ١] .

الفصل التاســع عشر

في مجيء ذلك الرجل الى هذا الدير وقيامه بواجب الوفاء اللائق وفي بقية عجائب مار قرياقوس

كما انه بسبب المزايا العالية التي كانت تتوج هامة الشعب اليهودي بعد عودهم من بابل قد كتب في زكريا النبي : « ستأتي شعوب ايضاً وسكان مدن كثيرة ، ويسير سكان الواحدة الى الاخرى قائلين : لنسر سيراً لاستعطاف وجه الرب ... فيأتي شعوب كثيرون وأمم أقوياء لالتماس رب الجنــود في اورشليم ... وسيتمسك عشرة اناس من جميع ألسنة الامم بذيل انسان يهوذا قائلين : إنا نسير معكم [الى اورشليم] فقد سمعنا ان الله معكم»(١) ، هكذا جرى الأمر ههنا ايضاً . فحينما رأى ذلك الرجل ان ابنه عاد اليه معافى سالماً من وهدة القبر ومن حضن الجحيم بواسطة « الحنان » الذي أرسله اليه القديس ، قال في نفسه : « ان الذي أسدى الي هذا المعروف وأنقذ ابني من بين أنياب الموت وأعاد الي الغصن الوحيد الذي هو عصا شيخوختي ، لأذهبن ولاكافئنه حباً وعطاء لقاء ذلك » . واصطحب ابنه وعدداً من عبيده وأتباعه وأقبل في ركب كبير الى هذا الدير . فقاده الاخوة الى صومعة الآباء عند ربان . وما ان دخل ورآه حتى قال باللغة العربية : « هذا هو الشيخ الذي رأيته يسلم علي ويقول : ارسل الى بيث عابي واجلب من هناك راهباً وهو يشفي ابنك » . فدهش الجميع . ثم أخرج [الرجل] عشرة آلاف درهم وأعطاها لربان . ولكن ربان فكر بحكمة وقال : « لا آخذ هذه الفضة كلها لئلا تنقلب الموهبة خسارة » ، وقال للرجل : « ليباركك الله ايها الشيخ . اما الفضة فلا حاجة بنا اليها ، وليس حسناً ان نبيع موهبة الشفاء التي أعطاناها الرب» . أما هو فأخذ يبكي ويناشده قائلاً : « إن لم تأخذها فاني سألقي بها بعيداً . لأن ظفراً واحداً لابني الذي عاد الي بصلواتك لأحب الي من كل ما أملك من الأموال والثروة » . فقال له ربان : « إن كان الامر كذلك ، فاذهب واعطه للتاجر الفلاني الذي نحن مدينون له ، وقد قبلت هديتك لدى الله رب

(١) انظر زكريا ٨/٢١ ـ ٢٣ ، مع بعض التصرف في نقل النص.

الكل ولدينا » . قال له : « كم له عليكم ؟ » أجابه : « ثمانية الاف » . فترك [الرجل] هنا ألفين وذهب بالباقي ودفع الدين الذي كان أمر دفعه يشغل بال الرهبان . وهكذا عاد اولئك الناس فرحين .

وكان الشيخ القديم ربان ايشوعياب الملقب بالطويل الذي قبل الاكليل [سوفارا] من يد ربان قرياقوس يقص علي ما يأتي : « في احد الايام في وقت صلاة السوباع ليوم الاحد عينني الاخ الموكل على إعداد الماء لأذهب الى العين وأجلب ماء لحوض الدير . وكان شيخ يدعى باكوس بن قوسطي له بالقرب من صومعته زيتونة كبيرة كان يعصر منها كل سنة ثلاثين لتراً زيتاً . وكان يحب هذه [الشجرة] ويهتم بها كثيراً ولم يكن يتركها بدون ماء . فهذا كان يترقبني ويكمن لي ، حتى اذا ما ابتعدت عن صومعته ، خرج خفية وفجر الترعة وأدخل الماء الى صومعته ليسقي الزيتونة . وحينما كنت آتي لأفتح الماء للدير واسير والماء خوفاً من آخرين، كان هو يخرج بدافع الطمع ويفتح الماء له . ولما رأيت تلك المخالفة ، ارتبكت كثيراً وجزعت من تقريعات الوكيل . وكان الطوباوي قرياقوس عند ذاك في السوباع وسمع صوتي متظلماً ، فسألني : « ما بك يا بني ؟ » فقلت له : « ان الرهبان لا يدعون الماء يأتي الى الدير » . ويشهد الجميع ان ربان قرياقوس كان حاد الطبع يندفع بسرعة الى الغضب ، ولم يكن بوسع أحد ان يوقفه في اندفاعه . فنزل توآ من « بيث سوباعا » ومشى مع الماء ورأى انه يدخل عند باكوس . فصاح قائلاً : « باكوس باكوس » . فارتعدت فرائص باكوس وجمد من خوفه . فقال له [قرياقوس] : « اني ارى ان هذه الزيتونة تعيقك عن إرضاء الله ، مثل تلك التينة التي كانت في دير الطوباوي فاخوميس وكانت عثرة للغلمان السذج . وبينما الكل منشغل بصلاة السوباع ، فأنت عاكف على إرضاء الشيطان باهتمامك بزيتونتك . فلتزايل زيتونتك الحيوية التي تغذيها ، ولتصر الارض التي فيها عروقها سبخة جافة وليبسها الله في هذه الليلة فلا تنتفع منها إلا أخشاباً للنار والتظليل » . وفي الغد وجدوا الزيتونة قد يبست من أصلها واسودت مثل الزفت .

وكان شيخ هرم اسمه تومانا يقص علي ايضاً قائلاً : « كان ثمة مبتدىء اسمه خوسرو . وكانت العادة تقتضي ان يعين كل اسبوع مبتدىء لخدمة ذلك الشيخ القديس [قرياقوس] في صومعة ربان . وفي احد الأسابيع عين خوسرو لهذه المهمة . ولما وقف على الباب يومين او

ثلاثة نفد صبره ، فجاء الى الدير عند رفقائه بدون علم الشيخ . ولما صار المساء وكان الشيخ بانتظاره ليجلب له خبزاً وتغافل وتهاون. واذا بالشـــيخ اقبل الى الجمعية ماسكاً عصاه . ولدى رؤيته انكمش خوسرو في زاوية وتمارض خوفاً . فدعـاه ربان : « خوسرو خوسرو » ، فأجابه : « يا سيدي ان الحمى قد اعترتني » . فقال له : « اني واثق بالرب بأنه اذا كانت الحمى حقاً قد اعترتك فليفتقدك الرب وليشفك بصلوات ربان يعقوب . واذا تكلمت خلاف الحق فلتنلك حمى شديدة » وتركه ومضى . وكان ذلك الشيخ الذي يقص علي هذا الخبر يؤكد بقسم ان خوسرو شرع حالاً يصرخ ويولول ويلطم رأسه كمن اصابه مس من الجنون . وكادت روحه تزهق لو لم نسرع الى القديس ونستمد له العفو . فأرسل له [حنانا] وحصل على الراحة .

وبعد ذلك عين لخدمته يعقوب المكنى ابن بابانوش الذي ادركته انا ايضاً في الحياة سنين عديدة . فسبق القديس وعرف انه لن يكون مستقيماً في ســـيرته وكان كلما رآه يشير اليه ببنانه ويقول للذين معه : «ان هذا يعقوب بن بابانوش خلع الطاعة وحطم القيود» . وقد سمعنا عنه فعلاً من القدماء انه لم يندمج في السيرة الرهبانية ولم يحبها . وفي شيخوخته ، حينما كان قيم الرتب يحتاج الى كاهن ليقدس . ولأن ذاك كان يجلس النهار كله في رواق الهيكل بسبب الشيخوخة ، فكان يدخل ليقدس ، وكانت الخبزات المقدسة موضوعة في الاناء على المذبح ، فكان يسرق شيئاً منها ويخفيه في عبه . وقد اقدم على هذا العمل مرات عديدة ثم علمنا به . وكل صومعة دعاه احدهم لدخولها ليريحه اشفاقاً على شيخوخته ، كان يأخذ شيئاً في عبه حالما يتغيب صاحبها قليلاً . ولم يتخل عن هذه العادة الى يوم وفاته .

وكان ربان ايشوعياب المكنى بالطويل يقص علي أيضاً انه كان في هذا الدير راهب وهو ربان سركيس الشيخ رئيس الصلاة الذي أدركناه نحن ايضاً في الحياة . فحدث يوماً ان التقى هذا الشيخ بربان قرياقوس بينما كان هذا عابراً من الهيكل الى الرواق والشيخ داخلاً من الرواق الى الهيكل، فالتقيا ببعضهما في «بيث شهري» [مأوى السهاد](١). وكان سركيس أيضاً رجلاً فاضلاً، ولكنه بدافع شيطاني قال لربان قرياقوس : « اف ، كنت افضل ان يلقاني الشيطان ولا انت » . فقال ربان : «والآن ايضاً اني واثق بالرب ان الشيطان يدخل فيك ولن تتخلص منه حتى القبر» . وكان ربان ايشوعياب يقسم لي ان الشيطان صرعه حالاً في مأوى السهاد وسلخه من كثرة ضربه

(١) راجع كتب الرؤساء جزء ٢ فصل ٨ ص ٧٢ حاشية ١ .

على الجدران ، حتى أقبل اليه الرهبان على صوت صراخه . وظل على هذه الحال الى نهاية حياته . وحتى لدى قيامه بالصلاة في الهيكل وهو متوكيء على عصاه بعد مرور خمسين سنة من هذه اللعنة، كانت هذه المحنة تنتابه وهو واقف فيزبد وينحدر زبده على لحيته ؛ ورغم انه كان رجلاً صالحاً ، فانه لم يجد راحة حتى الموت ، حسب قول القديس له .

وجاء بدوي الى هذا الدير بصحبة جمع غفير ، وكان نازلاً من الجبال الى المدينة ، وكان رجلاً عاتياً شرساً . وجلب معه كلب صيد ليهديه لأحد رؤسائه : فربطوه في بيث سهدي الخارجي وشاءت الصدف ان يموت الكلب . واذ رأى عند الصباح ان كلبه قد مات احتدم غيظاً وشرع يتهدد الرهبان ويطالبهم بثمنه مدعياً انهم قتلوه . واشتد تهديده وزادت خصومته ، حتى ضاق به الرهبان ذرعاً فذهبوا الى صومعة ربان واطلعوه على الامر . فأخذ عصاه الى البدوي ودخل عليه وقال له : « ما لي اراك مغتاظاً علينا تهددنا ؟ » فأجابه : « لأنكم قتلتم كلبي الذي جلبته بعناء كبير » ، فقال له ربان : « اذا لم يكن كلبك ميتاً فهل تطالبنا بشيء ؟ » قال له : « معاذ الله أن اضركم بشيء » ، فسأل الشيخ المبارك عن الكلب فأتي به وكان ملقى هناك . فقال لذلك البدوي: «ما كلبك بميت، قم اذن شد الرحال مع صحبك وانا اوقظ لك الكلب فيذهب معك» ولما ركب، ذهب [ربان] ووخز الكلب برأس عصاه قائلاً : « ايها الكلب الميت ، قم ومت خارج حدودنا » فقام الكلب حالاً . ودهش اولئك البدو مما راوا ثم وضعوا سلسلة في عنقه واقتادوه . وما ان بلغ بيادر بلاس(1) حتى مات . وهكذا انصرف اولئك القوم دون أن يصيبنا منهم اذى .

وفي احدى السنين ، كانت دواب الدير تنقل حنطة من « بيث زيوا » ولشدة الحر أمر الوكلاء الفعلة أن يقوموا باكراً في الليل . ولكن هؤلاء اعتذروا قائلين : « ان في الاجمة اسداً ونخشى المرور هنالك ليلاً » . فلما علم الطوباوي بذلك، أخذ عصاه وتقدمهم راجلاً حتى مدخل الأجمة فاذا بالسبع متوثب للهجوم . فقال له القديس : « باسم الرب يسوع الذي يخضع له كل شيء لا تبق ههنا . واذا رأيتك هنا يوماً اخر ، فانك ستعرض نفسك لضربات اليمة » . ثم أردف قائلاً للفعلة : « من الآن لا تخافوا بل مروا هنا بكل ارتياح ليلاً ونهاراً » . وجرى الأمر كما قال القديس ولم يظهر الاسد هناك في تلك المدة كلها . وهذه الامور قد رواها لي الشيخ حنانيشوع الملقب بالأحمر

(1) يظهر ان حدود الدير كانت تمتد الى هذا الموضع الذي لا يمكننا تعيينه بنوع قاطع .

وقد روى لي أيضاً ان أرملة كانت في قرية « تيدور » تلتقط السنابل المتساقطة من الحصادين مع ابنها الصغير الوحيد . فسقط الصبي يوماً بغتة في الحقل صريع روح شريرة أطبقت على خناقه فمات . فأخذ الكل يبكونه . وأشار عليها الرهبان الحاصدون قائلين : «خذيه الى الدير عند الرئيس فهو سيقيم ابنك » . فأركبت ابنها قدامها على الحمار ومضت وطرحته على باب صومعة الآباء ، وكان الطوباوي فيها ساعتئذ ، وشرعت تبكي بمرارة وتناديه باسمه وتستحلفه قائلة : « ايها الاب قرياقوس ، اشفق علي انا البائسة ، اشفق على الغريبة ، فقد انفصم الوريد الذي منه كنت أمتص الحياة ، واصبح كشجرة يابسة . تحنن على تعيسة تنتظر رجاء صلاتك . لا ترد وجهك عني ، فان الله ايضاً لا يرد وجهه عن طلبتك في الساعات التي تقرع فيها بابه. اشفق على أرملة عجوز شقية . فلا حياة لي بعد زوال نور عيني ونسمة حياتي وقوة يدي وحركة قدمي والقوت الذي يحفظ حياتي ، بجاه تلك القوة التي ترافقك والتي ستستجيبك اذا طلبت منها حياة ابني . ألا فارحمني واسمع صوتي مثلما سمع سيدك صراخ الكنعانية(١) ولم يتكره من خطيئة الزانية »(٢) . ومكثت على الباب تمزج النحيب بهذه العبارات والدموع تسيل من مآقيها مدرارة . وإذ لم يكن على باب القديس مبتدىء في تلك الساعة ، فتح [القديس] الباب ورأى المرأة تذرف الدموع على جثة وحيدها الملقاة هناك . فقال : « ما لي ولك يا امرأة ؟ بماذا يمكنني ان اساعدك ؟ » . ثم أخذ ابنها وأدخله صومعته وظل مدة طويلة يصلي ويتضرع. فأعاد الرب الى قديسه نفس ذلك الصبي ، فرده الى امه حياً . فأخذته وقلبها يطير فرحاً ولسانها يدبج تسبيحاً ، وعادت الى الحقل . وانتشر هذا الخبر في البلاد كلها . وكان الله قد أنعم على الطوباوي بهذه النعمة وهي انه لم يكن ليضطر الى صنع معجزاته علناً ، بل كان يخفيها خوفاً من المجد الباطل . فانه نزع هذا الهوى الفاسد من ذهب أفكاره وانتبذه بعيداً جداً . ان الرب عظم قديسه بحيث لم يسبقه سابق ولن يلحقه لاحق ، حتى ولو كان آخرون [مثله] فاننا لم نحكم على الجميع ولم يشمل تأكيدنا كل القديسين . انما نقول ان الآيات التي صارت على يده في هذا الدير كانت تفوق بسموها كل ما جرى في زمانه . فاصغ الي يا هذا وتحقق صحة ما أكدت .

كان في ديرنا هذا رجل طاعن في السن يدعى شليمون برسوتا [ابن العجوز] ، وكان

(١) متى ١٥/٢٢ .
(٢) لوقا ٧/٣٦ ـ ٥٠ .

شاهد عيان لهذه الآية التي نقصها الآن نقلاً عن فمه . الواقع انني لم ادركه في هذه الحياة ، ولكنه رواها لأشخاص سمعتها عنهم . فقد كان يقول لهم : « حينما كان ربان قرياقوس رئيساً للدير ، كنت انا وكيلاً . ولما حل اليوم الذي يحتفل به بتذكار ربان يعقوب ، اجتمعت مدارس مركا الاثنتان والعشرون ، ـ وكان المقدس الذكر والطوباوي مار ابراهام الجاثليق[1] نفسه يؤكد لي وجودها في مركا في ذلك الزمان ـ فأصبحوا جمعاً غفيراً لا يحصى » . ويقول شليمون متابعاً حديثه : « عندما رأيت تلك الجموع العديدة خفت من تقديم الخمر للمتكئين بالسخاء المعتاد . وكان ربان جالساً مع المدعوين . فلما وافاني المبتدئون الى الخمارة وأعطيتهم خمراً مرة ومرتين ، جاؤوا للمرة الثالثة بأمر ربان ، فأرسلت اليه أن كفوا عن شرب الخمر فانكم اذا أكثرتم اليوم ، فستظلون بدون خمر في سهر الغد . فلما سمع الطوباوي ذلك تميز غضباً وأقبل الى الخمارة وقال لي : « يا ابني ، لم لم ترسل خمراً ؟ » فقلت : « يا سيدي اننا نخشى ألا يكفي حتى لمائدة القداس غداً ، علاوة على سهر آخر نقيمه للموتى . فقد احتشد عندنا جمع لا عهد لهذا الدير بمثله من قبل » . فأجابني قائلاً : « هيىء ثمانية بغال وزقاقاً وجوالق ، ريثما أذهب وأطلب الى الجموع ان يبدأوا بتلاوة المزامير ، فلقد سمعت ان قافلة الحيريين هي الآن في معبر اسطوان[2] ، فنذهب ونقترض منهم خمراً . وعندما نقيم هذا العيد بعونه تعالى ، سنستورد الخمر ونعوضهم » . ثم تركني وذهب الى الهيكل ، وقد تملكتني الدهشة من كلامه . واذ اختبرناه في كل شيء ، فقد نسبنا هذا ايضاً الى مآثره الكثيرة . فعملت بكلامه السديد وأخذت معي فاعلين . وسار راجلاً أمامنا في الطريق المؤدية الى الزاب ، بينما كنا نحن راكبين دون ان ندركه . ولما وصلنا قرب الزاب سألني : « هل أخذتم معكم اناء من فخار ؟ » فقلت له : « وما الحاجة اليه ؟ » قال لي : « اننا اذا اقترضنا الخمر به فسنردها بهذا الاناء نفسه» . وكان في الحقيقة قد طلب إناء لنملأ به الزقاق من ماء الزاب. فلما وصلنا الى الماء قال لي : « امكث هنا مع زميلك ريثما اذهب وأرى هل القافلة ما زالت موجودة » . ولما جلسنا على ضفاف الزاب بعض ساعة ، اذا به يقبل الينا تفوح منه رائحة أين منها أريج

(١) اشارة الى ان الكتاب وضع بعد وفاة الجاثليق مار ابراهام الثاني المرجي [أي بعد سنة ٨٥٠] ، وإلا لما أعطاه هذه الألقاب ، كما جاء في المقدمة ، ص ٤.

(٢) راجع كتاب الرؤساء جزء ١ فصل ٢٤ ص ٤٧ حاشية ٤ .

العطور كلها. فاعترانا الذهول والخوف. وأجابني متظاهراً بالضيق: « بني، عهدي باولئك القوم انهم اجتازوا منذ المساء وانصرفوا. ولكي لا يكون طريقنا بدون فائدة، املأوا الزقاق ماء من الزاب ولنعد ». فامتثلنا أمره. فأخذت القرويين اللذين معي ضحكة خفية وقالا: « انا عوض الخمر نجلب ماء للطوباويين، فانه أبرد من ماء الدير ». وبينما كان ماشياً أمامنا، ونحن ما نزال نضحك من الماء الذي نحمله بهذا الاهتمام، قال لي: « حينما نصل الى الدير، ادخل الأحمال الى الخمارة وأولها اهتمامك ». ثم تركنا ومضى الى الهيكل. وصرفت القرويين ثم شرعت افكر في نفسي وأقول: « ان رجلاً عظيماً مثل هذا الذي يعرف خفايا القلوب، وأحيا الموتى واجترح عجائب اخرى، ولازال...، لم يقدم عبثاً وبطريق الصدفة على جلب الماء من الزاب! فقمت وأوقدت السراج وفتحت عروة أحد الزقاق واذا برائحة الخمر تفوح، (وكان شليمون يقسم أمام الرب ويقول اني لم أستنشق قط رائحة خمر كهذه). فشكرت ومجدت قوة المسيح الذي خول تلاميذه سلطة اجتراح المعجزات مثله[1]. وفكرت ألا أكشف هذا الامر لأحد ولا اعطي من هذا الخمر للشرب اليوم او غداً الى ان تنفد الخمر التي جلبناها من الجبل. فلما انتهت خدمة القداس ودخل الكل الى قاعة الاجتماع، أرسل [ربان قرياقوس] يقول لي: « قدم من تلك الخمرة الجيدة التي لديك لجماعة الاخوة واترك الفكرة التي راودتك ليلاً ». وهذا ما دفعني أكثر الى تمجيد الله رب الكل، فانه سبق وعرف وراى بعين الروح حتى خلجات أفكاري».

واضطر في احدى السنين الى ان يأخذ هو نفسه الضرائب المفروضة على هذا الدير الى قرية يزديناباد[2] في منطقة مركا. ورافقه أحد المبتدئين في الطريق. وبينما كان الشيخ المبارك راكباً حماراً لشيخوخته وضعفه، وكان المبتدىء يسير وراءه، ساورت المبتدىء خاطرة وهي ان رئيس الدير لم يحسن التصرف إذ أخذ هذه الفضة كلها معه الى السلاطين، والزمان سيء واللصوص [كثيرون]، فلم لم يأت معنا خمسة رجال آخرين؟ فقد يتهددنا خطر ولا يمكننا التصدي له. فلتفت القديس ونظر الى المبتدىء وقال له: « يا ابني لم تشك في الحارس الخفي الذي يرافقنا؟ وكأن عناية الله أمر وهمي! سر واثقاً بالله رب الكل، ولا تخف ». على هذا الجانب من الصفاء والطهارة كان فكر قديسنا العظيم!...

---

(١) يوحنا ١٤/١٢ ـ ١٣.

(٢) يزدينا باد ليست قصر يزدين القريبة من سميل، ولا نعرف موقعها ولا علاقتها بيزدين الشهير.

الفصل العشرون

الرؤى التي شاهدها القديس بينما كان مع الجمعيه كلها في غرفة [illegible]

حينما يصبح الراهب مذبحاً للصلاة وفي اعماق كيانه يقدم فكره دون أن [illegible] من التسابيح والتراتيل للالوهية السامية ، مثل ملائكة العلى الذين لا تنقطع نغمة [illegible] عرش الله ، يزداد مثلهم علماً وفهماً بالرؤى التي تحــــل عليه دون عائق ، فيرى الاشياء [illegible] ويتنبأ عن المستقبل ، كما قال الطوباوي اواغريس مشبهاً رؤية عقله بعقل الملائكة فيقول : [illegible] كانت له عيون كثيرة يستنير من كل الجهات ويكون بلا ظل » .

لما حل اليوم الســـابق لتذكار القديس مار يعقوب الذي يعتاد فيه كل الاخوة أن [illegible] خبزاً في غرفة الطعام وان يحتفلوا بتلك الليلة بتلاوة المزامير والتسابيح الروحية . ولما وصلوا الى مزمور : « بمراحم الرب ارنم الى الأبد ، والى جيل فجيل اعلن امانته بفمي . . . »[1] [illegible] عقل القديس فصار كأنه في تأمل . ورأى بعين الروح كأنه ليس في غرفة الطعام بل في هذا [illegible] المقدس ، وان اثنين واربعين شخصاً اختيروا من الرهبان الذين معه شيوخاً وشباناً . وتغير [illegible] صوت « بمراحم الرب . ارنم . . . » الذي يقال عادة في الاعياد المارانية ، وصار يرتل [illegible] خاص يتلى عند وضع الايدي على الأساقفة في الرسامة . وراى كأن صولجانات الرسامة [illegible] من بيت المقدس ، مع القبعات البيضاء . واذ اغرق في ذلك المشهد منخطفاً بتلك الرؤيا [illegible] كان الرهبان يرونه وقد شع وجهه في تلك الساعة بنور مجيد . فعلموا ان انجذاباً [illegible] عقله . وعندما استيقظ ونزل من تلك العلياء تنهد عميقا وهـــو يتلألأ بجلال النور الالهي . ولما ارادوا ان يدنوا منه ليسألوه عن ذلك ، خافوا فتركوه وشأنه . ولما استمروا في صلاة الهولالات والنغمات الخاصة[2] وهم يتقدمون في كتاب المزامير ووصلوا الى « اذكر يا رب داود وكل [illegible]

---

(١) مزمور ٨٨/١ .

(٢) طالع السمعاني [م. ش. ٣ ، ١ ص ٥٣٠ ، الفصل الخامس والسادس ؛ م. ش. ٣ ، ٢ ص ٦٦٩ . عمود ٢] .

عنائه ...(١) خطفت الطوباوي رؤيا اخرى . ولما عاد من الرؤيا الى نفسه وعرف أين هو ، حزن وسالت دموعه وتحسر بمرارة .

عندما انتهت خدمة الطعام ذهب كل الى صومعته . وفي الظهيرة دخل الاخوة غرفة الطعام حسب المعتاد يتقدمهم الشيخ القديس كالقمر بين الكواكب . وأنشأ يقول : « هل رأيتموني يا أحبائي هذه الليلة ولاحظتم ما جرى لي ؟ » أجابوه : « نعم يا سيد ، اننا رأينا الانخطافين اللذين حدثا لك ، ولكننا نجهل موضوعهما . فنطلب اليك ان تطلعنا على ذلك » . فأجاب وقال لهم : « في الرؤيا الاولى رأيت ان اثنين واربعين من هذا الجمع الواقف ، شيوخاً وكهولاً وشباناً ، سيقامون رؤساء على الكنيسة المقدسة ، منهم بطاركة ومنهم مطرافوليطين ومنهم أساقفة . وفي الرؤيا الثانية ، ظهر لي ان هذا الدير المزين بالملافنة والمفسرين والحكماء والفهماء ، سينحط من ازدهاره وينتقص ويتواضع في جميع اموره ، لا سيما من المعلمين ، حتى يأتي زمان فيه يضطرون الى استئجار مزمرين لكي يقوموا بترتيل الألحان وإقامة الحفلات » .

ولقد شاهدت بأم عيني وتحققت ما سبق ذلك الطوباوي فأخبر عنه . فقد استأجرنا مرة رجلاً اسمه شليمون الجرمقي المكنى بالمهدي -وكان ذا ثقافة عالية- لكي يدرس الفصول ويعلم التراتيل للأخوة بقدر احتياجهم ، واستأجرناه مرة اخرى لتعازي السهر . واضطررنا ايضاً ان نستدعي العلامة الفقيه باعوث للغرض نفسه .

أما المطارنة الذين قال عنهم انهم سيكونون اثنين واربعين ، فمنهم قد رأيتهم ومنهم أخبرني عنهم آخرون انهم كانوا في ذلك الدير المبارك ثم عينوا هم ايضاً تباعاً ، ولست أرى من ضير في ذكر أسمائهم . وقبل كل شيء نخص بالذكر الشخص القديس والنبي البصير الذي يدور بحثنا حوله ، أعني به ربان قرياقوس الذي عين لمدينة بلد ، كما سنأتي الى ذلك قريباً . وأقيم ربان كيوركيس مطرافوليطاً لعيلام ثم بطريركاً(٢) ، ومار ابراهام(٣) اسقفاً للحديثة ثم بطريركاً ، ومار شوحاليشوع وفرداغ ويهبالاها(٤) مطرافوليطين للجيلانيين

---

(١) مزمور ١٣١/١ .

(٢) هو كيوركيس الثاني الجاثليق [٨٢٨ - ٨٣١] هو خلف الطريرك ايشوعبرنون [٨٢٣ - ٨٢٨] ، [طالع عمرو في المجدل ص ٦٨ - ٦٩ ؛ م ش. ٢ ص ٤٣٥ ؛ ابن العبري ، التاريخ الكنسي ٢ عمود ١٨٧] .

(٣) هو مار ابراهام الثاني المرجي البطريرك [٨٣٧ - ٨٥٠] .

(٤) طالع كتاب الرؤساء ، جزء ٥ فصل ٧ .

والديلميين ومعهم الأساقفة التالية أسماؤهم : توما من حذوذ وزكا من بيث مويلي وشيم برارلايي وأفرام وشمعون وحنانيا وداود الذين ذهبوا معهم من هذا الدير ورسموا أساقفة لتلك البلدان وأقيم ايليا - الذي سنكتب سيرته[1] - اسقفاً لموقان[2] ، وسقف داود مطرافوليطاً للصينيين ، وقد وقفت عليه خلال رسائل مار طيمثاوس ، وبطرس تلميذه الذي كان اسقفاً على بلاد اليمن وصنعاء ، إذ كنت انا كاتباً لمار ابراهام ، وايشوعزخا الاسقف مطرافوليط كرخ بيث سلوخ ، وبورزيشوع وقرياقوس وباباي وايشوع الذي أتى الى مركا ، وهؤلاء كلهم اقيموا لبيث كرماي ، وايشوع المسمى مارن زخا لمدينة شوشان الواقعة في عيلام ، وربان ديودوروس وعبديشوع لبيث بغاش بالتتابع ، ولعازر وجبرائيل ويعقوب لمركا ، وقرياقوس من آوخ لنينوى ، ومار نرساي للسن - وسنتكلم عن مآثره أيضاً - واليشاع وكيوركيس لخونياشابور التي هي بيث وازيق [البوازيج] . أما البقية فلم أسمع عنهم شيئاً لقدم الزمان . وأنا أيضاً ، اذ لم أكن أعرف اني سأكتب مآثر القديس [قرياقوس] ، لذا فلم أستقص أخبارهم من الشيوخ الذين كانوا يقصون علي سيرته .

الفصل الحادي والعشرون

مجيء عمران بن محمد الى بلاد مركا هذه ، وكيف انه اغتصب قرى كثيرة وقتل أصحابها ، وقد وطد العزم على القضاء على القديس [قرياقوس] أيضاً واستملاك هذا الدير

كان ثمة رجل اسماعيلي شرير اسمه عمران بن محمد - وقد ذكرته في قصة ربان جبرائيل[3] - . هذا كان رجلاً شرساً عانياً قاسياً سفاحاً . وشرع يتوغل في هذه البلاد

(١) طالع كتاب الرؤساء جزء ٥ فصل ٨ - ١١ .

(٢) موقان مدينة تقع في نهاية بلاد كيلان من جهة الغرب ، وهي باذربيجان [طالع معجم البلدان ٥ ص ٢٢٥] .

(٣) طالع قصة جبرائيل في الملحق ، الفصل ١٧ . وهنا إشارة واضحة الى ان توما المرجي كتب قصة ربان جبرائيل قبل كتاب الرؤساء ، كما جاء في المقدمة ص ٥ - ٦ .

ابتداء من بيث بوزاي[1] التي قتل سكانها. ثم استولى على مقاطعة بيرتا وخلفتا[2] وحطرا وباشوش وخربا قرى سفسافا واخذا يستولي على قرى اخرى شيئاً فشيئاً، وفكر في الاستيلاء على اراضي هذا الدير المقدس، لو لم يسد هذا الانبا القديس ثغراتنا ويسيج سبلنا من ضره، كما فعل الطوباوي موسى ويشوع وداود في عهدهم. فلما جاء الى هذا الدير، اضطر جميع الاخوة على ان يكتبوا له سنداً بشرائه. فانتصب هذا الشيخ الطوباوي ببسالة امامه ووبخه وقرعه بلواذع كلماته وسيل براهينه وأقسم له مؤكداً: « برجاء المسيحيين، يا عمران بن محمد، لئ يكون هذا الدير لك الى الابد ولا لبنيك ولا لبني بنيك. دونك هذه البلاد كلها فهي امامك، واليك عن هذا البيت المقدس؛ محى هو الرب، انه خير لك ان تبتعد فتولي نفسك راحة وسلاماً. اما اذا تجاسرت وعزمت على دخوله عنوة، فستذوق العلقم عاجلاً جزاء شرك. ها انا انذرتك ونصحتك خيراً، فالاحرى بك ان تخرج من عندنا والا فمصيرك القبر عاجلاً. ولا يفوتك ان دم المؤمنين المساكين الذي هدرته وبطشت بهم واخذت بيوتهم منقور كله على حجر الماس بقلم الحديد في حساب العدل الالهي. واليك هذه العلامة انك حينما تموت لن تقبلك الارض التي منها اخذت واليها تعود، بل تلقي جثتك خارجاً وتقذف جسدك الشرير». ولما اخزى قرياقوس عمران بهذه البسالة المدعومة بالثقة بالله، وذلك بقوة طبعه وحذاقة لسانه، قام عمران مغضباً وذهب الى خلفتا وهو يضمر الشر وينوي ارسال رعاع خفية ليفتكوا بالقديس. ولما انصرف، لاحظ قرياقوس ان الذعر قد استحوذ على الرهبان من تهديدات عمران، فقال: « لا تخافوا، ايها الاخوة الطوباويون، من كلماته ولا من غضبه. فان هذا الدير سيصان الى ابد الدهور من هذا ومن نسله كله. فلا يداخلنكم أي خوف من ان عمران سيرسل الى هنا رجاله للفتك بأحد منا. بل على النقيض من ذلك انه سيحاول من الآن التزلف وسيستدعي قريباً بعضاً منكم فاذهبوا مطمئنين ولا تخافوا، فاني سأرافقكم، وتسمعون كيف اني سأصب على مسامعه كلمات اعنف من الاولى».

وما ان مرت ايام حتى ارسل عمران عشرة فرسان يستقدم الشيوخ المعروفين من هذا

(1) بيث بوزاي هي بيبوزي الحالية الواقعة في آخر نقطة غربي طلانا على مسافة ٢١ كم الى الجنوب الغربي من عطوش.

(2) خلفتا [خلفت الحالية] واقعة شرقي الخازر على نحو ٢٥كم غربي عقرة.

الدير . فقرع الجرس واجتمع الاخوة وقد تملكهم الوجوم والخوف ، لان الفرسان لم يدعوا الشيخ القديس يذهب مع رفقائه الشيوخ ، بحجة انهم لم يتلقوا امراً باخذ ربان قرياقوس معهم . وحينما رأى قرياقوس ان قد وهنت عزيمة الرهبان ، انتحى بهم جانباً وقال لهم : « لا تخافوا الذهاب ، اما انا فستجدوني امام عمران في مجلسه حينما تدخلون عليه » . فعادت اليهم الطمأنينة ومضوا . وقد ترك الفرسان الشيخ المبارك في الرواق أمام الهيكل ، وحتى اجتازوا قرية رأس العين ، كان لا يزال مع الاخوة في بيث سوباعا . ولما عاد كل الى صومعته ، اذا بالقوة الالهية التي خطفت النبي حبقوق الى بابل(١) ، والتي أوصلت سفينة التلاميذ بغتة الى الشاطىء الذي كانوا يقصدونه(٢) ، والتي خطفت القديس بولس الى السماء(٣) والفردوس ، حطت على هذا الدير أيضاً في عهد لم يكن فيه ملك فأراد هذا العربي ان يضايق أولئك الطوباويين لكي يسلموا اليه الدير مع أراضيه ، فأخذت قوة الروح القدس قرياقوس خارج مكانه واحضرته أمام عمران قبل دخول اولئك الشيوخ والفرسان الذين معهم ، وأخفته عن عينيه رغم كونه واقفاً فوق رأسه ، حتى قرعوا الباب فظهر وترأى بغتة بينهم فلما رآه عمران اخذته الدهشة وحدق بصفاقة وبغضب الى سعاته والى الشيوخ قائلاً : « أما أمرتكم ألا يأتي قرياقوس ؟ لماذا اذن جلبتموه ؟ » . فأقسم جميعهم انهم لم يروه منذ ان تركوه في الدير حتى تلك الساعة . فقال له الطوباوي : « انا هنا عندك قبل ان تنظر في المرآة وتسرح شعر رأسك ولحيتك . فلا تغضب على اناس أبرياء ، انك لن ترث ديرنا الى الأبد . فاعدل عن هذه الرغبة وليلن قلبك القاسي وضع حداً لجشعك . ها انك قد غنمت كثيراً ، وجعلت نفسك في حالة لا يسبقك احد من معاصريك الى جهنم » ولما كان عمران مندهشاً ومتعجباً من كلمات الشيخ وعرف ان هذه الدالة التي يتحلى بها كلامه ليست أمراً مألوفاً ، والدليل على ذلك مجيئه السريع ودخوله عنده دون ان يضطر الى فتح الباب وكيف انه اختفى عن نظره الى ان دخل رفقاؤه ، خاف منه وفزع جداً . فقال لهم : « قوموا وانطلقوا بسلام الى ديركم ، فلا خصومة لي معكم . فخرج الطوباويون وعادوا الى صوامعهم »

---

(١) اشارة الى ما جاء في كتاب النحلة [طبعة بدج ص ٧١] .

(٢) يوحنا ٦/٢١ .

(٣) ٢ كور ١٢/٢ - ٤ .

الفصل الثاني والعشرون

إرسال عمران خمسة رجال من العرب ليكمنوا بجوار صومعة ربان قرياقوس ويقتلوه ويأتوا برأسه الى عمران

غير ان الشيطان عدو المسيحيين الألد عامة والقديسين خاصة قد غرر بعمران وقسى قلبه فنسب ما جرى الى السحر وحكم ان قرياقوس لم يصنع ما حدث أمامه إلا بقوة سحره. فدعا خفية خمسة رجال جسورين قد دربهم على سفك الدم واقتراف الجرائم وأمرهم قائلاً: «اذهبوا الى بيث عابي، ولما يحل الليل انزلوا خفية الى صومعة قرياقوس واقطعوا رأسه وائتوني به». فجاؤوا دون علم أحد. وفي هجعة متأخرة من الليل نزلوا في المنحدر المسمى شيكون[1] واقتربوا شيئاً فشيئاً من الربوة الصغيرة الواقعة شمالي صومعته، ولمحوه ماشياً في فناء صومعته وهو منشرح. فكمنوا له وانتظروا ساعة نومه ليداهموه. ولكن الشيخ القديس كان قد جعل الليل نهاراً وكان يقضيه كله بالسهر مثل الطوباوي ارسانيس، فصعد الى بيث سوباعا في منتصف صومعته وشرع يتلو المزامير من بدء كتاب داود. والحادث السماوي الذي جرى للطوباوي اليشاع حينما رأى خادمه الشاب ان قوات روحانية حصنها وفرسانها من نار تحيط بالمكان الذي كان فيه اليشاع[2]، كذلك حدث لهذا القديس بقوة الله القاهرة، فقد أحاطت نار ببيث سوباعا حيث كان هذا الشيخ القديس، وقد عاينوا تلك النار ودهشوا، ورأوا انه لا يمكن المرء ان يقترب من النار التي تحيط به وتعطره، بل وكأن جسده كله قد أضحى نوراً. وكل ركعة كان يركعها على الارض ويرفع يديـــه نحو السماء، كانت تخرج من أصابعه عشرة مصابيح من النـــور. وترتفع نحو السماء. وبعد ذلك رأوا شخصاً آخـــر مثله واقفاً

(١) شيكون ـ لا يزال الموقع يعرف باسم «جنكو» [بتشديد الكاف] على الطريق المؤدية من خربا الى رأس العين في سفسفا.

(٢) ان هذا الأمر جرى لايليا وليس لاليشاع [طالع ٢ ملوك ١١/٢].

عن يمينه[1]. فازدادوا دهشة واستولى عليهم الرعب ، وخافوا ان تخرج منه نار وتحرقهم في تلك اللحظة ، ولما هموا بالفرار التصقت بطونهم بالأرض التي كانوا منبطحين عليها حتى الصباح . فلما رآهم بعض الاخوة تقدموا منهم وبادروهم بالسؤال عن شأنهم . فأطلعوهم على دخيلة أمرهم . وكان الشيخ خنانيشوع جاره يقسم قائلاً : « انني انا كنت أحد الاخوة الذين ذهبوا عند اولئك الناس » . ولما عادوا الى من ارسلهم وقصوا عليه كل ما جرى ، كف عن الشر الذي كان يضمره لنا . وفي نهاية حياته أوصى اولاده ألا يقتربوا من دير بيث عابي الى الأبد . ولما مات عمران ، لم تشأ الارض ان تقبله . فقد دفن ثلاث مرات ، وفي الدفعات الثلاث لفظته ، حسب الكلام الذي سبق الطوباوي قرياقوس وقاله فيه .

الفصل الثالث والعشرون

رؤيا اخرى رأى فيها [قرياقوس] انه لا بد له ان يكون اسقفاً مدة قصيرة ثم ينتقل من هذا العالم

لقد تمرس الاب القديس مار قرياقوس في كل انواع النسك الذي يقود المرء الى الصلاح ، من زهد وتجرد وصوم وصلاة وعكوف على القراءة الروحية في الصومعة وتأمل في الكتب ، وتبحر في الامور العتيدة واكتساب المزايا الخالدة وسهر مطهر للأفكار وانحناآت واستغراق في السجود وركعات مرهقة تسيل العرق . فكان مثل الحارس اليقظ يتطلع الى كل جهة لئلا يصدر منه او من تلاميذه شيء يخالف النسك وكان بمثابة سور لهذا القطيع الالهي ،

(1) هو ملاكه الحارس [طالع متى ١٨/١٠ ، أعمال الرسل ١٢/٧ ، دانيال ٣/٢٥] .

يشتاق ويصبو لو وصلت نفسه الحاملة كل هذا الثراء الى الراحة. واذ هو على تلك الحال ملاك يكلمه وجهاً لوجه قائلاً : « ينبغي لك ان تصبح اسقفاً ، ثم تستريح من اتعابك . وعلى عدد السنين الخمسين التي قضيتها في السـيرة الرهبانية ستكون اسقفاً خمسين يوماً ، ثم ترحل بسلام بموت هادىء. وها انا معك في كل اعمالك . فلتنشط شيخوختك وليتجدد قدمك . وخلال شهر سيأتي مؤمنو مدينة « بلد » يطالبونك ، فان الروح قد اختارك مدبراً لهم . فاذهب معهم دون اعتراض ، اجابة الى أمر الرب الذي يوجه شؤونك حسب ارادته ، وهو سيساعدك على انجاز هذه المهمة » . حين اختفى الملاك من امامه ، اخذ قصبة وكتب على جدار صومعته هذه الرؤيا التي حظي بها . وقد شهد الاخوة هذه الكتابة بعد ذهابه وقرأوها . وكان الشيخ ربان اليشاع الطيب الذكر يقول : «انا ايضاً قرأت تلك الأسطر حينما كنت في الابتداء ، اذ كانت كتابة يده لا تزال محفوظة في تلك الصومعة » .

الفصل الرابع والعشرون

اهل « بلد » الى الدير يطلبون الطوباوي [مار قرياقوس] حاملين ... من البار مار طيمثاوس يمنعه من البقاء في الدير بعد قراءتها

... ربان قرياقوس وانتشر في كل الاصقاع خبر العجائب التي كان يجريها ... في هـذا الدير ، واخذ الجميع يشيدون بمآثره في الاسـواق ... المقدسة . وفي تلك الغضون انتقل من الحياة الزمنية الاسقف الذي ... مدينة « بلد » . واذ كانت كل الالسن تلهج بمناقب ربان قرياقوس ، وجه ... القديس مار طيمثاوس فيها يتضرعون اليه ويطلبون قائلين : « اننا نرغب في ... راعياً ومدبراً ربان قرياقوس رئيس دير بيث عابي » . فلبى رغبتهم وزودهم ... يطلبونه ههنا . وقد روى لي شيخ مسن اسمه برحنانا ان اهل بلد لدى مجيئهم عندنا

بشأن مار قرياقوس كانوا راكبين حصناً اصيلة وبراذين وبغالاً للأحمال مع نسور ونمور وفهود وكلاب صيد ، فكانت فرقة كبيرة . ذلك لأن أهل هذه المدينة كانوا أغنياء في ذاك الزمان وكانت مدينتهم مزدهرة ومرموقة(١). فلما مروا قدام الهيكل واخبروا عن سبب مجيئهم استقبلتهم الجمعية باكرام عظيم وبحفاوة بالغة. ولما ناولوا قرياقوس الرسالة التي تأمره بالنزول الى الجاثليق ، اخذت الدموع تنحدر من عينه ، ورفع نظره الى الله مثل شمعون الشيخ وقال : « الآن تطلق عبدك يا رب حسب قولك بسلام ، فان عيني ابصرتا رأفتك التي وضعتها حداً لنهاية حياتي وختام سني » . ثم قال للمؤمنين الذين اتوا في طلبه : « يا احبائي ، عبثهو تعبكم وباطل انتظاركم ، فلا أنتم تفرحون بي ولا انا ابتهج بكم . فاني لن اعيش سوى خمسين يوماً . انما تعطى صرة من عظام لمدينتكم التيدوامها وتاريخها سيمتدان مدىأجيال العالم . وسيقيم لكم الرب بعدي وصياً صالحاً وسيمده بحياة طويلة » . ولما اخذوه ليذهبوا به ، ارتفع صراخ هذه الجمعية الى عنان السماء وأخذوا يولولونعلى انفسم وعلى ديرهم لفقدانهم رئيسهم ومدبر حياتهم . وهكذا انحدر عند مار طيمثاوس الجاثليق وقبل الرسامة وصعد الى مدينته . وقد روى لي ربان أليشاع انه حينما بلغت السفينة التي كانت تقله الحصن العبوري [حصنا عبرايا] وكانت تحاذي الضفة الشرقية ، ارسل مؤمنو الموصل فاوقفوها عن مسيرها ، واخذ المسيحيونوالمسلمون يتهافتون زرافات زرافات لرؤية ذلكالطوباوي والتبرك منه . ودفعوا لصاحبالسفينة نقوداً طائلة للتأخير الذيحصل له . وفي اليوم التالي رافقه كثيرون فأقلعت السفينة وصعدت الى مدينته ، وكان دخوله الى مدينة بلد يوم الجمعة السابقة لعيد العنصرة [فنطقوسطي](٢) .

(١) كانت «بلد» فعلاً مدينة كبيرة « كثيرة الغلات والأموال والجهات والمشايخ المذكورين في العراق في حسن اليسار وسعة الأحوال... » [طالع ابن حوقل ، صورة الأرض ص ٢٢٠ ، ياسين العمري ، منية الأدباء ص١٣٢ حاشية ١] .

(٢) هذا العيد ذكرى حلول الروح القدس على الرسل الحواريين ومنطلق البشارة المسيحية .

الفصل الخامس والعشرون

الاعجوبة التي صنعها الطوباوي مار قرياقوس في مدينة «بلد» وختام حياته

لقد تتبعت كل ما يخص هذا الطوباوي باهتمام عظيم ، لوقوع قصصه خير موقع في قلبي . وعند دخولي «بلد» في احدى السنين لسبب ما ، سألت عن قبر القديس وتباركت به . ثم خرجت الى الرواق الذي قدام هيكل الكنيسة الكبير . ورأيت هناك كاهناً طاعناً في السن اسمه « نخوار » ، وكنت قد تعرفت عليه لدى إقامتي في العاصمة كاتباً للقديس مار ابراهام الجاثليق . فسألته ان يحدثني عن بعض العجائب والآيات التي أتاها الطوباوي مار قرياقوس . فأخذ يروي لي عن أشفية كثيرة أجراها وعن شياطين طردها من اناس كثيرين . ثم أردف قائلاً : « كان في هذه المدينة في عهد مار قرياقوس اسقف للسويريين يكن مودة كبيرة لمار قرياقوس اسقفنا ، وبعد موت مار قرياقوس كان ذلك الاسقف يتحدث قائلاً : « في أحد الايام قمت باكراً وأتيت من قلايتي[1] الى كنيستكم هذه لأدخل فأنعم برؤية اسقفكم القديس قرياقوس وبصحبته . وبينما كنت لا أزال في رواق الكنيسة ، اذا بالطوباوي نازلاً ، وحينما رآني قال لي : « لم انت واقف ههنا يا سيدي ؟ » قلت له : « اني أتيت لأراك وأتبرك بقداستك » قال لي : « مبارك مجيئك ، فلو دخلت علي قبل خروجي لما ذهبت الى مكان ، ولكن بما اننا تلاقينا خارجاً ، فهلم نذهب سوية ونصلي في دير ربان فثيون[2] » . وأمسك يدي

(١) كان مقر اسقف السريان المنوفيزيتين في دير المعلق الواقع على مسافة ١٥ كم الى الشمال الشرقي من «بلد» [أسكي موصل] . والدير باسم النساك سرجيس وزعورا وباعوث وهو مبني على قمة الجبل القاحل [طالع اللؤلؤ المنثور ص ٦٣٣] .

(٢) دير ربان فثيون كان على نحو ٤كم جنوبي «بلد» على ضفة دجلة اليمنى . وذهب «بدج» الى القول ان دير مار فثيون هو دير الشياطين المعروف لدى واضعي كتب الديارات . غير ان دير الشياطين كان بالقرب من«اوسل» التي يعين ابن حوقل موضعها في الشمال الغربي من «بلد» [طالع صورة الأرض ص ٢٢٠] .

اليمنى بيده اليسرى وخرجنا ونحن نرتل المزامير الى خارج المدينة ودخلنا ذلك الدير . ولما صلينا ، وهو يمسك بيدي ، نزلنا كلانا الى دجلة ، فقال لي مبتسماً : « هلم نعبر ونصلي في دير القديس ربان يوسف(١) فان مرقده محبوب لدي جداً ، لأنه من ديري ، ولم أر ديره بعد » . فقلت له : « بما انك كنت تنوي القيام بهذا العمل ، فلماذا لم نعبر في القارب ؟ » فنظر إلي وضحك وقال : « أتظن اننا لا نستطيع العبور بقوة الله إلا على اركوبة من خشب ؟ سترى الآن قوة المسيح ربنا » . ورسم اشارة الصليب على سطح الماء واشارة على وجهه وثالثة على وجهي وجذبني للعبور . وبينما كنت خائفاً من ان تغرقنا المياه ، كنت أحس ان المياه تتصلب تحت رجلي وكأنها قد تبلورت بالجليد . وهكذا عبرنا دجلة ودخلنا ذلك الدير . ولما خرجنا من هناك ، ودع [قرياقوس] الاخوة الذين خرجوا لاكرامنا ورجعوا الى صوامعهم ، ومكثنا قليلاً على ضفة النهر . وانما عمل ذلك ليبتعد الرهبان فلا يرونا . ثم قال لي : « لنعبر اذن أمامنا ونذهب لنصلي في دير ربان هارون(٢) وبعدئذ ندخل المدينة » . قلت له : « إعمل ما بدا لقداستك » . فرسم اشارة الصليب على الماء أمامنا وعبرنا النهر وهو يمسك بيدي ، ثم دخلنا الدير وصلينا ومن هناك خرجنا وأتينا الى صومعة القديس » .

ان هذه الامور التي رواها لي ذلك الشيخ القديس ، أكدها لنا عثمان المؤمن من مذهب يعقوب(٣) وكان يلقب بابن خوسرو . وكان ربان كيوركيس رئيس ديرنا قد روى لي هذا الخبر : « في احدى السنين دخلت مدينة الموصل لدفع الأتاوة . وذهبت الى بيت هذا المؤمن عثمان بن خوسرو ليتوسط لي لدى الوالي بكلمة توصية . فوجدته وهو يقرأ في كتاب « دحض الآراء » الذي وضعه قديسنا مار ايشوعياب الحديابي . ولما جلست قال لي : « اني أحب ديركم

(١) دير ربان يوسف ، أسسه يوسف الشهرزوري الذي جاء ذكره سابقاً [جزء ٢ فصل ٢٧] كرئيس دير بيث عابي ، عندما أتى البطريرك صليبا زخا [٧١٤ ـ ٧٢٨] ليأخذ الانجيل النفيس الذي كان في الدير . واضطر يوسف الى الاستقالة اثر ما أبداه رهبانه من قلة الاحترام نحو الجاثليق في استعادة انجيل الدير . ثم توجه الى دير برعيتا في مركا [بالقرب من عمر مندان] وأصبح رئيساً فيه . ولكن هناك أيضاً ظهر ضعف ادارته ، اذ لم يتمكن من وضع حد لتجاوزات «اياس» الوكيل على أملاك الدير وحتى قتله المدبر . انما هرب يوسف من ظلم الوكيل وقصد قرية «اوانا» الواقعة ازاء «بلد» على ضفة دجلة اليسرى ، أي في بانوهذرا ، وأسس بالقرب منها هذا الدير الجديد .

(٢) عن دير ربان هارون ، طالع جزء ٤ فصل ٧ ص ١٦٩ حاشية ٢.

(٣) تجدر الملاحظة ان توما المرجي الذي يكتب في منتصف القرن التاسع يسمي المنوفيزيتيين أتباع يعقوب البرادعي [+ ٥٧٨] .

بيث عابي لسببين : أولاً ، لأجل هذا الملفان ايشوعياب الجاثليق ، فانه بالحقيقة استاذ كبير ومجادل حاذق وبراهينه في غاية القوة ضد مذهب الطبيعتين في اقنوم واحد ، كما يقول الخلقيدونيون زوراً[١] . واني دوماً أتأمل في تآليفه . ثانياً ، لأجل القصة التي رواها لي اسقفنا الذي كان في « بلد » في أيام قرياقوس اسقف « بلد » الذي كان من ديركم وكان يلقب بالجبيلي » . وقص علي القصة التي سمعتها من كاهننا [نخوار] في مدينة «بلد» . واننا نعرف ان شهادة الأعداء اكثر إثباتاً وتصديقاً . لأنهم معتادون ان يخفوا اخفاء ويكذبوا تكذيباً المبرات التي يصنعها قديسونا .

ولما أوشك صوم الرسل ان ينتهي في جمعة تذكار الرسل ، رقد القديس مار قرياقوس الاسقف[٢] . فدفن باكرام مع الأساقفة القديسين الذين رقدوا قبله في تلك المدينة .

... لتكن صلواته على العالم كله وعلى الكنيسة الجامعة وليرأف بنا الرب نحن أيضاً في الدينونة . آمين .

(انتهى الجزء الرابع)

(١) جملة وردت على لسان نسطوري ولا غرابة في ذلك .

(٢) يلاحظ القارىء ان الاسقف قرياقوس الجبيلتي لم يجلس فعلاً على كرسي «بلد» إلا خمسين يوماً حسب نبوءته وهذا ما يساعدنا على تمييزه عن قرياقوس آخر اسقف «بلد» هو ايضاً أصله من دورا عربايا وكان تلميذاً للأنبا صليبا ثم خلفاً له في رئاسة الدير الذي أسسه في بيرستك . وقرياقوس هذا هو الذي أسس دير هارون الذي ورد ذكره سابقاً وعاش في منتصف القرن الثامن أي نحو ٥٠ سنة قبل قرياقوس الجبيلتي .

الجـــزء الخـامس

الفصل الأول

ربان مار شوحاليشوع[1]

يا اخانا [عبديشوع] ، ليلاق هذا المقال الآخر أيضاً . وهو الخامس من هذا التاريخ ، اذناً صاغية لدى نباهتك . فنزولاً عند رغبة سيادتك . سارت كلماتنا الحقيرة وتسير في نقل أخبار القديسين المفيدة ، هؤلاء الابطال الاقوياء والمجاهدين الاشداء الذين حاربوا الجسد والاهواء والشياطين المـــاردين ، فنالوا اكليل الغلبة وانتصروا في الجهاد الروحي الذي خاضت غماره نفوسهم المرضية لله . وفي مقدمة كل القصص التي سيتطرق اليها كلامنا ، ننقل مآثر الطوباوي ربان مار شوحاليشوع ، الكاهن والناسك والمطرافوليط والشهيد المظفر ، ثم نضيف اليها [قصص] الابرار الذين ساروا على نهجه ، وهم مار يهبالاها وأخوه قرداغ والاسقف الطوباوي مار ايليا ، هؤلاء الذين اقامهم البار مار طيمثاوس الجاثليق البطريرك اساقفة لبلاد البرابرة البعيدة عن الثقافة والاعمال الصالحة ، اذ لم يدخل الى مناطقهم أحد من المبشرين الذين ينشرون الحق ، ولم ينـاد بتعليم انجيل المخلص فيما بينهم . وماذا أقول عن تعليم المســيح ربنا ؟ فانهم لم ينالوا

(١) يذكر شوحاليشوع في سفر الأحياء والأموات ولو لم يكن له تذكار خاص في الطقس السرياني الشرقي .

حتى مثل الشعب اليهودي او بقية الشعوب معرفة الله خالق العالمين ومدبرها ، بل انهم قدموا ، السجود للأشجار والأخشاب المنحوتة والحيوانات والسمك والدبيب والطيور ذوات الأجنحة وما يشبهها ، هذا علاوة على سجودهم للنار والنيرات ،

فبشر هؤلاء الأساقفة بتعليم المسيح في بلدان الديلميين والجيلانيين والبرابرة الآخرين الساكنين فيها ، ونشروا فيها نور حقيقة بشارة الرب ، واستأصلوا من النفوس الجاهلة هناك كل الأشواك وزؤان الأعمال الشريرة التي زرعها الشيطان في قلوبهم . فتلمذوا وعمدوا وصنعوا القوات وأظهروا العظائم ، فانتشر صيت اعمالهم الى أقاصي المشرق . ويمكنك الاطلاع على أخبارهم بوضوح من الرسالة التي وجهها الى مار طيمثاوس بعض التجار وكتبة الملوك الذين كانوا يترددون الى تلك المناطق ويعودون منها لشؤون تجارية او ادارية .

الفصل الثاني

أصل الطوباوي شوحاليشوع ومجيئه الى هذا الدير

ان الطوباوي شوحاليشوع ينحدر من جنس بني اسماعيل ، ومدينته هي حيرة النعمان(١). غير ان والديه ارتحلا من هناك وسكنا الحصن العبوري . وفي هذه المدينة أبصر الطوباوي النور وتربى ، حسبما بلغني . وقد اهتم والداه بتثقيفه بالكتب المقدسة وبالآداب العربية التي كانت لغتهم الخاصة . ولما شب توفي الوالدان وتركا شوحاليشوع واختاً له أصغر منه سناً ، وخلفا

(١) كانت الحيرة مدينة على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له النجف [طالع معجم البلدان ٢ ص ٣٢٨] . وكانت مسكن ملوك العرب في الجاهلية من زمن نصر ثم من لخم النعمان وآبائه الذين حكموا الحيرة بين سنة ٢٦٨ وسنة ٦٣٢ للميلاد [طالع معجم البلدان في الموضع نفسه : الشابشتي ، الديارات ص ١٥٢ وحاشية ٤].

لهما ثروة طائلة . فاقتسماها بينهما . ثم ترك [شوحاليشوع] الدار وما فيها لاخته وأخذ حصته وقصد الى هذا الدير . ولما أنهى مرحلة الابتداء حسب أمر الآباء ، طلب الى الدير ان يعطيه بيث حبا ليزرعها فيزود بها الاخوة ، حسبما يأخذون من رئيس الدير ، من غلــة بيث زيوا . فأعطاه ما أراد . وأنشأ مزرعة جنوبي المزرعة الحالية ، ويعرف مكانها ، وابتاع فدادين وثيراناً واستأجر فلاحين وشرع يزرع ويحصد ويربح ويكرم رهبان ديره والغرباء والمساكين ، مثل ذلك الرجل الذي كان يتاجر في اسبانيا بسفينتين ، ومثل الطوباوي افلونيس الذي عاش في جبل نيترية[١] ، وذلك المؤمن الذي ورد ذكره في سيرة الطوباوي ففنوطيس[٢] ولم يبدد حصته بل جعلها قرباناً لله للافراج عن المساكين ، كما فعل أحد من ولدي رجل تاجر اسمهما فنسيس واشعيا .

واستمر الطوباوي شوحاليشوع على هذا العمل سنين عديدة يرضي المسيح في شخص قديسيه. غير انه كما وجد في الرسل الاثني عشر يهوذا ، وبين الثلاثمائة والثمانية عشر اسقفاً[٣] سبعة منهم كانوا زؤاناً ، وقبلهم كان التلاميـــذ الذين من الشعب يحسدون بولس وكرازته . وعلى هذه الشاكلة قام اناس آخرون بين زمر القديسين . وقام بعض اناس أشرار من هذا الدير بدافع من الشيطان أبي الكذب وعدو المحبة التي جعلها المسيح علامة للساجدين له ، فحسدوا [شوحاليشوع] على المحبة التي كانت عامرة بها نفسه القديسة المؤمنة . فشرعوا يفرضون عليه أكيالاً كبيرة تزيد على الكيل الذي يستعمله التجار في كل مكان . ولكنه احتمل ذلك بفرح . ثم أخذوا يسمعونه كلمات نابية [قائلين] : « اترك لنا مزرعتنا وارحل » . وفي السنة الأخيرة زرع زرعاً كثيراً وكان الحصاد وشيكاً ، فحاول بعض أبناء الخطيئة والسيئي الخلــق ان يقتلوا ذلك القديس دون ان يعلم به أحد ، متناسين كل الاحسان الذي صنعه نحوهم . وقد تم فعلاً في هذا القديس هذا القول : « جازوني عن الخـــير شراً وعن الحب بغضاً »[٤] و « صاحب

(١) افلونيس أحد النساك الذين ورد ذكرهم في كتاب بللاديوس . أما برية نيترية فهي واقعة بالقرب من الاسكندرية المصرية .

(٢) ولد ففنوطيس في نحو سنة ٣٠٥ ووافته المنية في نحو سنة ٤٠٠ [طالع بدج في كتاب الرؤساء ٢ ص ٤٧١ حاشية ٢] .

(٣) هو المجمع الأول المسكوني النيقاوي المنعقد في سنة ٣٢٥ . أما الأساقفة الذين يحسبهم توما « زؤاناً » فيذكر المؤرخون القدماء [تيودوريطس وسقراطس] ستة منهم بأسمائهم [طالع «بدج» كتاب الرؤساء ٢ ص ٤٧٢ حاشية ٣] .

(٤) مزمور ١٢/٣٤

سلامي الذي اتكلت عليه واكل خبزي هو رفع علي عقبه»[1] . ولكن شاء الرب الاله ألا يلطخ اولئك الأثمة ايديهم بالدم الطاهر ، اذ تأبى جودته ان يبتعد عنه احد . فمن يخاف الله ولو قليلاً ، ويحاول عمل الشر ، لا يدعه ملاك الرب الذي يرافقه ان يصدر الشر حالاً حسب رغبته، بل يخمد ويعيق ويبدد عمله ، كما فعل نحو ذلك الطوباوي الذي ورأى في الحقل ابنة كاهن الاصنام واشتهاها باغراء الشرير ، ولما طلبها من والدها وعده بان يعطيه اياها . وبعد ان كفر بالله وبالاسكيم الذي كان متوشحاً به وبالمعمودية ، جعل ملاكه الحارس ان يقول الشيطان الساكن في الصنم للكاهن : « لا تعطه ابنتك ، فان الهه معه وهو يساعده » . وعلى هذا المنوال يتصرف الرب الرحوم الذي يحتمل مصاعبنا ويتأنى على شرورنا ويحسن الينا ، حتى الدينونة العادلة التي فيها سيجازينا حسب اعمالنا بكيل مهزوز وفائض .

ويقص علي ربان ايشوعياب الطويل ، الذي منه استقيت الشيء الكثير من مواد هذه القصة ، قائلاً : « حين كنت مبتدئاً ارسلني وكلاء الدير من الرهبان خفية قائلين لي : اذهب الى ربان شوحاليشوع الى «بيث حبا » وقل له : « اذا لم تنج بنفسك في هذه الليلة وتهرب ، فانك لا محالة مقتول بسعي فلان وفلان الذين زاغوا عن الواجب واضمروا ابادتك » . وكان ذلك الشيخ يقسم لي قائلاً : « انني حينما ابلغته ذلك ، اخذ يبكي بمرارة ويقول : اني استحق هذا الجزاء ليتسنى لي الاشتراك في آلام المسيح . فاليوم عرفت ان مساعي محبتي صعدت الى السماء امام الله ذكراً الى الابد . فاني دخلت بالثروة الارضية الى بيث عابي وقد انفقتها على اطعام المسيح[2] حسب وصيته . واليوم اني اخرج منه ولا أملك حتى مزودة » . وقال لي ايشوعياب الشيخ : « اني اذ رأيته آخذاً الطريق وهارباً الى المدينة[3] بدون خبز ولا مزودة ، ولم يكن معه سوى قميصه وعباءته ، اعطيته مزودتي ، فوضع فيها ثلاثة ارغفة وانطلق . ونزل عند البار مار طيمثاوس الجاثليق واخبره بكل ما حدث له » .

---

(١) بزمور ٤٠/١٠ .

(٢) أي اخوة المسيح ، كما جاء في الانجيل المقدس .

(٣) المدينة هنا هي مدينة الموصل .

الفصل الثالث

اضطهاد القديس شوحاليشوع يجلب النقمة على هذا الدير

اذا كان حكام العالم يلاحقون فاعلي الشرور ، كما يقتضيه سيف العدالة الذي يتقلدونه ويحسنون الى الصالحين ، حسبما جاء في شهادة الملفان الروحي القديس بولس ، فكم بالحري يؤدب الهنا الصالح العادل المستقيم وينتقم ويدين ويصلح ، لكي لا نكون غير مبالين ، فنطأ الضمير ونلقي بعيداً فكرة العدل العتيد . فلما ظن [اولئك القوم] انهم قتلوا الصديق وورثوا تعبه ، وشرعوا يستعدون للخروج الى حصاد الحقول التي لم يزرعوها والى جمع ما لم يبذروه، اصعد الرب سحابة من الجراد الكثيف الذي انقض عليهم وحدهم واكل زرع « بيث حبا » كله ولم يبق لهم شيئاً . وارسل الرب اليهم هذه الآفة سنة تلو السنة ، كأنما قد سفكوا دم ذلك الطوباوي البريء بالقتل . فاذا يدين الله الانسان ويعاقبه حسب نياته ورغباته ، ومثال ذلك اذا نظر الرجل الى امرأة لكي يشتهيها فقد زنى بها في قلبه ويحسب زانياً[1] ولو انه أمر طبيعي أن تثور شهوة الانسان امام الجمال، فكم بالحري من حط نفسه لاقتراف أمر غير طبيعي ، لأن القتل أمر مكروه وفاعليه يتعرضون الى قصاصات عديدة قاسية . ولكونهم مستعدين لقتله لو استطاعوا الى ذلك سبيلا ، فانما هم اذن يعتبرون قتلة مطالبين بدم ذلك القديس . وكان الرهبان حسب عادتهم ينزلون عند الطوباوي مار طيمثاوس الجاثليق لكي يمد لهم يد المساعدة ، فانه كان يحب هذا الدير كثيراً ، وكان يكرمهم باشياء عديدة لأنه هنا اخبر انه سيصبح جاثليقاً ، وكان يسألهم عن حالهم وغلاتهم ، فيجيبونه انهم يعيشون بسوء حال وفقر ، فان الجراد منذ سنين عديدة أخذ يلتهم غلاتهم فقال لهم الطوباوي : « لن يبارحكم الجراد ، يا أولادي ، الجراد الذي يأكل الحقول والجراد الذي يأكل أثمار نفوسكم الخفية . اذ انكم صرتم سبب اضطهاد القديس مار شوحاليشوع من

(١) متى ٥/٢٨ .

بينكم » . ويشهد لي الرب وملائكته القديسون بأنني سمعت هذه الامور من رهبان شيوخ من هذا الدير ولم أخترعها من خيالي. لكني حكمت ، كما قال احد القديسين ، انه اذا كانت خطيئة العرض تستوجب سبعة وسبعين قصاصاً ، فخطيئة الارادة كم مـــرة تستأهل ضعف سبعة وسبعين ؟ » . وافرض ان خطيئة العرض هي من ينظر الى امرأة ، أما خطيئة الارادة فهي تلك التي بها خرج اولئك الشقاة يسعون وراء القتل . وهذه هي طبيعة الامور .

الفصل الرابع

إقامة الطوباوي مار شوحاليشوع مطرافوليطاً على جيلان وديلم[1]

ان العبد الذي يقتدي بصلاح سيده ويسير في طرق وصاياه حسب مستطاعه ، ويفكر . مأ فيما يرضي سيده ، يحق له ان ينعم بمجد سيده ايضاً وان يقام وكيلاً على جميع كنوزه ، لكي يزداد الكنز بتجارته النشيطة ويتوسع مثل ذلك الذي أخذ الخمس وزنات وجعلها عشراً ، وذلك الذي اخذ الوزنتين وجعلهما اربعاً ، وكلاهما سمعا [هـــذا الكلام] : « نعما ايها العبيد الصالحون الامناء ، لقد اؤتمنتم على قليل ، سيعطى لكم كثير»[2]. وسيطلب من كل واحد حسب قوته ، كثير من الذي يشتغل كثيراً لأنه نال كثيراً . وقليل من الذي أعطي قليلاً ، كل حسب طاقته ، كما قال المسيح له المجد . ويشهد احد القديسين قائلاً : « هناك من هدى شعباً كبيراً ، وآخر مدينة صغيرة ، وآخر ربح نفسه فقط ، وكلهم في الفضل سواء » .

أما هذا البار الذي كلامنا عنه ، فلأنه كان على درجة كبيرة من الكفاءة ، فقد اعطي

(١) جيلان مقاطعة مجاورة لديلم [طالع كتاب الرؤساء ، جزء ٢ فصل ٢٣] واقعة جنوبي غربي بحر قزوين.

(٢) متى ٢٥/٢١ .

كثيراً . فلما نزل عند القديس مار طيمثاوس ، واطلع هذا على كل شؤونه رأى انه يجيد اللغة العربية والفارسية علاوة على اللغة السريانية وآدابها ، فكر في ان يدهنه بالدهن المقدس ويعطيه عصا الرعاية ، ويرسله راعياً وهادياً للبرابرة الذين لم يسبق لهم ان تلقوا التعليم الالهي ، ولم يدخل الى مقاطعتهم ، منذ عهد الرسل ، احد من المبشرين بملكوت السماء . وحثه على قبول هذه [المهمة] والاتكال على المعونة الالهية التي ترافقه وترجيح بواسطته تلك الشعوب الضالة . فلأن العمل الذي دعي اليه كان من قبل الرب ، رضي به وعواطف الخوف والفرح تتنازعه . وجرت رسامة الطوباوي باحتفال مهيب طافح بالأفراح . وكل رؤساء المؤمنين الذين سمعوا انه قد قبل على نفسه التبشير في تلك البلدان زودوه بمبالغ طائلة وبا ية كان بحاجة اليها ، ثم توجه الى تلك الاقطار ترافقه القوة الربانية ويصطحبه تلاميذ فاضلون . وكان القديس الحقيقي مار ابراهام يزودني بتفاصيل عن سفره قائلاً : « ان دخول [مار شوحاليشوع] الى هناك جرى بابهة منقطعة النظير . لأنهم كانوا برابرة وكانوا بحاجة الى ان يروا شيئاً من عظمة المجد الخارجي لكي ينجذبوا فيقتربوا بحب نحو المسيحية . وما ان دخل الى هناك حتى اخذ يعرض امامهم التعاليم الحقيقية . وبينما كان يعلم هو بالكلمات . كان المسيح يثبت أقواله بالآيات التي يصنعها ، كتطهير البرص وشفاء المرضى ومنح البصر للعميان والسير للمخلعين والبعث للموتى والأولاد للعواقر . فان العناية الالهية معتادة ان تظهر العظائم في بدء الاعمال الالهية ، وبالأخص هؤلاء الذين هم دوماً في كل الأجيال فريسة للأبالسة وطعمة سائغة للسجود لأرجاسهم وعباداتهم . وأفلح الطوباوي بالعجائب التي كان الرب يجريها على يده في تبشير مدن كثيرة وقرى عديدة ، وعمد الأهلين وقربهم الى علم الحياة الالهية ، وشيد كنائس وأقام فيها كهنة وشمامسة وعين بعضاً من الاخوة الذين معه لكي يعلموهم المزامير والتراتيل الروحية . وتقدم وتوغل الى أقاصي المشرق وهو يهدي بنجاح عظيم كثيراً من الوثنيين والمرقيونيين[1] والمانويين ومن كل المذاهب وكل الأرجاس ، ويزرع نور تعليم الانجيل المجيد ، مصدر الحياة والسلام .

---

(١) ان المرقيونية هرطقة تنسب الى مؤسسها مرقيون الذي عاش في القرن الثاني الميلادي وقال بوجود تضاد بين الخالق واله المسيحيين ، وحرم الزواج ونبذ معظم اجزاء العهد القديم ولم يحتفظ من الجديد الا بانجيل القديس لوقا وقد شوهه في اماكن عديدة . ولقد كافح الآباء السريان هذه البدعة مكافحة شديدة [مطالع السمعاني ، م ـ ش ٤ ، ١ ص ٤٣ ـ ٦٣ ، ١٧٠ ، ٢١٩ ، ٢٢٢] .

الفصل الخامس

في اغتيال القديس مار شوحاليشوع واستشهاده المجيد

ان وصية تحريرنا من الموت والخطيئة والشيطان قد كتبها يسوع بجسده ورسمها بحروف من دم على قمة الجلجلة(١) وأعطاها الرسل فأيدوها بدمهم في الشعوب قاطبة . فاسطيفانوس قد رجم ويعقوب قطع رأسه ، ومخ يعقوب اخي الرب قد نثر ، وشمعون قد صلب وبولس لاقى حتفه قتلاً وبرتلماوس قضى سليخاً وتوما طعن جنبه بالرمح، ورؤساء كرسي المشرق : مارشمعون وشهادوست وبربعشمين قد ذبحوا . وغيرهم [لاقوا مصيراً مماثلاً] في كل البلدان . انه لفخر للتلاميذ ان يقتدوا بمعلمهم ، فالرعاة ضحوا بحياتهم عوض رعاياهم ، والوكلاء رجموا في سبيل صيانة مقدساتهم .

وهذا ما جرى ايضاً لأبينا المغبوط القديس مار شوحاليشوع . فبعد ان مكث هناك سنين عديدة وهو يزرع ويسقي والله ينمي بوساطته ، على غرار القديس بولس ، أراد ان يأتي الى بيث ايل ابائه . أعني الى هذا الدير ، ويؤدي الاكرام الواجب للجمعية التي منها خرج . وظن ان ذلك سيكون للخير ، مثل يوسف الذي باعه اخوته(٢) . فترك حقول تعليم الحياة التي زرعها والكنائس التي أسسها والهياكل التي أقامها للرب، ريثما يأتي ويسجد ثم يعود الى هناك . بيد

اما المانوية فهي البدعة التي اخترعها ماني الذي ابصر النور في عائلة مجوسية ثم اعتنق الديانة المسيحية في نحو منتصف القرن الثالث الميلادي . ولكنه سرعان ما انحرف عن التعليم الصحيح وأعلن نفسه المسيح ، ثم قال انه الفارقليط أو الروح القدس ، واختار لنفسه اثني عشر تلميذاً وأرسلهم الى العالم لنشر هذه التعاليم الكاذبة .

أما وجود المرقيونيين والمانويين في تلك المناطق فهو موضوع شك . وقد يكون توما المرجي أدرج أسماءهم هنا ليكسب نصه رنة بيانية .

(١) متى ٢٧/٣٣ ؛ مرقس ١٥/٢٢ ؛ يوحنا ١٩/١٧ .

(٢) تكوين ٣٧/٢٨ .

ان العدو مبغض الحقيقة ، حينما رأى ان تعليمه اصبح سخرية وان معابد النيران وبيوتها النجسة استؤصلت ، حاول ان يقضي على الطوباوي عن طريق بعض فملة أشرار كانوا لا يزالون في حوزته. فلما رأوه خارجاً من هناك وقد حمل معه أشياء نفيسة ليهديها للدير ، سبقوه مكراً وكمنوا له. وفي الطريق انقضوا عليه في موضع رهيب وقتلوه بالسيوف. وهكذا بارح الطوباوي هذه الحياة المجهدة التي تتقطر بدم عار الصليب وهوانه الى منازل الفردوس الشهية. وما ان علم بعض المسيحيين من تلاميذه بالأمر حتى خرجوا يفتشون عنه ، وأخذوا جثمانه الطاهر ودفنوه حسب استطاعتهم ومعرفتهم في كنيسة ما ، وقد ملأ الحزن نفوسهم. اما الثياب التي كان قد عملها: كالستر والأغطية والمناديل التي كان القتلة قــد أخذوها ، فقد عثروا على بعض منها وأرسلوها الى مار طيمثاوس ، ووصل شيء منها الى هذا الدير ...

المجد والاكرام والشكر والسجود للمسيح ربنا ناصر بطله الصنديد ، ولتحل مراحمه ورأفته على جميع الساجدين له الى الأبد. آمين وآمين.

الفصل السادس

مار يهبالاها وأخوه مار قرداغ

نفهم من الكتب الالهية كلها ، لاسيما من فم مخلصنا الحي ، انه لا بد لصلاح السيرة الخفية وان يظهر ، وان الله يبدي عاجلاً امام الكل الخــيرات التي تحققها النفس روحياً في باطنها ، والاعمال التي يقوم بها الأناس الأبرار القديسون مرضاة لارادته. فقــد قال المخلص : « متى صليت فادخل حجرتك واوصد البــاب وصل الى أبيك الذي في الخفية ، وأبوك الذي يرى في الخفية هو يجازيك [علانية] »(١). [فالله] يعظم ذويه في هذا العالم ويفرحهم ويظهر انهم منازل

(١) متى ٦/٦.

عن المساكين ، وذلك بالأشفية التي تجري على أيديهم وشتى الآيات التي يجترحونها ، ويكافئهم بمشاهدته في النعيم الى الأبد في ملكوت السماء .

وهذا ما حدث لهذين الأخوين الطاهرين المباركين ، الأخوين بالجسد والروح ، ربان يهبالاها وأخيه قرداغ ، المطرافوليطين للبلدان التي أشرنا اليها سابقاً . وكان هذان الطوباويان من قرية « رأس العين » في سفسفا في منطقة مركا . وتتلمذ كلاهما معاً في هذا الدير المقدس وامتازا بالطهر والتقيد بكل ماتقتضيه السيرة الرهبانية السامية أي في حفظ اللسان والحواس ، والصوم الى المساء والسهر اثناء الليل كله والصلاة باختلاء الافكار والعفة التي تجعل الانسان مسكناً لله . وقد أوجز الطوباوي مرقس الراهب السيرة الرهبانية كلها بهذه الفضائل الثلاث وهي : ان يطهر الانسان أفكاره ، وان يصلي دوماً دونما انقطاع ، وان يحتمل الأحداث كلها . وكانا متزينين بهذه المزايا كلها . وكان الشيخ قرداغ أصغر سناً من أخيه ويجيد الكتابة ، بينما يهبالاها يجلد ، على غرار الطوباويين مار أحا وأخيه. وكان الجميع يشيدون بمجدهما . وروى لي القديس مار ابراهام قائلاً : « في بدء مجيئي الى الدير ، طيلة السنين الثلاث التي أمضيتها في الابتداء . لا أتذكر ان قرداغ رفع عينيه او فتحهما ونظر الي ، حتى انني ظننته كفيفاً . أما يهبالاها فكان يفوق أخاه جهداً وتواضعاً . وكان لكل منهما صفة يمتاز بها عن الآخر » . ولما استشهد القديس مار شوحاليشوع ، بات من الضروري ان يختار أحد بعده ليذهب ويربي القطان التي دخلت حظيرة الحياة بهمة هذا القديس. ولما حرض الطيب الذكر مار طيمثاوس كل من كان يجد في نفسه الجدارة لهذه المهمة ، ولم يأخذ أحد على عاتقه تعباً مثل هذا لأجل الله ، اضطر الطوباوي السيد الجاثليق الى ان يرسل الى هذا الدير واستدعى هذين الاخوين الطوباويين ليرسمهما ويرسلهما الى تلك الأصقاع .

الفصل السابع

انتخاب هذين الرجلين القديسين وإرسالهما الى تلك الأمصار [جيلان وديلم]

ينبغي لنا ان نعلم ان من هذا الدير المقدس انتخب رعاة كثيرون لكل الجهات وبرزوا في اجيالهم بمزاياهم العالية مثل نباريس موضوعة على منارة الكنيسة ، حتى دعاه الاقدمون « البيت الكاهني وأبا عواميد الكنيسة المقدسة » ، نظراً الى الأشخاص الذين تخرجوا منه في كل جيل واقيموا رعاة لقطعان المسيح . فانهم لم يقبلوا الكراسي العريقة والرئيسية في المدن الكبيرة والبلاد الهادئة حسب ، بل أيضاً البلدان الخالية من كل معرفة الهية وعلم مقدس والمليئة بالسحر والعرافة والأعمال النجسة البغيضة ، لكي يستأصلوا منها شأفة الشرور ويزرعوا الصلاح ويبددوا ظلمة الضلال ويبثوا نور تعليمهم المجيد ويطردوا الشياطين الذين يعلمون كل هذه الأرجاس . وقد وقفنا على حقيقة هذه الأحداث من أعمال الطوباوي مار شوحاليشوع والطوباويين اللذين خلفاه ... فلما كل [طيمثاوس] في محاولاته لاقناع آخرين ولم يذهبوا ، كتب الى هنا يستقدم الطوباويين يهبالاها وقرداغ ، وقد رأى من الأنسب ان يحفظا ويرعيا التراث الصالح الذي ينتقل بين الأشقاء ، لكونهما تلميذي مار شوحاليشوع ، كما جاء : اذا مات أخو رجل وترك امرأة ولم يخلف أولاداً ليأخذ أخوه امرأته وليقم نسلاً لأخيه(١) فهناك حسب الجسد ، أما هنا فضمن نطاق الروح . ونزل كلاهما كما ينبغي ورسمهما [الجاثليق] مطرافوليطين ، قرداغ لجيلان ويهبالاها للديلميين .

ولما صعدا الى هذا الدير ليرتبا امورهما ، رافقهما من هنا ، حسبما بلغني ، خمسة عشر راهباً من الرهبان القديسين المثقفين لكي يؤازروهما في العمل الروحي لبث بشارة المسيح . ومنهم رسموا أساقفة للبلدان الداخلية . ولقد قرأت الرسالة التي وجهها مار طيمثاوس الجاثليق

(١) تثنية الاشتراع ٢٥/٥ ـ ٩ ؛ تكوين ٨/٣٨ .

الى مار يهبالاها ، وجواب الرسالة التى كتبها مار يهبالاها الى الجاثليق يقول فيها : « بصلواتكم ، يا ابانا ، وبنعمة المسيح ، رجعت شعوب كثيرة الى الايمان الحقيقي ، ونحن بحاجة الى ان نرسم لهم اساقفة من بعض الرهبان الذين اتوا معنا » . فكتب اليهم السيد الجاثليق يقول : « اذا كان لا بد لرسامة اسقف من وجود ثلاثة اشخاص ، واذ لا يتيسر لكم ذلك في منطقتكم القاصية ، فنسمح لكم بأمر الرب الذي به يقوم كل شيء ويساس ، ان تميزوا الاسقف الذي تنتخبونه ، وتقوم انت وقرداغ البار ، وعوض الثالث ليوضع الانجيل على كرسي في الجهة اليمنى وكملوا رسامة الاسقف الأول بقوة الله ، اما الآخرون فيرسمون بواسطة ثلاثة(1) . والروح الالهي يوزع مقدساته بهم كما وزعها بوساطة الرسل الطوباويين » . فلما نال الطوباويان هذا السماح من رئيس الآباء رسما الاساقفة التالية اسماؤهم : «توما وزكي وشيم وافرام وشمعون وحنانا وداود للبلدان التي هدوها بالآيات والقوات التي كانوا يجرونها ، والتي لاجل كثرتها وبعد البلدان التي جرت فيها ، لم نستطع ان نميز كيف صارت كل واحدة منها وفي أية قرية أو مدينة حدثت ، والاشخاص الذين تم لهم الشفاء أو الذين منهم خرجت الشياطين أو بارحتهم الامراض. ولأن نحكم على الآيات الغامضة أو نكذب أو نتخيل مشهدها فان ذلك لجسارة تجلب خطراً كبيراً على من يكتب ما ليس مطلعاً عليه . وقد وصلتني اسماء الاشخاص الذين اختاروهم ورسموهم اساقفة من شيوخ قدماء اطهار ، ولا سيما من الشيخ الفاضل اليشاع . فقد سمعوا من فم مار يهبالاها نفسه عنهم ، اذ انه اتى مرتين من ديلم الى هذا الدير المقدس ليؤدي الاكرام الواجب لدير آبائه . أما مارقرداغ ، فلأنه كان قد توغل في البلدان الداخلية اكثر من أخيه ، فلم يرجع الى هنا قط .

واذا كنت تريد ان تطلع جزئياً على العجائب التي جرت على يدهم . فتذكر ان تلك الشعوب البربرية الهمجية والسارقة والسابية وعابدة الشيطان لم ترجع عن السجود الذي كانت تقدمه للشياطين ، بسهولة وبكلمات مجردة عن الاعمال وبدون تعب الصوم والصلاة. فانها شرعت ترذل العادات الذميمة وتطأطىء اعناقها لطاعة نير الصوم والصلاة وسهر الليالي والامتناع عن كل المآكل في الاصوام المفروضة والاعياد المقدسة . حبذا لو نذكر في هذا المكان ما كتبه القديس أمونيس الراهب والاسقف المختار لكنيسة الله في احدى رسائله الى تلاميذه حيث يقول : «لاجل

(1) راجع السمعاني بشأن رسامة الأساقفة والمطرافوليطين [م.ش. ٣ ، ٢ ص ٦٨٣] .

ذلك كان الآباء ينعزلون في البرية ، ان كان ايليا من تشبي[1] أو يوحنا [المعمدان][2]. فلا تظنوا ان هؤلاء الذين هم صديقون بين البشر قدروا ان يبلغو القداسة وهم بين البشر . بل انهم عاشوا أولاً في خلوة تامة ، فاستحقوا ان تستقر فيهم القوة الالهية . واذ ذاك ارسلهم الله الى البشر وقد تسلحوا بالفضائل كلها ليكونوا وكلاء الله ، فيشفوا أمراض البشر . فلا يرسلون الا متى شفيت أمراضهم كلها . اذ لا ترسل النفس الى البشر للبنيان وقد تبقى فيها شيء من النقص . وكذلك انا ابوكم الذي كتبت لكم هـــذه الامور قد احتملت جهاداً صعباً في البرية وفي الجبل ، وبعدئذ بلغت هذا الحد » . وهكذا كان الشأن مع هذين القديسين حسب كلام الطوباوي أمونيس . فقبل كل شيء نالوا شفاء امراضهم وجمعوا كنز الخيرات السماوية بالخلوة وأعمال النسك في هذا الدير المقدس ، وبعدئذ أرسلهم الله الى بلدان الوثنيين لاحياء نفوسهم . فأصبحوا كاشفة النور وصارت مصابيح تعليمهم المتلألئة تضيء من أعلى ذرى سيرتهم ، وقد وضعوها ، ليس تحت المكيال بل على المنارة فتضيء اقاصي المشرق كلها . وعلى غرار الرسل في عهدهم ، فقد تلمذوا هم أيضاً الشعوب الضالة بسيرتهم الصالحة وبزهدهم في كل المآكل وفق ما تقتضيه شريعة المسيح ، الذي حينما سأله تلاميذه قائلين : « لماذا نحن لم نقدر أن نشفيه ؟ » قال لهم « أن هذا الجنس لا يخرج الا بالصوم والصلاة »[3] .

إن خبز تلك البلدان هو من الأرز ، إذ ليس هناك حبوب الحنطة والشعير المباركة بل الأرز والقطاني وما شاكلهما . وقـــد أطلعنا على ذلك مار يهبالاها المقدس الذكر . فقد حدثني الشيخان حنانيشوع واليشاع إنه نقل إليهما ذلك قائلا :« إنني عندما يممت شطر هذه الاصقاع ، وصلت عند البار مار حبيب مطرافوليط مدينة راي[4] . ولما أكلت خبز الحنطة إنتابني مرض شديد لأنني كنت معتاداً في تلك البلدان على أكل خبز الأرز » . ولما اشتغلوا سنين عديدة في تلك الأرض البائرة وأذاعوا بشارة الرب بين النفوس ، وارجعوا وتلمذوا وعمدوا وقدسوا كثيرين ،

---

(١) ١ ملوك ٩/١٩ .

(٢) متى ١/٣ .

(٣) متى ٢١/١٧ .

(٤) مدينة راي [بيث رازيقايي] تقع في بلاد ماداي العليا ، وترى أطلالهـــا على مسافة ٤٥كم في الجنوب الشرقي من مدينة طهران عاصمة ايران الحالية . وقد ورد ذكر هذه المدينة في سفر طوبيا [طالع ١٤/١ ؛ ٢٠/٤ ؛ ٢/٩] .

أنهوا أيامهم كلها هناك واحصوا مع الابكار المكتوبة أسماؤهم في سفر الملكوت المحفوظ لهم النعيم مع الأنبياء والرسل والملافنة والشهداء ... ليوطد الرب بصلواتهم السلام بين الكهنوت والمملكة ولتبطل الحروب من الارض كلها ، وليمنح الرب العـــالم كله ، ولا سيما الكنيسة المقدسة ، الراحة والهدوء من كل الحروب . وكلنا نصعد المجد للآب والابن والروح القدس الى الابد . آمين .

الفصل الثامن

الطوباوي مار ايليا اسقف موقان وبلدان البرابرة

اني سرت في سرد أخبار القديسين متدرجاً كما في السلم ، وأظهرت حسب طاقـــة معرفتي الضعيفة شيئاً من مآثرهم ، فأوشكت الآن على الدخول الى الفردوس المملو أزهاراً زكية الرائحة معطرة بأعمال أبينا القديس مار ايليا المجيدة . انه كان جاهلاً ولكنه حكيم ، ساذجاً ولكنه زاخر بالمعرفة ، غير عارف بالكلمات ولكنه نير العقل . فهو لا يذم في تواضعه . وكلامنا سيعظم شأنه فوق الملافنة ، فان آباءه الرسل الصيادين السذج ايضاً ، عندما اعتبرهم الكتبة والكهنة اميين وجهلة ، فرحوا لأنهم استحقوا ان يهانوا من أجل اسم معلمهم . فان هذا الفرع المبارك هو من نتاج تربية الكرام مـار يعقوب الالهي . كانت قريته عين بقري في بلاد مركا ، ولكنه تركها وعاف الأرض برمتها ، واليوم مدينته هي السماء وأصدقاؤه هم الأنبياء والرسل والشهداء وكل الآباء والرهبان الذين سار على نهجهم المجيد . ولما اختار له الحياة الرهبانية نصيباً ، وجد نهجاً خاصاً سار بموجبه منذ بدء تلمذته ، فانه لم يمتلك مخزناً ولا صومعة ، حتى ولو كانت من الطين ومسقفة بساريات سميكة وأمـــداد ثابتة ، ولم يكن له موضع يحتاج الى

ترميم أو نفقات او اهتمام يصونه من الهدم او من الطوارىء . بل كما يعمل حراس الكروم والزروع والبساتين ، [كانت مظلته] من قصب وخلاف مربوطة بأغصان الأشجار ، بحيث انها كانت تخفي جسمه وتكفيه للوقوف والصلاة ، وللقيام بما لا بد منه للمقيدين بالجسد وحاجاته . وحوط مظلته بسياج من قصب وأخشاب دقيقة ، وكان لها باب من قصب كالذي يعملونه لحظائر الغنم . فاذا كان داخلاً او خارجاً ، كان الباب مغلقاً على حد سواء . ولم يكن له أثاث ؛ ولتوغله في التجرد الى عمق سحيق ، كان يعتبر زائداً ما هو عند الآخرين لازم . فكان له وعاء مكسور يضع فيه الخبز اليابس الذي يقتات به ، واجانة من الفخار يضع فيها ملحاً ممزوجاً بالصعتر . وكانت له في فناء صومعته بئر لا دلو فيها ولا حبل ، وقد اتخذ قصبة طويلة بمثابة الحبل . فكان يشد في رأس تلك القصبة كوزاً صغيراً ، ويأخذ كل مساء رغيفه ويجلس على البئر فيصعد منها ماء يبلل به الرغيف ويأكله ، ويكتفي بذلك . ولم تلج بقية المآكل او الخمر قلايته قط ولم يذقها . واصبحت الثياب التي على جسمه كساءه وفراشه على السواء ، ولو ان زهده لم يكن بحاجة الى فراش . فكان الجلوس متكئاً على الحائط يشغل عنده محل المنام ، حسبما نقله الي البار والقديس مار ابراهام . وكان هذا التصرف متجاوباً مع ما قاله القديس اواغريس : « ان التجرد يتوقف على ألا يقتني الانسان شيئاً سوى عباءة وثوب وكتاب [مقدس] وكوخ » . ولدى قدومه الى الدير في أيام معينة ، كان يأخذ الكتاب الذي يقرأ فيه في حقيبته ويضعه على قسطروم الهيكل(١) الى ان يرجع الى صومعته فيحمله معه . وكان يترك كوخه غير وجل ، حسب قول الطوباوي اواغريس : « ان الذي عكف على التجرد يحل في راحة الفكر » ، وكذلك « ان الراهب المتجرد مسافر خفيف ينزل حيثما يشاء بدون خوف » .

هكذا كان باختصار أمر تجرده ونسكه .

---

(١) راجع كتاب الرؤساء جزء ٣ فصل ١٤ والفصل الخامس عشر من هذا الجزء .

الفصل التاسع

أنواع الصلاة السامية التي بها أغنى نفسه

ليس في كل الفضائل التي يمارسها القديسون ما هو أعلى وأسمى من فعل الصلاة العجيب. فانها توحد الفكر الطاهر مع الله وتؤله الانسان كله وتجعله روحياً ، وترفع المثابر عليها من الأرض وهمومها . فهي التي ناصرت الأنبياء وقدست الرسل ، وهي التي دخلت مع الشهداء الى شتى انواع الجهاد ، فانتصروا بها على وعبد الملوك والعذابات الهائلة . وهي جعلتهم كالاسبست [الطاق] قدام النار ، ومثل الأخشاب والطبائع الجامدة باحتمالهم العذابات المختلفة الأشكال . وهي تحفظ الابيلين[١] والزهاد والنساك في الأماكن المقفرة والمفعمة أخطاراً متأتية من الشياطين والحيوانات الشرسة والدبيب الضار . فحينما عاش على الارض ربنا يسوع سبب خلاص جنسنا في أيام تدبيره الالهي ، وكان يعلم كل الفضائل المنصوص عليها في بشارته ويوصي بحفظها ، عكف هو ذاته على عمل الصلاة المجهد ، فكان يتوقل تارة في الليل الجبال الهادئة ، وطوراً يأتي البرية الخالية من السكان ، فيناجي الله في سكون الليل بمعزل عن الأسماع والأنظار التي تشرد الذهن .

وقد اهتم بها الآباء الرهبان القديسون اكثر من اهتمامهم بكل الفضائل ، وعلمونا ان نسنج على منوالهم . فيقول الطوباوي مرقس الناسك[٢] : « بما اننا معرضون للأهواء ، ينبغي لنا ان نمارس الصلاة . فالذي يقمع إرادته باخضاعها للصلاة لهو مجاهد حكيم ، لأنه بابتعاده عن المحسوسات يظهر بجلاء جهاده الخفي » . ويقول ايضاً : « لا مساعد أقوى من الصلاة ، وليس

(١) الابيليون لفظة تستعمل كمرادف للرهبان والنساك .

(٢) عاش مرقس الناسك في برية نيترية في سلخ القرن الرابع الميلادي [طالع م . ش ٣ ، ١ ص ٤٥ ، رايت ، جدول المخطوطات السريانية ص ١١٣٠٦] .

ما ينفع مثلها لتكميل ارادة الله . فان عمل الوصايا كله محصور فيها . والصلاة بانتباه لهي علامة محبة الله في المثابر عليها» . ويقول القديس اواغريس : « اننا لم نتاق أمراً بالشغل والسهر والصوم المستمر ، بينما فرض علينا أن نصلي دائماً . فان الذين يشكون بعض الامراض ، هم بحاجة الى عمل الجسد » . ولما سأل الرهبان الانبا مقاريس الطوباوي اياً من أعمال النسك يستحق المكافأة قال : « لا أسمى من المثابرة على الصلاة . ويحاول الشياطين جهد مستطاعهم أن يبطلوها ، عالمين أن بها تبطل حيلهم » . ويضع القديس الانبا اشعيا المواظبة على الصلاة فوق كل الأعمال المجيدة ويقول الطوباوي « المفسر »(١) في كتابه عن الأسرار(٢) : « ان كل صلاة مهما كانت ، هي درس في الحياة لكل من يهتم بالواجب ويعرفه ويصبو الى تكميله » . ويقول أيضاً : « ان الذي يهتم بالفضيلة ويريد ان يعمل ما يرضي الله ، يهتم بالصلاة اكثر من أي شيء آخر ، أما من لا يهتم [في اكتساب] احدى الفضائل ولا يهمه أن يقوم بما يرضي الله ، فجلي انـــه متقاعس أيضاً عن الصلاة » .

وقد كان القديس ربان مار ايليا الذي نروي مآثره في قصصنا الساذجة هذه يصبو الى تحقيق اهداف الآباء القديسين ، وقد اختبر فاعلية [الصلاة] ولمس فيها كل الكنوز الخفية المكنونة في الكتب الروحية ، وادرك أنه بدونها لا يمكن الانسان ان يكون كاملاً في عمل النسك فأخضع نفسه لها منذ بدء دخوله الصومعة . وقد قرنها بجهود جسدية وجمع الفكر ، اذ انه تعلم من الطوباوي مرقس الناسك ان كل صلاة لا يجهد الجسد بها تعتبر سقطاً لما يكمل تركيب جسده. وبما ان حربين قويتين تقفان ضد الانسان الذي يحاول جمع فكره للصلاة ، وهما التيه القلق والاضطراب التائه ، فقد تسلح ضدهما بشدة ، اذ انه سمع الطوباوي اوغرايس يقول : « اذا انتصرت على التيه ، فان ذلك منتهى النهاية وتستحق الكمال » . وكان البار القديس مار ابراهام الجاثليق يقول لي بشأن مار ايليا : « انه عود نفسه [السكنى] في مكان مظلم من كوخه ، وفيه كان يشغل أوقاته بتلاوة المزامير ، وكل جملة يقولها كان يردفها بهللويا « والمجد لك اللهم » ،

(١) « المفسر » هو تاودوروس المصيصي الذي توفي سنة ٤٢٩ ، ولقب بهذا الاســم لأنه كتب شرحاً للكتاب المقدس ووضع واحــداً وأربعين كتاباً ، حسب جــدول عبديشوع الصوباوي [طالع السمعاني ، م . ش . ٣ ، ١ ص ٣٠ - ٣٥] .

(٢) طالع السمعاني [م . ش . ٣ ، ١ ص ٣٣] .

وذلك لكي يضطر العقل الى التفكير في الجملة التالية ولا يشرد . وكان يعمل ذلك لئلا يستسلم العقل للتيه ويجد عفواً الجملة التالية لسهولة التمرن عليها ، بل لكي ، اذا ما أردف الفم في نهاية كل جملة « هللويا والمجد لك اللهم » ، يضطر العقل الى التروي في إضافة جملة بعد اخرى . ولانه بدون جمع الأفكار لا يتاح للعقل ان يتوغل في التأمل الالهي ، ولا يجد الراهب الدائرة النيرة التي لا يعتريها الظل[1] . فانه هيأ فكره لرؤية الله ، كما قال أحد القديسين ، ان البدر سواء من كل جوانبه . إسأل المختلين في الصلاة هل يوجد زوايا في مكانهم ؟ فان الآباء القديسين قالوا : « ان جملة قريبة خير من الف بعيدة » . فلم يكن ليهتم بعدد المزامير اهتمامه باكتناز الغنى الذي يكتسبه من جمع الأفكار . فانه كان يجد من الافراط ان ينهي الآخرون مرتين كتاب المزامير خلال الليل والنهار ، بينما يبني فكرهم ويهدم ويحكم ويدين ويبيع ويشتري ...

وتعلم هذا الشخص المستحق كل المدح ان يكتسب هذه المزايا وهو لم يطالع الكتب كثيراً ، بل يكتفي بمزمور اليوم وترتيلته والقراءة البسيطة حسب . وقد جمع كل الوصايا في أمر واحد وهو التجرد عن كل شيء وقمع العقل ضد كل الافكار ... ولما تحرر من هـذا التيه بجهاد دام سنين طويلة ، طهر ونظف قلبه ، فترك من ثم العمل الأول وبدل عادته الى مزمور دون انقطاع ، ولم يكن ليبطل عن تلاوة المزمور ليل نهار . وكان القديس مار ابراهام ، المطلع على شؤونه أكثر من أي شخص سواه ، يقول لي : «حتى انه حينما كان يستغرق في السبات ، لم يكن ليسكت عن تلاوة المزمور بصوت مسموع . ولما كانت نفسه منهمكة بتهاليل خفية ، كان فمه يرتل ذلك في حلمه . ومع كل هذا العمل الروحي الخفي والجلي . كانت تلك النفس القديسة تسكن ذلك الجسد المتألم المتقشف ، فهدأ الصراع القائم بين الروح والجسد ، واغرم بالشوق الى سعادة الحياة العتيدة . وبمقدار ما كان الجسد يضعف ويهزل في ضنكه ، بمقدار ذلك كانت النفس تحـــلق في السماء بأجنحة الروح ، كما كتب القديس الأنبا اشعيا قائلاً : « ان النفس التي وفقت بقوة المسيح ان تترفع عن العالم ، تنعم في المساكن التي تقودها اليهـا أجنحتها المتحررة من الأهواء » .

---

(١) اشارة الى القديس متى ١٠/٢٨ ، ١٦ ؛ مرقس ٧/١٦ .

الفصل العاشر

انتخاب القديس مار ايليا لاسقفية موقان مدينة البرابرة

هناك مدينة اسمها موقان تقع في البلاد الشمالية الشرقية بالقرب من حدود الأقوام الديلمية وسكانها برابرة يسجدون للخلائق الصماء. ولما رسم البار مار طيمثاوس المطرافوليطين القديسين مار يهبالاها وقرداغ وأرسلهما الى جيلان وديلم، رأى من الفطنة ان يرسم راعياً وزارعاً نشيطاً لمدينة موقان ايضاً، لكي يرعى النفوس التي فيها، وكان الشيطان قد سباها منذ الدهر. ولانه اختبر ووجد أن رجالاً أشداء ومجاهدين أبطالاً خرجوا من دير القديس مار يعقوب الالهي، ميز منهم السيد الجاثليق لكل الجهات والمدن أشخاصاً جديرين جرت على أيديهم قوات عجيبة وشفاءات باهرة، فرأى ان ينتخب ويرسل الى تلك المدينة ايضاً من هذا الاصل، قضيب القوة كما من صهيون[1]، لكي يتسلط على الشياطين والأبالسة الذين كانوا قد عاثوا فساداً في تلك المدينة الشقية. وإذ علم بسيرة الطوباوي ايليا الفائقة الوصف، كتب اليه رسالة محبة وتحريض، رسالة أب حكيم الى ابن مطيع، لكي يأتي اليه ليرسمه اسقفاً لمدينة موقان. فأجابه ايليا البار: «اني لا أقبل الرسامة إلا في الهيكل المقدس حيث انا موجود، وأرغب ان يكون ذلك في أحد العنصرة المقدس» وهو يشير بذلك بكل بساطة الى اليوم الذي فيه نال الرسل الطوباويون موهبة الروح القدس. وكان الزمان الذي حدده مار ايليا بعيداً عن تدبير الجاثليق العاجل، فاضطر مار طيمثاوس الى تأجيل الموعد الى يوم العنصرة، وكتب الى البار نسطوريس[2] مطرافوليط حدياب، فجاء الى هنا ورسمه في هذا الهيكل نزولاً

(١) مزمور ١١٠/٢ .

(٢) لم يترك نسطوريس الملقب بالورع أثراً بارزاً مدة إقامته على كرسي حدياب سوى انه كان عضواً في المجمع الذي عقده مار طيمثاوس الأول الكبير سنة ٧٩٠ والذي صادق عليه نسطوريس بصفته مطرافوليطاً لآثور، وهو أول ذكر ورد لهذا اللقب. ومات نسطوريس قبل البطريرك طيمثاوس، أي قبل سنة ٨٢٣ .

عند رغبته . ثم ذهب [مار ايليا] الى مار طيمثاوس الذي اثبته وارسله مع تجار يمرون بالمناطق التي فيها تقع موقان . وكان الطوباوي مار ابراهام الجاثليق يكلمني عنه انه عوض الصليب في عنقة، كان يعلق على صدره الانجيل الكامل بالقطع الصغير واخذ معه صليباً من النحاس . وحينما كان يريد القيام بالصلاة ، حيثما حل ، كان يضعه في رأس عصاه ويغرزها في الارض ويصلي أمامه . وهكذا كان يفعل كلما سار في اماكن مرعبة .

وكان يسير في الطريق مع قوافل التجار العديدة ، فيتخلف عنهم قليلاً ليتسنى له تلاوة المزامير . وكان ثمة رجل يسوق بغله مع بغال رفقائه وعلى البغل حمل ثقيل وهو يصعد مدارج سلسلة عالية وعرة ، واذاً برجل البغل تنزلق من مدرج عال ، فانقلع قدمه من موضعه . ولما وصل القديس مار ايليا اليه وسأله عن سبب تأخره رفقانه ، أخذ الرجل يبكي ويمزق ثيابه ويري الطبيب الروحي حافر دابته المخلوع . وكان القديس في شيخوخته يستعمل دهن الزيت في خبزه لمقاومة البرد والضعف الذي الم بمعدته من جراء الخبز اليابس والملح ، وكان معه في مزودته قارورة زيت ، وقال لصاحب البغل : « لا تبك يا ابني ولا تضطرب ، فان الله سيشفي بغلك بسهولة » ثم أرف قائلاً : « ائتني بالحافر » فأخذه ووضع فيه الزيت والملح الممزوج بالصعتر اللذين كان يستعملها لطعامه ، ووضعه في قدم البغل ورسم عليها اشارة الصليب وقال للرجل : « سر عاجلاً باسم الرب لئلا نتأخر عن رفاقنا » . وهكذا فقد منح العافية للدابة والفرح لصاحبها وعرف بذلك كل الناس الذين كانوا يسيرون معه الى هناك ، ومجدوا الله واقروا بقوة المسيح العظيمة ، اذ بدون أدوية ومركبات تشفى الامراض بوساطة تلاميذه .

الفصل الحادي عشر

دخول الطوباوي مار ايليا الى مدينة موقان وكرازته فيها وعودته الى هذا الدير وختام حياته

لما بلغ القديس مار ايليا بعون الله الى تلك المدينة الوثنية ودخلها رأى ان اسم الله رب العالمين لا ذكر له فيها البتة ولا يعترف به ، بل كل الناس يسجدون للأشجار الخرساء والأحجار الصماء ، والمدينة خالية حتى من المسلمين واليهود الذين يقرون باله خالق السماء والأرض. فشرع يقرب الصلاة بدون انقطاع الى المسيح ربنا لأجلهم ، لكي [يعاملهم] بحسب لطفه المعتاد وطول اناته، ومثلما قرب كل الشعوب الى السجود لالوهيته بوساطة الرسل ، يعطي اولئك الناس أيضاً بوساطته قلباً وروحاً جديدين ، فينبذوا الأصنام والاشباه العديمة النفس التي يسجدون لها ويرجعوا الى معرفة الآب والابن والروح القدس . وغمر الاسى قلب الطوباوي عليهم وشرع يضع نهاراً الصليب الذي معه على رأس عصاه ويطوف في اسواق المدينة وطرقاتها كلها منادياً بصوت عال على مسامع السكان قائلاً : « أيها الناس الضالون عن معرفة الله الحقيقية ، اعلموا ان الله رب الكل ارسلني اليكم ليبعدكم عن الضلال الذي أنتم فيه . فكفاكم انكم عبدتم من ليسوا بطبيعتهم آلهة ، بل أشجاراً تنبتها الارض اكراماً لكم ، وأنتم بجهلكم وبتأثير الشياطين الماردين تقدمون لها السجود الواجب لله ربكم» . وبعد أن يقضي النهار كله يطوف وينادي بكرازة الحياة هذه ، كان يمضي الليل خارج المدينة ، فيضع الصليب [نصب عينيه] ويرتل ويصلي حتى انبلاج الفجر . وفي الصباح ، عندما تفتح الابواب ويخرج الناس . كانوا يرونه جالساً أمام الصليب ، فتأخذهم منه الدهشة والعجب .

وفي الزمان الذي فيه وافاهم مار ايليا ، كانت ذئاب الليل مسلطة عليهم بأمر الهي . حسبما جاء في لعنة ارميا[1] ، وكانت تفترس بضراوة كل من يتأخر خارج السور . فأخذ الناس

(١) ارميا ٦/٥ .

يقولون للطوباوي مشفقين عليه : « بت عندنا داخل السور لئلا تفترسك الذئاب » . بيد انه كان يجيبهم : « ان الله الذي أعبده سيحفظني من الذئاب » وكان ذلك مثار دهشتهم العظيمة . واشتغل طيلة الصيف وجهد وغرس حبات حنطة تعليم الرب الحية في مسامعهم ، ثم سلف وعزق ولم يجن منهم الثمر المنتظر ، بل كانوا تارة يسخرون منه وطوراً يزدرونه . إلا ان [الله] الصالح الرحوم الذي عاين الأتعاب التي يتجشمها في سبيلهم ، ابتلاهم بالطاعون المسمى « شرعوط »(١) ، فضربت أجسادهم بالقروح والورم . ولما رأى [القديس] ان الضعف أدى بهم الى شفا القبر ، طلب منهم ان يسجدوا لالهه لأجل عافية أجسادهم . وإذ ثقلت وطأة الوباء عليهم ، وعدوه قائلين : « اننا سنفعل ذلك بدون عائق ونكون عبيداً للاله الذي يقدر ان يمنحنا الشفاء ، وننبذ كل العبادات ونختار عبادته » . فبارك زيتاً من قارورته وأخذ يرافقه بصلاة واشارة الصليب باسم الاب والابن والروح القدس ويشفي به الجميع . فلما شفوا بنعمة الله من هذا المرض ، وعاينوا القوات والآيات التي يجريها في المرضى والشياطين التي يخرجها من كثيرين ، لانت قلوبهم لسماع تعليمه . فطفق يحدثهم عن الله رب الكل وعن مجيء المسيح الرب الى العالم . فأخذوا يصغون الى كلماته وينجذبون بمحبة الهه .

وقالوا له كلهم بصوت واحد: «ان لنا «يزد» الذي نسجد له وسجد له آباؤنا وأجدادنا، واننا لنخاف من ان يلحق بنا أذى ، ولعله يقضي علينا اذا كفرنا به . فاذا كان هذا الاله الذي بشرتنا به انه الحقيقي وليس آخر سواه ، ونحن نرغب في ان نكون له عبيداً وساجدين، يستطيع ان يبيده ويقتله ، أصبحنا أمامك كالمادة بين يدي الصانع ، ولك الحق ان تعمل بنا كما تشاء » . واشهد امام الله وملائكته اني أنقل هنا دون تحريف ما كان يقصه علي القديس مار ابراهام . فما ان قال اولئك الناس ذلك للطوباوي حتى أجابهم : « أين هو هذا «يزد» ابن الزانية الذي عبدتموه انتم وآباؤكم ؟ » . فذهبوا معه ووقفوا على قمة أكمة وأروه من هناك سنديانة كبيرة في الوادي . وكانت لكبرها ولاهتمامهم بها قد ارتفعت الى علو شاهق واشغلت أغصانها الباسقة الملتفة مساحة واسعة . فطلب [الطوباوي] فأساً فأتوه بها . وشد ظهره ولف أكمام قميصه وأخذ الفأس ببسالة ونزل الى الشجرة ، وهو يستهدف بالأخص

(١) الشرعوط طاعون علامته ثلاث نقط سوداء تظهر في الكف ينتفخ الفم على أثرها ثم يسقط الانسان جثة هامدة [طالع م. ش ٣ ، ١ ص ٤٣٧ عمود ٢ ، ابن العبري ، تاريخ الدول ص ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ١٨٢ ، التاريخ المدني طبعة بيجان ص ٨٠ ، بدج ، كتاب الرؤساء ٢ ص ٥١٠ حاشية ١] .

الشيطان الساكن فيها ، ورفع صوته بشجاعة وثقة وقال : « صوت الرب الذي يزعزع الأشجار ويستأصل الغابات »[1] ، ورفع الفأس وهوى بها على الشجرة وأعاد الكرة ثانية وثالثة ، فانهارت الشجرة ، وجندلها بضرباته الثلاث رغم صلابتها وقدمها . وهوى [بفأسه] كذلك على كل النبتات التي حول الشجرة وقطعها ، إذ كان الضالون يدعونها ابناء يزد . وأومأ الى اولئك القوم ودعاهم بأعلى صوته ان ينحدروا ويقبلو اليه . فنزلوا وجمعوا قصباً وهشيماً وأخشاباً يابسة ووضعوها فوق تلك الشجرة وفروعها وأضرموا النار فيها . وهكذا اضمحل ضلال ذلك الشيطان .

ورفع الجميع صوتهم ومجدوا الاله الذي كان مار ايليا يبشرهم به ، مثل معاصري ايليا النبي[2] الذي استهزأ بالبعل وقتل أحباره عن بكرة أبيهم . فهناك سقط الأحبار ، وهنا هوت الآلهة الكذبة التي استنبطها الشياطين بتمردهم باغواء الدين يخضعون لهم وإملاكهم . وبعد ان أحرق [مار ايليا] نماذج الشياطين هذه ، صعد الجميع الى تلك المدينة فرحين مبتهجين بالنصر المبين الذي أحرزه فاعل المسيح الذي ارسل لارجاع نفوسهم وإحيائها . وشرعوا كلهم يشيدون كنيسة فخمة ، وزينها [القديس] بكل النظم ، وعمد منهم خلقاً كثيراً وأقام منهم كهنة وشمامسة ، وكتب لهم المزامير وعلمهم التراتيل ، فصاروا ينمون بالفضيلة ويكثرون رويداً رويداً . واستقرت ونمت فيهم نعمة المسيح ، وشعروا في قلوبهم انهم حقاً عادوا من الضلال الى نور الحياة . وتبعوا ترتيب أوقات الصلاة وواظبوا على تناول الأسرار المقدسة ، فتقدسوا في أعمالهم وأشرقت عليهم شمس الله الذي دعاهم وقربهم اليه وجعلهم خاصته . فلما ثبتوا في رجائهم وشرعوا يسيرون حسب نظام المسيحيين ، شكر ذلك الطوباوي للرب نعمته ومجده واعترف بجميله ، لأن زرع عمله الحديث ارتفع الى العقد ثم أنتج سنبلاً وأغل حنطة وأولى غبطة .

وبعد سنين عديدة أمضاها عندهم ، فكر القديس في العودة الى هذه البلاد ليسجد في دير آبائه المقدس ثم يرجع ... وقد أنجز رغبته وأقبل الى هنا ، وأخبر اخوته بعودة تلك الشعوب الضالة التي رجعت على يده الى الحياة والخلاص ، وانه شيد لهم كنيسة وعمدهم

---

(١) مزمور ٢٩/٩ .

(٢) ١ ملوك ١٨/١ .

وقدسهم . فاشتركوا في فرحه وادوا الشكر لله على كل ذلك . وأتى عنده الى هذا الدير مار يعقوب اسقف بلاد مركا ، مع مؤمنين محترمين في البلاد ، وطلبوا منه مع كل الجمعية الا يترك هذه المنطقة ويعود الى هناك قبل أن يطوف فيها ويبارك سكانها ، فيشفي فيهم المرضى ويفتقد المصابين . وعينوا له اخوة من هذا الدير ، رجالاً شيوخاً اطهاراً لكي يرافقوه من قرية الى اخرى .
وكتب البار يعقوب الاسقف الى جميع المؤمنين قائلاً : « هوذا قد طلبت الى القديس البار مار ايليا اسقف موقان الفاعل الفاضل النشيط وصانع القوات ، أن يخرج ويطوف في جميع قراكم لتتبركوا من قداسته . فمن له دعوى أو يريد اقتبال رسامة لدرجات الكنيسة المقدسة ، يحق له أن يقدمها للقديس مار ايليا فتحل مشكلته أو يقتبل الرسامة الكنسية » .

وكان الشيخ الطاهر سركيس يقول لي : « اني كنت احد الذين رافقوه من الدير . ولما سمع المؤمنين ، خرجوا كلهم لاستقبالنا من مسافة شاسعة وكانوا يدخلوننا بالصلاة والاكرام الى كنائسهم ، ثم يرافقنا جمع غفير من قرية الى اخرى. وكان [القديس] يشفي كل المرضى والمبتلين ويخرج الشياطين بكلمة من فيه ، فيقصده الوثنيون واليهود لينالوا بركته . وازداد مجد الله بسببه في فم سكان البلاد . لانهم كانوا يرون المرضى يتعافون والصم والخرس يسمعون ويتكلمون » .

ومن كل العجائب والقوات التي صنعها في هذه البلاد ، اكتفي بذكر واحدة أو اثنتين ، ومنهما يفهم القارىء مدى قوة عجائبه والدالة التي كان يتمتع بها لدى المسيح ناصره . وكان سركيس الشيخ الصادق ، الذي طاف بمعيته في كل البلاد ، يقص علي قائلاً : « انه لم يركب حماراً قط في كل تجوالنا في هذه البلاد - وكان هذا دأبه طيلة حياته - لكنه كان يسير سيراً هادئاً على الاقدام وفمه يلهج بالمزامير ابداً . واكراماً لـ « المجد » للأب والابن والروح القدس الذي يتخلل المرميثات(١) ، كان يخر على الارض ساجداً . وما كان يمتنع عن ذلك حتى بين الحجارة والخرنوب والادغال الاخرى . فحيثما صادفه كان يسجد حتى يمس جبينه الارض .

« ولما وصلنا الى قرية « « شحري » رآه الناس فخفوا الى استقباله من هذه القرية . وطلبوا اليه الحاح ان يدخل بيت امرأة عربية كان الشيطان يعذبها فيصلي عليها . فأجاب الى رغبتهم. ولما دخلنا ،أمرني ان اسلم. أما هو فصلى ورسم اشارة الصليب أمام تلك المرأة ، وكان الشيطان قد أوقعها في ضيق شديد واضطراب عظيم ، حتى ان أربع نساء كن يمسكنها جالسات عليها

(١) مرميث في الاصطلاح الكنسي قسم من الصلاة تتألف من مزامير يتراوح عددها بين الواحد والستة .

لئلا يقضي عليها ذلك الشيطان في غمرة الاضطرابات. وبدأ الشيطان يقذف الطوباوي بفم تلك المرأة بشتائم قبيحة واهانات مستنكرة باللغة العربية. أما هو فكان الانجيل معلقاً في عنقه عوض الصليب، كما اسلفنا، فأخرجه من عبه ووضعه على صدر تلك المرأة وهو يستحلف ويناشد الشيطان أن يخرج منها. ولقد تجاسر [الشيطان] كثيراً وعارض القديس الذي كان يأمره بهدوء ان يخرج منها. أخيراً شرع اللعين ينخذل شيئاً فشيئاً وتضعف اجوبته، حتى أجاب وقال للطوباوي باللغة العربية: « واين تأمرني أن أذهب، ايها الاسقف »، فقال له الطوباوي: « باسم الرب لا تتوقف الى أن تذهب الى حران(١). وهناك أيضاً أنت مربوط بكلمة الرب لكي لا ترجع الى هذه المرأة ». وكانت القرية كلها مجتمعة تسمع اقوال القديس وأجوبة ذلك الشيطان، وبدأ يخرج منها وصرخ باللغة العربية: « هوذا نذهب الى حران، هوذا نذهب الى حران » مرات عديدة و « الطريق من قدامنا، هوذا نذهب الى حران ». وسمعنا صوته وهـــو يصيح في الهواء وينطلق في اتجاه المغرب الى مسافة بعيدة، وأخذ صوته يخفت شيئاً فشيئاً ويبتعد عن مسامعنا. فحل خوف ورجفة على كل الحاضرين وطفقوا يمجدون المسيح ويعظمون عبـــده الطوباوي مار ايليا. واستعادت تلك المرأة صحة تامة واعترفت بقوة المسيح، وبعد ان تحررت من هجمات الشيطان أخذت تحيا حياة شكر للمسيح ربنا وهي تعلن ان لا ايمان ولا حقيقة إلا في الشعب المسيحي المقـــدس.

وامرأة اخرى أودعت رفيقتها أمانة ثمينة. وحينما طالبتها بها، أنكرت ان تكون قد أودعت شيئاً عندها. فأتت تلك المظلومة الى الطوباوي، فاستدعى تلك المرأة وقال لها: « ها ان الوديعة التي أعطتها لك رفيقتك موضوعة في بيتك في المكان الفلاني، فهبيها لها ولا تظلميها لئلا يحل غضب الرب عليك»... فلما رأت تلك المرأة ان أمرها قد اشتهر، أرجعت حالاً للأخرى ما لها لئلا تفضح بأمور اخرى. وقد أجرى القديس [عجائب] كثيرة لم أكتبها، لأني لا آخذ إلا نبذة من مآثر هؤلاء القديسين وأجتاز.

وبعد ان طاف مار [ايليا] في كل هذه البلاد التي تباركت بخطواته المقدسة. وحـــل المشاكل، ورسم كهنة وشمامسة، دخل هذا الدير. وحينما رأى الله رب الكل الضيقات التي

(١) حران مدينة قديمة مقرونة بذكر ابراهيم ابي المؤمنين تقع على مسافة ٤٥ كم جنوبي شرقي الرها [اورفه الحالية]. وكانت حران قد اشتهرت بالخرافات والسحر وعبادة الأبالسة، وظل فيها بعض هذه العادات حتى بعد تنصرها.

وساها والأتعاب التي تجشمها ، حتى أثقلت السنون كاهله ، لم يشأ ان يموت في الغربة بعيداً عن بيت آبائه ، مثل موسى الطوباوي الذي دفنه في جبل نابو[1] لئلا يتعذب في محاربة الكنعانيين ومنازلة الملوك المتمردين ، بل أراد ان يريح هذا الطوباوي ايضاً من الحياة المملوءة أتعاباً . فمرض مرضاً طفيفاً ، وانتقل من الحياة الزمنية الى نعيم الحياة الأبدية . وقد قال أبونا القديس مار ابراهام الجاثليق : « لما اجتمع عدد منا حوله في ساعة موته ، جلس وشرع يكلمنا عن افتراقه عنا ، ثم أمرنا ان نقول ترتيلة العماد التي مطلعها : « ابواب الخدر الروحي تفتح لمغفرة البشر ... » . وبينما كان جالساً ويداه موضوعتان على ركبتيه ، وصلنا في الترتيلة الى « ادخلوا اذاً ايها المدعوون الى الفرح الذي أعد لكم » ، ففتح فمه ثلاث مرات وبارحت نفسه جسده قاصدة الفرح المعد لها . وفهمنا اذ ذاك ، وقد استحوذ العجب علينا ، انه نظر فرأى بعين فكره الخفية الراحة المهيأة له ، فطلب منا ان نقول ترتيلة العماد التي تصور الراحة والنعيم المحفوظين للمعتمدين ، اولئك الأبكار الأبرار الذين تكتب أسماؤهم في السماء . فقام جمع بنيه واخوته بموارانه التراب باكرام واجلال ، ووضع مع بقية الأساقفة والمطرافوليطين السابقين في بيت شهداء هذا الدير . وقد أعد له النعيم في السماء بصحبة بني مسلكه وزيه ، اولئك الأبرار الذين اقتفى آثارهم وانتصر بالسير على نهجهم . المجد للمسيح ناصره ، وليشفق علينا نحن الخطأة بصلواته في هذا العالم ، وليشركنا في نعيمه في العالم العتيد . آمين .

الفصل الثاني عشر

قصة الطوباوي مار نرساي اسقف مدينة السن[2]

يقول القديس يعقوب في رسالته الجامعة : « ان كل موهبة روحية تنزل من فوق ، من

(۱) تثنية الاشتراع ٣٢/٤٨ - ٥٠ .

(۲) السن ، وتسمى ايضاً قرديلاباد ، مدينة واقعة شرقي دجلة بعد مصب الزاب الصغير فيه ازاء جبل مكحول [طالع كتاب الرؤساء ، جزء ٢ فصل ١١ حاشية ٣ ص ٧٥] .

من أبي الأنوار »(١) . والنور الذي يضيء في هيكلنا المقدسة يحمل علامة المعرفة الروحية حسب رأي اواغريس الفيلسوف الروحي . ويقول نبي الروح داؤد مخاطباً الله : « ان كلمتك سراج لرجلي ونور لسبلي»(٢) . وقد حكم سيد الأنبياء والرسل انه هو نور العالم ، والذي يؤمن به ، كما قالت الكتب ، تجري من بطنه انهار مياه الحياة(٣) . وجلي ان كل القديسين الذين كتبوا تعليم الارثوذكسية الصحيح ، سواء كان بالقصص او بالتعاليم او بالصلاة او بالارشاد ، ارتووا من فيض حلاوة الانجيل الذي هو نسمة الحياة لتحلية مرارتهم ، فملأوا الكنيسة نوراً روحياً من أشعة فهمهم المجيدة ، وأناروا بنيها وجعلوهم حكماء وفهماء لكي يسيروا في الطرق التي تودي بهم الى أعلى ذروة حيث يجلس المسيح عن يمين [الأب] ويطلب لأجلهم . واذا كانوا الآن لا يحققون هذا الارتقاء فعلياً ، فانهم يحققونه بالأسرار والنماذج(٤). كذلك انا الرازح تحت وطأة الأهواء ، اضطررت تلبية لرغبة كثيرين الى ان أكتب ايضاً قصة الطوباوي والقديس مار نرساي اسقف مدينة قرديلاباد التي هي السن في مقاطعة بيث رمان ، وان ألحقها بقصص القديسين زملائه ، ولأني خال من كل المزايا الصالحة أطلب الى أبي الأنوار ، حسب كلمة ديونيسيوس العلامة القديس ، موهبة وقوة لسياق الكلام والولوج الى مآتي القديس الذي سأتحدث عن أمجاده . وأتضرع اليه ، كما منح الآخرين موهبة للاشادة بمدح قديسيه وتمجيدهم ، أن يمنحني انا الخاطىء ايضاً موهبة لكي أصف، ولو جزئياً ، شيئاً من بواهر خادمه الطوباوي مار نرساي . واني أغرض هذه القصص امام القراء ، كما أطلعني عليها المرجوم اوسطاثيس اركذياكون القديس مار ابراهام الجاثليق في العاصمة . وقد التقط هذه الأمجاد بتحريض بورزاد أبيه رئيس كنيسة السن ، وذلك بعد وفاة القديس مار نرساي الصفي ، ثم ارسل [هذه المعلومات] الى ربان حبيب معلم دير مار كبريل(٥)

(١) يعقوب ١٧/١ .

(٢) مزمور ١٠٥/١١٨ .

(٣) يوحنا ٣٨/٧ .

(٤) علق الأب بولس بيجان على هذه العبارة بقوله : « اننا نقر بأن نفوس القديسين ترتقي منذ الآن الى السماء وتكون مع المسيح فعلياً وليس بالنماذج» [انظر كتاب الرؤساء طبعة الأب بولس بيجان ص ٣٠٥ حاشية ١] .

(٥) دير مار كبريل هو المسمى بالدير الأعلى في الموصل ، واننا نجهل من الذي أسسه ، كما ان ايشوعدناح أيضاً يجهل ذلك . إلا أن ناسخاً أدخل جملة طارئة في ترجمة الطوباوي مار كبريل الكشكري [انظر كتاب العفة عدد ١٢٢] ينسب اليه تأسيس هذا الدير كدير رابع مما أسسه ، بينما يعلن النص الأصلي انه لم يؤسس إلا ثلاثة

لكي ينسقها ويوليها طابعاً قصصياً . بيد ان ربان حبيب ترك نوع التراكيب التي تقتضيها القصة ووضعها منظومة على البحر الرباعي ، ولا يتيسر فيها الاطلاع على المبرات والجلائل . فان هذا النـــوع يستعمل للتراتيل وللنصائح المرتلة بألحان مستعذبة ولكنه لا يلائم القصة . ويقول [اوسطاثيس] : «اننا حينما رأيناها رذلناها ولم نرغب فيها . فاندثرت الكراريس مع الزمان، ولم نضمنها بكتاب لأنها لم تكن لتناسب الذوق السليم » . اما أنا فقد وقفت على امور رواها لي اوسطـائيس والرهبـان الذين كانوا في دير الانبا شمعون(1) المقدس في السن نفسها ، وبالاخص استقيتها من الرهبان المسنين الذين عشت بصحبتهم في دير بيث عابي المقدس ، ومن بعض اصحاب القوارب في دجلة وصيادي الاسماك الذين صادفتهم ، ودونتها نزولاً عند رغبة الأشخاص الذين أمروني بذلك. واني اذ اطلب صلوات الرواة والآمرين والقراء والسامعين ، ادخل جنة رياحين القديس مار نرساي ، واكتب مواضيع قصـــيرة تخليداً لذكرى قداسته ، وذلك بايجاز ، كما فعلت لزملائه .

ديورة يعددها بأسمائها . أما بعد طيمثاوس الأول الكبير ، فقد أصبح الدير يعرف باسم مار كبريل ومـار ابراهام ، لانتقال مار ابراهام بردشنداد استاذ طيمثاوس في باشوش الى مدرسة هذا الدير التي اشتهرت حينئذ بلقب «أم الفضائل» وكان لها أساتذة اشتهروا في الكنيسة الشرقية . وقد أطنب الجغرافيون العرب في وصف هذا الدير المسمى بالدير الأعلى لأنه مشيد في أعلى جبل مطل على نهر دجلة وكان يضرب به المثل في رقة الهـواء وحسن المستشرف و « له درجة منقورة في الجبل تفضى الى دجلة نحو المائة مرقاة وعليها يستقى الماء من دجلة » [طالع مسالك الأبصار للعمري ١ ص ٣٤٠ ـ ٣٤١] . ويقول ياقوت الحموي انه «لم يكن للنصارى دير مثله لما فيه من أناجيلهم ومتعبداتهم » [طالع معجم البلدان ٢ ص ٤٩٨] . ويقول الشابشتي ان « من اجتاز بالموصل من الولاة نزله ، وان تحت الدير عين كبيرة تصب الى دجلة ولها وقت من السنة يقصدها الناس فيستحمون فيها ، ويذكرون انها تبرىء من الجرب والحكة وتنفـــع المقعدين والزمنى [طالع الديارات ص٧٥ ومعجم البلدان ٢ ص ٤٩٨ ـ ٤٩٩ ، والديارات أيضاً ص١١٢-١١٥ ، ٢٣٧ ، ومسالك الأبصار ١ ص٢٩٣ ـ ٢٩٤ ، منية الادباء لياســين العمري ص ١٤٦ ، حبيب زيات ، الديارات النصرانية في الاسلام ، بيروت سنة ١٩٣٨ ص ٩ و ١٦ ٣٠ و ١٠٠] . أما الآن فتعرف بقايا هذا الدير بكنيسة الطاهرة للكلدان .

(1) دير الانبا شمعون ـــ لقد رأينا سابقاً [راجع كتاب الرؤساء جزء ١ فصل ٢٨ حاشية ٣] ان الأنبا شمعون توفي ودفن في دير صليبا على نهر صرصر . أما دير الأنبا شمعون فكان أولاً مشيداً على المغارة التي سكنها الأنبا وهي على شاطىء دجلة الغربي ازاء مدينة السن . وفيما بعد ، حينما ازدادت الاضطرابات ، انتقـل الدير الى الضفة الشرقية ، وسمي أيضاً بدير شمعون . وقد يقصد المرجي هنا هذا الدير الثالث الجـديد [طالع آثور المسيحية للأب حنا فيي ١ ص ١١٠ حاشية ١] .

الفصل الثالث عشر

أصل الطوباوي مار نرساي وقدومه الى هذا الدير

ان في بلاد بيث بغاش قرية شهيرة تدعى « زاران »(١) ، وكان ساكنوها كلهم جبابرة اشداء ، ولم يكونوا يلاحقون اللصوص فحسب ، بل كانوا أيضاً يعصون ويتمردون على حكام المملكة الذين يقدمون اليهم لقبض الاتاوة القيصرية ، فكانوا يطردون كثيرين منهم دون وجل بعد أن يشبعوهم ضرباً . ففي هذه القرية ، ولد الطوباوي الذي اروي مآثره ، من أبوين مؤمنين وغنيين في العالم . وكان له أخ اسمه شلمان واخت . وكانت افعال الاخوين متميزة على غرار افعال يعقوب وعيسو ؛ فكان شلمان متقلداً السيف يسفك الدماء ، ليس دم الصالحين ، بل الاشرار . ولأن الاكراد شرعوا في ذلك الزمان بأعمال تخريبية وبالسلب والنهب ، شهر شلمان عليهم السلاح وجمع له فرقة وأخذ يعمل السيف في رقاب كثيرين منهم . ويقال انه لم يكن الطعام لهنأ له ما لم يتوسد كل يوم جمجمة احد الاشرار الذين بطش بهم هو نفسه . وبينما كان هو مثل عيسو رجل الصيد والبراري ، فضل اخوه القديس نرساي ان يحيا عيشة عجيبة في سيرته واعماله ، اذ صور وطبع في نفسه كالختم في النقود ، ما تجلى به الطوباوي مار يعقوب من الوداعة واللطف والطاعة الحميدة لآبائه . أما اختهما فقد تزوجت بالكريم شهادوست من « اوري بيث كوزا (٢) » ، الواقعة في مقاطعة داسن وانجبت له الشريف نعمان العظيم المعروف الغني الذي فاز بمناصب عديدة وبالسلطة على البلدان من زريق وآبائه (٣) حكام الموصل والشمال كله ، والذي وزع هدايا كبيرة على الكنيسة وبنيها ومدبريها في عهد حكمه .

(١) زاران هي قرية زارني الحالية في منطقة « بني مايي » الواقعة في جيلو الصغيرة على مسافة نحو ٧٠كم في الشمال الشرقي من العمادية .

(٢) « اوري بيث كوزا » تقع في برواري بالا على مسافة ٢٥كم شمالي غربي العمادية .

(٣) يذكر « بدج » ان زريق بن علي بن صدقة الازدي الموصلي حكم على مقاطعة الجبال بين الموصل وأذربيجان في عهد الخليفة الرشيد أي في نحو سنة ١٨٣ هجرية الموافقة لسنة ٨٠٠م الى سنة ٢١٢ هـ أي ٨٢٧م [انظر بدج كتاب الرؤساء ٢ ص ٥٢٥ حاشية ٤] .

أما مار نرساي العظيم فقد تبحر في الكتب المقدسة في كنيسة قريتهم وذلك بهمة والديه واجتهادهما. ولما صار شاباً - وفي هذا العمر يسير كل امرىء حسب ما طبع عليه، الى اليمين او الى اليسار، ويظهر التعقل او الطيش في اعماله - اختار ان يتبع طريق الطهر، فترك بيت والديه وكل غناهما، واحتقر حب الاخوة والأقارب، وأتى الى دير بيث عابي المقدس ودخل الابتداء، كما تفرض قوانين الآباء.

وحدث له حادث كان لفائدته ولطهارة جسده. فبينما كان مع المبتدئين رفاقه يسقط الزيتون في بستان الدير الكبير، وقع من الشجرة التي كان متسلقاً عليها بين أغصان الأشجار ورضت خصيتاه وانتابه مرض شديد أوجب بترهما وصار خصياً(١). وقد ورد في هذا الصدد في كتابات الآباء عن الذين يقطعون أعضاءهم، انه اذا قطعت من جراء مرض او من قبل اناس برابرة، لا يرذلهم القانون، بل يسمح لهم باقتبال درجة الكهنوت وبممارستها. وقد عاد هذا الحادث بالنفع على بتوليته. فان الحكيم يقول: «الويل للرجل الذي يتدنس في مضجعه»(٢). ويقول الطوباوي اواغريس منبهاً: «عند هيجان الشهوة فيك. امتنع عن الذهاب الى حبيبك، اذا طلب منك ذلك». ويوصي ان نتجنب النظر الى هذه الأعضاء، لأن من منظرها تستيقظ فينا نار الشهوة المتأصلة فينا، وقد لا نقوى أمام شدة الهوى. فحرره المسيح بهذا المرض الذي داهمه من لمس هذه الأعضاء الذي يلحق خسارة بالطهارة. ولعل العناية الالهية سبقت ونظرت الى مقاصدها، حتى اذا ما عين راعياً لمدينة رعيته، يكون هادئاً ازاء منظر جمال العالم والخسران الذي يسببه للانسان.

ولما أنهى الابتداء بنى له صومعة صغيرة بعيدة عن الدير، وهي قائمة معروفة الى اليوم، وفيها شجرة الزيتون التي غرسها القديس نفسه، وتقع شرقي الدير تحت القمة. ولما سكن فيها جعلها مبكى لنفسه، وأقام مختفياً فيها عاكفاً على التواضع والحزن، متخذاً اياها بمثابة القبر وكان يتجنب حتى عشرة الذين كانوا يريدون الاستفادة منه لتلقي الدروس والألحان. وكان جار القديس مار قرياقوس الذي كتبت قصته قبل قليل، فكان يأتي عنده، لانهما كانا معاً في الابتداء وقرنين في العمر. فكانا ابني محبة واحدة ومزمعين ان يرثا ملكوتاً واحداً. وكانا ابني

(١) متى ١٢/١٩ .

(٢) إشارة الى سفر يشوع بن سيراخ ٢٥/٢٣ .

دير واحد كما انهما سيصبحان من الرؤساء في الأديار السماوية . وكان اتفاقهما واحداً لأنهما كانا تحت رئاسة واحدة ، وتعليمها واحـــداً ، لأنهما استقيا الحكمة من أعظم الملافنة . وكانا تحت نير واحد لانهما اشتغلا في حقل روحي واحد ، فكانا ذراعين قويين لجسد واحد ، وعينين نيرتين لجسم واحد ، وكلاهما اقيما راعيين للمدن الواقعة على نهر واحد كبير هو نهر دجلة . ذلك لبلد وهذا للسن .

وكان الطوباوي نرساي قد عكف على الخلوة حتى انه لم يكن يظهر خارج كوخه البتة . وكان أغلب الأيام ، حسبما سمعت من الكلام المتناقل ، لا يخرج حتى الى الفناء. أما الفائدة التي يجنيها الانسان من هـــذه الخلوة والعذوبة التي يتذوقها منها فلا يختبرها او يحظى بها إلا الذين ذاقوها فاغرموا بجمال المنظر الناتج عنها . فان الانبا اشعيا الطوباوي يقول : « ان سكون الجسد يقود الى سكون العقل ، وبسكون العقل وحفظ الجسد الذي يبلغه المرء بالصلاة والقراءة وبقية اعمال الرهبان تكتسب النفس اتحاداً مع المسيح ، فتكون معه روحاً واحدة » . فطوبى لمن فيه ينهي حياته ، اذ انه يدخل السماء مكللاً بأكاليل النور كما قيل . فان السكون لم يعظم ويمجد قديسي العهد الجديد وصديقي العهد القديم فحسب حتى صاروا آلهة بين البشر ، بل اكتسب به الفلاسفة الوثنيون ايضاً قبل مجيء الرب وظهور عمله الخلاصي غنى المعارف السامية وأغنوا الآخرين .

ان فيثاغوراس كبير الفلاسفة ، عندما اختبر ان لا فلسفة بدون هدوء الجسد بالاخلاد الى العزلة وسكوت اللسان عن الكلام، أمر كل الذين يتبعون مدرسته ان يحفظوا السكوت خمس سنين فكان يتيسر لهم الولوج الى الحكمة في تلك المدرسة من السمع والنظر فقط . وعاش هوميروس الحكيم في القفر مدة سنين طويلة وهو يطلق العنان لعقله ليجمع المعارف ، فأدرك بالمهارة التي اقتبسها من الهدوء والسكوت ان يحول بواسطة العقاقير والنار والكور الرصاص الى الفضة ، والنحاس الى الذهب ، ويعمل على تحضير الأحجار الكريمة باستعمال العقاقير من أشياء بسيطة وتحضير أشياء اخرى من مواد مختلفة . وقيل عن أفلاطون الذي فاق الكل بالفلسفة واكتسب اسماً مجيداً بين الاثينيين ، انه شاد له كوخاً في البرية الداخلية بعيداً عن الناس وعشرتهم ، وأخذ وصية الطوباوي موسى وتأمل في قوله هذا : « إسمع يااسرائيل ان الرب الهك رب واحد »(١)

(١) تثنية الاشتراع ٦/ ٤٠ .

مدة ثلاث سنين ، الى ان رأى الله رب الكل تعبه وجهده ، فحلت عليه مراحمه وجعله ان يكتب ان اله اليهود وحيد في الطبيعة ومثلث في الاقانيم . وتأليفه هذا في مساواة الطبيعة ووحدانيتها وفي ثالوث الاقانيم وخواصهم موجود بين كتب الكنيسة (هكذا !) . وقد كتب عنه ايضاً انه مرة فكر في نظرية من نظريات الخلائق وأجهد فكره وسما في تفكيره واستحوذ عليه تعب عظيم وضيق شديد . ولما بلغ مرامه وتعلم سير نظريته وتحقق من الداخل انه أدرك منها الحقيقة ، غمرته فرحة دامت ثلاثة ايام بلياليها وقد خيم عليه سكون لم يبد فيه حراكاً . وهيبوقراطس الفيلسوف وكبير الاطباء ومعلم أساتذة الطب ، مع كل الحكمة التي اكتسبها من السكوت والصمت ، غاص فكره في خضم من تضارب الآراء حتى أدرك كيف يتغذى الجنين في أحشاء امه .

فاذا كان الله رب الكل يمنح الوثنيين الخارجين والبعيدين عن المعرفة الروحية الحكمة التي طلبوها ، سواء كان ذلك لكي يفرحهم في ضيقهم أو لكي يستفيد منهم الآخرون ، وذلك بنتيجة التعب الذي يتكبدونه في السكون العميق والصمت والابتعاد عن الناس ، فكم بالأحرى يعطي القديسين الذين يحفظون وصاياه ويكملون ارادته بالجوع والعطش والألم والدموع والصلاة ليل نهار ، ليس حكمة العالم التي لم يطلبوها ، بل الملكوت الذي من اجله يتألمون ، وهو ينعمهم به منذ الآن عربوناً لذلك .

وقد جنى مار نرساي القديس موهبة من ثمار السكوت ، موهبة يحبها كل الآباء ألا وهي سكب الدموع الدائم الغير المنقطع ابداً . وكان شيخ من هذا الدير اسمه تومانا ، وقد ذكرته في قصة ربان قرياقوس ، يقول لي : « حينما كان الطوباوي نرساي يأتي الى الدير ، كان يستتر بكساء قبعته ، لئلا يظهر سيل دموعه » . وكان مؤمنو السن ايضاً يتكلمون عنه بهذا الصدد . ولما سأل احد الاخوة شيخاً وقال له : « يا أبت ، كيف تشتاق نفسي الى الدموع ولا تعطى لي ؟ » أجابه الشيخ قائلاً : « يا بني ان الدموع ارض الميعاد ، فطالما ليس للمرء هذه الدموع ، فهو يسير مع بني اسرائيل في البرية . وحينما يبلغ موهبة الدموع ، حينئذ يكون قد دخل ارض الميعاد » .

ولأن هذه الموهبة العظيمة بحاجة كبيرة الى التواضع كدرع لها ، لان كل احد ليس كفءاً لها ، فقد درب نفسه على احتقار ذاته ورذل كل شيء لئلا يسرق منه هذا الثراء

وهذه الموهبة العظيمة ، وارعى سمعه الى المشورة التي يلقيها عليه الطوباوي أواغريس قائلاً : « وان كان لك ينبوع دموع في صلاتك ، فلا ترتفع في نفسك أبداً ظاناً انك اكبر من كثيرين . فانك قد نلت عوناً من الصلاة به قدرت باهتمام ان تقر بذنوبك وان تسترضي يدك بدموعك . فلا تمزجه بهوى الكبرياء التي تفسد الاهــــواء . فلعلك تغضب أكثر ذلك الذي منحك النعمة ، فان كثيرين قد بكوا على خطـاياهم ، ولانهم نسوا غاية الدموع . حادوا عن جادة الصواب » . ويقول الطوباوي مرقس الناسك : « ان كان لك دمـــوع في صلاتك ، لا تتشامخ ، فقد اقترب المسيح من عينيك ورأيت النور بنوع خفي » . لأنه بمقدار ما ترتفع النفس الى علو الفضائل ، بمقدار ذلك ينازلها خصوم اشداء ، حسب قول القديس أواغريس . فقد زين [نرساي] نفسه بالتواضع العميق واليقظة الفطنة على كل ما حواليه، اذ لعله حينما ينتصر في محاربة الزنى - وقد انتصر عليها من جراء الحادث الذي طرأ عليه - يسبيه الشرير بشدة الغضب ، أو حينما يتغلب على هذا ايضاً يسقط في هوة الحسد والبغضاء ، أو حينما يتحرر من هذه أيضاً يتدهور في الجشع والمجد الباطل . فان حفظ الفضائل اصعب من ممارستها . وكما قال أحـــد القديسين : « اذا وضعت جميع جهود الفضيلة في كفة واحـدة والحفظ في الكفة الاخرى . فسترجح كفة الحفظ». فلأجل سمو سيرته وطهارة قلبه وتوغله في محبة سيده ، قدس المسيح هذا الرجل ليصبح له منزلاً طاهراً وهكذا يعمل الرب الجواد الذي لا يؤجل أجر الذين يعملون في كرم بشارته . فانه اذا ما وجد مكاناً طاهراً يقدسه لسكنى ارادته ويكلله باكليل مجيد باظهار العجائب على يده . وحينما ترى حكمته السميا ان بآبيء الانسان الباطني لا تعشى أمام جلال ضياء اشعته ، يجعله مذبحاً لظهوراته ، ويشغل العقلَ في قدس أقداس القلب بتهاليل خفية مماثلة لتقاديس الملائكة . فلما كانهذا القديس - الذي اليه يتطرق كلامنا الوضيع - ينعم بمثل هذه الامور وينتصر مـــدة سنين عديدة، بلغ الأوان لكي ينال ثمرة الخمس الوزنات[1] ويوزع كالعبد الحكيم كنوز سيده لبني بيته .

(١) متى ٢٥/١٥ .

الفصل الرابع عشر

انتخاب مار نرساي القديس لاسقفية قرديلاباد وهي السن

ان روح الأنبياء تطاوعهم والرؤى الالهية تنتظر التحقيق الى ان يبلغ أوانها ، فيكشفها الروح القدس ويعلنها . وقد بلغ موعد تحقيق الرؤيا السماوية التي رآها قبل سنين مار قرياقوس اسقف بلد ، كما جاء الكلام عنها سابقاً ، عن انتخاب القديس مار نرساي وكثيرين آخرين ، وحان الأوان ليقام في الرئاسة الكنسية . فقد كشف الله بوساطة الطوباوي الانبا شوحالماران الراهب ورئيس دير السن الذي سنتكلم عن اغتياله في سياق هـذه القصة ، فأخبر اولئك المؤمنين ان روح الرب قد ميز القديس نرساي الراهب من بيث عابي ليكون راعياً ومدبراً لكنيستهم ، وحرضهم المسيح بوساطته ان يذهبوا دون تأخير في طلبه . فنزلوا عند البار مار طيمثاوس وطلبوا اليه ان يقيم عليهم اسقفاً الربان نرساي الراهب والناسك . فكتب لهم رسالة قانونية لكي لا يمانع امام الاختيار الالهي . ولما قرأها الطوباوي ورأى أن قـد سدت امامه منافذ الرفض الى ان يمثل امام الكرسي البطريركي ، سافر معهم راضخاً للمشيئة الالهية . ونال الرسامة بوضع يد البطريرك وصلوات رؤساء الكهنة واحصي ، مثل متيا[1] ، في عداد أحبار الكنيسة . ويجدر بنا ان نذكر في هذا الصدد الكلام الالهي الذي ورد في النبي القديس زكريا ناطقاً باسم الرب : « خذ من أهل الجلاء من حلداي ومن طوبيا ومن يدعيا ... وادخل بيت يوشيا بن صفنيا [الذين أتوا من بابل][2] وخذ فضة وذهباً واصنع تيجاناً واجعلها على رأس يشوع بن يوصاداق الكاهن العظيم » .

حينما دخل مدينته استقبل بالحفاوة والاكرام اللائق بسيادته ، واكتسبت مدينة السن

(١) أعمال الرسل ١/٢٣ .

(٢) جملة شارحة لم ترد في نص الكتاب المقدس [انظر سفر زكريا ٦/١٠ - ١١] .

فخراً بين المدن الاخرى ، فتم لهم ما جاء في انشودة الطوباوي داود : « ان الرب عظم الصنيع مع هؤلاء » ؛ وكأني بهم يجيبون قائلين : « لقد عظم الرب الصنيع معنا وغمرتنا البهجة ، وأعاد الرب خيراته علينامع نعمه مثل السيول في الجنوب(١) . اما القديس نرساي فكان كالحارس اليقظ على القطيع الذي عهد اليه يتلفت الى كل الجهات ويسهر على أغنام رعيته لئلا يصدر شيء مخالف للواجب عن المؤمنين أبناء رعيته . وكان بمثابة سور لذلك القطيع، ومثل ربان روحي كان ماسكاً مجاذيف تلك السفينة الروحية يقودها وسط أمواج هذا العالم واهواله ويجتاز بها الى المنازل السماوية . وكما يعمل البستاني الحكيم لجنته ، كان قديسنا ينقي ويطهر العروق المضرة والاصول المرة ، وينمي الأشجار المثمرة والنباتات الحلوة ويربيها ويحافظ على أثمارها لئلا يلحقها أذى من مكائد الشيطان عدوها ، الذي لا هم له سوى ان يزرع بين الحنطة المختارة وبلاً من الزؤان . وكمن يعطي عنهم الجواب حقاً ويطالب بحسابهم وخسارتهم ، كان يقلب ويفحص ويرى اعمال أبناء رعيته كلها دون أي إهمال . ولما كان عاكفاً على ذلك ومهتماً ومشتغلاً ومفكراً في كل فرائضها ، أمده الروح القدس بموهبة اخرى هي قوة الشفاء . فشرع يشفي دون عائق كل وجع يتتاب الجسد ببركة من يمينه المقدسة . ونال ايضاً روح الرؤى ومعرفة الامور البعيدة . ومثل الأنبياء والرسل في عهدهم اشتهر القديس في هذه الأزمنة التي فيها العدل والبرارة هرباً من العالم والرأفة والأعمال الصالحة رحلت وولت ، فجدد موهبة العجائب التي كانت قد زالت من العالم في ذلك العهد ، حتى أخذ المسيحيون يعظمون اسم المسيح ، وأعاد الى الحياة الرهبانية كرامتها ، اذ منها نبتت قداسته . وظلت مدينته حتى ختام حياته دون اضرار ، خفية كانت أم ظاهرة .

---

(١) مزمور ١٢٥/٣ ـ ٤ . وجدير بالملاحظة ان المرجي ينقل نصوص الكتاب المقدس حسب النقل «البسيط» .

الفصل الخامس عشر

التأمل الروحي والنعيم الفكري الذي يجده المرء في انواع التأمل الثلاثة : أي التأمل في الامور المادية وغير المادية وفي الثالوث الأقدس ، وكان يمارسها القديس مار نرساي ويتأمل فيها .

جاء في كتابات بعض الآباء ان في القلب مرآة عقلية مجيدة ، ركبها مبدع الكون من طبائع الخليقة كلها المنظورة والمعروفة ، إكراماً لصورته وكشفاً لعدم رؤيته . وجعلها رباطاً وكمالاً لكل الطبائع ، ويدعوها الآباء جمال شخصنا ، ويدعوها القديس بولس موضع الحب ، ويسميها الملافنة دار السلام والحكماء منزل الصلاح وآخرون محط الأفراح . وفيها تسكن روح ذخيرة البنين التي اقتبلناها بالعماد المقدس وعليها يشرق نور النعمة . فمن نقى هذه المرآة الجميلة من دنس الأهواء والخطيئة ، وجددها وثبتها في برارة طبيعتها الاولى ، يرى على ضوء أشعتها المجيدة كل الروحيين الملحقين بطبائع الخليقة وشؤونها ، البعيدين منهم والقريبين . ويتفرس فيهم بدون حجاب بقوة الروح القدس الخفية ، وكأنهم ماثلون امام عينيه ، وحينما يظهر تأثير هذه القوة على أنفس الصديقين ، فذلك دليل على ان الروح حال ومستقر فيها .

والقديس الذي يدور بحثنا عنه قد استحق هذه موهبة الروح القدس وهذا العطاء الذي يولي الغبطة ويكسب الحياة والنعيم الأبدي ، وذلك حسبما بلغني عنه ممن شهدوا أمجاده . فكان في دير القديس الانبا شمعون في مدينة الـن شيخ اسمه ماري يكلمني عن القديس قائلاً: « ان هذا الطوباوي لاستغراقه في التأمل كان ينخطف عقله الى الله دائماً ، حتى انه لم يكن باستطاعته ان يمتنع عن هذا التأمل المقدس ، وكل هذا يعيقه غالباً عن الحضور في خدمة الأسرار المقدسة أيام الآحاد . وكان المؤمنون ينسبون ذلك الى عمق الشيخوخة . ومرة حينما كان مختار الله ربان شوحالماران رئيس ديرنا بصحبته في البيم للقيام بصلاة الأحد ، ورآه مستغرقاً

في هذا التأمل ودام فيه خارج الاحساس والتأثير البشري ، اضطر الى لكزه ليقوم بالأعمال التي تتطلبها الصلاة ، من الجلوس وقت القراءات والشروع بالشورايات ، وكان يراه مغمض العينين ولم يكن ليعرف أين هو . ولما صعد معه الى الصومعة، خر على ركبتيه وهو يقسم ويقول : « اني لا أقوم أو تطلعني على الرؤيا التي ظهرت لك في الكنيسة » ، وحينذاك طلب منه [نرساي] أن يخفي ذلك الى وفاته .

فأجاب القديس وقال لرئيس الدير : « اني كلما أكون في الكنيسة وقت الأسرار ، فمن رؤية ما يجري فيها ، يرتفع عقلي من الكنيسة وجمعها الى ما يجري في السماء ، واذا بالأمور التي تجري أمام عيني تشرح بامور خفية عن الناس . فالكنيسة تصور امامي وكأنها اورشليم الأرضية[1] ، والبيم الذي فيها يمثل صهيون ، والمذبح [يشير] الى تابوت العهد القديم والصليب الذي فوقه والانجيل يمثلان العهد الجديد وكرسي المسيح في زمان حياته ههنا وتكامل الوصيتين ، وجمع الكهنة الماثلين فيها يرمز الى زمرة الرسل ، والزقاق الذي يوصل البيم بالقنكي هو الطريق الضيق الذي يصعد الى السماء والمدارج الثلاثة أمام القنكي تشير الى السماء الثالثة حيث ارتفع الطوباوي بولس ، والقسطروم[2] هو المجال من هناك الى الرقيع ، والدرابزون الذي على باب القنكي والستر الذي يعلوه هو رمز للرقيع ، والقنكي نفسه هو المكان الذي فوق السماء ، والناووس هو سماء السماء والمسكن الالهي . اما الستر الذي عليه فهو يشير الى ان الالوهية خفية عن الملائكة انفسهم ، والمذبح عرش الالوهية ، والكهنة هم الملائكة المنقسمون الى الكنائس العليا الثلاث بطغماتهم التسع: فالكاروبيم والسرافيم والكراسي هم الكنيسة الاولى وهي تشير الى البطاركة والمطرافوليطين والاساقفة، والكنيسة الثانية أي القوات والسادات والسلاطين هم الكهنة والشمامسة والرهبان ، أما الكنيسة الثالثة أي الرؤساء ورؤساء الملائكة والملائكة فهم الرسائليون والقارئون والمؤمنون ، والأضواء التي في القنكي هي بمثابة الاشعة الالهية والمعرفة السميا التي فيها تتلألأ وتستنير طغمات الروحانيين كلها . أما المبخرة التي يطوف بها الكهنة بين الصفوف من الأولين الى المتوسطين ومنهم الى الأخيرين فتشير الى تلقي الامور العتيدة والضرورية الخاصة بالعناية الالهية، والتي يقتبلها الملائكة بالمعرفة التي يتلقاها

(١) انظر مخطط الكنيسة السريانية الشرقية القديمة ص ٢٤٣ .

(٢) راجع كتاب الرؤساء ، جزء ٣ فصل ١٣ ص ١٤٩ حاشية ١.

الواحد من الآخر . ومثل العطور التي تفوح رائحتها في هياكلنا المقدسة ، هكذا هي عندهم معرفة الامور العتيدة واعلان الامور الخفية ، مع النعيم والفرح اللذين يأتيانهم من هناك . واجتماعنا في الكنيسة يشير الى الاجتماع العام أمام وجه الرب في أعلى الأعالي ، وصفوفنا المتقابلة والصلاة التي ترتل في جوقتين ، ترمز الى صوت الملائكة الذين ينادي بعضهم بعضاً قائلين : « قدوس قدوس قدوس الرب القوي ... ». من منظر هذه الامور التي تجري امام عيني ، يا صفي المسيح ، ارتفع الى كنائس الروحانيين غير المجسمة . فأنسى نفسي وأجتاز بالتأمل الذي أستخلصه من هذه الامور الى المثال الذي يطوف في عقلي عن الامور التي تفوق العالم. ولأجل هذا فاني أمتنع مراراً عديدة عن الدخول الى الهيكل المقدس في أيام اجتماع الأعياد المقدسة. واني إذ أتنعم بهذه اللذة كل أحد ، فلئلا يظنني الناس ثملاً ، وأكون بالفكر والمعرفة بعيداً عما يجري ويحتفل به ، أمكث في صومعتي لكي لا أظهر بهذا المظهر » .

يا لعقل القديسين الطاهر الصافي ! ... فقد أحكم الرب حينما أعطى الطوبى قائلاً : « طوبى لأنقياء القلب فانهم يعاينون الله الحي »(١) . وكذلك : « انا وأبي نأتي وعندهم نتخذ منزلاً »(٢) ، وايضاً : « اني أسكن فيهم وأمشي فيهم ، فيكونون واحداً معنا ، كما أنا وأنت واحد يا أبتاه »(٣) .

وكان ماري هذا الشيخ المحنك يقص علي ايضاً فيما يخص [نرساي] قائلاً : « سأله الانبا شوحالماران يوماً عن أسئلة الشيوخ وأجوبتهم الواردة في كتاب « الفردوس » قائلاً : « يا ابي ، كيف علقت بذاكرة الفاضل بللاديوس تلك الأسئلة التي لا يحصى لها عدد ، فسجلها ؟ ام يختلف عما قاله الآباء وسائلوهم ؟ » فأجابه القديس مار نرساي قائلاً : « ان قصص الآباء القديسين التي نص عليها انه هو وضعها قد كتبها من نفسه ، أما الاسئلة وأجوبتها فقد التقطها التقاطاً من مجموعات الآباء ، اذ كانت ثمة عادة ان يجلس الآباء القديسون ويجلس امامهم المبتدئون بين صلاة وصلاة في ايام الفصح والآلام والقيامة المقدسة بعد خروجهم من عزلة الصوم ، فيسجل الكتاب كل الأسئلة التي تلقى عليهم والحلول والنصائح والأجوبة التي يعطونها

(١) متى ٥/٨ .

(٢) يوحنا ١٤/٢٣ .

(٣) يوحنا ١٧/٢١ وقد نقل بتصرف وحسب الترجمة البسيطة .

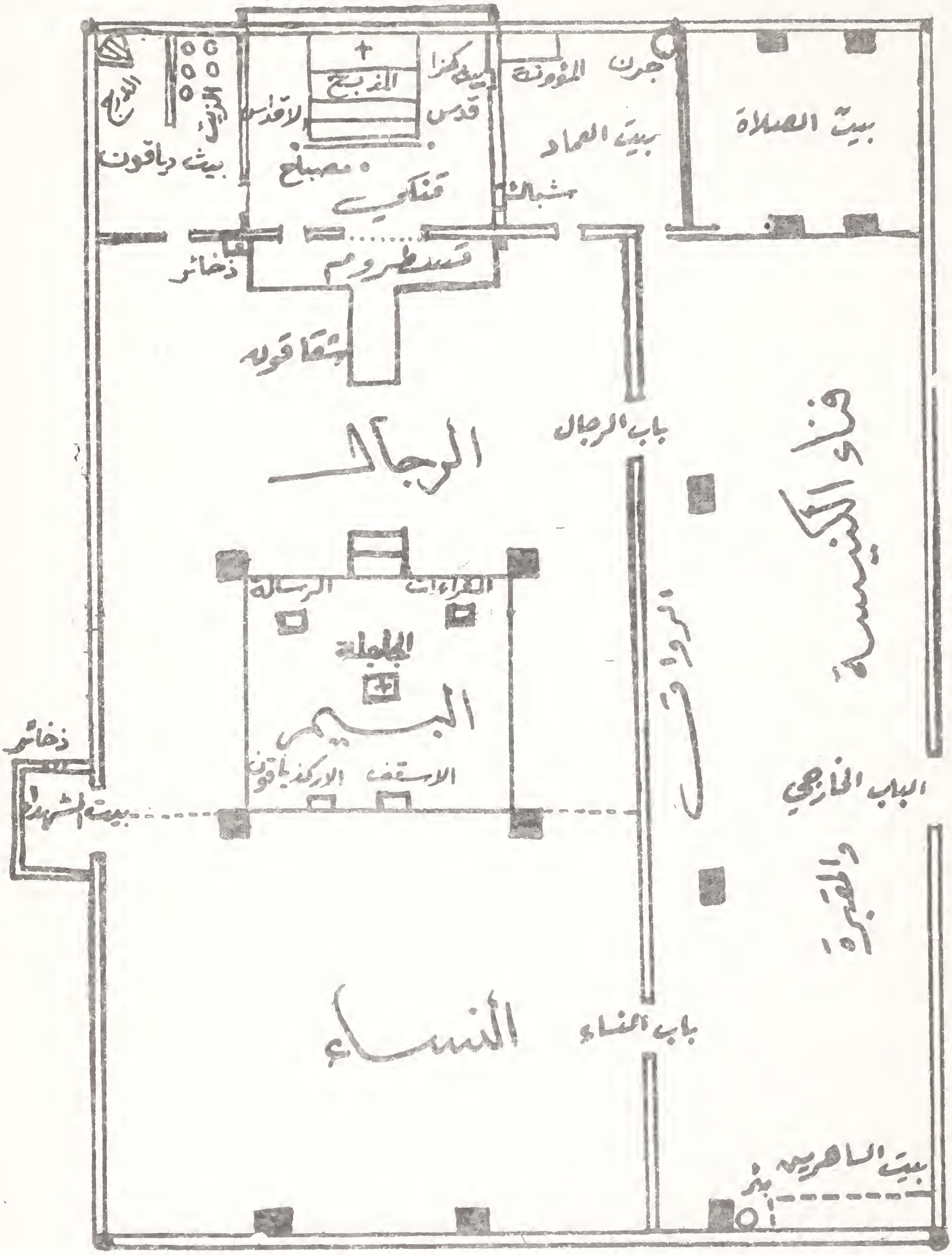

(مخطط الكنيسة السريانية الشرقية القديمة)

والنصائح والاجوبة التي يعطونها ، ويحتفظون بها لفائدتهم وفائدة الذين يأتون بعدهم . وقد دفعت النعمة الالهية الاسقف القديس بللاديوس فجمعها . وانا ايضاً قد اجهدتني هذه الفكرة مدة ، حتى اعلن لي سراً انها كتبت على هذا المنوال » . ونحن نعلم ان معرفة هذه الامور اعطيت له بواسطة الملاك الذي كان يرافقه .

الفصل السادس عشر

أعمال القديس مار نرساي ، النظرية منها والعملية ، وختام حياته

من يبغ الاطلاع على كل العجائب وقوات الشفاء التي جرت على يد القديس يجدر به الذهاب الى مدينة السن المؤمنة والاستماع الى البواهر والامـور السامية التي صارت على يد ذلك الشخص القديس ، ليس من الكهنة والشمامسة والشعب المؤمن حسب ، بل من النساء والصبيان ايضاً . فلا زالت عجائبه تذكر الى اليوم . وأنا اكتب شيئاً مما سمعته عنه ، وذلك للبركة ، وأضرب صفحاً عن الباقي الذي لا يحصره عد ، كما كان شأني في قصص القديسين رفقائه . وانني اتعجل الكتابة لانهاء القصة . فقد قص علي اوسطائيس الطاهر ما مفاده : « كان لبعض المؤمنين في بغداد العاصمة ابن وحيد بلغ من العمر عشرين سنة ، وقد ألم به مرض الشلل منذ عامه الثالث وانتابته امراض اخرى شديدة مدة سبع سنين حتى مله والداه وتمنيا له الموت لأنه لم يستفد من الأطباء ولم يلق الفرج من الصلوات والحسنات التي وزعها أبواه على الفقراء لأجله . وكان للطوباوي مار نرساي غرفة في بيت أحد كبار المؤمنين الاتقياء في بغداد. وفي احدى السنين رحل القديس ليقابل الجاثليق مار طيمثاوس . فلما علم اولئك الناس بمجيئه وكانوا قد سمعوا من كثيرين عن موهبة الشفاء التي كان الطوباوي ينعم بها ، قصدوا السيد الجاثليق وطلبوا

منه ان يكتب بشأنهم الى القديس مار نرساي ليأمر باحضار ذلك الصبي عنده فيصلي عليه لعله ينال الشفاء بشفاعته. فكتب له: « لأن قداستكم نالت موهبة من الروح القدس لصنع القوات ومنح مواهب الشفاء، حسبما تهيأ لبرارتكم من فضائل الروح والجسد التي جمعتموها وخزنتموها، وأودعكم الرب صنع العجائب ايضاً. أما نحن فقد وضعنا في الدرجة الثالثة للتعليم، كما يقول الطوباوي بولس[1]. وقد طلب الي المؤمنون ان أكتب الى قداستكم لكي تأمر فيدخلوا عندكم ابنهم العليل الذي هد المرض كيانه. أتضرع اليكم ان تفعلوا ذلك فيجلب الولد وتباركونه بيمينكم المقدسة، وكما شفى المسيح الرب أشخاصاً آخرين بيدكم، يشفي هذا ايضاً من المرض الذي أزمن فيه ». ولما قرأ الطوباوي الرسالة، أمر ان يأتوه بالولد. وكان اوسطاثيس يقسم انهم أصعدوا الولد الى علية الطوباوي، وكان مطروحاً على ظهره في محفة وهو لا يبدي حراكاً. فأمرهم [القديس] قائلاً: « اذهبوا الى بيتكم وعودوا ظهراً وخذوا ابنكم ». ولما عادوا حسب أمره وأخبره أصحاب البيت [بمجيئهم] أمر الولد فنزل قفزاً على درج الرواق وقد تعافى وقويت رجلاه بقوة صلاة الطوباوي، مثل ذلك المخلع الذي شفاه الرسل في اورشليم. فتألب عنده الجميع وطفقوا يمجدون الله رب الكل الذي افتقد جيلنا الشرير بهذا القديس، وذاع الخبر في المدينة كلها.

وفي مدينة السن، كان لمؤمن شريف ابن وحيد لم يبلغ الثامنة من عمره حتى وافته المنية بتأثير الساحرات. فلما سمع صوت الصلاة التي بها يشيعون الولد الى المقبرة، وطرق اذنيه عويل والديه، فما ان وصلوا الى باب الكنيسة حتى ظهر القديس على الباب ممسكاً بيده العصا التي كان يتوكأ عليها لشيخوخته وأمرهم قائلاً: « ادخلوا جميعاً والميت معكم لكي نصلي عليه قليلاً في الكنيسة ». وكان ما أراد. فوضعوا النعش في موضع الصلاة، وأمر ان يخر الكل سجوداً، ثم أومأ الى والديه ان يحلا الربط واللفائف التي كانت عليه. وأمسك بيده وقال: « قم بقوة الله »، فنهض الصبي حياً. فقال الطوباوي: « ان موت ابنكم كان بتأثير السحر. ومن الآن لا تخافوا، اذ لن يحدث له مثل هذا بعد ». فعاد الناس الى بيوتهم وهم يمجدون الله.

كان للطوباوي تلميذ كاهن اسمه « قفريانا »، وكان هذا يقص قائلاً: « في احدى الليالي،

---

(١) ١ كور ١٢/٢٨.

بينما كنت انا نائماً في منزل القديس الخارجي وهـو في الداخلي ، اذا به يخرج الي بسرعة ويهمزني ويوقظني قائلاً لي ، وعلامات الأسى بادية على محياه : « قم يا ابني ، وخذ معك قليلاً من الخبز وجرة ماء وحبلاً وحماراً واذهب عاجلاً الى قرية « حميما » الخربة وادخل البيت المتهدم الواقع في الموضع الفلاني ، وهناك بئر يابسة قد سقط فيها رجل منذ يومين ، وقد ألقاه فيها السراق ، فاسحبه وأصعده وأسعفه بالخبز والماء وضعه على الدابة وهلم به الى ههنا » . فأجبت: « امهلني يا سيدي فأذهب فور انبلاج الفجر ، لأني أخشى ان يلاقيني ضر في الطريق ليلاً » . فأجابني القديس : « إذهب عاجلاً يا ابني قبل ان يموت ذلك الغريب ، وانا أضمن لك ألا يصيبك ضرر او سوء » . فقمت واثقاً بكلمة الطوباوي وعملّت بما أمرني به ودخلت البيت المتهدم حسب العلامات التي أعطانيها ، ووقفت فوق البئر وصحت ، فأجابني المنكود الحظ وهو يئن . فسحبته وأصعدته وأتيت به المدينة عند [القديس مار نرساي] . ومكث لديه الى ان شفي من الشجات والشدخات التي كانت قد أصابته . فمنحه عطية وزوده بالصلاة ثم أطلقه» .

« ودعاني مـرة اخرى سحراً وقال لي : « امض اليوم الى شواطىء دجلة واوص الملاحين ألا يحل أحد منهم سفينته ويعبر الى الجانب الآخر لئلا تنكسر سفنهم وتغرق ، فان عاصفة هوجاء ستحدث نوءاً شديداً . وقد حدث كما قال . ومن لم يلق كلامي عنده أذناً صاغية فقد سفينته وحمولتها ، لأنه كان موسم الفيضان الكبير وكان دجلة والزاب الصغير طافحين » .

وإذ اخذ وباء يفتك بمدينته ، طلب منه المؤمنون ان يقيموا طلبة [باعوثا] على هذه النية . فقال لهم : « حبذا لو نعمل الباعوث ، بيد ان الموت المسلط عليكم لا ينقطع إلا وقد أخذ منكم نفوساً بقدر ما حدد الله تأديباً لكم » . واطلع تلميذه على هذا العدد سراً . ولما بلغ حده خمدت وبطلت شوكة الموت .

وكان ثمة عربي شرير جداً يفوق شراسة وظلماً كل معاصريه وكل من أتى بعده . وكان اسمه يعلي بن حمران من بني تيم الله[1] في بلاد حدياب . وقد انغمس في الشر حتى انه كان يحسب دم الناس وقتلهم مثل قتـل الحيات والعقارب ، ولم يكن ضميره يبكته قط على دم القديسين الذي كان يسفكه بقساوة . وقـد خرب دير ربان مار ايوب المقدس[2] ودير بيث

---

(١) طالع ابن الأثير ١٣ ص ١٩٧ : ١٤ ص ٦٦٣ .

(٢) دير ربان أيوب [انظر كتاب الرؤساء جزء ٢ فصل ١٧ ص٨٥حاشية ٢] .

نسطوريس[1] ودير مركانا[2] وجعل أماكن كثيرة قفراً . وكان يمتطي صهوة فرس عارية ولم يكن لأحد الولاة ان يعترض سبيله . فقد كان يقطع في ليلة واحدة مسافة عشرين فرسخاً تقريباً. فيظهر اليوم في هذا المكان ، وفي الغد يسمع عنه انه في مكان بعيد . هذا الشرير نزل الى دير القديس الأنبا شمعون ، وصعد خفية الى صومعة ربان شوحالماران رئيس الدير واغتاله . وقد عرف الطوباوي مار نرساي ذلك برؤيا . وروى تلميذه قفريانا ما نصه : « في وقت الرقاد العميق ، دعاني وكان حزيناً يذرف الدموع وقال لي : « قم يا ابني هلم اتبعني الى دير الأنبا شمعون». فخرجنا من الكنيسة وبلغنا دجلة فرسم اشارة الصليب على الماء وأمسكني بيده وقال لي: « تعال معي ولا تخف » . فعبرنا ودخلنا الدير وأرسلني لأصيح وأقرع باب الجمعية . ولما خرج الاخوة وسرت بهم اليه ، قال لهم والدموع تسيل من مآقيه : يا تعسكم ايها الاخوة ، ان رئيسكم شوحالماران قد اغتيل . فذهبنا جميعنا الى صومعته ورأينا ذلك الشيخ المبارك مطعوناً بالسكاكين والسيوف . فكانت ضجة على ذلك ، واذا بالقاتل واقفاً على قمة الأكمة ينادي بنا قائلاً : «انا يعلي بن حمران وأنا قتلت رئيس الدير ، وبعد زمان سآتي وأبيدكم عن بكرة أبيكم». فقال له القديس مار نرساي : « اذا رجعت الى هنا فاني أجفف دجلة . فقد صدر عليك حكم العلي وسيقتلك والي مدينة الحديثة في قرية اسطرنيا » . وهكذا فعل الرب بهذا القاتل . فانه إذ أراد الرجوع الى السن قتله حاكم الحديثة في اسطرنيا حسب قول القديس » .

وفي احدى السنين ، حينما كنت لحاجة ما على شواطىء دجلة مع ملاحين صاعداً من البلدان السفلى ، صادفني رجل صياد أسماك فوق مدينة الحديثة اسمه هاشم وهو يلم شباكه ويتهيأ لالقائها . فرفعها بيده اليمنى وقال : « باسم الله الحي وبصلاة القديس مار نرساي » فقلت له : « كيف وانت رجل مسلم ، تدعو القديس مار نرساي معلم المسيحيين الى مساعدتك بصلاته ؟ » فقال لي : « أي مار نرساي تظن انني دعوت ؟ » فقلت : « أظن انك دعوت مار

---

(١) دير بيث نسطوريس - أسسه نسطوريس الداسي [انظر كتب العفة عدد ٤٨] المعاصر لماني الصبيبي الذي كان يعيش في نحو سنة ٦٠٠ . أما موقع هذا الدير فقريب من قرية « درصف » ، أي بين تل الخيمة بحمور اذا حافظ توما حقاً على ترتيب تدرج يعلى بن حمران في طريق زحفه على هذه المنطقة . ويكون الدير والحالة هذه في وادي دشت كديناوة بالقرب من قرية « كرد كرمي » أو « كيا ركا » .

(٢) ان الذي أسس دير مركانا هو ربان يوحنيشوع المعاصر للبطريرك صليبا زخا [٧١٤ - ٧٢٨] [طالع عمرو في المجدل ص ٦١] . ويقع هذا الدير في مرغيث الحديثة على سفح جبل زيناي بالقرب من قرية زيناي [عمور].

نرساي الملفان الذي كان في نصيبين » فقال لي : « اني لم ار ذاك ولم اسمع به . بل اني ادعو مار نرساي ، الطوباوي مار نرساي الذي كان اسقفاً لمدينة السن ، فاني حينما كنت صبيا اصطاد الاسماك مع والدي هناك ، كنا نراه دوماً يجتاز فوق المياه ليلاً من مدينته الى دير ربان شمعون ويعود من الدير الى المدينة . ولما أحس انا رأيناه ، ارسل في الغد تلميذه عندنا ودعا أبي لديه وزوده (بشيء) وطلب منه الا يكشف الأمر لأحد الى وفاته . ثم باركنا وقال لنا : « كلما تريدون الاصطياد وتذكرون اسم الله الحي واسم حقارتي يكون صيدكم وافراً وشبكتكم مليئة . ومنذئذ كنا كلما نذكر اسم ذلك القديس نصطاد من دجلة صيداً وافراً » .

وكان رجل عربي لا يأخذ من أحد شيئاً ظلماً ولم يكن يضر أحداً . وعندما احتاج خرج في احدى الليالي للنهب والسرقة . وقد روى عن نفسه بعد موت الطوباوي وقال : « إني خرجت للسرقة وقد اضطرني العوز الى ذلك ، فعبرت الزاب وتوجهت الى ضواحي اقرونتا بصحبة رجلين من أقاربي وأخذنا من هناك غنماً كثيراً وأموالاً اخرى ، بعد أن اشبعنا الحراس ضرباً وتركناهم موثقين . وبينما كنا في السهل المقابل للسن ، اذا بالطوباوي يقبل الينا ، وأدركنا فوق الدير المسمى بركامش[1] . ولما رأته الفرس التي كنت ممتطياً صهوتها ، والليل مظلم بدون قمر ، انتصبت اذناها ورفعت عنقها ، فعرفت انها رأت شيئاً ، فوضعت سنان الرمح بين اذنيها وأطلقت لها العنان فجرت باستقامة نحو القديس المقبل الينا بدون خوف . ولما رأيته رفعت الرمح وهممت بطعنه ، فأجاب باللغة السريانية مبتسماً وقال لي : « يا من له الرمح والفرس لا تضربني » فقلت له : « وأنت من أنت ؟ » فقال لي : « انا نرساي الاسقف » . فنزلت من الفرس وخررت على رجليه ، لأني كنت عالماً به وبقداسته السامية وقلت له أيضاً : « كيف أتيت الى هنا في هذا الوقت ومن عبرك النهر وما الذي دفعك الى تجشم هذا العناء في مثل هذه الساعة ؟ » فقال لي : « اني اتيت لخلاصك والرب أرسلني لأنه لا يريد أن تتعاطى السرقة والظلم قدامه . فأرجع كل ما معك واذهب واطلق سراح اولئك الناس وأعد اليهم كل ما اخذته ، وهلم الي غداً الى الصومعة خفية وأنا أعطيك أكثر مما أخذته الآن ظلماً » . فلما رأيت عظمة المجد الذي يتشح به الرجل الذي اطلعه الله على الشر الذي حدث على يدي ، وان الله لم

(١) دير بركامش مجهول في التاريخ المسيحي . أما العلامة هونيغمان فيعين موقعه مباشرة بعد مخاط الزاب الصغير بنهر دجلة من الجهة الجنوبية [طالع دائرة المعارف الاسلامية ، مجلد٤ سنة ١٩٣٤ ص١٢٤٦ ، في مقالة «الزاب»] .

يتركني أتمرغ بالخطايا التي لم أقترفها في عهد شبابي ، عاهدته بانني سأعمل ذلك برضى ، وقد لبيت رغبته . وفي صباح الغد ، ذهبت اليه توا ، فأخرج خمسمائة درهم وأعطانيها قائلاً: «اشتر لك زوجاً من الحمير وابتع حنطة واشتغل بالزراعة ، وستجمع غلة الواحد بمائة ، وسيغنيك الرب فلن تحتاج الى مثل هذا العمل الشائن» . وجرى الامر حسب كلامه ، وجمعت الأثمار الواحد بمائة وانقلب فقري غنى بفضل بركته .

ولئن حاولت أن اكتب اعماله كلهـــا : المرضى الذين شفاهم والأرواح النجسة التي طردها من البشر والمصائب والأتعاب التي لقيها من اناس أشرار لئام رغم كل أفضاله ، فلن يكفيني زمان طويل لأفي بالغرض ، ولا ملفات كثيرة من الورق كافية ان تضم القوات الكثيرة والعجائب التي أجراها المسيح على يديه . وكانت غايتي منذ بدء هذه الكتابة الى الآن ألا أتكلم عن كل من الآباء القديسين إلا موجزاً . فقد قضى مار نرساي بقية أيامه واستراح بسلام مع كل الأبرار والصديقين ، ووضع جسده المقدس في كنيسة تلك المدينة حيث يرقـــد الآباء الأساقفة القديسون الذين سبقوه . وصار جسده في الكنيسة المقدسة التي خدم فيها ملجأ المساعدات وينبوع الشفاء لكل المصابين بالأمراض والتجارب ، بالأمراض الجسدية أم بهجمات الشياطين الماردة . . .

ليتحنن الرب علينا نحن ايضاً بصلواته ، لكي تنقضي بقية أيامنا حسب إرادته . ونصعد المجد للآب والابن والروح القدس ، الآن وفي كل أوان والى الأبد . آمـــين .

الفصل السابع عشر

قصة القديس الأنبا يوسف

ان معظم التراجم التي كتبتها حتى الآن استقيتها من السماع ومن الحديث المتناقل، فسجلتها تباعاً. اما الترجمة التي أتطرق اليها الآن، فهي قصة القديس ربان يوسف المغبوط الذي أدركته في الحياة شيخاً وتباركت منه. وانه في السنة الاولى من مجيئي الى هذا الدير المقدس غادر عالم الأموات وانتقل الى عالم النور. كان هذا الطوباوي من بلاد بيث كرماي من المقاطعة المدعوة بيث مشيناني الواقعة على الزاب الصغير. ومنذ صباه تتلمذ في ديركم هذا بيث عابي، ومنذ تركه العالم نزع عن قلبه كل الأفكار والأهواء المؤدية الى الخسران، وتجرد كلياً من جميع الماديات. فشاد له صومعة في واد يدعى وادي «دخيا» وعاش فيها طيلة حياته بكل فقر روحي. ويقال انه لم يكن له ما يسمى بالألفة، فطيلة حياته لم يكن له صديق ولا تلميذ، بل كان يقتصد من شغل قلايته القليل او يخرج الى الحصاد مع رفقائه، ومن محصوله هذا كان ينفق حسب احتياجه بقلة. والى جانب الفضائل لاحظت السيطرة على الحواس في هذا الشخص القديس الذي انا بحاجة الى صلاته. فانه كان دوماً ينظر أمامه حتى لو كان وحده في صومعته، ولم يكن ليمد عنقه الى هنا وهناك وينظر الى مكان آخر، لذا فقد تقلصت أعصاب أكتافه المرتبطة بالرأس حسب تركيب خلقة طبيعتنا. فكان يرى ما كان قريباً أمام رجليه فقط. أما ما كان بعيداً قليلاً او الى أحد الجوانب فلم يكن يراه البتة. ويقول الرهبان القدماء الذين راجعتهم بشأنه انه مدة اربعين سنة لم يرفع عينيه ولم ير سقف هذا الهيكل، كما هو مكتوب عن نده[1] فتقرحت عيناه وتناثرت أهدابه ومآقيه كانت مخددة سوداء من فرط

(١) «نده» هو ارسانيس الذي ورد ذكره في كتاب الآباء لبلاديوس [طالع بدج، كتاب الرؤساء ٢ ص ٥٦٣، حاشية ١].

سيل دموعه . ولما لم يعرفه أحد ولم يرد ان يكون معتبراً ، فقد أنهى حياته بالراحة .

في الفترة التي أدركته في الحياة ، هجم علينا عدة لصوص اكراد ونهبوا اموال الدير كلها ودخلوا كل الصوامع وأخذوا ما وقعت عليه أيديهم . ولما لذنا جميعنا بالفرار الى الآكام اصبح لهم متسع من الوقت لكي يفتشوا بهدوء المنازل والصوامع كلها ، لأن الوقت كان نهاراً. ولما غادروا الدير ، عدنا جميعنا ، فذهب احد الاخوة وهو جار له ليرى ماذا حدث لذلك الشيخ القديس . فرآه نائماً وقت القيلولة عند مدخل كوخه الصغير وقد فتح بابه للتبريد. فسأله: « ايها الأب الى اين هربت من الأكراد الذين داهمونا اليوم وأخذوا كل ما لنا ؟ » فأجابه مندهشاً : « يا ابني ، اني لم أحس بمجيء السراق الى ههنا ». هكذا حفظ الله ذلك الرجل من الضرر ومن عذاب اولئك اللصوص .

وقد روى البار « حكيما » اسقف « كوكي »(١) قائلاً : « اني ذهبت يوماً الى هذا الطوباوي لأطلب صلاته وأتبرك منه ، ولما قرعت وفتح لي جلست عنده قليلاً ثم ودعني واخرج واعطاني قصعة صغيرة لم ار لمنظرها وتركيبها مثيلاً وقال لي : « يا بني اعط هذه الشيخ الفلاني واشكره وقل له عني انني لك شاكر لأنك عندما اتيتني بطبيخ في هذه القصعة لم أكن قد ذقت خبزاً منذ ثلاثة أيام » . وكان ملاك الرب هو الذي اتى له بطعام ، كما أرسل لدانيال عشاء بواسطة حبقوق من يهوذا الى بابل . وقد تحقق لدينا هذا الأمر ، اذ انني حينما اخذتها الى ذلك الشيخ واعدت عليه ما قال لي الانبا يوسف ، أقسم وأكد انه لم يذهب الى صومعة ذلك الطوباوي منذ أكثر من سنة . فملاك الرب اذاً ظهر بشكل ذلك الشيخ لهذا [الراهب الذي] مكث طاوياً داخل صومعته ولم يخرج ليقرع باب بشر لسد حاجته .

وكان في هذا الدير رجل اسمه « فالوحا » وكان خادم الدير . هذا ارسله الوكلاء ليحتطب ويجلب الحطب بالقارب . وذهب ربان يوسف قبله بيوم الى دير ربان مار ايشوعزخا الذي يكنى بدير الجص(٢) وفي صباح اليوم التالي قفل راجعاً فلمح فالوحا القديس من بعيد وعرفه ، فرآه يقترب من الزاب ويرسم اشارة الصليب ويجتاز فوق الماء . فدنا منه وسلم عليه . ولما رآه الشيخ وعرف انه احس به ، ساورته الظنون واضطرب ، واستحلفه قائلاً له : « بأمر

(١) يظن بدج [كتاب الرؤساء ٢ ص ٥٦٤ حاشية ١] ان « كوكي » كانت مدينة في بيث كرماي تقع بالقرب من الزاب الاسفل [طالع أيضاً م . ش ٣ ، ٢ ص ٧٤٩] .

(٢) دير الجص [راجع كتاب الرؤساء ، جزء ٢ فصل ١٧ ص٨٤ حاشية ٣] .

الرب لا تخبر بما رأيت الى أن اغادر هذه الحياة » . ثم تركه ومضى الى صومعته . غير ان ذاك لم يقم الحرم وزناً ولم يخف من القسم ، بل اخبر بالامر امام الاخوة كلهم .

ولما كنت في الابتداء ارعى القليل من الثيران التي كانت لنا في الدير وسط الغاب في الوادي المجاور للمقبرة ، اذا بي أسمع صوت بكاء مر كبكاء من غلل بالقيود وصوت صراخ حزين . فتوغلت بتوءدة ووجدته جالساً على الارض وسط العشب والأزهار لأنه كان شهر أيار. ورأيته ينتقي العشب اليابس من وسط النضر ويدنيه من وجهه ويغص بالدموع وهو يقول: « ان ايام الانسان مثل العشب ، وكزهر الحقل ينمو ، وما ان هبت عليه ريح حتى يضمحل ولا يعرف له اثر »[1] وايضاً « انما البشر شبه نفس وايامه كظل تمضي »[2] ، وكان يضعه على الارض ويعود لينتقي آخر . وبعد ان جمع كل ذلك العشب اليابس كان يجيل يده بهدوء مربتاً على العشب الجديد [ويقول] : « ان اجيال اللحم والدم هي حقا مثل اوراق الأشجار[3] ، هذه تتناثر وهذه تنبت » . وكان يكرر ذلك بنغمات شجية والدموع تنهمر في مآقيه بغزارة . وكان يأخذ ايضا من تلك الازهار الجميلة وينظر اليها باعجاب ويتنهد ويقول لله : « المجد لك يا خالق الكل ، ما اجمل اعمالك . »[4] وفي تلك الاثناء كنت واقفا ساكنا مندهشا من هذا المشهد الغريب وكيف ان اشياء حقيرة وبسيطة مثل هذه كانت تفجر دموع ذلك الشيخ القديس ، فان آخرين لم يكونوا ليبكوا هكذا حتى تحت الضربات . وبعد بكائه الشديد وصراخه المؤلم الذي به كان يشكر الله ذاهلاً ، اذا بفرح تدفق من داخله فامتلأ فمه ضحكاً ولسانه تسبيحة كما يقول داود النبي[5]. وقد أخذ من تلك الأزهار التي أمامه بيده وأدناها من منخريه ورفع صوته مرتلاً اغنية السعانين : « الورد والسوسن والأزهار وأقاحي نيسان بهية جداً بمنظرها . . . » الى آخر الاغنية . اما انا فتركته وانطلقت لئلا يشعر بي فيغضب . وله أمور اخرى كثيرة ، غير اني أتجاوزها لكي لا أحمل هذا المقال عبئاً ثقيلاً فيطول اكثر من غيره .

ولما وافت المنية هذا القديس ، رقد في صومعته وحيداً دون خادم . ولم يخدمه أحد

---

(١) مزمور ٨٩/٥ ـ ٦ .

(٢) مزمور ١٤٣/٤ .

(٣) طالع اشعيا ٦٤/٦ ، مزمور ٨٩ ؛ اشعيا ٤٠/٦ ـ ٧ .

(٤) طالع مزمور ١١٠/٤ ؛ ١٤٤/٥ .

(٥) مزمور ١٢٦/٢ .

قط في مرضه ، ولم يحس به إلا الشيخ القديس ربان بطرس رفيقه ، وهو أخبرنا بوفاته . ولا نعرف هل كان ذلك برؤيا الهية أم انه ذهب ليزوره ... فتليت الصلوات على جسده الطاهر ووورِي التراب في مقبرة الدير بجوار مكان الصلاة .

... لتحل علينا بركته وليرافقنا العون بصلواته . آمـــين .

انتهت كتابة قصة القديسين الذين عاشوا في دير

بيث عابي المقدس

...

... فأناشد محبتك ، ايها السيد عبديشوع ، ان تغفر لي ، وأطلب الى كل من يطالع هذه الأسطر ألا يذمني لأني لم أستطع كتابتها بانشاء صقيل وتراكيب متينة ، فاني لم أعمل ذلك من تلقاء نفسي ، بل حسب مقدرتي وطاقتي . والرب يحب من يعمل حسب مقدوره . والمجد والوقار والشكر والسجود والاعتراف لله علة كل شيء وضابط الكل ومدبر الكل الآن وفي كل أوان والى الأبد . آمين .

انتهت الأجزاء الخمسة في مآثر الآباء القديسين

الملحق

قصتا ربان قفريانوس والأنبا جبرائيل رئيس الدير المقدس الذي في منطقة بيرتا الواقعة في بلاد مركا

وضعهما البار توما

الفصل الأول

علة الكتاب

ان للنفس الناطقة ثلاث قوى ، كما يقـول آباؤنا القديسون وهي : الشهوة والغضب والفكر ، ومنها تتولد بقية القوى كما من اصول . فمن الشهوة تأتي العفـة والحب والصبر . ومن الغضب القوة والثبات ، ومن الفكر الفهم والحكمة والمعرفة . ومنها ، كما يقول القديسون الذين كتبوا في السيرة الرهبانية ، تنتشر كل المزايا في القلب الذي يحب الله . ومنها ايضاً ، كما من أسس ، يرتفع البنيان الروحي الذي يقيم ويكمل كل البرج الذي يرفع الى السماء العقل المتحكم في الالهيات . وهذه المراقي هي : الأتعاب المختلفة التي يتجشمها القديسون لغاية التوبة ، أي الصوم والسهر والركعات في الصلاة ، وتمارين النسك الاولى بشتى أنواعها ، من

الصلوات والزهد والدموع وانسحاق النفس وقراءة الكتب والصبر والاحتشام والعفة والتقشف والسكوت والتأمل في الالهيات واحتقار الذات واعتزال الناس والاختلاء والاحتباس في الصوامع. فان هذه كلها ممارسات تطهر العقل الذي يصبو الى الصلاح. وعمل النسك الذي ينجز بنية مستقيمة لأجل مجد العالم العتيد محتاج الى هذه الممارسات والى اكثر منها. وقد حصرها الطوباوي مرقس الناسك بثلاثة أبواب من النسك وهي: ان يصلي المرء دون انقطاع، وان يطهر أفكاره، ثم ان يحتمل المصاعب. فاذا ما صعدت النفس هذه المدارج أصبحت منزلاً للروح القدس وقمعت الأهواء وتسامت عن الجسد وسيطرت عليه سيطرة المرء على المطية وأضحت كالفارس الشجاع تطارد الأهواء وتطأ الشهوات، وكالأجيج تضطرم بمحبة الرب وتحرق كل رطوبة تعترض سبيل المسيح الوهاج. وتمتلىء بمحبة القريب التي منها تنتج محبة الله التي يقول عنها مار يوحنا الرسول الالهي في رسالته الكاثوليكية: «إن قال أحد اني احب الله... وهو لا يحب أخاه الذي يراه، فكيف يستطيع ان يحب الله الذي لا يراه؟»(1). فترى اذن ان محبة الله تصدر عن المحبة للبشر. وتحتقر النفس ذات العقل الجبار كل محاولات الشياطين أعدائها وتحطم شباكهم وتبطل حيلهم بالتجائها الى القوة الالهية، وتصبح مسكناً للمسيح، فيأتي هو وأبوه وروحه ويستقرون فيها. وتبلغ الراحة السماوية وتشترك في ذلك العيد السري الذي احتفل به الآباء الأطهار الشهيرون بفكرهم، وتوغلوا في سر العالم الجديد بالاتحاد الذي يربطهم بما هو فوق العالم والذي لا يستطيع البشر وصفه بلسان الجسد. وتمتلىء النفس من كل الجهات تفهماً أسمى من علم الكتاب، فينغمس العقل في خفاء الضباب الكثيف الذي يكتنف هذه المفاهيم، ويطوف في شعاع نعيمه وينسى العالم وما فيه. وقد يعتريه الذهول هناك يوماً ويومين وثلاثة دون ان يشعر، كما قيل عن بعض القديسين، وكما حدث للأنبا سوسائيس الذي، حينما قرع تلميذه الباب ليدخل عليه، صرخ قائلاً له: «اهرب يا ابراهام، ولا تدخل الى هنا، فليس هذا المكان خالياً». وكما حدث الأمر ايضاً للأنبا بيسيريون وللطوباوي مقاريس وآخرين. انظر الى اين ارتفع تراب آدم المجبول بالأهواء والمبلل بماء الانحراف؟ واعلم اذن ان المرء اذا تنقى من الأهواء الخارجية والداخلية وكان تصرفه فوق الطبيعة، ينير كل الأعماق ويضيء اللجج السحيقة. هكذا تستنير العين العارفة أي العقل،

(1) ١ يوحنا ٤/٢٠ - ٢١ — لقد أهمل الكاتب فقرة من نص هذا العدد.

فتضيء للاخرين كمرآة صافية اذا ما وضعت ازاء الشمس ، وتعكس رمزياً اشعة مجيدة تعشي بآبىء الاعين الجسدية . فالى هذه المراتب والى هذا المجد ارتفع القديسون الذين حلقوا فوق العالم باعمالهم، هؤلاء الذين نروم التطرق الى قصصهم . ومنهم الربان قفريانوس الراهب الناسك الذي شيد الرب على يده ديراً مقدساً في مقاطعة بيرتا في نحو نهاية حيـــاته ، والقديس الانبا جبرائيل الذي اشتهر ايضاً في هذا الدير .

وقبل ان نتطرق الى تلك القصص ونكتب أمجاد القديسين للقراء النبهاء ، لنعد بكلامنا قليلاً الى الوراء ونذكر هنا بعضاً من نساك كانوا في هذه البلاد واستنارت منطقتنا بأشعتهم ، لأنهم أضفوا على بلاد مركا جمالاً لم يكن لديها ، وجعلوها مقراً لقداستهم ومحل راحة لاتعابهم في المغائر والأكواخ والديورة التي أسسوها فيها . وأقصد بكلامي هذا ديرا دريشا المقدس الذي يقول المؤرخون ان سبعة اساقفة قد سكنوا فيه في البدء ، ثم سكن فيه كثيرون . وكذلك دير القديس مار افرام الناسك (١) الواقع في الوادي المسمى « نحلا دنهرا » (وادي النهر)(٢) في مكان يدعى « عميقي » (الأعماق) . فانه قضى حياته كلها في مغارة عميقة بعيداً عن كل عشرة بشرية . والطوباوي عنانيشوع المظفر الشهير ، وديره يقع فوق حطرا ويزدهر بالقوات والآيات . والقديس مار ايثالاها الذي عاش فوق قرية لالش(٣) وقضى مـدة حياته كلها عاكفاً على الكمال في نقرة صغيرة . وكذلك الطوباوي « ايشوع رحمه » الذي كان دير البطم مشيداً على اسمه ، والى الآن يشيد العاقلون بأمجاد مرقده . وكذلك الطوباوي حبيشا المركزة مظلته بجوار قرية خنس(٤) ، وقد عثر في ايامنا بعض اناس صالحين على مقر عظامه وعظام القديسين

---

(١) راجع كتاب الرؤساء جزء ٣ ص ١٢٧ حاشية ١٠

(٢) يجب التمييز بين نحلادملكا و « نحلادنهرا » . وهذه الأخيرة واقعة في المزوري بالقرب من قرية هرماشي.

(٣) لا تزال لالش معروفة بهذا الاسم وتقع عند مدخل الوادي المؤدي الى معبد الشيخ عدي ، مزار الطائفة اليزيدية الشهير الواقع فوق عين سفني . يعرف القارىء ان بعض المعاصرين ذهبوا الى القول ان معبد الشيخ عدي كان ديراً . ولكن الأدلة التاريخية والأثرية العديدة تنفي وجود دير هناك ، ويأتي نص توما المرجي مؤكداً وداعماً عدم وجود دير بجوار مسكن مار ايثالاها ، وإلا لحدد موقعه نسبة الى هذا الدير وليس نسبة الى قـــرية صغيرة وغير ذات أهمية مثل لالش .

(٤) خنس لا تزال معروفة باسم خنس [راجع كتاب الرؤساء جزء ٣ ص ١٢٧ حاشية ١٥] . والجديـــر بالذكر ان قلاية حبيشا [المنقورة في النقوش الآشورية المعروفة الموجودة في خنس] ذات مناطق وعواميد من الطراز الروماني ولا تشبه الصوامع الاخرى التي نحتها النساك الشرقيون .

زملائه . وانه ليأخذ العجب منك مأخذه اذا ما دخلت هناك وتفرست في الصلبان المحفورة في الصوان الذي لا يفله الفولاذ[1] ، وهي مرسومة باكرام في تلك المغارة ، لتشهد على قداسة اولئك الرهبان وقد نحتت لوافت على صناديقهم وتركت فيها ثقوب صغيرة لتتسرب منها رائحة ترابهـــم الذكية . ودير القديس مار ادي الذي يدعى « ديرا دراما » أي (دير العالي) ، ويشهد تحصن أسواره على عزلة موضعه ، وكانت تصنع قوات وآيات كثيرة هناك للكل ، حسبما يقال . ومن هذه الفئة القديس غريغور ايضاً المشيد ديره المقدس بجـــوار قرية بربلي[2] ، والطوباوي مار اسحق الناسك الذي أسس مقامه في حدود قرية « حربي » ليعكف هناك على عيشة بعيـــدة عن المنظورات . وكذلك الطوباوي مار يوحنان الذي سكن في مكان يدعى نيرب برزي في مغارة تشبه القـــبر . وقد صنع آيات وعجائب مثل الرسل في إرجاع قرية قوب الى الايمـان . وسنتكلم عنه في الأخير[3] . وكذلك الطوباوي مار ابا الذي شيد ديراً في واد في القمة الخارجية فوق قرية « بيث زاطا » وهي بيث ساطي ، وفيه أنهى حياته بشيخوخة صالحة وبسيرة أسمى من العالم . والطوباوي مار ابراهام الذي تجري قوات كثيرة الى اليـــوم بتراب بقاياه المقدسة . والقديس مار أحا صنوهم الذي أنهى جهاد نسكه في مغارة صغيرة في الوادي المجاور للزاب ، واصبح مصدر المساعدات للبلدان المحيطة به كلها .

ويقول المؤرخون الأقدمون ان هؤلاء كانوا أساقفة ونساكاً عاشوا في عهد كان فيه تعليم اريوس[4] البغيض منتشراً ، في عهد والنسيوس الملك [٣٦٤ ـ ٣٧٨م] ورفاقه المنافقين الذين اضطهدوا بضراوة الارثوذكسيين الذين لم يتبعوا تعليمهم والذين اضطروا هرباً من شر مضطهديهم وقساوتهم الى مغادرة بلدان الروم واللجوء الى بلاد المشرق هـــذه مفضلين حياة

---

(١) يميز توما المرجي نوعين من الصوان : هناك صوان لم يفله الفولاذ أي انه لم تنحت فيه تماثيل لآلهة وثنية ، وهذا النوع من الصوان صالح لدفن أجساد القديسين . أما الصوان الذي قد سبق الآشوريون او غيرهم ونحتوا فيـــه تماثيل لآلهتهم ، فكان يترتب على الناسك ان يطهره من نجاسة الأصنام بسكناه فيه أو بحفره صومعته داخله ، كما هو الشأن في الصوامع المنحوتة في حنس ومعلثايا وغيرها من الأماكن التي تتجسم فيها هذه النظرية .

(٢) بربلي هي بلا أو بلان الحالية وقد ورد الكلام عنها [راجع كتاب الرؤساء جزء ٤ ص ١٦٣ حاشية١]. ولا تزال كنيسة مار ساوا قائمة بين البساتين في الجهة الغربية من القرية ويستعملونها كمخزن للتبن .

(٣) انظر قصتي ربان قفريانوس والأنبا جبرائيل فصل ١٢ .

(٤) ولد اريوس في النصف الثاني من القرن الثالث وتوفي في القسطنطينية في سنة ٣٣٦ [طالـــع سوزومين ، التاريخ الكنسي ١ ، ١٥ ؛ سقراطس ، التاريخ الكنسي ١ ، ٤ ، ٣٨] .

الضيق في الغربة بعيدين عن أوطانهم ومعارفهم على العيش بالقرب من هؤلاء لئلا يبتعدوا [عن الايمان] برضوخهم لتعليم الهراطقة المقيت. ولما دعاني الواجب يوماً الى الطواف والصلاة في مغائرهم، دخلتها بوجل وتأملت بقسوة عيشهم وعسره، كما تشهد على ذلك أمكنة سكناهم وتولاني حـــزن شديد وأسى، وأنحيت باللائمة على الأساتذة الذين عاصروهم وربما حظوا برؤيتهم واستحقوا ان يروا عجائبهم ولم يهتموا بتسجيل شيء من مآثر أمثال هؤلاء المتزهدين، فانه جلي كالشمس في رائعة النهار ان المؤمنين معاصريهم عاينوا منهم آيات وقوات وظواهر.

وما ان رجعت من هناك، أي من شقوق هؤلاء القديسين وكهوفهـــم، حتى دخلت ايضاً دير القديس مار قفريانوس الناسك الواقع على مقربة من مرقد هؤلاء القديسين، وسألت عن القديسين الذين فيه وهل لهم قصص لاطالعها وأبلغ وطري من مآتيهم، فأعطاني الاخوة الذين في الدير أخباراً وجيزة فيها مواضيع مقتضبة تتطرق الى سرد بواهر وعظائم الطوباوي ربان قفريانوس والطوباوي جبرائيل وبولس أخيه، وتتحدث عن أصلهم ومكان تلمذتهم وكيفية معيشتهم ونوع كمالهم. فلما وقفت عليها، وكان بعض من الأنقياء قـــد سطروها بسذاجة، شكرت الله وفضل اهتمام الاخوة الرهبان الذين كانوا في هذا الدير في عهـــد اولئك الآباء لأنهم لم يهملوا مثل الاولين أو يتغافلوا عن تدوين مآثر هؤلاء الرجال القديسين. فتجاسرت - وأظن هذا التجاسر ممدوحاً لأنه يؤدي بالسامعين الى تمجيد الله - أن أجمع من نتاج أعمالهم نبذة روحية وأكتبها، لمطـالعة الاخوة الرهبان الذين هم في هذا الدير وللكهنة والمؤمنين الذين يصبون الى سماع أمجـــاد هؤلاء الرجال، رؤساء قوات الملكوت السماوي. وأستهل كلامي بمثلث الطوبى القديس ربان قفريانوس الناسك، فأكتب انتصاراته المجيـــدة للقراء والسامعين النجباء، لأنه أقدم من ربان جبرائيل بزمان طويل[1] وهو سبب هذه الجمعية وأبوها. فأبدأ بالقصة وانا واثق ان النعمة الالهيـــة ترافقني بشفاعته لكي يكون كلامي عنه مفيداً بجاه المسيح مقويه.

انتهت المقدمة والفصل الاول

(١) تجدر الملاحظة ان في هذا الكتاب الذي يسبق كتاب الرؤساء ليس لتوما الدقة التاريخية التي عهدناها به في كتاب الرؤساء. فنراه مثلاً في الفصل الرابع يتكلم عن مطرافوليط دون ان يذكر اسمه . . . وهذه دلالة على انه هو نفسه لا يعرف الزمان الذي عاش فيه قفريانوس بدقة. ولكن من خلال قصة الهرطوقي الذي يذكره في الفصل السادس يمكننا القول بان حوادث حياة قفريانوس جرت في أشد مراحل الخصام بين النساطرة والمنوفيزيين، أي في نهاية القرن السادس، بينما عاش جبرائيل في القرن الثامن، وبين الاثنين زمان طويل، كما يقول توما.

الفصل الثـاني

اصل الطوباوي قفريانوس وتلقيه العلم في المدرسة وذهابه الى اورشليم

ان في بلاد مركا مقاطعة تسمى بيرتا وفيها قرية تدعى « بيث مغوشي (١) » وبيان ان هذا اللقب وهذا الاسم اطلق عليها لميل اصحابها الاولين وسكانها الى المجوسية. ويقال ان اصل الطوباوي قفريانوس من هذه القرية . ولد من ابوين مؤمنين قاما بتربيته تربية حسنة ، وتلبية لأمر الرســـول القائل : « أيها الآباء لا تحنقوا ابناءكم ، بل ربوهم بأدب الرب وموعظته » (٢) ، بذلا جهدهما في تعليم الطوباوي قفريانوس . ولأن الغرسة الحية صالحة لكل شيء وان الرب يعرف خاصته ، فقد سبقت النعمة واظهرت فيه علامة عملها . ففي مدة وجيزة أنهى المزامير والتعليم الذي يلقى على الاولاد في كنيسة قريتهم . ولما بلغ سن الشباب الذي فيه كل يسير حسب هواه دون مانع ، اختار قفريانوس طريق الروح وشاء ان يقدس نفسه لعمل الرب وان يسير في سبل النسك . فرحل الى المدرســـة المقدسة التي في قرية « مقبشا »(٣) ، وكانت في غاية الازدهار آنذاك ، ونال فيها قسطاً وافراً من الثقافة في علم الاســـفار المقدسة المجيد وفي كتب التدبير الالهي وشروحها . وكان مختاراً ليكون فاعلاً ومقرباً الى الله رب العالمين وعلة فوائد كبيرة لدى تحقيق هذه الامور . كما كان صموئيل وارميا وبقيـــة القديسين . لذا فلما بلغ سن الرجل الكامل ، لم يدع الله ، العالم بالامور الخفية والمستقبلة والبعيدة والمشرف على ادارة الأمور كلها ، ان يصبح ذلك الشخص المستحق الطوبى حصة للعالم ، او أن يقال عنه كذلك ، بل اضرم قلبه وأذكى افكاره بمحبة اقوى من النار [دفعته] الى المضي الى اورشليم

(١) لا نعرف موقع قرية « بيث مغوشي » بالتأكيد ، إلا انها في منطقة بيرتا أي في مركا الغربية ، وهذا ما يميزها عن بيث مغوشي اخرى تدعى الآن مانكيش مركز ناحية الدوسكي .

(٢) طالع أفسس ٦/٤ : كولبي ٣/٢١ .

(٣) راجع كتاب الرؤساء جزء ٣ فصل ٢ — المدارس التي أسسها أو جددها باباي الموسيقي .

لرؤية البلاد المقدسة حيث أظهر المسيح ربنا للبشر التدبير الذي حققه بحسب الجسد لأجل خلاصهم .

ولما ترسخت فيه هذه الفكرة ، عقد العزم على السير حثيثاً الى هناك ، وكفر بالحب العالمي وبمحبة الآباء والاخوة والجنس البشري وانقطع عن كل قرابة ، وحمل كتاب الانجيل الكريم وسار ببسالة يقطع الطريق ويجتاز المراحل وكأنه سائر بلهف الى بيت والده الذي لم يره منذ عهد بعيد . ولما وصل الى اورشليم وسجد في الاماكن المقدسة كلها ، في موضع العماد في نهر الاردن والهيكل والجلجلة والقبر والعلية وجبل الزيتون ، هذه الاماكن التي فيها تم خلاص جنسنا بوساطة ابن جنسنا ، ابتهجت نفسه وطابت روحه واستراح من تعبه ومن جهد الطريق ، فشكر الله الذي حداه الرجاء به الى السير لرؤية الاماكن التي وطئتها قدماه المقدستان ومن هناك تابع سيره الى جبل سيناء في البلاد العربية ، حيث قدم الشكر للرب كعطور ذكية الرائحة في المغارة التي سكنها الطوباوي موسى والتي فيها أوحى الرب اليه خلقة العالم ، فكتب هناك تلك الكلمات السامية ، وفيها كلم الرب ايضاً ايليا النبي العظيم . فأشرق الرب نوره في عقل الشاب القديس [قفريانوس] وأعده للتقدم باطراد في طريق لا شائبة فيها . ومن هناك توجه الى الاسكندرية ومنها الى برية مصر حيث مكث مدة كان فيها يتردد الى أديرة القديسين في القفر . وسجد هناك عند مراقد القديسين انطونيس وفاخوسيس واواغريس وارسانيس ومقاريس وسرافيون النساك الابرار ، فاكتسب قدوة ومثالاً صالحاً من منظر القديسين هناك وأتعابهم ، وكالنحلة الفطنة التي تقيم في خليتها شهداً من العروق والاعشاب ، كان هذا القديس يجمع الاعمال التي يراها في كل من القديسين ويكملها جميعها في ذاته . وبعد أن توغل في الحياة الرهبانية واندمج في سلك النساك الطاهر في أحد اديرة الارثوذكس هناك ، واشتغل في الجمعية حسب قانون الآباء ومكث في ذلك الدير زماناً معيناً ، فكر هذا الاناء المصطفى في ان يصبح ناسكا .

الفصل الثالث

انتقال القديس قفريانوس من البرية الى جزيرة في بلاد اليونان

سمع القديس قفريانوس ان في بلاد اليونان جزيرة يتوفر فيها الهدوء والنخيل والأشجار للقوت، وفيها لا يحتاج المرء الى خدمة أحـد. فطلب الى بعض التجار فحملوه في سفينتهم وأوصلوه الى هناك. ولما دخلها شكر الله رب الكل لأنه هيأ له هذا المكان وسر به وأحبه واعتبر نفسه كأنه في جنة عدن. فكان السكوت يربي الصوم والصوم ينمي الصلاة والخدمة، ومنهما انبثق الابتهال والتضرع اللذان كان يصعدهما ليل نهار الى من أحبه فطاف البحر والبر في سبيل تكميل إرادته بالتجرد عن كل شيء. ومكث هناك زماناً طويلاً بدون ان يعرف به احد وهو يطوف في ذلك القفر ويتمرس بضروب الجهـاد الذي تقتضيه السيرة النسكية، ويقتات بكمية ضئيلة من التمر والحشائش التي يأخذها من الأرض. ولا يسعنا ان نكتب كل ما احتمله هناك هذا البطل الصنديد من الجهادات القاسية والضيقات، من أهواء الجسد ومكر الأبالسة الماردين، انما يتيسر ذلك للذين عاشوا مدة طويـلة في العزلة والزهد [واختبروا] مرارة النسك وصعوبته وبطش الأعداء الذين يهاجمون المتوحد المسكين والمرارة التي يتجرعها ليل نهار مع دموع عينيه. فان التسلية بعيدة عنه والحروب تكتنفه وليس من يساعده. وكل ما فيه موجه الى ضرورة الحرب وهو يخاف من ان تداهمه فكرة شهوة يستسلم اليها العقل فيفقد في طرفة عين تعب حياته كله «لأن جهاده ليس ضـد اللحم والدم كما قال بولس، بل ضد الرئاسات والسلاطين وولاة هذا العالم، عالم الظلمة والأرواح الشريرة التي تحت السماء»(١). فان تعبه كور، وهـو مثل الذهب يفحص ويمتحن بالنار. وشرع ينتصر في البرية ويتربى بالضيقات فيذوي الجسد ويضعف وتستنير النفس وتتلألأ لاقتبال غنى الأمجاد بعـد آلامها

(١) أفسس ٦/١٢.

وضيقاتها . وبقدر سموها وتوغلها في الامور العالية يتهافت عليها الأعداء الألداء . وانه لأمر خفي عنا ومستتر ان نروي المعامع التي خاضها هذا البطل المغوار .

وبعد ان مكث هناك سنين عديـــده ، عرف بأمره بعض التجار الذين وقفوا مرّة في تلك الجزيرة لكي يشدوا سفينتهم التي تفككت من قوة الأمواج ، فخرج قوم منهم يطوفون هنا وهناك في تلك الجزيرة . وكانوا قد سمعوا عنه من الذين أتوا به الى هناك في بدء مجيئه . ورأوا عن بعد نخيل بستانه وعرفوا ان رجل الله يسكن هناك . فذهبوا ووجدوه واقتربوا منه وتباركوا بالقديس الذي كانوا يفتشون عنه. وتركوا لديه شيئاً من قوتهم وتزودوا ببركته وقفلوا عائدين . وقد أدى الأمر الى شعور الناس به ومعرفتهم موضع إقامته . وبعد ان جاهد وكافح هناك أولاه الرب فضيلة الكاملـــين . فكان ينال الشفاء ، ليس الذين يأتون اليه حسب ، بل البعيدون أيضاً الذين لم يروه ، حينما كانوا يدعون باسم اله قفريانوس الناسك وسرعان ماكانوا ينالون الشفاء من أمراضهم . وكذلك الملاحون الضاربون في البحر ، فمتى كانت الأمـــواج المتلاطمة تضايقهم سرعان ما تهدأ والخضم يسكن باسم القديس وبصلاته . ولما أمضى أربعين سنة في ذلك القفـــر وجمع لذاته غنى لا يسرق ، ووضع كل كنزه في الأعالي ، حسب قول المخلص(١) ، ونال من الرب كل ما يرضيه ، وأصبح عوض الجسداني والنفساني انساناً روحانياً، ظهر له ملاك الرب في رؤيا [وأمره] ان يرجع دون تأخير الى بلاد مركا ويشيد ديراً للرهبان في حدود قريته ، وان يكون أباً ومدبراً للرهبان . وهذا هو دأب النعمة الالهيـــة . وهكذا فعلت لموسى العظيم ايضاً . فانه بعـــد ان قام اربعين سنة(٢) يرعى الأغنام الخرساء ، أقامته ليرعى ويسوس الوف اسرائيل وربواته . وآخرون كثيرون كانوا في عزلة البرية في الجبال حيث تمرنوا وتدربوا ، ثم ميزهم الله وأقامهم رؤساء الرهبانية والكنيسة .

---

(١) متى ٦/٢٠ .

(٢) أعمال الرسل ٧/٢٣ ، ٣٠ ، ٣٦ .

الفصل الرابع

قدوم ربان قفريانوس الى بلاد مركا وظهوره في هذا المكان

عندما نال هذا القديس الاذن من الرب ، استبدل الموضع الذي أقام فيه اربعين سنة حسب ما أراده الله ، فركب البحر وقفل راجعاً الى هذه البلاد . وكانت « بيث مغوشي » قرية آبائه قد خربت قبل مجيئه الى هنا . فدفعته النعمة الى ان يأتي ويسكن في هذا الغاب الواقع تحت الدير [الذي سيؤسسه] ، وكان هذا موضعاً تسكنه الضواري سابقاً . وأمضى قفريانوس مدة هناك ، كما كتب عنه ، دون ان يعلم به احد ، وهو يعيش بصحبة أسدين لا فقط لا يؤديانه ، بل كانا مثل خروفين وديعين يقومان قدامه بدعة . أما قوته فكان من النعناع والخضر الاخرى التي تنمو على ضفة هذا النهر . ولأن الرب كان قد فرزه واختاره لفائدة كثيرين ، لم يمكث هناك مدة طويلة حتى عرف به بعض الناس . فقد خرج صبيان من قرية «نيرمدراعاواثا» (نيرم الرعاة) (١) الواقعة فوق الدير ، في ايام الثلج ، ولزموا ضفة النهر في طلب صيد الحيوانات ، ومعهم كلاب قوية ، فأحاطوا بغاب الشيخ المبارك بمقاليع وصراخ لأنهم رأوا آثار الحيوانات الموجودة عنده . وبعد أن صرخوا كثيراً خوفاً وحذراً من الاسود ، تحققوا من عدم وجود أسد هناك ، فدخلوا الغابة لعلهم يجدون فيها حيواناً . ولما توغلوا ، وجدوا مظلة صغيرة مقامة فوق حجر شبيه بذاك الذي تحفره الحيوانات في الارض . وعندما أجالوا طرفهم هنا وهناك ، أبصروا رجل الله جالساً متستراً داخل حجره . فتجاسروا ووجهوا اليه حرابهم مهددين ، لأنهم لم يعرفوا انه رجل قديس . ولكنه كلمهم بوداعة وخرج وباركهم ، ثم شجعهم قائلاً لهم : « أنا رجل متسول وقد أتيت هنا مساء الأمس واليوم أمضي . فعودوا الى قريتكم وها انكم ستلاقون أيلا فامسكوه واقتلوه وامضوا الى بيوتكم .

---

(١) راجع كتاب الرؤساء، جزء ٣ فصل ٣ ص ١٢٧ حاشية ٦ .

فخرجوا مسرعين من عنده ليطلعوا ذويهم على أمره . ولما ابتعدوا عن غاب الشيخ مسافة رمية حجر ، وجدوا الايل الذي قال لهم عنه وقد تعلقت قرونه بأغصان الغابة . فأخذوه وذبحوه ودخلوا القرية وبادروا الى إخبار سكانها بذلك القديس . فخرجت القرية برمتها وأقبلوا مسرعين الى القديس ليروا ويدركوا الناسك الذي أرسله [الرب] لمساعدتهم ، والطبيب الحكيم الذي يمكنه شفاء أسقامهم مجاناً . والتاجر الذي يحمل غنى طائلاً ليوزعه عليهم ، والأب الروحي الذي بوسعه ان يقف مثل [موسى] ابن عمران في وجه أعدائهم . والذي يكون كلاً للكل مثل بولس . [انهم ذهبوا] ليروا يوحنا في الاردن ويسمعوا صوته الذي يشجع الخطأة [ويدعوهم] الى التوبة ، وايليا النبي الذي يفني ويبدد ظلمة الهراطقة مثل أبناء البعل[١] . ولما أقبلوا اليه ودخلوا ورأوا هذا الشيخ القديس ، خروا أمام الزاهد الناسك وأخذوا يقبلون أسماله . أما الطوباوي فلم يرفع بصره الى أحدهم ، بل مكث أمامهم منكس الرأس والدموع تنهمر من مقلتيه . ولم يقدر ناسكنا الذي عاش أربعين سنة في الوحدة ان ينظر بدالة الى أحد من ذلك الجمع كله . ولما انتظروا طالبين منه أن يزودهم ببركات صلواته ، قال لهم : « قوموا يا أولادي وعودوا الآن الى منازلكم ، لأن رئيس كنائس هذه البلاد ومدبرها قادم الى قريتكم . أما أنا فسأمكث هنا غداً وبعد غد » . ثم باركهم وصرفهم بسلام . فتركوه وعادوا من عنده .

وحسب كلمة ربان ، أتاهم مساء ذلك اليوم القديس البار مطرافوليط البلاد[٢] وهو يطوف زائراً قطعانه ومدبراً رعيته ، كما أمره الرب[٣] . ولما اجتمعوا عند ذلك الرئيس القديس ، قصوا عليه خبر وقوفهم على أمر رجل الله العظيم ، وتكلموا عن زهده وهول شكله وعن التقشف والتجرد اللذين لاحظوهما فيه ، وكيف انه أخبرهم عن مجيئه عندهم في مساء اليوم عينه . فلما سمع الأب القديس ذلك ، نزل في الغد عند القديس مع جمع غفير من الكهنة وأساتذة مدرسة « صورا »[٤] والطلاب . ولما أحس الشيخ المبارك ان مدبر الكنيسة

---

(١) ١ ملوك ١٨/٤٠ .

(٢) قلنا سابقاً ان المؤلف لم يستطع تعيين زمان قفريانوس بالتأكيد ، ولذا فهو لا يذكر لنا اسم مطرافوليط حدياب المعاصر له ، مع الاعتقاد ان لائحة المطرافوليطين كانت في حوزة توما المرجي في سفر الأحياء والأموات [ديوبطخين] المحفوظ الى الآن .

(٣) يوحنا ٢١/١٥ - ١٧ .

(٤) هناك قريتان يطلق عليهما اسم « صورا » ، وتقعان على مسافة ١٠ كم شرقي عطوش في مقاطعة طلانا القديمة.

مقبل اليه ، قام حالاً وخرج لاستقباله ، لأنه رأى الاسقف القديس من بعيد منحنياً ومستنداً على عصا صغيرة وهو يخر ويسجد ثم يقوم ، فخف الى لقائه ، وخـــر على وجهه على قدمي المطرافوليط . وذهل الاسقف القديس كثيراً من الهيئة البادية على الطوباوي ، اذ كان يشبه شبحاً لفرط زهده المتواصل ، وقال الشيخ القديس للاسقف باكياً : « لماذا لم آت أنا اليك كعبد الى سيده ، بل انت ايها الأب القديس أتيت الي ، انا الخاطىء [الذي لا أستحق] ان أسجد لسيادتك » . يا للتواضع السامي ، ويا للعقل الزاخر بالحكمة !! ... انه يعرف ان إكرام الكهنوت واجب ، ولهذا فقد لاقى بالبكاء ذلك الذي اؤتمن على هـــذا المنصب . انه لم يتصرف كرجل تربى في القفر يجهل اصول الاكرام الواجب للآباء فينسى في حجره ما يترتب عليه من الاحترام تجاه [المطرافوليط] . فلما بارك كل منهما الآخر ، طلب السيد الاسقف الى الطوباوي في سياق الكلام ان يقول له كيف قدم هذه البلاد ومن أين أقبل . فأطلعه على الامور الصغيرة وتغافل عن الكبيرة . فقام الاسقف وأمسك بيد الشيخ وطاف به في هـــذا المكان الذي فيه [الآن] الهيكل والدير ، وقـال له : « بأمر الرب هذه هي حصتك ، فابن وشيد ، واقبل اخوة وتلمذ ، وسيرضي الرب عملك وسيرك في طـــرق وصاياه . فانك ستعظم وتزداد ويرث بنوك الأراضي التي حواليك . وفي وسط زمر النساك الذين تلدهم ستلاقي وجه الديان في يوم مجيئه » . ثم رسم له مقاييس الهيكل المقدس ، ورحل من عنده [لمواصلة] زيارته .

الفصل الخامس

بناء هذا الدير المقدس على يد الطوباوي

أقبل المؤمنون من هـــذه القرى وقرى اخرى كثيرة بكل اهتمام الى القديس لبناء الهيكل والدير(١) . وفي أيام قلائل تم البناء ، فاجتمع الى ربان خمسون رجلاً من الرهبـان ،

(١) حسب الاشارات الواردة في هذه القصة يظهر ان دير الربان نفربانوس كان يقع بالقرب من قرية صوردا المسماة الآن « كفراصور » [الصخرة الحمراء] وهي قريبة من قرية قوب الواقعة في مقاطعة بيرنا الشرقية .

وكلهم رجال أفاضل مطبوعون على مثال أبيهم الروحي ، ولا يقبل الشمع صورة الختم ، بمقدار ما قبلوا هم في ذاتهم أمثلة القديس قفريانوس ، حتى قام منهم بعض رهبان صنعوا هم أيضاً قوات باهرة في هذا العالم . وكان الرب يؤازرهم ويسد لهم احتياجاتهم . فازدهر فيهم ايمان المسيح شيئاً فشيئاً ، وانتشر خبر هذه الجمعية المقدسة في كل مكان . فتدفق ينبوع المساعدات من هذا الجمع وتسرب في كل الجهات بصلوات القديس . وأمضى ربان نحو عشرين عاماً منذ مجيئه الى هنا وحتى وفاته . فشاخ وهرم وأضنته الآلام وضعفت أعضاؤه من فرط زهد السنين التي مرت عليه ، اذ قضى اربعين سنة في الجزيرة وقد عاش هناك على قوت زهيد من الزروع وأثمار النخيل . وفي العشرين سنة التي قضاها في هذا الدير لم يكن يقتات بغير خبز يابس كان مبتدىء يحمله اليه من الدير كل مساء مع ماء قراح . وأجبره الاخوة يوماً ان يشترك معهم أقله في أكل الطبيخ ، فرضخ لارادتهم . بيد ان هذا الأكل كان سبب مرض له ، اذ لم يكن قد اعتاد ذلك الطعام . ولأجل هـــذا الضعف ، اقتربت نهاية سنيه ودنت ساعة الراحة لهذا بطل المسيح الذي تطوع للشغل في كرم الرب من فجر حداثته الى مساء شيخوخته ، محتملاً ثقل النهار وحره . وكان ختام أيام عامل الرب النشيط بالأتعاب المضنية التي تسيل العرق في سبيل الحياة الجديدة . وقد نال من ربه رؤى وصنع فيما بيننا قوات وعجائب على غرار الأنبياء والرسل. وحان الأوان لنتكلم عنها ، فنقتطف بعضاً منها ونتقدم في بحثنا نحو نهاية جهاد أبينا القديس . وباستطاعة النبهاء ان يقفوا على قوة عجائبه من النزر القليل الذي ندونه ، لأن الذي اؤتمن قليلاً يتسلط على كثير حسب قول واضع الجهاد(١).

---

(١) واضع الجهاد هو يسوع المسيح ، والاشارة هنا الى انجيل متى ٢٥/٢٣ .

الفصل السادس

العجائب التي اجترحها الطوباوي قفريانوس

اليكم الاعجوبة الاولى التي أجراها الطوباوي قفريانوس في منطقتنا . ان القرية التي أحست به أولاً جعلها منطلقاً لصنع القوات . كان ولدان من نيرم قرية الرعاة يرعيان الثيران في القفر . وحدث ان الشياطين مسوهما في يوم واحد . ولما أتى بهما آباؤهما الى ربان ، غادرتهما قوة الشرير حالاً وقضيا حياتهما كلها براحة ...

وبينما كان رجل عابراً في الليل في طريق بقرب بيت نار المجوس ، وكان قد تهدم منذ مدة . اذا بالشياطين تخرج عليه بشكل غربان سود وتدخل فيه وتصرعه . ولما سمع ذووه بالعجائب التي تجري على يد اليشاعنا هذا ، أخذوه مقيداً اليه ، وحينما اجتازوا نهر الخازر في طريقهم الى هذا الدير ، قالت لهم الشياطين : « ان ذهبتم الى قفريانوس المظل ، فاننا سنظل هنا » . وهكذا ذهبوا وتركوا الرجل . ورغم ذلك فقد أتوا به الى ربان ، فأوصاه ألا يحرم نفسه من التردد الى الكنيسة وتناول الأسرار المقدسة ، ولا يمكن الشياطين ان يقتربوا اليه ثانية . فقبل ذلك الرجل وعاد فرحاً .

وأتوا اليه مرة بامرأة من قرية « بيث قديشي » وكانت مربوطة بحبل وهي تمزق ثيابها من شدة هياج الشيطان . وما ان أدخلوها أمام ربان ورسم عليها اشارة الصليب ، مستخدماً الـ « حنانا » ، حتى شفيت تماماً ، فأخذها ذووها ورجعوا فرحين .

وكان لرجل من مركا ابن مخلع «من بطن امه ولم يمش قط. ولما سمع بقوة صلاة ربان لدى الله ، وان كل ما يريده ينجزه له الرب ، وضع الولد على الحمار بايمان ثابت وأتى الى شمعوننا هذا وألقاه عند قدمي الشيخ القديس وأخذ يتضرع اليه بدموع كي يترحم عليه . فأخرج ربان زيت الصلاة من بيت المقدس ، وكانت هذه عادته ، لأن قرن [الزيت] كان

موضوعاً باهتمام في قنكي . ولما دهن جسم الولد كله ، ابتعد عنه نحو عشر خطوات ودعا الصبي باسمه قائلاً : « قم هلم الي » . ولم يكد ينطق بهذه الكلمات حتى قام [الولد] بسهولة وذهب الى ربان . فوضع ربان يده على رأسه وباركه . وأخذه ابوه وانطلق الى بيته فرحاً ، فتعجب الجميع وطفقوا يمجدون الله .

وفي ذلك الزمان ألم وباء بالجمال في مقاطعة بيث كرماي . فأرسل المؤمنون يطلبون الى القديس ان يصلي عليها . وما ان دخل الرسول الدير حتى زال الوباء من الجمال في اليوم عينه . ولما اخذ « حنانا » وعاد ، سألوه عن اليوم الذي فيه واجه ربان وعلموا ان في تلك الساعة أظهر الله عونه لهم ، فمجدوا الله وشكروه على القوة التي منحها لصلاة القديس ، اذ بينما كان هو في بلاد مركا ، كانت صلاته تحارب الوباء في بيث كرماي .

وذات يوم أتوا اليه بولد من قرية بيرتا مركز المقاطعة وقد انقلب رأسه الى الوراء بتأثير من الشيطان . ولما ادخلوه عند ربان نال الشفاء بيمين ابينا المقدسة واستقامت هيئته وعاد كسابق عهده .

واتى الى ربان يوماً رجل من بيث بغاش اسمه يهبماران وقد مكث سنين عديدة مع امرأته ولم يرزقا ولداً . وكان يضرع الى ربان ان يمده بصلاته . واعطاه ربان ثلاثة اقراص من « حنانا » وصلى عليه فعاد الرجل الى بلاده وولد له ابنان وابنة .

واتوا اليه بامراة من « صيان »(١) قرية الهراطقة وقد شلت رجلاها . وبعد ان اقامت في الدير يومين مطروحة في بيت الشهداء منحها الرب الشفاء بصلوات القديس .

واتوا اليه ايضاً بامراة من مقاطعة «غيرين» [كارا] وهي عمياء من كلتا عينيها . وكانت من عائلة شريفة غنية وقد حباها الله جمالاً باهراً . وهي ايضاً نالت بصلاة القديس شفاء تاماً وعاد البصر الى عينيها . فمجد الله كل الناس وشكروه حينما شاهدوا النعمة التي فازت بها تلك المرأة .

صرع الشيطان ليلاً صبياً من « بريلي » وجعله يزبد بشدة . وفي صباح الغد حمله ابواه واتيا به . وما ان ادخلاه عند ربان حتى رسم عليه اشارة الصليب وانتهر ذلك الشيطان بكلمة الرب . واذ كان الاخوة مجتمعين امامه خرج من فمه شبه عقاب طار وانطلق . فنال ذلك

(١) صيان [أو عصان أو عصيان] قرية في مقاطعة طلانا في الزيبار شرقي عطوش على مسافة ١٥كم .

الولد الشفاء وعاد كسابق عهده .

وأتوا اليه بأمرأة من نهرمش(١) وكانت فريسة الشيطان . فحررتها قوة الرب من هجمات الشيطان بصلوات هذا القديس .

وأتى رجل من صيان الى ربان بابنه الوحيد المصاب بقرحة خبيثة . فأمره ان ينزل ويسبح في النهر الجاري تحت صومعته . وفيه زال ذلك القرح الخبيث . فأخذه والده متعافياً وعاد الى قريته وقلبه يطفح بالفرح وبالشكر لله .

وأصاب مرة مرض ثقيل رجلاً مؤمناً صادقاً وورعاً ، من قرية بيت تلي(٢) ، [واشتد المرض] حتى كادت روحه تزهق . وكما فعل حزقيا(٣) ، ارسل الرجل الى اشعيانا هذا لكي يفتقده بصلاته ، ولما خرج الولد من عنده ليأتي الى الدير ، رأى ذلك المؤمن ملاك الرب واقفاً على رأسه بزي ربان وكأنه يتلو صلاة عليه . فشفي تماماً واستوى في سريره رافعاً آيات الشكر الى الله . وعلى صوت تسبحته قلق أهل بيته ودخلوا عليه فرأوه جالساً في السرير يسبح الله ، وقام في تلك الساعة ومشى . ولما أتى الولد الى ربان ، أخبره هذا ان ذلك الذي أرسله قد تعافى .

هذه العجائب وأمثالها كانت تجري بشفاعة هذا القديس . فقد ظهر الشيطان يوماً لرجل ليلاً بزي رجل عظيم . ولم يميز الرجل المنظر والقوة الغريبة التي دعته باسمه فأجاب بوضوح. وما ان أجاب حتى دخل فيه الشيطان وأخذ يخنقه . فأتى به ذووه الى ربان ونال الشفاء بالدهن المقدس [الذي سكبته] عليه يمينه وبدعوة الآب والابن والروح القدس . وقد ظل كل أيامه يتمتع بعافية .

وأتوا الى ربان برجل من قرية شمرخ(٤) جربه الشيطان وقد مزق جسمه بعضات . وهذا ايضاً شفي بسهولة بصلاة ربان . وعاد الى بيته مسروراً يمجد الله .

---

(١) نهرمش هي هرماشي الحالية [راجع كتاب الرؤساء جزء ٢ فصل ٣ ص ١٢٧ حاشية ١٠].

(٢) بيت تلي أو بيث برتلي هي برطلة الحالية وكانت نسطورية الى نهاية القرن السادس ثم اعتنقت المذهب المنوفيزيتي في نحو سنة ٦٠٠ اسوة ببقية القرى المجاورة ، ما خلا كرمليس .

(٣) اشعيا : ١/٣٨ .

(٤) لا تزال « شمرخ » معروفة بهذا الاسم وهي في واد يقع جنوبي مانكيش وراء الجبل . وفي هذه القرية دير مار ابراهام الذي لا تزال بقاياه ظاهرة الى اليوم .

وكان لرجل اشكارة مزروعة فولاً ، ولما بدأ الثمر يتكون ، وقع فيه الدود وأخذ يفتك به فتكاً ذريعاً . ولما أتى بالأثمار وأراها لربان ، أعطاه ماء باركه بالصليب المقدس الذي كان يحمله وأمره ان يرش منه على تلك الاشكارة كلها . وزالت تلك الآفة حالاً . وكان مجد الله ينمو ويزداد بوساطته .

وكان لرجل ايضاً قطيع ضأن كبير حل فيه وباء أهلك منه أغناماً كثيرة . فقصد الى الشيخ القديس وطلب منه ان يصلي لأجل زوال تلك المحنة . وفي اليوم الذي فيه رجع من عندنا ورش من « حنانا » على ضأنه توقف الوباء بعون الرب .

وكانت ثمة امرأة فيها نزف منذ عهد بعيد حتى كادت روحها تزهق . وأتوا بها الى الشيخ عبد يسوع اله الكل فشفيت بصلاة هذا الشيخ المبارك مثل تلك التي شفاها يسوع .

وكان في دسكرة اسمها « صورا » واقعة فوق الدير بيت شهير لبعض المجوس الذين لم يسجدوا لاله العالمين الحي ، بل كانوا يسجدون للنار والنيرات كعادة آبائهم . فعندما عاينوا القوات والآيات التي تجري على يد هذا الرجل العجيب ، غلبوا على أمرهم وازدروا عبادة الشياطين وسخروا بتعليم المجوسية الذميم ، وأقبلوا الى نور المسيحية وطلبوا اليه ان ينضووا بواسطته تحت راية الله ، وكانوا يقولون : « انما الاله الحق هو هذا الذي تعبده انت ، ونحن له عبيد ساجدون ما دمنا أحياء في هذا العالم ، واننا نكفر بالمجوسية وبكل خرافاتها الزائفة الباطلة» . فأظهر لهم بسرور عظيم مجد المسيحية كله وأوضح لهم تعليم بشارة المسيح الرب الحي ، [مبيناً لهم] السعادة الفائقة المحفوظة في العالم العتيد للمسيحيين القديسين ، وان اناساً صالحين أرضوا في كل الأجيال الله العظيم القدير خالق البرايا ومبدعها وعلة الموجودات والكائنات . وأمر فأعدوا كل ما يلزم لسر العماد المقدس حسب رتبة الكنيسة المقدسة ، وعمدهم هو بيده باسم الآب والابن والروح القدس . أمّا نساؤهم وأولادهم فأمر بتعميدهم في كنيسة « صورا » قريتهم . ثم نصحهم قائلاً : « اليوم عرس في علی الأعالي بين طغمات الملائكة القديسين . فاذا كان الملائكة في السماء يفرحون ، كما قال الرب(١) ، بخاطىء واحد يتوب ، فكم بالأحرى بكثيرين دخلوا حظيرة الكنيسة وسجلوا فيها وختموا بختم الملكوت . فاليوم كتبت أسماؤهم مع أسماء الأبكار المسجلة في السماء . اليوم نزعتم الثوب القاتم الذي نسجه لكم

---

(١) لوقا ١٥/٧ ـ ١٠ .

ضلال عبادة النار . اليوم ابيضت تلك النفس التي كانت ملوثة بالأهواء القبيحة المستوحاة من تعليم الشياطين المضلة . يا أيها الأحباء ، اطلبوا اذن ما هو فوق[1] وفكروا فيما هو فوق وليس في الأرض ، لأن المسيح الذي توشحتم به جالس في السماء . فانكم متم وحياتكم خفيـــة مع المسيح في الله[2]. ومتى يظهر المسيح الذي هو حياتنا ، حينئذ ستظهرون أنتم ايضاً معه في المجد. فأميتوا اذن أعضاءكم[3] في الأرض : الزنى والنجاسة والسرقة والظلـــم وعبادة الأصنام . وافحصوا كل شيء[4] وتمسكوا بما هو صالح واهربوا من كل شر » . أما هم فكانوا يولونه سمعهم ويقبلون بشوق ووداعة كل ما كان يلقيه على مسامعهم . فاتحدوا بالكنيسة الجامعة ونبذوا تصرفاتهم الاولى من الزواج بالام والاخت والبنت[5] ، وأخذوا يكملون ما فرضة عليهم ربان ، وجلبوا لهم طالباً مثقفاً ليعلمهم المزامير والتراتيل والعادات المقدسة ، وهكذا ترسخوا بقداسة في الانسان الجديد الذي لبسوه .

وكانت هناك امرأة فارسية قد استقر فيها جمع من الشياطين وأخذوا يجربونها بضراوة حتى كانت تقذف كل من يقترب منها باهانات قبيحة وترشقه بحجارة . فأتى بها ذووها الى ربان ومكثت في بيت الشهداء الليلة كلها . وفي الفجر منحها الرب النجاة من مضايقة الشياطـــين . وبعد شفائها كانت تقص على أقاربها وتقـــول : « جاءني ليلاً رجل شيخ وقبض على اولئك الأوباش الذين كانوا يلاحقونني فضربهم وناشدهم ألا يدنوا مني ثانية. فولوا الأدبار ولم يعودوا ». وهكذا رجعت الى بيتها متعافية .

جاء يوماً لص وشرع ينقب تحت أجنحة الظلام جدار قنكي الدير ليسرق كتب الدير وأثاثه ولما ضرب مرة ومرتين ، يبست يمينه حالاً وفي الصباح دخل على ربان وأقر بذنبه . وقد اجهد [ربان] نفسه كثيراً وصلى طويلاً من أجله ولكنه لم ينل الشفاء . وهذا حكم عادل . لأن

(١) كولسي ٣/١ .

(٢) كولسي ٣/٣ .

(٣) كولسي ٣/٥ .

(٤) ١ تسالونيقي ٥/٢٠ .

(٥) كانت عادة عند المجوس أن يتزوج المرء باخته وابنته البكر وحتى بامه . وقد جاهدت الكنيسة الشرقية لاستئصال هذه العادات الذميمة التي تأثر بها المسيحيون أيضاً ، وسنت لهذه الغاية قوانين عديدة في مجامعها [طالع مجمع آبا الأول المنعقد سنة ٥٤٤ ومجمع ايشوعياب الأول سنة ٥٨٥ في المجامع الشرقية التي نشرها وترجمها الى الفرنسية العلامة الأب شابو سنة ١٨٩٢ ، ص ٣٣٥ و ٣٣٧ و ٤١٠ و ٥٦١] .

ذلك الذي تجاسر واهان موضع السجود لله الذي بني حديثاً واجتمع اليه الاخـــوة من عهد قريب ، كان ينبغي أن يظل دون شفاء . فان كل بدء الاعمال الالهية بحاجة الى تخويف ، كما في بدء الكرازة أوقع كلام شمعون زعيم الرسل الخوف في حنانيا وشافيرا(١) . ومكتوب أيضاً : « اذا أخطأ رجل الى آخر ليطلب الى الرب فيغفر له ، ولكنه اذا أخطأ الى الرب فممن يطلب؟»(٢) ظل اذن ذلك الشقي بذراع يابسة مثل قائين في سفر التكوين(٣). حتى اذا لم يجد ما يقوم باود حياته في تجوله من باب الى باب ومن قرية الى اخرى يصبح شاهداً على عقابه .

ومرة اخرة أخذ رجل ستاراً حريرياً من بيت الشهداء . وما ان أدخله الى بيته حتى جرب الشيطان بنيه كلهم . فحينما رأى ما جرى ، عاد الى الدير ومعه الستار وسجد أمام ربان وأقر بذنبه . فأعطاه ربان « حنانا » وأمره أن يسقيه لبنيه مع ماء . ولما فعل ذلك تيسر لهم الشفاء .

ودخل وثني ذات يوم بستان الدير وهم بقطف التين . فضربه الرب بالعمى وظل الليل كله راكباً السياج . ولما انفلق الفجر وجاء الرهبان ووجدوه على تلك الحال ، أقر بالذنب الذي اقترفه ، فادخلوه عند ربان ، وأمر يده على عينيه فنال الشفاء التام . فآلى على نفسه الا يقدم على مثل ذلك الفعل .

غير ان الشيطان ابا الكذب ، الذي حارب منذ البدء أبوينا في عدن(٤) وألحق أضراراً جسيمة بجنسنا في كل الأجيال ، وهو لا يني يزرع الزوان البغيض بين الحنطة المختارة من الذين يتبعون الصليب . انه . اخزاه الله ، اذ رأى ان دير المظفر مزين بكل انواع الفضيلة وان الأوقات مشغولة بالصلوات التي يكملونها كلها بفرح ، وان مجد الرب يذاع كل يوم بفم الزائرين والتائبين ، اراد ان يشغل اولئك الاخوة الرهبان عن الخدمة الروحية بخدمة الموائد واخلاء النذور والتقادم النجسة ارضاء للشياطين ولملء أكواخهم منها . فعوض القيام قدام الله انهمكوا في خدمة القرويين وكل فئات العلمانيين الذين يدعوهم [الشيطان] ويأتي بهم الى هذا الدير المتواضع . فقد دفع أحد الرهبان المضلين من بدعة السويريين الفاسدة ، فجلب معه دهن

(٢) أعمال الرسل ١/٥ ـ ٦ .

(١) ١ صموئيل ٢/٢٥ .

(٣) تكوين ١٥/٤ .

(٤) تكوين ١/٣ ـ ٦ .

النفاق وجاء الى هذا الدير بحجة الصلاة وبات هنا . وفي الغد أخرج من عبه قرناً صغيراً من ذلك الدهن الدنس وأعطاه الوكيل قائلاً له : « احفظ لي دهن الصلاة هذا حتى أرجع من الطريق التي انا ماض فيها » . فأخذ الأخ الدهن ببساطة من غير سؤال وأخفاه في احـــدى كوات الدير ريثما يأتي صاحبه ويأخذه . فماذا عمل الشيطان عدونا ؟ حينما ظل ذلك الدهن النتن ههنا ، أثار كل البلدان والجهات ليأتوا ويصلوا في دير ربان قفريانوس . وجمع وجلب الى هنا جماعات غفـــيرة ، ليس من مركا القريبة فحسب ، بل من بيث نوهذرا ايضاً وبيث عربايي ونينوى وحدياب وبيث كرماي وبيث بغاش وداسن وحبتون ، حتى ان الدير والهيكل وأكواخ الاخوة لم تكف لايواء الجموع التي كانت تأتي وتتوب ، نزولاً عند رغبة الشيطان . أما ربان قفريانوس ، فحينما رأى هـــذا العمل غير الاعتيادي ، دعا الاخوة وقال لهم : « يا اولادي ، اني استغرب هذه الضجة التي حدثت على غير موعد . فمن انا وما هي برارتي حتى أثار خبرنا كل البلدان لشفائنا ؟ فأخبروني هل تعلمتم شيئاً غريباً ، او هل فيكم من تصادق مع الهراطقة وتعلم منهم شيئاً ؟ فاني أعلم ان سبب هذه التجمعات ليس الله » . فجاء الاخ الذي تسلم الدهن من الهرطوقي وخر على قدمي ربان وقال له : « يا سيدي ، اغفر لي لقد أذنبت بدون معرفتي ، لأن راهباً من السويريين أعطاني قنينة الدهن هذه وقال لي : « احفظها لي الى ان أعود ، ولا أعلم ما هو شأنه » . ولما رآه ربان استنشق منه رائحة الهراطقة النتنة وعلم انه هو سبب هذا الشقاء البغيض . وأمر فسجروا تنوراً وألقاه فيه مع إنائه . وهكذا خمدت لهبة ذلك المرض النفساني . وكل الذين كانوا في الطريق عادوا أدراجهم ، والذين كانوا يتهيأون في بيوتهم للمجيء أحجموا عن ذلك . فشكرنا الله على النجاة من مكر تعليم الشرير بوساطة أبينا القديس .

وكانت لامرأة من صورا ابنة جربها الشيطان ذات يوم . فأتت بها الى قديسنا زاجر الشياطين . ولما ألقتها عند قدمي قداسته ، قام وأخذ يصلي عليها . ورأينا جميعنا [الشياطين] مثل زنابير شاردة ومدخنة تخرج من فمها . وهكذا منحها الرب الشفاء عاجلاً وأخذت المرأة ابنتها وخرجت من عنده وهي تشكر الله معنا وتسبحه . . .

وما لنا والاطالة كأننا نستطيع الاستفاضة في عجائب هذا القديس ؟ فمن يعرف القوات التي صنعها في تلك الجـــزيرة وفي براري مصر والصعيد ؟ فانه عاش هناك اربعين

سنة . وما كان يجريه هنا ايضاً كان يخفيه فكتبنا قليلاً من الكثير الذي عمله أمامنا . أما الباقي فقد تركناه لغزارته .

الفصل السابع

نهاية حياة الطوباوي وتوجيهاته لأولاده في ساعة موته

لنتكلم الآن عن نهاية هذا المجاهد الكبير وعن استراحته من ضيقات الدنيا ، فانه لم يذق طعم الراحة مدة ستين سنة ، ولم يكف عن سيره الحثيث نحو سيده . ولما أمضى عشرين سنة ههنا ، وعمر الدير بأخوة كثيرين وبالكتب المقدسة والقـراء والنساك ، مثل سائر أديرة القديسين معاصريه ، دنا اليوم الذي فيه يستريح من التعب ويختم جهاده المجيد . وعلم هو أيضاً وأحس ان قد أزفت ساعة رقاده . فدعا اولاده القديسين وقال لهم . « من الآن يا اولادي ، امكثوا بسلام ، فان زماني قد حان ، ودنا الأجل ، واني ماض في طريق آبائي وفي سبيل جنس آدم كله . فاحترسوا يا اولادي على نفوسكم وعلى كل التعليم الذي قبلتموه مني ، ولا تغفلوا عن مواعيد الصلاة والاختلاء في صوامعكم وعن تقديم السجود والتضرعات عوض العالم وعوض نفوسكم . فقد عهدت بها اليكم وأوصيتكم ان تكملوها . ولا تقضـوا أيام حياتكم بالبطالة فان ساعة الموت خفية عنكم ، وحينما تأتي ستندمون على الأيام التي قضيتموها بالكسل . حذار جهد مستطاعكم من الاختلاط مع الهراطقة الدنسين ، ولتنفر نفوسكم من تعليمهم . فانهم أعداء لسيرتكم وراحتكم مثل الشيطان الساكن فيهم . فلا تدخلوا ، يا أولادي ، الى ديورتهم ، ولا تمزجوا بذهب ايمانكم الصافي نحاس مكرهم المقيت . فانهم ملحدون تملكهم اليأس المرير . كفاكم بعملهم الشيطاني شـاهداً ذلك الدهن الدنس الذي جمع

علينا قبل مدة وجيزة كل البلدان . احترسوا يا أولادي الأحباء من محبة العلمانيين . فلا تبدلوا حب سيدكم بالحب الذي كفرتم به مرة قبل عهد بعيـــد . لا تقتنوا ذهباً ولا فضة ولا ثياباً زائدة عن استعمالكم ، لئلا تتخلفوا عن الانتماء الى الرب مثل جحزي(١). فبمقدار ما هـــو الرب أعظم من اليشاع بمقدار ذلك قصاص الذين يتجاوزون وصاياه أكبر من قصاص ذاك . فانكم تعطون جواباً للرب في يوم الدين اذا خالفتم احدى وصاياي هذه » .

ولما نصحهم وحذرهم ، أمر فاقتربوا منه ، وشرع يقبل واحداً واحداً منهم ويودعهم . فبكى الاخوة كلهم بكاء شديداً على افتراق الصديق عنهم . ولما انتهى من الجميع ، سجد متوكئاً على راس عصاه ، مثل يعقوب(٢) ، وصلى وبارك الكنيسة وأولادها والرعاة والمدبرين و[صلى] لأجـــل الملوك والسلاطين ، ورسم اشارة الصليب المقدس على ديره . وهكذا بينما كان فمه يشيد بمجد الله ولسانه بشكره(٣) ، مد رجليه دونما وجع أو ضيق وفتح فمه المقدس ولفظ أنفاسه بهدوء . وكما كان وديعاً في حياته ولطيفاً ولم يزجر أحداً ولم يكن قاسياً ، هكذا رقد ايضاً بلطف الى ان يدعوه الصوت باعثه ويرفعه الى السماء مع كل القديسين أقرانه ... فاجتمعت القرى كلها مع الأساتذة والطلاب والكهنة والشمامسة وجمع أولاده واحتفوا بيوم رقاده ليلاً ونهارا بتسابيح وتراتيل حسب المعتاد . ودفن في بيت الشهداء باكرام لائق بقداسته . وفي اليوم التالي سهروا له ثانية ليكون شفيعاً للذين يحتفلون به حينما ينال المكافأة عن ضيقاته ، فينعموا معه في خدر ملكوت السماء . آمين .

بعد وفاة الرئيس القديس ، أجرى الرب اعجوبة على قبره لم يعملها في حياته ، ليعرف الكل انه حي عند الرب وقريب منه ليتشفع لديه ... كانت امرأة مؤمنة من قرية « بيث ماروث »(٤) قد حظيت بآيات ربان مدة حياته ومنحت ابناً بصلاته وبواسطة « حنانا » أخذته منه . فألم بولدها مرض شديد واشتدت عليه وطأته . ولما عرفت امه انه سيموت لا محالة ، وان وفاته وشيكة ، اقتدت تلك المؤمنة المستحقة ذكراً حسناً بإيمان الشونمية باليشاع(٥) ، وقالت

(١) ٢ ملوك ٥/٢٢ .

(٢) عبر ١١/٢١ .

(٣) مزمور ٣٤/٢٨ .

(٤) كانت قرية « بيث ماروث » تقع بالقرب من جسر الملك على الزاب الكبير .

(٥) ٢ ملوك ٤/٢٤ .

لبعلها : « قم واعد الاتان لأذهب مع ابني الى اليشاعي ، الى الناسك مار قفريانوس الأب الروحي لابني » . ولما كان الجميع يشيرون عليها أن تتخلى عن هذه الفكرة لأن الولد سيفارق الحياة حالما يتحرك جسمه على ظهر الاتان ، أصرت هي قائلة : « ان مات فسأدفنه هناك ، وان شفي فبقوة الله يعطى الشفاء بصلاة القديس » . ولما وضعت ابنها على الاتان وركبت ، أمرت خادمها أن يقودها سريعاً . ولم تكد تقطع ثلاثة فراسخ حتى فاضت روح الصبي . فنزلت وكفنته دون أن يتزعزع ايمانها . ثم أتت الى هذا الدير ودخلت بيث الشهداء والقته عند قبر ربان وعكفت على الصلاة مثل القديسة حنة أم صموئيل[١] . وأخذت تبكي وتنتحب بصوت عال أبكى الحاضرين ، وكانت تقول : « يا عبد الله مار قفريانوس ، ان الهبة التي منحتنيها في حياتك، استعدتها بموتك ... فاني لم اطلب منك جثة هامدة ، ولم أطلب منك أن اتحمل آلام المخاض واشرف على التربية والعناية والمناغيات وتذهب كلها ادراج الرياح . اشفق على امرأة التجأت اليك بايمان في حياتك وفي موتك. لا يعدم حضن تلميذتك من الولد الذي وضعته فيه . واطلب الآن ايضاً من سيدك كما فعل اليشاع فيرجع الي الثمرة التي جنيتها من جفنة بني آدم بصلاتك. فقد كتب عن ذاك ايضاً ان الميت انبعث حياً بمسه جثته[٢] . كذلك لتهب روح الحياة في ابن امتك من مرقد جدك الطاهر . فان العبد عندما يكون قريباً من سيده تزداد شفاعته . فتحنن على تلك التي تطوف حول قبرك المقدس بتنهدات . واني اعاهد سيدك ان يكون [الولد] كل ايام حياته خادماً لديرك . ومثل صموئيل ابن حنة سيكون نذيراً للرب ما دام حياً . فيا إله سيدي قفريانوس ، لتدخل طلبة امتك امامك ، وان كنت غير مستحقة ، فليتشفع لي بك قديسك قفريانوس » ...

وشاء الرحمن ، الذي أمر ان يشرق النور من الظلمة[٣] وقال ان كل شيء مستطاع لمن يؤمن[٤] . وكل ما تطلبونه بالصلاة والايمان تنالونه[٥] ، ان يمجد خادمه في موته أكثر منه في حياته ، فعادت نفس الولد الى جسده ، ونادى والدته حسب المعتاد . وكنا نحن في الهيكل

---

(١) ١ صموئيل ١/١١ .

(٢) ٢ ملوك ١٣/٢٠ ـ ٢١ .

(٣) تكوين ١/٣ .

(٤) مرقس ٩/٢٣ .

(٥) متى ٢١/٢٢ .

في صلاة الليـــل وهي في بيت الشهداء . فلما لاحظت الوالدة ان الولد شرع يتململ طفقت تسبح الله بصوت عال . فعلمنا من صوتها ان الولد عاد الى الحياة . فدخلنا نحن ايضاً الى بيت الشهداء ورأيناه جالساً قدام امه كالسابق . ومع الحياة التي رجعت اليه استعاد صحته التامة . فأخذ الجميع يسبحون الله مدهوشين . وأخذت المرأة ابنها وآبت الى قريتها وقصت على المؤمنين كل ما جرى . فذاع مجد الرب بسبب ذلك في البلاد كلها . وقد قامت تلك المؤمنة بوفاء وعدها، ونذرت ابنها كما فعلت حنة . ولما ترعرع الولد وبلغ سن التمييز ، قادته الى الدير وتركته [فيه] وعادت . فتتلمذ وصار راهباً . وكانت تأتي لرؤيته كل سنة(١) وتجلب له ثياباً مثلما كانت حنة تعمل لصموئيل . فنشأ راهباً صالحاً وأنهى حياته في هذا الدير حسب ارادة الله رب العالمين له المجد والوقار والسجود والولاية والتعظيم . [ولتحل] على جمعنا ، بصلاة القديس مار قفريانوس ، مراحم الله ورأفته ، الآن وفي كل أوان ، والى أبد الدهور . آمين .

انتهت قصة الطوباوي ربان مار قفريانوس الكاهن والناسك
مؤسس الدير المقدس الواقع في منطقة بيرتا

وهذه ترجمة سيرة الرجل العظيم ربان جبرائيل
الراهب الحقيقي ورئيس دير القديس مار قفريانوس

الفصل الثامن

مقدمة الكاتب الى القارىء

انما نكتب الآن عن العجيب في النساك الذي اشـــتهر في الأزمنة المتأخرة الطوباوي ربان جبرائيل ، هذا الرجل الذي تعمق في أسرار المسيح ، فأجرى الرب على يده آيات تضارع آيات الأنبياء والرسل . فمما كتبه الأقدمون عن مآثره ، ومما سمعته عنه من القصص التي روى

(١) ١ صموئيل ٢/ ١٩ .

البعض منها رهبان رأوه وأدركتهم انا شخصياً ، ومما رواه الكهنة ومؤمنو البلاد ، اضفر اكليلاً لبطولته بانشائي الوضيع ، وأعرضه على مسامع الذين يحبون قصص القديسين ، وأضيف الى قصته ، حسبما تيسر لي من المصادر ، قصة المرحوم الربان بولس أخيه الشهير بين الأبرار. واني اذ أثق بشفاعة صلواتهما ، ارجو ان اطلع السامعين حسب جهالتي على مجموعة متناسقة من أمجاد هذين الرجلين الالهيين . واني أطلب الى كل من يقع بصره على هذه القصص ألا يلومني في فكـــره كأنما كتبت مآتيهم متجاسراً . فالرب يعلم اني لم أكتب قصصهم طمعاً في الأرباح النجسة او في المجد الباطل . وأية فائدة يجنيها من الكلمات التافهة الغبي المغرور بحكمة نفسه؟ وأي ربح يكتسبه الجاهل الذي لم يهتم باصلاح ذاته بل هو مهتم بمجد الآخرين ؟ فالغيرة هي التي دفعتني الى ذلك ، لئلا يعدم الدير الذي فيه ترقد أجسادهم قصص قداستهم . لأن ارث الآباء محبوب من الأبناء ، وانها لغبطة للبنين ان يتصفحوا قصص آبائهم . ولا يجوز ان يجهل العالم أخبار وبطولة هـــذين الرجلين اللذين لا ينتقصان عن القديسين الأولين . فيترتب على القارىء اللبيب ان ينزع عن فكره كل لوم يوجهه الي انا الخاطىء ، وكما دنوت وكتبت ذكرياتهم لخير الجميع ، كذلك عليه ان يكرم ويقدر المواضيع التي كتبت . واذا كان الانشاء ركيكاً وضعيفاً ، فليتأمل بالأثمار التي يحملها ، وليقطف الورد من الشوك والزهر من الاصول. أما الأشواك والاصول فليدعها وشأنها لتكون طعمة للنار ومرتعاً للحيوانات .

الفصل التاسع

في أصل القديسين ربان جبرائيل وبولس أخيه

هناك قرية تدعى « لوز » من أعمال بيث كرماي تسكنها عائلة مؤمنة شهيرة بتقواها تضم بين أفرادها رجلاً امتاز بايمانه وأعماله الصالحة . وقد هيأ الرب له زوجة فاضلة ، كما كتب في الحكم : ان المرأة الصالحة تعطى الرجل خائف الله[1] مكافأة لأعماله الحسنة. وأنجبت

(١) أمثال ١٨/٢٢ .

له ولدين ، سمي الواحد بولس والآخر جبرائيل . ولما كانا لا يزالان طفلين بارح والدهما الحياة الزمنية الى الأبدية ، يرافقه ايمانه الثابت المقرون بأعماله الصالحة . وظلت الاسرة في عهدة الوالدة التي كانت عاكفة على قراءة الكتب المقدسة والصوم والصلاة ، وكانت غنية بالصدقات والمواهب توزعها على المساكين والمتضايقين . ولما يفع الولدان وبدآ يميزان حفظ الوصايا التي وضعها الخالق في الطبيعة البشرية ، أخذتهما تلك المؤمنة القديسة وذهبت الى الغربة في سبيل الله ممسكة بيد ولديها واثقة بالرجاء السماوي وسالكة السبل المؤدية الى هذه البلاد . والله العالم بكل شيء قبل وقوعه . حينما رأى حب تلك المؤمنة وعلم ان ولديها مزمعان ان يكونا من بني ملكوته ، وجه تلك التي احتقرت كل شيء لأجل محبته مع ابنيها الى مقاطعة بيرتا هذه ، الى قرية اسمها « صورا » ، وكان فيها مدرسة شهيرة وأساتذة علماء . وكانت لا تزال بقية من المؤمنين الأتقياء يهتمون بجمع الطلاب والأساتذة الذين يهوون العلم . ولما دخلت المرأة هذه القرية ورأت ان سكانها المؤمنين راسخون جداً في الايمان المسيحي ، اختارت السكنى فيها ، وأدخلت ولديها الحبيبين بولس وجبرائيل الى المدرسة . وكانت تعلمهما وتمرنهما على الأعمال الصالحة وتنصحهما وترشدهما ليل نهار الى احتقار حطام الدنيا الزائل . ولم تكن تسمح لهما بعمل سوى تلقي العلم . ومكثا في تلك المدرسة المقدسة خمس عشرة سنة الى ان تضلعا في العلم الالهي كله . ومع العلم النظري في الكتب ومعانيها اكتسبا قسطاً وافراً من العلم العملي ، أي الصوم والصلاة وسهر الليالي مع امهما الطيبة الذكر . فانها ما كانت لتبتعد عنهما وتتركهما أبداً ، بل كانت تسكن معهما في غرفة في المدرسة نفسها ، مثابرة معهما على الحضور في الكنيسة والسهر في الأعياد المقدسة وايام الآحاد مثل حنة ابنة فنوئيل[١] . ولما نالا حظاً وافراً من الثقافة ولم يعودا بحاجة الى المدرسة ، لأنهما اكتسبا في مدة خمس عشرة سنة العلم الكنسي كله ، أشارت عليهما العجوز المباركة ان يتركا العالم المادي كله وينخرطا في السلك الرهباني .

---

(١) لوقا ٢/٣٦ .

الفصل العاشـــر

ترهب الطوباويين بولس وجبرائيل في دير ربان قفريانوس

في ذلك الزمان كانت جمعية ربان قفريانوس مزدهرة برجال ابرار كاملين قديسين ، ما يزال يفوح منهم عرف جهود [أبيهم] القديس . فبارادة الله وبمحض اختيارهما ومحبة أمهما انخرطا في سلك الرهبنة بهذا الدير . فدخلاه كلاهما طـالبين القبول من الشيوخ . فاحصيا في الجمعية ، واكملا سني الابتداء الثلاث بطاعة كاملة مرضية لدى الله ، وكانا مهتمين بحفظ النظام وبضيافة الغرباء وبشغل الدير كله . وهما يعطيان القدوة الصالحة لكل الاخوة في الدير والغرباء الزائرين . وكانت الغيرة عند بولس تمتزج بشـيء من العنف ، أما جبرائيل الالهي فكان هادئاً وديعاً ورجلاً مضطرماً بحب المسيح وكان الاخوة كلهم يدعونه «الشيخ» للطفه ، فهل من وداعة مثل وداعته ؟ وهل من حكيم يدانيه بطيب المعشر مع الجميع فان من لم يره قط ، كان بوسعه ان يميزه لخصاله الحميدة ولمظهره الرزين . فكان منظره طاهراً وكلامـــه هادئاً ومشيته مرتبة وعيناه منخفضتين وقامته منحنية وفكره يتأمل في الكتب المقدسة في السـاعات التي لم يكن فيها مقيداً بعمل الابتداء . وقد أنهى الأخوان مدة الابتداء كلها بحكمة ، اذ بدون الابتداء لا يتيسر للمرء ان يكمل السيرة الرهبانية . وفي يوم كانت الجمعية تحتفل به بعيد ، خرجا الى الصوامع وجلسا في العزلة . وكان بولس الفاضل يهتم بالغرباء واختار له هذا العمل لكي يريح الكل ويكرم الكل : المساكين والمتضايقين والمنبوذين والمرضى . لأنه كان يتعاطى الطب الجسدى أيضاً واسكن امه العجوز في كوخ بجوار صومعته . وبعد أن اجهدت نفسها في سيرة فاضلة على غرار النساء الطاهرات القديسات رقدت بالرب بالاسم الصالح وباكليل المجد والراحـــة الطيبة ، وقد اعدت لها سعادة مجيدة في يوم عـــودة الرب . وفضل الطوباوي جبرائيل المكوث في

الصومعة والعكوف على النسك . فبينما كان بولس ، مثل الطوباوي ابراهيم ، قـــد أخذ على عاتقه ان يستقبل المساكين ويعولهم بثمار جهده وشغله ، كان جبرائيل مثـــل ايليا النبي العظـــيم يفضل العزلة .

الفصل الحادي عشر

انتقال ربان جبرائيل الى الحياة النسكية في بلاد قردو وعودته الى هذه البلاد

ولما مكث جبرائيل في هذا الدير زماناً طويلاً وهو يدأب وينمو في مختلف انواع السيرة النسكية ، في الصوم والصلاة ، في سهر الليالي ، في البكاء المر بين أوقات الصلاة ، صار كل الأخوة يغبطونه . اما هو الحكيم في الامور الالهية ، فعندما رأى ما يبدي له الاخوة من الاكرام والطوبى ، رذل كل شيء : صومعته وأثاثه وكل ما كان يملكه في الدير وأخـــذ في مزودة صغيرة كتاب الانجيل المقدس وخرج خفية تحت سجوف الظلام دون ان يعلم به أحد . وقصد ان يكون زاهداً ، بعيـــداً عن البشر وغريباً عن كل معارفه ، فيمم شطر جبال قردو ، واتخذ له مسكناً ومقراً في كهف وجده في واد كثيف الأنجار بعيداً عن كل عشرة بشرية ، لأن هدفه كان النسك والتجرد . انه كان بعيداً عن كل تعزية بشرية ولم يره أحد ولم يقترب الى محل مأهول او الى العمران طيلة إقامته هناك . أما قوته فكان من العروق والاثمار ، وكانت النعمة الالهية تحفظ بها حياته ... هل من تجربة شيطانية لم تعـــبر عليه هناك ؟ او أوجاع تتعرض لها الطبيعة البشرية ولم تطرأ على القديس ؟ ان الذين عاشوا في العزلة وذاقوا شدائدها وحدهم يعرفون طعم هذه المرائر . وكان جبرائيل يأنس بالحيوانات التي كانت تقصده دوماً

وتقف بوداعة بين يديه كما كانت تفعل امام الطوباوي نوح عند مدخل الفلك . هذا مع العلم ان السباع تنفر من الانسان وتبتعد عنه . ومع كونها تخاف القفص (او النمر ؟) فكانت ترعى حول [جبرائيل] وتبيت عنده وكأنها تلتجيء اليه وتحتمي به .

أما الطوباوي بولس ، فما كان ليكف عن البكاء لابتعاد جبرائيل الطاهر ، بل كان ليل نهار ، بالاشتراك مع الاخوة ، يصلون ويضرعون الى الله ان يعرفهم ماذا جرى للقديس وأين يسكن . ومضى زمان طويل ، وعرف سكان قردو كلهم بأمر الطوباوي ربان جبرائيل وانتشر خبر العجائب والأشفية التي أجراها الرب على يده لكثيرين ، وبلغ خبره ايضاً الى أخيه العجيب بولس . فأخذ رسالة الطلب من جماعة الاخوة الذين في هذا الدير ومضى اليه ليعيده . وشرع يسأل ويفتش عنه حتى وقف على موضع إقامته . ولما بلغه وتبادلا القبلة وبكيا كأخوين حبيبين ، أخرج الطاهر بولس رسالة الجمعية وأعطاه اياها . وحينما قرأها (جبرائيل) لم يقرر الذهاب او عدم الذهاب لأخيه ، بل فوض الأمر كله الى الله . وقام كلاهما بالصلاة الليل كله ليعرفهم الرب إرادته . وفي الليلة الثالثة ، وقد أعيا السهر بولس فاستسلم الى الكرى ، ظهر ملاك الرب للأنبا جبرائيل وجهاً لوجه وهو يوعز اليه بالعودة مع أخيه قائلاً له : « ان هذه هي ارادة الرب ، لأنك موضوع لفائدة كثيرين في تلك البلاد » . وفي صباح الغد ، قام ورجع مع أخيه ، وكان بولس فرحاً مبتهجاً يمجد الله على عودة أخيه القديس . وهكذا بقوة المسيح الرب التي كانت ترافقهما عادا الى هذه البلاد .

الفصل الثاني عشر

الطوباوي مار يوحنان وجمعيته
فى الدير المقدس الواقع فى «نيرب برزي» (وادي برزي)

انني الآن أتكلم عن ذلك الموضع ، وفاء بما وعدت في قصة ربان قفريانوس(١) ، حينما ذكرت أسماء القديسين الذين عاشوا في هذه البلاد وحسبت معهم القديس يوحنان الذي سكن في نيرب برزي ، ولأن ربان جبرائيل جاء الى هذا الدير عند عودته من قردو ومكث فيه مدة طويلة .

ان لهذا الوادي من الجهة السفلى مدخلاً وحيداً . أما من جهاته الاخرى فهو حصين ، ذلك لأنه في الأجيال الغابرة والأزمنة القديمة ، كان لكل بلد رئيس يعتبر مليك بلاده ، وكان خطر السلب والنهب يتهددهم من جيرانهم . فانك ترى في أماكن عديدة من الجبال والكهوف والآكام حصوناً وأسواراً وقلاعاً بناها الأقدمون وحصنوها . ويقال ان رجلاً جباراً كان في هذه البلاد يسمى « برزي » . فحصن هذا المضيق وحفر فيه صهاريج كبيرة لخزن المياه ، ونحت فيه كهوفاً ، فدعي « نيرب برزي » ، باسم الحاكم الأول الذي حصن المكان . ولما انتشرت بشارة سيدنا ومخلصنا يسوع المسيح وزال تعليم الوثنية وعبادة الأصنام من العالم ، ومجد سكان الارض طراً الخالق الحكيم بفم القديسين الذين عاشوا فيها ، وتجاوبت الجبال أيضاً بهذا المجد بالنساك والزهاد الذين سكنوا فيها، حسب قول اشعيا النبي : « ليسبح سكان الكهوف وليصرخوا من قمة الجبال»(٢) . أقبل الى هذا الوادي مع اناس آخرين من مقاطعة الروم الطوباوي مار يوحنان المطرافوليط ، زميل الأساقفة السبعة الذين سكنوا معاً في ديرا دريشا(٣) المقدس طيلة

(١) طالع قصة قفريانوس ، الفصل الاول .

(٢) اشعيا ٤٢/١١ .

(٣) راجع كتاب الرؤساء ص ٢٤ ، حاشية ١ .

حياتهم. أما القديس مار يوحنان فقد أسس هناك جمعية من النساك وسكن هو بينهم في قبر بدون نور ولا عشرة الا نادراً أو عند الاشتراك في الأسرار المقدسة . وكانوا كلهم اناساً كاملين مولعين بالالهيات ، كما تشهد المغارة التي ضمت أجسادهم ، وقـــد كتبت أسماؤهم في سفر الحياة . وانك لتستطيع أن تقرأ على صناديقهم أسماءهم مكتوبة على قبورهم ، ومنهـا قد امحت قدم عهدها . وقد عاشت تلك الجمعية واستمرت الى عهد القديس ربان جبرائيل . وحينما جاء ربان من قردو ، كان اربعون رجلاً في ذلك الدير المقدس [الذي أسسه] مار يوحنان العظيم .

والقديس يوحنـــان هـو الذي نصر قرية « قوب »(١) التي رفضت المسيحية الى عهده ، وكانت مفتتنة وسكرى بالسجود للأصنام والأشجار وما شاكلها . ولما أوحى الله الى هذا الرجل البار بشأن تبشيرها ، قام على الفور وخرج من محبسه ونزل الى قرية قوب ، فتألب الوثنيون والمانويون والمجوس سكانها لكي يسمعوا كلامه ويصغوا الى ما يحدثهم به . لأنهم كانوا يعرفون فضيلة هذا الرجل وبرارته ، وقد بلغهم خبر القوات والآيات التي كان يجريها باسم المسيح. ولما طلبوا منه أن يبرهن لهم أن تعليمه وايمانه أسمى من ايمانهم ، حسب قول الطوباوي بولس : ان الآيات لا يطلبها المؤمنون بل غير المؤمنين(٢) ، أظهر لديهم مآتيه الباهرة وأقام ميتاً قد مرت ثلاثة أيام على وفاته ، فامتلأوا دهشة . وكذلك بلعنة ايبس شجرة زيتون عالية كان الشيطان قد اغواهم بالسجود لها لجمالها ونضارتها وغزارة أثمارها وكثافة أوراقها. وازدرى النار أيضاً ودخل وجلس في وسطها مثل حنانيا ورفقائه ولم تضره بشـــيء . وأعاد القهقرى الشمس التي كانوا يسجدون لها كاله . وزشد ينبوع ماء وأوقفه عن سيله ، ثم سمح له فسـال . وأفزع الطوباوي يوحنان القوبيين وروعهم بقوة آياته. ولما رأى اولئك القوم ان قوة الله قد ظهرت بأمر [القديس] ليس في الخلائق عامة فحسب. بل أيضاً في تلك التي كانوا يحسبونها آلهة ، أحنوا كواهلهم ليقلبوا عليها نير الصليب. فعمدهم واشركهم في الأسرار الغافرة واستأصل هيكل النار وشاد لهم الكنيسة التي مازالت قائمة ، وجلب لهم معلماً وأسس مدرسة [في قريتهم] وقدسها وطهرها فأصبحت اليوم حقل المسيح وموضع مرضاته بعد أن كانت حقل الزؤان ومأوى الشياطين . وصار الأهلون يفتخرون باسم القديس يوحنان ، كأناس عادوا بوساطته الى السجود لله خالق السماء والارض .

---

(١) راجع كتاب الرؤساء ص ١٢٧ حاشية ٧ .

(٢) ١ كور ٢٢/١٤ .

الفصل الثالث عشر

مجيء ربان جبرائيل الى دير « نيرب برزي »
وتوليه رئاسته ووفاة بولس أخيه

ولما سمع رهبان دير « نيرب برزي » بدنو الطوباوي ربان جبرائيل منهم ، خرجوا للقائه وأكرموا مثواه وأخذوه الى ديرهم ، لأن رئيسهم كان قد توفي . وإذ مكث عندهم أياماً قلائل ، استطاعوا ، بمؤازرة سكان البلاد المؤمنين ، ان يقنعوه بالحاحهم ، فقبل رئاسة هــذا الدير المقدس على مضض . بيد انه لم يرد ان يسكن معهم تحت [في الدير] ، بل انزوى في صومعة القديس مار يوحنان في المحبس . ومكث هناك سنين عديدة الى ان بلغ الشيخوخة وهو يشتغل شغل الملائكة ، ويستفيد ويفيد ويرشد ويسترشد ويسهر على حفظ ذاته والاخوة الذين عهــدوا اليه ، ولم يهمل البتة موعداً للتضرع والابتهال والاتعاب والتقدم الحثيث ليل نهار .

وكان أخوه بولس في دير ربان قفريانوس . ومرت ايام قليلة وغادر رئيس هذا الدير الحياة الزمنية الى الأبدية . وميزت النعمة بولس ليكون رئيساً ومدبراً للأخوة ، وذلك بانتخابهم واتفاق المؤمنين . ولما قبل هذا المنصب نزل الى بيث كرماي وباع قريته « لوز » بدون مساومة . ونقل وبنى في هذا الموضع ذلك الدير الذي كان قد بني في عهد ربان قفريانوس ، لانه كان لفرط قدمه قد أوشك على الانهيار . وبنى ايضاً وزين دير القديس مار يوحنان الذي كان ربان جبرائيل أخوه رئيساً عليه . ووزع ما تبقى له على المساكين ، لكي يحفظ له بره في السماء ، وأضحى لا يهتم بشيء إهتمامه باراحة وإطعام اليتامى والمتضايقين والمعذبين والمتسولين الذين يقصدونه . فكان يشفق على اليتامى ويقيت الأرامل . وأقام مائدة دائمة في ديره لكل من

يقصده وللأخوة الذين فيه . وخدم المرضى وافتقد المسجونين ، وكسا العراة وأشبع الجياع وسقى العطاش . أما الاسرى المسجونون في الحبس بسبب جزية ، فكان يفتقدهم في « سوق الأحد »(١) دائماً ويحمل اليهم قوتهم واحتياجاتهم ، وثياباً للعراة وفواكه (ادوية؟) للمرضى. ولا يسعنا ان نتكلم عن مبرات هذا الفاعل النشيط الذي كان يهتم بالجميع . ان الرب سيسمعه في ذلك اليوم هذه الكلمة المفرحة : « اني جعت فأطعمتني وعطشت فسقيتني وعرياناً كنت فكسوتني ومريضاً كنت فعدتني وسجيناً كنت فأتيت الي . فادخل الى فرح سيدك»(٢)... ودخل يوماً الى المدينة ، حسب عادته ، ليأتي بثياب للرهبان والغرباء ، فداهمه هناك مرض شديد ما عتم ان أودى بحياته . فحمله الاخوة الذين معه على دابة وأتوا به الى الدير ، واشتدت عليه وطأة المرض . وهكذا ، والعرق يتصبب من جبينه وخطاه دائبة أبداً في سبل القديسين ، بدل الحياة الزائلة بالسماوية وصار وارثاً مع القديسين . فحزن الاخوة والبلاد كلها بوفاة القديس ، واجتمع الرهبان من كل الاديرة التي حواليه واحتفلوا بدفن القديس ووضعوا جسده في الجهة الشمالية الغربية من بيت الشهداء ، بأمر ربان جبرائيل . وكان قد ناشد وقرر ألا يبنى فوق ضريحه أي نصب ، وذلك تواضعاً . فليمنح الرب بصلواته العـــون والخلاص للذين اهتموا بهذا البيت المقدس . آمين .

ولما رأى رجل مؤمن من طبقة الأشراف يدعى « ملبد » ان ربان بولس بنى هذا الدير وأكمله ، ونال من جراء ذلك اسماً عظيماً ، داخله الحسد وتجاسر على منافسة هؤلاء القديسين. فأنفق مبالغ طائلة وبنى ما يسمى بدير بجوار « صورا » وشاد فيه أبنية جميلة وزينه بصوامع ودعا [اليه] الرهبان ووعدهم بانه سيهتم بأمورهم ويسد كل احتياجاتهم . ولم يدر ان دير الرهبان انما يبنيه الرهبان القديسون والبتولون وليس أبناء العالم والأغنياء . أما ربان جبرائيل

(١) يعتبر الجغرافيون العرب مدينة « سوق الأحد » مركزاً لمنطقة بيرتا وحتى لمنطقة المرج كلها . وجاء في صورة الأرض لابن حوقـــل [طبعة كرامرس ص ٢١٧] عن رستاق المرج : هو أيضاً فسيح واسع كثير الضياع والماشية والكراع ، وفيه مدينة تعرف « بسوق الأحد » وفيها أسواق ولها موعــــد لأوقات يحضر فيها السوق يجتمع فيه المتاع وسائر التجارة والاكرة والاكراد وكانت مدينة كثيرة الخير ، خصبة تحاد الجبل على نهر يقرب منها يطرح ماءه الى الزاب الكبير - الخازر [طالع أيضاً ابن حوقل ، صورة الأرض ص ٢١٥ ، الادريسي ، نزهـــة المشتاق ، طبعة روما سنة ١٥٩٢ ص ٢٣٢ ، ياسين العمري ، منية الأدباء ص ١٦٣] . وتدعى أطلالها الآن « ملي سوكا » أي تلول الأسواق وهي على مسافة كيلومتر ونصف جنوبي بلا على الطريق المؤدي الى عين سفني .

(٢) متى ٢٥/٢١ ، ٣٥ ، ٣٦ .

الذي كان ينعم برؤى الهية ، فقد استهزأ بذلك التدبير قائلاً : « ها هوذا انه مبني ، كما كتب في حزقيال[1] ، ولكنه لن يفلح » . وقد انهار فعلاً ذلك البيت بعد مدة وجيزة وتبدد الراهبان او الثلاثة الذين كانوا يسكنون فيه ، وظل مهجوراً ، كما يعلم الجميع بذلك .

الفصل الرابع عشر

رئاسة ربان جبرائيل على دير ربان قفريانوس واهتمامه بكل الشؤون

بعد وفاة المقدس الذكر ربان بولس ، وقع الدير في الفاقة والعوز . ولان بولس مدبرهم الفاضل غادر الحياة ، شرع الرهبان ايضاً يغادرون [الدير] . فاجتمع سكان تلك البلاد مع هؤلاء الأخوة وقصدوا ربان جبرائيل في دير مار يوحنان بنيرب برزي وأعلموه ان دمار ديرهم وشيك ان لم يتداركه باهتمامه . وقالوا له : « ان الاخوة كلهم يغادرون ، وان هـذا الموضع المقدس الذي تعبتم في إقامته سيخرب قريباً » . فأجابهم الطوباوي : « اني لا أقدر ان أنتقل الى أي مكان بدون الامر الالهي الذي أذن لي بالرجوع من بلاد قردو وأولاني الراحة في هذا الموضع المقدس . فارجعوا الى بيوتكم وفي هذه الليلة نصلي الى الرب انا والاخوة لكي تتم بنا مشيئته » . وفي المساء أمر الاخوة ان يقيموا صلاة عامة على تلك النية ، أما هو فصعد الى صومعة الأنبا يوحنان وأمضى الليل كله في الصلاة الى الله . وقبل بزوغ الفجر ، بينما كان متهدجاً ، خطف عقله ورأى وكأنه في بيت شهداء دير ربان قفريانوس ، وكأن ربان قفريانوس حي يتلو وحده هذا المزمور : « ما أطيب وما ألذ ان يسكن الاخوة معاً »[2] وكأني بربان

(١) حزقيال ١٧/١٠ .

(٢) مزمور ١٣٢/١ .

قفريانوس يطلب الى الانبا جبرائيل أن يشمس ازاءه[1] . ولما قال الجملة الأخيرة « لأن هناك أوصى الرب بالبركة والحياة الى الأبد » ، استيقظ وثاب الى نفسه وقد غمره الفرح والابتهاج وعرف ان مصدر الرؤيا هو الرب الذي يأذن له بالانتقال من هناك والسكنى في دير [قفريانوس] حيث أنهى اخوه العجيب بولس حياته . وانحدر في الصباح الى ديره وأقام عليه مدبراً ووعد انه لن ينساهم ابدا . ثم نزل مع اخوة الدير الى هنا وشرع يعكف على اراحة المساكين والرهبان على غرار اخيه ، بل فاقه اهتماماً وعناية بهم . فمنحه الرب موهبة السيطرة على الشياطين وشفاء كل الأوجاع والامراض بقوة الصليب . وقد انعم الله عليه برؤى عديدة ، وكان يرى ويعرف الامور البعيدة ، كالقريبة . وحمل صليب سيده بحرارة مضطرمة وتبع هوان الصليب . ولأنه اشتغل في كرم سيده النهار كله وحمل الثقل والحر ولم يبد رخاوة في التجارة الروحية ، عظمه سيده هنا مسبقاً بالقوات والعجائب التي كان يجريها على يده ، وأنعم عليه برؤى مجيدة ، ريثما يأتي اليوم المنتظر فيدعوه ويقيمه عن يمينه في مجلس اتباع انطونيس ومقاريس وارسانيس وكل الأبرار اقرانه . فقد اجرى مثل الأنبياء والرسل اشفية وعظائم في هذا الدير فاجتمع بسببه هنا رهبان عديدون ، وكل اخ مهمل أو خامل في الحياة الرهبانية كان اذا ما رأى هذا الشيخ القديس ، يتجدد ويتقوى في عمل النسك .

وكان [ربان جبرائيل] ينصح الاخوة دوماً ان يكونوا مثابرين على العمل الذي دعوا اليه قائلاً : « ان الزمان قصير ، يا احبائي ، فاننا نشتغل اليوم امام الرب في هذه الحياة ثم نجتاز . واجر عملنا القليل محفوظ لنا مدة لا ينهيها سير الازمان وتعاقبها . انظروا يا أحبائي كم احتمل الأنبياء القديسون من الآلام والمحن ، وكم عانى الرسل الطوباويون من الضيقات والعذابات وكم قاسى الشهداء المظفرون من الأهوال والميتات القاسية لأجل ملكوت السماء . تأملوا الآباء المتوحدين ، كيف تركوا العالم وامواله ، ونبذوا محبة الآباء والاخوة وخرجوا عراة الى القفر وحدهم حباً بالرب الذي قال لهم : ان كل من لا يترك آباء واخوة وابناء وبنات وكل شيء ويبغض نفسه ويحمل صليبه ، اي الشدائد والتجارب المرة ويحتمل لأجلي كل الصعوبات ويكفر

(١) التشميس هو تلاوة المزامير بصفين متقابلين . ولا زالت العادة جارية في الكنيسة ، إلا انها — للأسف الشديد — قد فقدت غالباً صيغتها الجماعية في الكنيسة السريانية الشرقية وأخذت صيغة فردية ، أي ان واحداً يقوم بالتشميس عن كل صف من المصلين .

بالمنظورات ، لا يمكنه ان يكون لي تلميذاً(١) . ايها الأحباء ، لا نقرأن مآثر القديسين بدون ان نكمل في نفوسنا أعمالهم . فالله يعير بلسان داود من يقـــرأ ولا يعمل ، قائلاً : « ما لك تحدث بحكمي ، وتأخذ عهدي على لسـانك ؟ وانت قد أبغضت التأديب ونبذت كلامي وراءك »(٢) . ويكتب بولس الالهي في رسائله البديعة : « ليس العارفون بالناموس هم المبررون امام الله ، انما مكملو الناموس هم يبررون»(٣) . فلا يطمئننا ثوبنا والعبـــاءة السوداء واكليل الرأس والزى الذي نحن به متوشحون ، كأن هذه الامور شيء يذكر قدام الله . فان في العالم اناساً مساكين ، لا يملكون حتى هذه الأشياء ، بل انهم عراة ومعوزون ومتضايقون محتاجون وليس لديهم حتى الخبز اليومي . ولأنهم مهتمون بالامور الباطلة ، لا يشفق الله عليهم لأجل عوزهم . فلأن تصوموا وتصلوا وتسهروا وتشتغلوا طيلة حياتكم ، فان هـــذا الشغل لا يوازي القوت الذي به تعيشون . فلا تظنوا انكم ستكافأون عوضها في العالم العتيد . فان سعادة ذلك العالم لا تعطى لأجل الأتعاب بل تمنح للقديسين مجاناً . والأجر المحفوظ للصالحين هناك شبيه بعدل الله . لأن أتعاب القديسين تختفي ازاء نعمة الله . اذن ، ايها الأحباء ، لا نظن ان التعب الزهيد الذي نعانيه سيبررنا امام الله ، بل بالحري ليكن لنا دافعاً الى الخوف . فلعـــل آباءنا واخوتنا المرتبطـــين بالأرضيات يكونون أفضل منا هناك امام الرب هم الذين يؤدون الجزية ورأسهم منحن أمام ضرائب الملوك وهم يفرجون عن المتضايقين ويشفقون على المحتاجين ويحسبوننا صديقين . لأنه مكتوب : « ان غبطة من يعطي لأعظم ممن يأخذ »(٤) . فلا نفقدن تلك الطوبى بأكلنا [ثمرة] شغل المؤمنين ونحن لا نعمل شيئاً يذكـــر لمعيشتنا . فالأجير الذي يشتغل باستقامة امام انســان مثله يحافظ على عهد مستأجره ، فان كان ذاك يحذر من ان يأكل خبز أجره بدون تعب امام انسان يشبهه ، فكم بالأحرى يجب علينا ان نأكل خبز الرب بدموع ، ولا نهمل وقتاً واحداً من الشغل والتعب الذي يقتضيه مسلكنا المقدس » .

« ايها الاخوة ، لنتذكر ذلك الملكوت الذي لا يحول ، والخدر الذي لا يزول ، والنور الذي لا يفنى الذي فيـــه ينعم والقديسون . ولنصب الى تلك الاخوة التي لا يدانيها الحسد ،

---

(١) لوقا ١٤/٢٦ ـ ٢٧ .

(٢) مزمور ٤٩/ ١٦ ـ ١٧ .

(٣) روم ٢/١٣ .

(٤) أعمال الرسل ٢٠/٣٥ .

والاتفاق الذي لا يفصم والشركة التي لا تنقسم والصداقة التي لا يعتريها الملـل وبها تفعم قلوب الصديقين بمنظر جلال المسيح المسجود له ، والى ذلك الاجتماع الذي لا يرفض ، اجتماع الكنيسة المكونة من الروحانيين والجسدانيين ، والى تلك العذوبة التي لا تتغير . الناتجة عن صوت تهاليل المهللين ، والى ذلك التواضع الذي لا يرتفع ، وذلك الارث الذي لايغتصب الذي يرثه الأبرار في عالم النور ، وذلك المجد الذي لا يوازى الذي يتوشح به أبناء النـور هناك ، وتلك الموهبة التي لا تسرق التي يرثها الأبرار في عالم المسيح الجديد ، وذلك الشكر غير المنقطع الذي يصعده الناطقون كلهم بغير سكوت . فلما تتأمل عقولكم اليقظى في هذه الامور وفي أمثالها ، أيها الأطهار الأحباء ، تجدون قوة لتستطيعوا ان تقمعوا وتحتقروا الأهواء القبيحة التي تختلج فيكم بسبب شقاء الجسد الذي تحملون وزره وميل نفوسكم المتقلبة ، فتستحقوا النعمة التي تمنح كل المواهب لكى تقضوا أيامكم في مأمن من كل الهجمات ، حسب ارادة خالقكم ، فتكونوا في هذا العالم هياكل مقدسة ترتل تسابيح الرب ، ومساكن مجيدة تسمع فيها أصوات المجد والخلاص ، كأنوار بين الظلمات ، فيرى [الناس] أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذي في السماء ، وتكللون بمجد لا يزول مع كل الأبرار الذين بلغـوا [اليه] وسيبلغون » .

كان ذلك الفم المقدس يتدفق بهذه الكلمات على مسامع الرعية التي اودعت له . ومثل زرع جيد ألقي في حقل مخصب ، كانت نفوس تلاميذه تعطي أثماراً ، ويزداد أولاده القديسون فضلاً وشهرة ، حتى أصبح أبناء هـذه الجمعية التي يرئسها هذا العامل الصالح وخادم بيت المقدس . الحكيم والقديس ربان جبرائيل ، علة مجد لسيدهم .

الفصل الخامس عشر

النساك والقديسون الذين عاشوا في شتى الأماكن في عهد ربان جبرائيل

كان في عهد ربان [جبرائيل] نساك كثيرون ، منهم رهبان يعيشون في الدير ومنهم اساقفة ومطرافوليطون . واننا نذكرهم هنا لنتبرك بذكرهم ولكي نظهر أيضاً ان ربان جبرائيل كان معروفاً وشهيراً لديهم .

كان في دير بيث عابي المقدس رجل فاضل متزهد اسمه الانبا دومط ، ولقداسته السامية كان المسيح يجري على يده قوات كثيرة ، حتى أن رقعاً من ردائه كانت تطرد الشياطين بنوع جلي مثل رقع أثواب بولس(١) . ولكونه هو أيضاً من بلاد بيث كرماي ، كانت أواصر صداقة وثيقة تربطه بربان جبرائيل ...

وكان في دير ربان برعيتا(٢) رجل قديس يسمى الأنبا ايشوعسبران برمامي(٣) ، وكان رجلاً صالحاً فضيلاً ، حتى ان الامراض كانت تزول بلمس المصطبة التي كان يستريح عليها . وقد رسم أخيراً اسقفاً لمدينة نينوى العظيمة ، وجدد هيكل ذلك الدير ونقله من موضعه ، كما فعل ربان بولس في هذا الدير .

---

(١) أعمال ١٢/١٩ .

(٢) دير ربان برعيتا : كان برعيتا هذا بكر تلاميذ مار ابراهام الكبير موسس دير ايزلا الشهير . وقد أسس برعيتا ديره في مركا سنة ٥٦٢ [طالع كتاب العفة عدد ١٤ و ٢ ...] ، وكان هذا الدير على الخازر بجوار عمر مندان . إلا ان تقلص المسيحية في القرون الوسطى أدى الى التخلي عن ذلك الدير ونقل اسمه الى موضع آخر بالقرب من قرية كرمليس بين قريتي ترجلا وحسن شامي . ومن ثم فقد ظن الكثيرون ان هذا الأخير هو دير ربان برعيتا الأصلي . ولكن لا قيمة تاريخية لهذه التسمية المتأخرة ، وحتى ان سفر الأحياء والأموات الذي كتب في كرمليس في القرن الرابع عشر لا يذكر شيئاً عن هذا الدير [راجع كتاب الرؤساء ص ٢٢ حاشية ١ ، ص ٩٦ حاشية ٢].

(٣) أصبح ايشوعسبران برمامي اسقفاً على نينوى والموصل في النصف الثاني من القرن الثامن .

وفي الوادي المسمى « بيث كزا » كان يسكن ناسكان عجيبان ، وهما كومينا ومعنا ، وكانا رجلين متوحدين ومسنين اجترحا قوات كثيرة ، وقـد شاهدهما المؤمنون مرات عديدة يعبران سيراً فوق نهر الزاب الكبير . . .

واشتهر القديس الانبا فثيون بالنسك منعزلاً في صومعته في الوادي المدعو « صفي » ، وكان رجلاً بارا ومتقشفاً جداً قلما يراه الناس . وبالخبز الذي يباركه ويعطيه كانت الشياطين تهرب والامراض تزول . وقد غادر الحياة الزمنية ونقل جسده الى قرية اسمها « ريشا » .

وفي جبل « ديانن » كان الانبا حبيب وأخوه يعقوب يسطعان باشعة الفضيلة . وقد شفيا المخلعين واعطيا البنين للعواقر ومنعا الجراد من التهام الكروم ، وكان كل شـيء يمتثل أوامرهما . . .

واشتهر بالقداسة في دير بيث قوقا الانبا سبريشوع المدعو « الأحدب » الناسك المتزهد وكذلك الانبا عبديشوع الكردي الذي لم يكن لصومعته باب لكي لا يذهب عند أحد ولا يدخل أحد عليه . وكان على درجة كبيرة من التجرد وكان مأواه بدون اعتناء . وكذلك القديس جبرائيل الذي كان مثل الرخ وسائر الطيور بعيداً عن الميول ناعم البال متجرداً .

وكان في جبل زيناي متوحدون شهيرون ونساك نبهاء ، اسم أحدهم اموزيس . وتنسب اليه هذه الاعجوبة وهي أن كل ايل يسقط من صخرة أو علو ويصاب بأذى ، كان ينقل اليه فيشفى وذات مرة حينما ذهب خادمه ، وكان رجلاً مؤمناً ، ليحمل اليه القوت ، شاهد عنده ايلة قد انكسرت رجلها ، وكان الشيخ القديس يضمدها ومعها فراخها . ولاثبات الاعجوبة ، أخذ المؤمن أحـد فراخها وأتى به الى قريته . ورأيت اناساً شاهـدوا ذلك لايل الذي ظل في القرية بسلام سنين عديدة .

وقد اشتهر في ذلك الزمان برئاسة الكنيسة آباء قديسون : ففي كرسي أربيل كان المطرافوليط الطوباوي مار أحا [نحو سنة ٧٤١ ــ ٧٥١] وخلفه مار مارن عمه العجيب [نحو سـنة ٧٥٤ ــ ٧٧٤] واتى بعده مار أيشوعياب المطرافوليط [نحو ٧٨٠ ــ ٧٩٠] . وعاش [جبرائيل] في عهد هؤلاء الثلاثة الذين صنعوا قوات كثيرة في مدة رئاستهم . وبما ان هـذه البلاد كانت تحت ولايتهم ، فكانت لهم محبة جمة للطاهر ربان جبرائيل وكانوا يعتبرونه رجلا عظيماً وفاعلاً باراً . . . .

وكان في كنيسه مدينة الحديثة القديس الذي يستحق المدح الاسقف مار شليمون الرجل الذي جارى الرسل اذ انه بمجرد كلمة كان يطـــرد الشياطين الظالمين ، على مثال بطرس(١). وقد اجتاز فوق نهر دجلة الكبير مرات عديدة ولعن قرداغ الرجل الجاهل فنبت له قرن في جبينه . ومالي اتعب أناملي في كتابة مآتي هذا الرجل المستحق الطوبى وقد سجلها تلاميذه في مصنفات عديدة. وقد حلق الملك الوثني رأسه ولحيته بسبب الاهتداء الذي كان يجريه بين الوثنيين.

وفي كرسي بلاد سنجار ذاع صيت القديس مار شوحالماران في الكنيسة بمواهب تفوق الوصف . فحينما أقيم مطراناً لكنيسة نصيبين الكبيرة واضطر الى النزول عند البطريرك من بلد الى بغداد لينال التثبيت ، في ليلة واحدة اوصل السفينة التي ركبها الى بغداد ، وكذلك في صعوده جعل السفينة تصل في ليلة واحدة الى « بلد » . و[illegible] ضرب الشيطان تلميذه وأعمى عينيه ، أجبر الشيطان على نقل الحجارة على ظهر الحمار لبنيان لكنيسة عوض خادمه .

وكان في بلاد حنيثا ناسك متوحد اسمه « ماروي » يسكن في الجبل الذي يفصلها عن معلثا(٢) . وكان في جبل القرية القريبة منه تنين يأ[illegible] يوم ويأخذ ثوراً من القطيع . فأتى اليه الأهلون وبكوا أمامه الأضرار التي يلحقها بهم د[illegible] الحيوان المبيد ، فذهب معهم الى كهف التنين . ولما رآهم [التنين] أخذ في الفحيح والصفير وانحدر اليهم ، فلعنه الشيخ القديس فانقلب فوراً حجرة صماء . ولا يزال الى اليوم كبنيان من الطين يستريح في ظله عابرو الطريق وهم يتعجبون ويمجدون الله ويباركون ذلك القديس ملتمسين صلاته .

وكان مار ايشوعزخا الاسقف القديس يشع بنور رسولي على كرسي سلاخ ، وأصله من بلاد بيت ارامايي . هذا لعن كرماً كبيراً يعود الى اناس متكبرين فأيبسه . وفي سلاخ الداخلية قرية اسمها « جولاي » قد اهتدى سكانها حديثاً الى المسيحية . فلما شيدوا كنيسة في قريتهم ، نذروا لها غاباً كبيراً من الجـــوز . وحين مات اولئك الشيوخ تخاصم اولادهم بشأن أشجار الجوز واسترجعوها . فلما دخل عندهم هذا القديس ، تشكى امامه كهنة تلك الكنيسة من المؤمنين . فأنكر المؤمنون قائلين : « انها لنا » . وكان الكهنة يقولون : « انها للكنيسة » . فقام القديس وصلى وصرح امام الجميع : « اني واثق بالرب الذي أعبده ، اذا كانت تلك أشجار

(١) مرقس ٣/١٥ ـ ١٦ .

(٢) هي هنا معلثا التي على الزاب وليست معلثا التي بالقرب من دهوك [راجع جزء ٢ فصل ٣١ حاشية ١] .

الجوز للمؤمنين لتقف في موضعها . واذا كانت للكنيسة فلينقلها المسيح الى فنائها » . ولما مضى الليل وأتوا في الصباح الباكر اذا بذلك الغاب كله قد انتقل الى جوار الكنيسة ، ولم يلحق أية شجرة ضرر او تترك عروقها في موضعها الأول . وكل الذين رأوا وسمعوا مجدوا الله(١) .

وفي دير ربان افنيماران ايضاً صنع الطاهر الحقيقي والقديس الأنبا برديرا الناسك آيات وقوات لا توصف . ولكن ليس من شأننا ان نتكلم عنه ، بل يعود ذلك الى القديسين الذين كتبوا مآتيه ...

وفي دير برطورا كان الطوباوي الأنبا مرقس يتألق مثل كوكب السماء بنور قداسته . وقد أخزى الوثنيين ورفع شأن الكنيسة بالبواهر التي أظهرها علناً أمام جموع غفيرة ...

وعاش في هذه الأيام الأنبا عنانيشوع المتوحد والناسك القديس الذي يستحق الذكر مع كل الأبرار . وشيد ديراً بجوار مدينة الحديثة(٢). وقد اشتهر في الجمع بالقوات والعجائب التي كان الرب يجريها على يده .

وفي بلاد بيث بغاش ذاع خبر القديس مار شمعون الاسقف بادارته للكنيسة ورئاسته الحازمة . فهو الذي شاد كنيسة قرية شلمث حينما كان معلماً هناك ، وقد أجرى في العالم أشفية كثيرة باسم الرب يسوع المسيح . وفي عهد اسقفيته أصبح اسمه مفخرة للمسيحيين قاطبة . كذلك بعد وفاته كل من التجأ اليه منح صحة النفس والجسد من مرقد عظامه المقدسة .

فهذه العجائب وأمثالها جرت على أيدي هؤلاء القديسين الذين تقتضي مآثر كل منهم قصة خاصة . واني قد كتبت قصص بعض منهم في كتاب آخر(٣) . وانما ذكرتهم هنا لغايتين : الاولى لأظهر الأنوار التي كانت تشع في سماء الكنيسة في عهد ربان جبرائيل . والثانية لكي يسمع مبراته جميع الذين يقرأون هذه القصة ، ولا ينكروا القوات التي أجراها الرب على يد عبده حينما تذكر أمامهم .

---

(١) طالع هذه الاعجوبة بنوع مطول في كتاب الرؤساء جزء ٢ فصل ٣٢ .

(٢) هو دير برقانا الذي ورد ذكره [راجع جزء ٣ فصل ٩ ص ١٣٨ حاشية ١] .

(٣) اشارة الى كتاب سابق وضعه توما المرجي ولم يصلنا [راجع كتاب الرؤساء ، المقدمة ص ٥] .

الفصل السادس عشر

معرفة الامور العتيدة التي نالها القديس ربان جبرائيل من الله

ألم يحن الأوان لنعلن على رؤوس الملأ عظمة هذا الرجل العجيب؟ علينا بذلك بالتدريج. وبمثابة نماذج لنتكلم عن الرؤى التي حدثت له ثم عن الآيات والقوات التي صنعها . وهكذا نسير نحو نهاية الرواية بتدريج قصصي . فمن لا يعرف عمران بن محمد اللازدي الذي ينحدر من الجنوب الكبير[1] ، وكان رجلاً في غاية الشراسة . ثم تخلى عن بطشه وصار مسالماً بوساطة هذا الرئيس القديس . وقبل مجيء هذا العربي الى هذه البلاد سبق الله رب العالمين وكشف النقاب أمام عيني القديس عن بدايته ونهايته وعن بنيه وأحفاده الى خمسة أجيال . وقد جرى الأمر على هذه الشاكلة : أراد الربان يوماً ان يبيع ثيراناً من قطيع الدير ليسد حاجات الاخوة. فأرسل عشرة ثيران مع مبتدىء الى سوق قرية يزدينا باد وأوصاه قائلاً : « خذ هذه الثيران وامض الى يزدينا باد ولا تدخلها الى السوق ، بل ارعها فوق القرية . وهوذا سيأتي اليك رجل عربي راكباً حصاناً وسيساومك في أثمانها . فلا تساومه ولا تقبض منه شيئاً . واذا قال لك تأن علي فآتي لك بأثمانها ، فقل له ان جبرائيل قال : متى يتيسر لديك أثمانها فهلم عندي الى الدير». ولما ذهب ذلك الأخ وعمل بما أوصاه ، اذا بعمران قادماً . ولما أبصر الثيران ، أقبل اليها ، وسأل عنها ، فقال الراهب اني جلبتها للبيع . وأردف الأخ قائلاً لعمران : « ما اسمك ؟ » قال له : « لم تسألني عن اسمي ؟ » قال له : « ان أبي ربان جبرائيل أوصاني قائلاً : هوذا سيأتي اليك رجل عربي اسمه عمران ، فاعطه الثيران بسهولة وقل له اني أعرف انه لا يتوفر لديك الثمن ، فمتى يهيىء الله لك ذلك ، فتعال وأت به عندي الى الدير لأراك » . ولما سمع عمران ذلك - ولم يكن له سابق معرفة بهذا الشيخ القديس ، اذ لم يكن بعد قد توغل في أملاك

---

(١) راجع كتاب الرؤساء جزء ٤ فصل ٢١ - ٢٢ .

قرى مركا — تعجب واعتراه الذهول وعرف ان هذا الرجل عظيم ، وقال في نفسه : انه رأى مجيئي الى السوق وادرك رغبتي في شراء الثيران . وتحقق عمران في داخله أن ديانة المسيحيين عظيمة وسامية أمام الله ، اذ ان قديسيهم يرون الخفايا ويعرفونها فاخذ الثيران ومضى . أما الراهب فعاد الى ربان وأطلعه على ما جرى . فسكت ربان ولم يحر جواباً . وبعد يوم أو يومين قرع عمران الباب . ولما فتحوا له دخل وسأل عن ربان وخر أمامه على الارض . فقبل ربان رأسه وباركه . وقدم له [عمران] اثمان الثيران ثم جلس وأمسك برجلي ربان باحترام وأخذ يناشده بأن يصلي عليه . فقال له ربان : « اذا اقمت الآن عهداً قدام الله بأنك لن تقتل المسيحيين فاني سأكشف لك ما سيكون من شأنك وماذا سيحدث لبنيك وبني بنيك » . فأقسم أمامه قائلاً : « من اليوم فصاعداً ، وطالما يوجد مسيحيون أمثالك ، فلن أضرهم . ولقد سمعت عن بني بوزي كيف اهانوني واسخطوني بكلامهم وتكبرهم » . فقال له الشيخ : « اذا حبست سيفك عن شعب الله فسيورثك الله أنت وبنيك وأحفادك بلاد مركا قاطبة . والذين يقومون من صلبك سيكونون جبابرة أقوياء ، فلا يقوم امرؤ ضدهم ويغلبهم . ومثل نيسان بازهاره والكرم بعناقيده هكذا سيمتازون بمنظرهم وقوتهم عن ابناء سائر العرب . وهذا ما كشفه لي الله الذي ازدريت بالعالم كله في سبيل حبه ، فأطلب منك ان توصي الأولاد الذين سيقيمهم الله منك ان يعطفوا على المسيحيين وبالأخص على الاعمار والديورة والرهبان والطلاب والكهنة والشمامسة . » فرضي عمران ان يعمل بمقتضى وصية ربان . وقد قام بذلك فعلاً واوصى بنيه . هذه هي الرؤيا التي ظهرت للشيخ القديس .

وكان بجوار ديره المقدس ثلاث قرى يتواطأ سكانها مع الوثنيين فينهبون هذا البيت المقدس ويضايقونه ولما كان الأخوة يشتكون من ذلك، قال لهم ربان بوضوح : «انها لا تعتم أن تؤول الى الدمار » . وكان كما قال . واخبر بروح النبوءة الحالة فيه عن اضطراب المملكة الذي حدث قبل جيلنا هـذا . وقلنا آنفاً انه سبق وأعلن لاخ عن خراب دير ملبد وانهيار كل بيته ومجده . وها ان منظر ذلك الخراب يشهد على صدق كلمات القديس . وسبق وأخبر ان حبيبه ونده الأنبا دومط الناسك من بيث عابي سيغادر الحياة قبله . ولما انتقل ذلك الشيخ القديس ، قال ربان جبرائيل للاخوة الذين في الدير : « في هذه الليلة يتم كمال الطوباوي الأنبا دومط وتسمو نفسه الى المنازل السماوية . اليوم يخزى الشيطان عدو القديسين بنجاة هذا الشيخ الالهي

من مكايده الخبيثة » . وكان يرى رؤى سماوية كثيرة ولكننا لم نطلع عليها ، وذلك لاهمال المؤلفين الذين لم يسجلوها . ونحن من القليل الذى يقال عنه ، والذي هو كقطرة ازاء فيض من المطر وبمثابة حجرة واحدة من الجبل كله ، نفهم الى أية درجة بلغ هذا الرجل الالهي .

الفصل السابع عشر

العجائب والأشفية التى اجترحها ربان جبرائيل

لنعد الآن بقوة صلاة هذا القديس الى الحديث عن القوات التي صنعها والعجائب التي أجراها المسيح على يده . اذ لا تستطيع مدينة ان تختفي وهي مبنية على جبل ، حسب قول المسيح ربنا(١) ، وقد أمر تلاميذه ألا يخفوا أسراره وايحاءاته . فاذا كان ثمة قديسون لم تجر على يدهم عجائب وقوات رغم انهم امتازوا بأعمال الفضيلة السامية ، فذلك ليس لصغرهم او عدم شهرتهم ، انما هو تدبير الله الحكيم وحده ، الذي يعطي كلاً ما يليق به . ويمنع الرب الاله من بعضهم موهبة إجراء الشفاء لان الطبيعة البشرية طائشة ، والشيطان واقف لها بالمرصاد يحاول إسقاطها ، ويشن حرباً شعواء بالأخص على القديسين الذين طالما قطعوا شباكه وسخروا بأحابيله . فاننا نرى ان بولس الالهي الناطق بلسان المسيح والمكمل آلامه والعمود الكبير وأبا كنائس الامم التي تقدست بوساطته بعلامة المسيح ، قد أعطي شوكة في جسده ملاكاً من الشيطان ، أي الأمراض التي لازمته(٢) ، لئلا [يستكبر] بكثرة الايحاءات والآيات التي كان

(١) متى ١٤/٥ .
(٢) طالع ٢ كور ٧/١٢ .

يصنعها ، فيعظ الآخرين وهو نفسه يرذل . كل ذلك اذن هو من ارادة المدبر الذي حسب سبق علمه السامي يكمل في امنائه ما هو لخير المجتمع . أما أبونا القديس مار جبرائيل ، فقد اعتصم بالتواضع منذ بدء حياته الرهبانية ، فاختار ان يكون محتقراً ومجهولاً ، وقــد قضى على هذا النحو حياته كلها حتى الشيخوخة حيث دعاه الله الى رئاسة هذا الدير المقدس . وأجرى الله على يده قوات ومواهب لا تنقص عما أعطي للآباء الأقدمين . ومع سيل الأشفية التي كان يمنحها ، طرأت عليه ضيقات جمة من اناس أشرار يسكنون بجوار هذا المكان . وقد كان الشيطان عدو ربان يثيرهم دائماً ليتألبوا على هــذا المكان بالتهديد والوعيد وهم يريدون الايقاع به ، كما سنبين ذلك فيما بعد في سياق كلامنا بعونه تعالى .

وبينما كان ربان في دير مار يوحنان يقوم بأشغاله الاعتيادية ، جاءه رجل من قرية تلا في شهر ايلول وقال له والحزن باد على محياه : « ان كروم قريتنا ضربها البرد بشدة وقد بقي كرمي وحده سالماً » . فقال له الطوباوي : « يا بني ، انه لتأديب أرسله الله لكم لفائدتكم ، ومن يقبل تأديب الرب يضمد الرب جرحه . واذ اتفق ان ضرب البرد كرمك ايضاً فانما ذلك لخيرك . ولكن إعلم ان كرمك ايضاً سيتلف . فان كان الذنب ذنب الجميع ، فالتأديب يكون للجميع » . وذهب ذلك الرجل وعصر كرمه ووضع خمره في دن وسده . ولما عاد يتفقده في اليوم التالي ، اذا بالدن خال لا شيء فيه . وهكذا تم كلام ربان بالفعل .

وبينما كان جالساً يوماً أمام صومعة مار يوحنان يقرأ في كتاب ، جاء نسر وخطف جدياً من معز الدير . ولما رأى الجدي ثاغياً والنسر يحمله ويصعد به الى وكره ليأكله ، قال ربان للنسر : « لأجــل الرب انزل بتعقل ما انت حامله » . وكأن شيئاً ثقيلاً عاق بالنسر وأنزل الجدي رويداً رويداً دون ان يفترسه ووضعه على الأرض ثم تركه وطار . وكل الذين سمعوا من الراعي هذا الأمر مجدوا الله ، واضطربوا وخافوا لان هذه كانت باكورة عجائب الطوباوي. فقال لهم القديس : « لا تتعجبوا يا اخوتي مما جرى ، فان ذلك لم يحدث بقوتي ، بل لأجلكم أظهر الله هذه الامور . فاني أنا خاطىء وضعيف ، وانما جرى هذا بصلواتكم . فالحيــوان والبهيمة والطير والدبيب تخضع للقديسين والصالحين كما خضعت لنــوح في مدخل الفلك ، فانه الله اله الاولين والآخرين » .

ومرة اخرى أتى اليه رجــل مؤمن فارسي من قرية « بيث قواز » الواقعة على الزاب

الكبير ، وقد أخذ معه ولديه المعذبين بالأرواح الشريرة، اسم الاول نوح والآخر مرزوا ، وطلب الى ربان أن يصلي عليهما . أما ربان فأمر أن يدنو اليه الولدان ، واجبر أولئك الشياطين قائلاً : « باسم ربنا يسوع المسيح الذي أخرج لجيون (كتيبة) من الساكن في القبور ، آمركم أن تخرجوا من هذين الولدين » . واذ كان الأخوة واقفين أمامه ، خرج من فمهما مثل نار أمام جميع الناظرين . وهكذا بكلمة ربان نالوا الشفاء من اذى الشياطين الماردين ، فرجع ذلك الرجل الى بيته يسبح الله . وذات يوم خرج كلب كلب في قرية نيرم . ولما اجتاز بأولاد كانوا يلعبون هجم على ولد اسمه مارون ومزق بطنه فاندلقت حالاً امعاء الصبي ، فحمله أبواه وأتيا به الى ربان . ولما رآه تولاه عليه حزن شديد وأمر فادخلت أمعاء الصبي في احشائه ورسم عليها اشارة الصليب . فشفي ذلك الجرح بكلمة ربان .

كان في قرية « حطرا » الواقعة على نهر الخازر رجل اسمه « نكارا » (نجار) من طبقة الشهارجة وكان له ابن اسمه مسلمه قد اصيب بقرح شديد . فأرسله أبوه الى ربان الى هذا الدير . فأعطاه الشيخ « حنانا » وأوصاه الا يأكل لحماً أو ما يشبهه الى نهاية صوم الرسل(١) . ولما تمت خمسون يوماً شفي الولد . فأمر أبوه أحد ابناء بيته أن يصطاد سمكاً من النهر ويأخذها مع الولد الى ربان . فشووا منها في القرية ومنها كانت غير مشوية وبادروا في المجيء الى هذا الدير . وكان الغلام الذي يرافقه وثنياً . فلما اقتربوا من الدير في أحد انتهاء السابوع وكان الصبي صائماً ليتناول الأسرار المقدسة ، أغرى الوثني الولد إغراء حواء قائلاً : « انك الآن صائم ، وحينما تذهب عند ربان ستستحي ان تأكل . لكني أضع لك في هذه الشجرة قطعة [سمك] مع خبز حتى تأكل حينما نرجع » . ولم يمانعه الولد بل وضعا حسب كلامه وواصلا سيرهما . ولما دخلا على الشيخ وضعا سلة السمك امامه . وأمر الاخوة ان يهيئوها ريثما يحين أوان القداس . ولما كانت القطع المشوية بالنار موضوعة في صحن في غرفة ربان جاء هره وخطف واحدة منها . فقال ربان مبتسماً : « لا تطمع اكثر من الاخوة ، لأن الذي جلب الأسماك لم ينل الشفاء من عندك بل بصلاتهم . فضع [القطعة] ايها الشقي لئلا ياتي الغضب عليك » . وما ان تلفظ بهذه الكلمات حتى انقض على الهر نسر قوي واختطفه

(١) هو الصوم الذي كان المسيحيون يحافظون عليه خلال سابوع الرسل الذي يتكون من سبعة أسابيع تبتدىء في أحد العنصرة [فنطقوسطي] وتنتهي عشية الأحد الأول من سابوع القيظ .

ورفعه الى فـــوق . فقال ربان للنسر : « دعه فلن يذنب ثانية » . فانزله الى الأرض ووضعه بدون ضرر . فاخذت الدهشة من ذينك الولدين والاخوة كل مأخذ. الى جانب هذه [الاعجوبة] صنع اخرى على المائدة وهم ياكلون . فبعد أن تناول الاخوة الأسرار وجلسوا ياكلون الهبة التي ارسلها لهم الرب ، وكان الولد مع رفيقه ياكلان ببطء . فقال ربان للولد ملسمه : « انظر يا بني ماذا يقول هذا الشاب » . وكان للشيخ تلميذ شاب اسمه « قوفرا » ابن سبريشوع من قرية نير دراعاواثا . فهذا حينما اشتدت عليه أمراض كثيرة ، خصصه والده ان يكون عبداً لربان اذا شفي ، وحدث شفاؤه بصلاة هذا القديس ، فتتلمذ وصـار راهباً واخيراً أصبح رئيساً للدير . وكان واقفاً قدام ربان في تلك الساعة . فقال [ربان] ، ملفتاً نظر الصبي « مسلمه » الى ذلك الولد : « ان هذا الولد يشير عليك ان تاكل الى ان تشبع . لأن ما اخفيتماه في الشجرة ، انما قد اخذه غراب » . واذا على السطح غراب اســـود وفي فمه الخبز والسمك اللذان اخفاهما الولدان في الشجرة . وهكذا فقد خلفت الدهشة الاولى من الهر الدهشة من الغراب وحمولته فهذه الغرائب ومثلها كانت تجري على يد نبينا هذا .

وأتاه يوما مؤمن من نينوى عاش مع زوجته زماناً طويلاً ولم يرزق ولداً . فاعطاه حنانا وزوده بصلاة وأطلقه . فولد له ثلاثة اولاد ، وبصلاة ربان صار له بنون ودعي اباً لبنين ...

وكان شخص من قرية « أمولحير » يجربه الشيطان بشدة فيجعله يصرخ ليل نهار ، فأتى به ابواه الى ربان . فلما دخل الى بيت الشهداء ودهنه ربان بالدهن المقدس ، شفي تماماً ...

ورجل من قرية بيرتا لم يكن له ولد جاء وقرع باب الشيخ وأخذ يضرع اليه طالباً صلاته، فولد له ولدان توأمان . واوصاه ربان أن يهتم بالغرباء والمساكين عوض البركة المضاعفة التي منحها الله اياه . فقبل ذلك المؤمن وأخذ يعمل حسب وصية ربان .

وكانت في قرية نيرم امرأة قد تطوعت في خدمة الشياطين الماردين . فلما كانت تشاهد القوات والعجائب التي يصنعها القديس كانت تتشكى منه لدى الشياطين اساذتها لكي يمنوه ويبيدوه من العالم . ولما كان ربان عالماً بها منذ زمان مديد ولم يخاصمها بشيء أو يخبر عنها ، قصدت أن تقتل ربان . ولكن أنى لها تلحق به اذى ؟ بل قد عاد كيد الشقية الى نحرها . فانها أخذت في حضنها زبيباً من العنب الابيض وذهبت اليه . وكان ربان يصلي سوباعا على باب بيت الشهداء . ولما رأته سجدت له وكانت تتشكى متظاهرة بالمودة وقائلة : « الأني مسكينة وخاطئة

فلا تنظر الي وتهتم بشأني مثل الأرامل الاخريات اللواتي تقيتهن ؟ » فانتهرها القديس قائلاً لها : « اذهبي ايتها الشقية فانك لست بحاجة الى المؤونة من يدي . فان لك أولياء آخرين » . أما هي فلم تفهم انه تكلم عن الشياطين الذين تخدمهم . وكانت تضرع بحزن لكي يأخذ قليلاً من الزبيب الذي جلبته . فقال لها وهو يعرف القوة الغريبة الخفية فيها : « اذهبي يا امرأة ، اني لم اخاصمك بشيء ، مالي ولك ؟ فلا حصة للنـــور مع الظلمة ولا الساجدون للصليب يشتركون في مائدة أرجاس الشياطين » . ومع ذلك فقـــد تجاسرت وألقت [الزبيب] على عتبة باب بيت الشهداء امام الشيخ القديس وتركته وذهبت . وكان ربان يصلي مزموراً ويرسم اشارة الصليب برأس عصاه على الزبيب ويمر بها في وسطه ، واذا بالزبيب ينقلب زنابير كبيرة قوية طارت في اثر تلك الحقيرة ولحقتها في الطريق وانتقمت منها لاهانة القديس ، ولدغتها في جسمها ورأسها وماتت على الفور وهوت في النهـــر . وتعجب الجميع من الموت الأليم الذي داهم الشقية .

على ان الشيطـان الذي يريد ان يهزأ بقديسي الرب كان يترقب سقوط ذلك الشيخ الجبار . ولكن سهامه طاشت ولم تصب ربان بأذى في نفسه او جسده ، فشرع الشرير يجلب عليه وعلى ديره مصائب بغير عد . وكان ربان ينتصر عليها فتنقلب عاراً على عدوه ... فتارة كان يقلقه مسخراً بذلك وثنيين قساة ، وطوراً بمصائب اخرى ... وكان في قرية بيث عبيد امرأة جميلة جداً . وقد استخدمت الجمال الذي حبتها بها الطبيعة البشرية لعثرة ابناء جنسها . فدعاها الشيطان وقادها لاسقاط رجل الله . وقامت وزينت نفسها بنوع فاحش بكل ما من شأنه ان يثير الشهوة في الذكور نحو الاناث . فكحلت عينيها وربطت رأسها مثل ايزبال ، فأوشكت ان تشرب هي ايضاً كأس غضب الرب مثل ايزبال ، وتبرجت بحلي الذهب والفضة وخرجت من القرية متجهة نحـــو دير ربان . وكان ربان اذ ذاك بين جمع كبير من المرضى والمعذبين . فدخلت هي ايضاً وسط الازدحام ورائحة أطيابها الزفرة تفوح منها . وانتظرت الى ان خرج الشعب كله . ولما رأت ان ربان بقي وحده ، بلغت بها الوقاحة ان وقفت امامه سافرة الوجه وهي تظهـــر له جمالها دون خجل . فأجاب ربان حسب عادة لطفه وقال لها : « وانت ما شأنك ؟ » فأجـابت الوقحة وقالت له : « اني أتيت لأنام عندك هذه الليلة وتكون معي » . فانتهرها ربان بشدة ولعنها ، فهوت على الفور على وجهها . ودعا الأخ قوفرا خادمه وأمره أن

يجرها ويقذف بها خارجاً . وانطلقت الى قريتها مصابة بمرض شديد أودى بحياتها ودفنت في الغد وهي تنتظر دينونة أمر من الموت . وعرف الأمر لدى سكان البلاد كلهم فأخذوا يمجدون الله ناصر القديس ، كيف ان [القديس] أحرق بلعناته وأباد تلك التي كان ذكرها يلهب نار [الشهوة] في قلب الفاحشين .

في أحد الليالي أتى الوثنيون سكان الدساكر التي حولهم ووقعوا بفؤوس ومناجل على « بيث حسيخي » غاب الدير ، وشرعوا يقطعون [الأشجار] بدون شفقة متهـددين الدير قائلين : « اننا نحرقه بالنار ونهدمه ونجعله عدماً » . ولما خرج الساعور ليقرع ناقوس الصباح سمع صوت الفؤوس فدخل وأخبر ربان . وخرج القديس للتفاوض معهم ولينصحهم ان يرتدوا عن جسارتهم ، ولكن اولاد الهلاك رشقوه باهانات . فلعنهم والحزن يحز فؤاده ، كما صنع اليشاع بالصبيان. فأبادهم ملاك الرب حالاً ولم يبق منهم إلا واحد ليكون مخبراً بجسارتهم. هكذا كان دعاء هذا البار مسموعاً ومقبولاً حتى انه ما كان يكاد يطلب شيئاً إلا ويتحقق حالاً .

ثم ان الشيطان الذي يريـد هلاك البشر حرك سكان قرية اسمها « بيث طيمي » ، وكانوا وثنيين وأثمة وسراقاً ، لكي يأتوا ويضربوا الرهبان ويسرقوا الدير . ولما أقبلوا ، رضوا عظام كثيرين من الأخوة وأصابوهم بجراحات وكسور . فدخل الرهبان على ربان وأخبروه بجسارة هؤلاء الملحدين ، فأخذ ينصح الاخوة قائلاً : « يا اولادي احتملوا لأجل المسيح ربكم الاهانات والضربات من الأعداء . فانه قد قال : « سيكون لكم ضيق في العالم»(١) . فأي من البشر أو القديسين غادر هذا العالم بدون ضيقات ؟ » . وبينما كان ربان ينصح تلاميـذه ويرشدهم بمثل هذه الأقوال ، خطف اولئك القوم الذين من « بيث طيمي » بقر الدير وذهبوا واختفوا في موضع يدعى « بيث سفوان » ، ريثما يحل الظلام فيأخذونها الى بعيد ويبيعونها. ولما كان المساء ، خرج ربان سراً في اثرهم ، ودخل الغابة وأخذ معه اسدين شديدين ودنا من اولئك الشقاة. ولما رأوه والأسدين من يمينه وشماله وهما متحفزان للوثوب عليهم وإبادتهم حالاً بأمره، أخذوا يستحلفونه بالهه ـ وقد تسلقوا الصخور وتستروا في الكهوف ـ ان يأخذ ماله ويخلص حياتهم من الموت بذينك الحيوانين الضاريين وهم يقسمون له بعدم العودة ثانية الى الدير . فقال لهم القديس بصوت منخفض : « اني واثق بالله الذي أعبده انكم من الآن

---

(١) يوحنا ١٦/٣٣ .

قصاعداً لن تحتاجوا الى الشراء ولا الى البيع وانكم لن تغادروا حدود قريتكم ، بل ستستريحون ولن تستيقظوا الى انقضاء الدهر » . فقام اولئك مستحقوا اللعنة وذهبوا الى قريتهم . وأبادهم الرب في الأيام القليلة التالية وحل الدمار في قريتهم الى الأبد ، حتى ان اسمها وذكرها زالا من هذه البلاد . فأخذ القديس البقر وعاد الى الدير في المساء المتأخر . وقد ذاع خبر هذه الاعجوبة في البلاد كلها .

ولما دخل عمران بن محمد الآنف الذكر(١) واحتل القرى ومعها نيرم دراعاواثا أيضاً واتخذها مقراً له ، فلأنه كانت تربطه مودة بهذا الصديق وكان ينجز طلبه بالفعل ، دعا أحد عبيده وقال له : « اذهب الى ربان جبرائيل وقل له إن كان لديه شيء من القمح يقرضنا اياه . ولما نجمع الغلة سنعوض له ضعفاً » . وكان الموسم ربيعاً وفيه يحدث نقص [في المؤونة] لدى كثيرين . ولما جاء الرسول ، قام الشيخ القديس وأراه جباً مملوءاً حنطة وقال له : « خذ يا ابني هذا كله واحمله الى سيدك » . فأخذ منه عدداً من الاحمال ، ولما بقي [فيه] شيء قليل ، فكر في ألا يأخذ القمح كله مشفقاً على الاخوة اذ لعلهم يحتاجون . فترك ما تبقى وعاد الى عمران. ولما سأله هل بقي شيء ، خاف من عنف سيده فأجاب : « اني قد تركت قليلاً هناك لسد حاجة الدير والشيخ » . فاضطره عمران بصرامته المعتادة الى ان يعود ويأخذ ما تبقى أيضاً قائلاً : « ان ربان جبرائيل لا ينقصه شيء » . ولما رجع [الخادم] الى الشيخ وأخبره بالأمر ، قال له : « يا ابني اني قد أقرضت الجب كله لعمران ، فلا تدع فيها شيئاً لا تأخذه » . ولما اقترب العبد من الجب وفتحه ، رآه مملوءاً الى فوق كالسابق . فتولته الدهشة وعاد على بغلته وقص الأمر على سيده فتعجب وذهل وكف عن إرساله . فيا لمحبة الله للقديسين . فبينا هم يختارون العيش في العوز ويريدون ألا يعرفهم الناس ولا يمجدوهم ، يتصرف [الله] على النقيض من ذلك لتسبحة قوته العظيمة ولتمجيد أصفيائه .

هذه هي الأمجاد التي امتاز بها هذا الرجل العجيب المحبوب لدى سيده . وقد قام بأمور مدهشة كثيرة تشيد بمجد الرب . فأصبح كالبستاني النشيط أحاط بكرم شخصه سياجاً متيناً لحفظ الوصايا لئلا تدخل الحيوانات فتعيث فساداً في أثماره اللذيذة . وكان كالمهندس الحكيم حفر وعمق وأرسى اسس بيته برسوخ على صخرة الايمان الثابت ، لئلا تتزعزع من هبوب رياح

(١) راجع كتاب الرؤساء جزء ٤ فصل ٢١ ـ ٢٢ .

الكبرياء الهوجاء ، فيدخل السارق وينهب غنى كنزه . وكان الوكيل الأمين الذي اؤتمن على القوت فوضعه على المائـــدة امام المتنعمين في بيت سيده . وكان كالملاح الباسل نجى سفينة سيده وسط الامواج المتلاطمة وتوجه وأفضى بها الى ميناء السلام . وكان كالتاجر الذي يحفظ ما بأرباحه فوضع كنوزه في العلى حيث لا تقترب أصابع السراق لنهب غنى النشيطين . وكان كالجندي الشجاع الذي خرج على أعـــداء سيده ولم يول الأدبار حتى أبادهم . وكان الزارع الحسن نظف حقل أفكاره من الزوان المر وجعل حقله مليئاً بالحنطة الممتازة السمينة وكان الجبار القوي صرع صفوف الفلسطينيين المتراصة التي كانت تطرد الصالحين من أرض الميعاد . وكان كجدعون المنتصر في حروب الرب الذي لاحق المديانيين واخذ الذهب واهلة جمالهم ونهبهم الى أن طردهم من ولايته . فأية كلمة تعلن خفايا من احرز هذا الانتصار الباهر وأظهر هذه الخوارق وأمثالها . وأي وصف يفي بأمجاده ؟ كان من الواجب أن يمجده الصالحون والصديقون الذين كلمتهم هي أيضاً ذات طعم لذيذ لأنها مصلحة بملح الطهر . وليس للجهلة أمثالي الملوثون بالخطايا ان يكتبوا انتصاراتك يا مرجانة النسك . ولئن تجاسرت وكتبت ، فانما هدفي اكرام حبك ومكافأة قداستك واجلال تراب بقاياك ، يا مخزي الشياطين في الحياة وفي الموت ، والحوض الموضوع فيه جسدك ، لكي يعرفه العارفون ولا يحتقروه . انك في حياتك وموتك سعيت وراء التواضع ، ولكن لو بقيت أمجادك غير معروفة لكان في ذلك خسارة للبشرية . لذا سجلناها لتعم الفائدة فتكون مدعاة لمدحك وتمجيد سيدك .

الفصل الثامن عشر

فاجعة وفاة ربان جبرائيل وانتقاله الى عالم الأفراح

ولكن حتام نتعب السامعين بكلمات جهالتنا البسيطة ؟ فلنمض اذن في سوق الأحداث لنتقدم نحو المرض الذي داهم القديس وما جرى أثناء مرضه ، ولنأت على نهاية كتابتنا في ختام حياته . فبينما كان ذلك الشخص القديس يوزع هذه المساعدات واخرى مثلها على البشرية كانت السنون تتعاقب مثقلة كاهله ، حتى أضعفته الشيخوخة وشرع يوماً فيوماً يقترب من نهاية سيره في هذا العالم ويتهيأ لرحيل الموت ، ليذهب هو ايضاً ويلتحق بالقديسين في المساكن الأزلية التي في سبيلها جاهد مدى حياته . أصاب القديس مرض الأمعاء وإسهال البطن مدة أربعة أشهر ، كما ان أغلب القديسين لم ينجوا من الأمراض لدى وفاتهم . وفي نهاية أشهر مرضه بلغ خبر قرب انتقاله من هذه الحياة الى كل الأشراف ورؤساء البلاد ، فاجتمعوا وأتو لرؤيته . أما الكريم والشريف زادوي بن زدبا الذي يستحق ذكراً صالحاً لأجل مزاياه الحسنة واهتمامه بالمدارس وبادارتها ، فقد أقبل هو ايضاً مع الكثيرين الذين جاؤوا لرؤية القديس . وكان زادوي المحترم يجلس وراء ربان ويسنده في ساعة موته ، والحزن قد أخذ منه كل مأخذ لوفاة الشيخ القديس .

ولما كان كل الاخوة واقفين أمامه أو جالسين شرعت عينا الطوباوي تفيضان بالدموع. ولما رأوه باكياً ، خنقتهم العبرات مع المؤمنين الحاضرين وقالوا له : « أتبكي انت أيضاً يا معلمنا وتحزن لموتك ؟ فكيف بنا نحن الخطأة ؟ » فقال لهم : « اني لست أخاف من الموت ، ولست حزيناً لانتقالي ، بل أخاف من دينونة الرب ، لان الله يدين بالنار . فاذا كان القديس بولس يرتعش من حكم الله ويقول : « انه لخوف عظيم الوقوع بين يدي الله الحي[1] » فمن

(١) عبرانيون ١٠/٣١ .

انا حتى لا أرتعب ؟ اذ لا أعلم ماذا سيسمعني الديان هناك ، ولا أدري هل حسن عملي أمامه أم لا . هاءنذا ماض في طريق لم أسلكها والى حكم لم أختبره ، ووجه الديان مخوف للخطاة وانا واحد منهم . فليكن صليبه المقدس نصيراً لي أمام عدالته ، واني واثق برجائه» . ولما بكى الشيخ القديس وأفاض الدموع وتبللت لحيته وعنقه ، أخذ صراخ الجميع يرتفع الى عنان السماء .

بعد تلك الدموع ، ارتسم على وجهه جمال النعمة وصار الكل يتعجبون وهم يتفرسون فيه . ولما رأوا ذلك التغيير السماوي الذي طرأ عليه وانه استعاد سلامه وساد نفسه الاطمئنان بعد الحـــزن ، قال له الاخوة الرهبان : « لمن تتركنا يا أبانا ومن يقف لنا من اليوم فصاعداً سوراً ضد الاعداء الذين يحيطون بنا ؟ هؤلاء الاعداء الذين اذ كنت حياً كادوا يبتلعوننا أحياء ، فبموتك أي سوء لا يسوموننا ؟ انهم سيدمرون هذا الدير المسكين» . فأجاب الطوباوي وقال : « ايها الاخوة اهتموا بخلاصكم وفائدة نفوسكم ، وأكثروا من الصلاة لأجل الكنيسة والمملكة ولأجلي ايضاً . فاذا كان لي اسفرار الوجه قدام الرب ، يوم الخميس القادم ، فلن يبقى واحد من أعدائكم في الحياة » . وكان ذلك بالفعل ، حسب قول هذا الشيخ القديس . ففي مساء الخميس غادر هـــذه الحياة وفي الخميس التالي فني كل [أعدائهم] وبادوا وخربت قراهم الى اليوم . وبينما كان فم ربان مملوءاً تسبحة وهـــو ينصح الاخوة ويشجعهم لكي لا ينخذلوا أمام الصعوبات والآلام والتجارب الداخلية والخارجية ، أسلم نفسه لربه وختم جهـــاد بطولته . وسرعان ما امتلأ البيت الذي استراح فيه رائحة ذكية .

ولما توفي القديس ، اجتمع المعلمون مع الطلاب والكهنة والشمامسة والمؤمنين لكي يتباركوا بنعشه . وكان الجميع يذرفون الدموع والحزن باد عليهم لفراق أبيهـــم الروحي . فالرهبان مغتمون على رئيسهم ومدبرهم والساهر على أنفسهم ، والأرامل على مقيت حياتهن ، والأيتام على مربي حرمانهم ، والمساكين على ذلك الذي كان يملأ أحضانهم من فيضه ، والغرباء على من يلم شعث غربتهم ، والمعـــذبون على من يخفف عذاباتهم ، والمظلومون على منقذهم من ظالميهم ، والمرضى على من يشفيهم مجاناً ، والمتضايقون على معزي كربتهم ، والاغنياء على من كان يرفع صدقاتهم الى السماء . فكان الكل يبكون موت من أصبح كلاً للكل مثل بولس [الرسول] . فقد احتفي بجسده الطاهر المقدس الذي كان حقاً ينبوع المساعدات ، ودفن في

بيت الشهداء في الجهة الجنوبية قدام مرقد عظام الناسك الكبير ربان « راعيا » تلميذ ربان قفريانوس . وكان القديس جبرائيل قد أوصى وقرر ان يكون قبره مدوساً مثل قبر أخيه بولس ، وألا يبنى فوقه أي نصب . وهكذا واراه التراب باكرام كل أبناء الكنيسة ، كما كانت تستحق عظمة تلك الشيخوخة المقدسة ، وخلف في العالم اسم بسالته الصالح وعرف فضائله الذكي .

ولأن موت الأبرار ليس موتاً بل سباتاً ، فقد صنع الله اعجوبة بعد موته وانتقاله . فأتي الى هذا الدير بمريضين يجربهما الشيطان . ولما دخلا بيت الشهداء وسجدا أمام قبر ربان نالا الشفاء حالاً . وجاء ايضاً رجل فارسي شرس الى الدير واغتصب حماراً منه ، ولما خرج ليذهب ، ضربه الرب بمرض شديد ، فأعاد الحمار مع صدقة وافرة . . .

. . . المجد والاكرام والسجود والتعظيم من كل الناطقين الذين كانوا وسيكونون ، لله الذي عنده القديسون هم أحياء ، والذي يصنع كل شيء في حياتهم وموتهم لفائدة جنسنا ، فهو الذي ناصر الأولين وساعد المتوسطين وقوى الأخيرين . فليمنح بركانه لجمعنا هذا بكل فئاته وليجزل مساعداته بصلاة هؤلاء القديسين الذين روينا تراجمهم ، الآن وفي كل أوان والى الأبد .

(انتهت كتابة قصة أعمال ربان جبرائيل الكاهن والناسك الحق)

فهرس أسماء الأشخاص

— أ —

آبا الاول الجاثليق ٨٣ ١٢٩ ٢٧٢
آبا الثاني الجاثليق ١٠٩
آبا الناسك ٥٢
آبا مؤسس دير ٢٥٨
ابراهام الكبير ١٢ ١٨ ٢١ ٢٣
٢٤ ٢٦ ٢٨ ٣٠
٣٦ ٨٥ ٨٦ ٢٩٢
— بيث ربان ١٢٩ ١٣٠
— بيث صيادي (انظر بردشنداد)
— بيث قوقا ٥٧
— اسقف نينوى ١١٠ ١٦٣
— بيث عابي ٩٣
— الداسني ٢٢ ٣٧ ٨٤ ٨٧ ٨٨
٩٢
— رئيس دير ربان زخايشوع (انظر
ابراهام الداسني)
— دريشا ٢٤
— تلميذ سوسائيس ٢٥٦
— زابايا ٢٢
— بردشنداد ١٣٠ ١٤٦ ١٦٣
١٦٤ ٢٣٢
— الثاني البطريرك ٤ ٥ ٥٧ ١٤٣
١٧٥ ١٩١ ١٩٤ ١٩٥ ٢٠٢
٢١١ ٢١٤ ٢٢١ ٢٢٢ ٢٢٤
٢٣٠ ٢٣١
— النثفري ٨٢ ٨٤ ٨٥
— ناسك يوناني ٢٥٨
ابراهيم الخليل ١٨ ١٩ ٢١ ٢٩ ٣١
٣٢ ١٠٤ ١٠٥ ١٣٩ ١٥٧
١٥٨ ٢٢٩ ٢٨٢
ابروي راهب بيث عابي ٥٣
ابن بهلول ٧٤ ٩٨
— حوقل ١١ ٢٠١ ٢٠٢ ٢٨٧
— العبري (ابو الفرج) ٤١ ٤٨ ٩٤
١٢١ ١٢٩ ١٣٠ ١٤٦ ١٦٦
٢٢٦
— الفقيه ٤٥
أبو قريش عيسى ١٦٥
— موسى بن مصعب ٩٢
— نوح الانباري ٩٢

ابرام ١٤٢ ١٥٤
ابشالوم ١٦٨
اثقن ٨٠ ٨٣ ٩٨
اخا مطرافوليط حدياب ١٠٤ـ١١٤ ١١٦
١١٨ـ١٢١ ١٣٣ ١٣٦ ١٦٣
١٨١ ٢١٤ ٢٩٣
اخا الناسك اليوناني ٢٥٨
احيتوفل ١٦٨
الادريسي ٢٨٧
ادم ٦٣ ١٠٥ ١١٨ ١٢١ ٢٥٦
ادي راهب دير ايزلا ٢٦
ادي شير (المطران) ٢١ ٢٣ ٢٥ ٣٦
٥١ ٨٦ ١٢٩
آذاربوها ٨٦
ارسانيوس ٢١ ١٩٨ ٢٥١ ٢٦١
ارقاديوس ٢١
ارميا النبي ١٠٤ ٢٢٥ ٢٦٠
ارسانوس ١٤٢
اريوس ٢٥٨
اسحق (الانبا) ٣١ ٩١ ١٠٤ ١٠٥
١٢٩ ١٥٨ ١٦٤ ١٦٥
اسحق الناسك ٢٥٨
اسرائيل (يعقوب) ١٨ ٤٠ ٦٣
اسطفان (الانبا) ٢٤
اسطيفان اسقف دامن ١٣٨
اسطفانوس بكر الشهداء ٢١٢
الاسكندر ٤٧ ١٤٣
اسماعيل ٣٢ ٢٠٦
اشعيا النبي ١٤٣
ــ الانبا ١٠٨ ٢٢١ ٢٢٢ ٢٣٥
ــ ابن تاجر ٢٠٧
الاصطخري ٤٥
افرام الملفان ٢٥ ٤٥ ١٠٥ ١٢٩
١٣٤ ١٥٣
ــ اسقف بيث بوري ٩٩
ــ اسقف جيلان ١٩٥ ٢١٦
ــ مطرافوليط عيلام ١٦٥ ١٦٦
ــ برصوم البطريرك ٣٦ ٦٩
افلاطون ٢٣٥
افلونيس ٢٠٧
افنيماران الأول ٦٦
افنيماران الثاني ٤١ ٤٦. ٥٨ ٦٦
٨٠ ٩٨ ١٠٤ ١١٦
اليشاع النبي ٢٠ ٢٧ ٦٤ ١٩٨ ٢٧٦
٢٧٧
ــ برقوزبايي ١٢٩
ــ راهب بيث عابي ٩٢ ١٧٩ ٢٠١
٢١٦
ــ اسقف البوازيج ١٩٥
اماليونطيس ١٠٤
امونيس الانبا ٢١٦ ٢١٧
امونيس من زيناي ٢٩٣

انطونيوس الكبير ٢٠ ٨١ ١٠٨ ١١٨
٢٦١
اواغريس ٢٨ ٧٧ ١٦١ ١٩٣ ٢١٩
٢٢١ ٢٣١ ٢٣٤ ٢٣٧ ٢٦١
اوجين (مار) ٧ ٥٦
اورتيز دي اوربينا ٤
اوسابيوس (من المصلين) ٥٠
اوسطاثيس الاركذياكون ٢٣١ ٢٣٢
٢٤٥
اوكاما ٣٦
ايثالاها ٢٥٧
ايزابيل ١٦٩
اياس الشيباني ٩٧ ٢٠٣
ايشاي ٣٦
ايشوع برنون الجاثليق ٧١ ١٤٦
ايشوعداد من بيث عابي ١٧٤ ١٧٥ ١٧٧
ايشوعدناح البصري ٩ ١٢ ٣٦ ٩٦
٢٣١
ايشوع رحمه (دير البطم) ٢٥٧
ايشوعزخا من دير الجص ٨٤
— الآرامي ٥ ٤٦ ١٣٣
— المؤرخ ١٢ ٤٥
— رئيس الدير ٤٨
— اسقف ملاخ ١٠٠ ١٠١ ١٠٣
١١٣ ٢٩٤
— مطرافوليط كرخ سلوخ ١٩٥
ايشوع او مارن زخا مطرافوليط شوشان ١٩٥
ايشوعسبران برمامي اسقف نينوى ٢٩٢
ايشوعياب الاول الارزني الجاثليق ١٢
٢٦ ٤٨ ٢٧٢
— الثاني الجدالي الجاثليق ٨ ٣٤
٦١ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ١٧٤
— الثالث الحديابي الجاثليق ٨ ١٣
٤٦ ٥٠ ٥٦ ٦٥ ٦٧_٧١
٧٣_٧٧ ٨٢ ٨٤ ٩٥ ١٠٤
١٠٩ ١٢٦ ١٦٢ ١٧١
١٧٢ ٢٠٣ ٢٠٤
— الناسك ٦٥
— مطرافوليط حدياب ٤٥ ٥٩
٦٤ ١٠٩ ١١٠ ١٦٢ ١٦٣
١٦٥_١٧٩ ٢٩٣
— أخو عنانيشوع ٧٥ ٧٦ ٩٩
— برقوسري ١٤٧
— الطويل ١٨٧ ١٨٨ ٢٠٨
ايليا البي ١٩ ٢٠ ٢٩ ٦٤ ١١٨
١٣٤ ١٥٢ ١٩٨ ٢١٧ ٢٢٧
٢٦١ ٢٦٥ ٢٨٢
— ربان ٢٨ ٣٠ ٣١ ٣٣ ٣٦
— اسقف موقان ١٩٥ ٢١٨ ٢٢١
٢٢٣ ٢٢٤ ٢٢٥ ٢٢٧ ٢٢٨
٢٢٩
— الثامن الجاثليق ١٤

أيوب البار ١٥٥ ١٥٨
أيوب الفارسي ٨٥

ـ ب ـ

باباي الجاثليق ٥٢
ـ الكبير ١٢ ٢٥ ٢٦ ٣٠ ٣١
٣٣ ٣٤ ٣٥ ٤٤ ٥٠ـ٥٥
٦١ ٦٢ ٧٥ ١٠٤
ـ النصيبيني ٢٤٨
ـ الجبلتي الموسـيقار ٦ ١٢٤
١٢٥ ١٢٦ ١٢٨ ١٣٠ ١٣٢
١٥١ ١٨١ ٢٦٠
ـ من بيث كرماي ١٩٥
بارسهدي مينارة ١٣٤
بلسيوس المصري ١٨٢
باعوث الملائمة ١٩٤
باكوس (دير المعاق) ٢٠٢
ـ رفوسطي ١٨٧
بانفيون ١٦٨
باباي سبيث ٧٤
بدج (المستشرق) ٤ ٧ ٨ ١٢ ١٣
٢٠ ٢٣ ٣٠ ٥٢ ٦٦ ٦٨
٧٧ ٨٢ ١١٩ ١٢١ ١٢٩
١٣٠ ١٣١ ١٥٨ ١٧٥ ١٨٣
١٩٧ ٢٠٢ ٢٠٧ ٢٣٣ ٢٥١
بسطام العراقي ١٧ ٣١
براز سورين ٧٣ ٧٤ ٨٦
بربعشمين ٢١٢
برتلماوس الرسول ٢١٢
برحذبشبا الراهب ١٣ ٣٧ ٣٨ ٤٤
ـ عربايا ١٢٩
برحنانا ٢٠٠
برداديشوع الراهب ٥٧
برديرا الناسك ٢٩٥
برزي ٢٨٤
برصوما النصيبيني ١٢٩
ـ دير بيث عابي ٨٦
برعيتا مؤسس ديـــر ١٢ ٢٢ ٣٦
٤٥ ٥٩ ٧٠ ٩٦ ٩٧
١٢٨ ٢٩٢
برعيتا الناسك ٥٢
برنون الراهب ٣٣
بريخ صويانه (ابو آبا الثاني) ١٠٩
بريخا ٣
بسطوهماغ والد ايشوعيـاب الثالث ٤٦
٤٧ ٦٧ ٧٠
بطرس الرسول (انظر شمعون الصفا)
ـ كاتب حياة سبريشوع ٤٨
ـ الأنبا ٣٦
ـ اسقف اليمين ١٩٥
ـ راهب بيث عابي ٢٥٤
بلشاصر ١٥٥

بللاديوس ١٠ ٨١ ٨٢ ٢٠٧ ٢٤٢
٢٥١
بمبو (الأنبا) ٢٠٩
بنيامين (سبط) ٣٢ ٤٠
— (الأنبا) ٣٦ ٤٤
بهراسف (انظر لوهرسف)
بوختيشوع مؤسس دير مركانا ٢٤٨
بورزيشوع من بيث كرماي ١٩٥
بولس الرسول ١٣٩ ١٥١ ١٥٣
١٥٩ ١٦٥ ١٨٠ ١٩٧ ٢٠٧
٢١٢ ٢٤٠ ٢٤٦ ٢٦٢ ٢٦٥
٢٨٥ ٢٩٠ ٢٩٢ ٢٩٨ ٣٠٦
٣٠٧
— الأنبا الكبير ٢٠ ١١٨
— راهب ايزلا ٣٦
— رئيس بيث عابي ٦٤
— مطرافوليط حدياب ٦٨
— راهب بيث عابي ٦ ١٦
— أخو الأنبا جبرائيل ٢٥٩ ٢٧٩
٢٨٠-٢٨٣ ٢٨٦ ٢٨٧ ٢٨٨
٢٨٩ ٢٩٢ ٣٠٨
— الخامس البابا ١٤
— بيجان اللعازري ٤ ٧ ٥٦ ٦٠
٢٢٦ ٢٣١
— الثاني شيخو البطريرك ٩ ٣٨ ٧٧
بومشترك (انطوان) ٤ ٨٣

بونيون ١٢٨
بيزولد ١٠٥
بيسيريون الأنبا ٢٥٦

— ت —

تاذاسيس الجاثليق ٤ ٥
تاودوروس المصيصي ٦١ ١٥١ ٢٢١
— بركوني ٥١
تاودوسيوس الامبراطور ٢١
تاوفيلوس الاسكندري ٥٢
توما الرسول ١٨٥ ٢١٢
— الناسك ٥٢
— اسقف جيلان ١٩٥ ٢١٦
— مطرافوليط باجرمي ٥
— المرجي ٣-١٠ ١٢ ٢٢ ٢٤
٥٦ ٥٩ ٦٠ ٧٠ ٧١
٧٧ ١٠٥ ١٢٧ ١٣٥ ١٤٤
١٥٠ ١٦٧ ١٨١ ١٨٢ ١٩٥
٢٠٣ ٢٠٧ ٢١٢ ٢٣٢ ٢٣٩
٢٤٨ ٢٥٥ ٢٥٧ ٢٥٨ ٢٥٩
٢٦٥ ٢٩٥
تومانا راهب بيث عابي ١٨٧ ٢٣٦
تومرصا الجاثليق ٥٢
تيم الله (قبيلة) ٢٤٧
تيودوتوس المرابي ٥٢
تيودوريطس المؤرخ ٢٠٧

— ج —

جزري ٥١

جالينوس ١١٨

جبرائيل (الأنبا) ٥ ٦ ١٠١ ١٢٧
١٩٥ ٢٥٥ ٢٥٧ـ٢٥٩ ٢٧٨ـ
٢٨٩ ٢٩١ ٢٩٢ ٢٩٣
٢٩٦ـ٢٩٩ ٣٠٤ ٣٠٦ ٣٠٨

جبرائيل الراقص ٤٦ ٥٠ ٦٨ ٨٦
٩٤ ١٠٣ ١٠٤

— تورتا ٨٥ ٨٦

— رئيس دير قرتمين ٨٦

— السنجاري ٤٩

— العصيفير ٥٣ ٨٨

— اسقف مركا ١٩٥

— من بيث قوقا ٢٩٣

جحزي ٢٧ ٢٧٦

جدعون ٣٠٥

جلياد ٩٦

الجمال (الاسقف) ١١٦ـ

جميلة (بنت نصر الدولة) ٥٢

جوسن ٢٢

جيسموندي ٤ ١٣

— ح —

حاتم بن صالح ١٣٥

حام ٢٧

حبقوق النبي ١٤١ ١٩٧ ٢٥٢

حبيب زيات ٣٦ ٤٥ ٩٧ ٢٣٢

— مطرافوليط راي ٢١٧

— معلم الدير الأعلى ٢٣١ ٢٣٢

— ناسك ديانن ٢٩٣

حبيشا الناسك ٢٥٧

حجاي النبي ١٧١

حجير ١٢٠

الحسن بن علي ٨٣

الحسن بن سبريشوع ٦ ١٢٣ ١٤٩
١٥٩

حزقيا الملك ٢٧٠

حزقيا النبي ٢٨٨

— الجاثليق ٢٦

— مؤسس دير ٥٦ ٥٧

حكيما اسقف كوكي ٢٥٢

حلداي (اسرة اسرائيلية) ٢٣٨

حنانا الحديابي ٣٤ ٦١ ٧٠

حنانيا زوج شافيرا ٧٣

— آكل البقول ١١٣ ١١٤

— اسقف جيلان ١٩٥ ٢١٦

حنانيشوع الأول الجاثليق ٤ ٥٢ ٥٣
٦٥ ٨٦ ٩٥

— الثاني الجاثليق ١٦٣

— ربان ٣٦

— رئيس الدير ١٨٢ ١٩٩

— او عنانيشوع الحديابي ١٣٨
— الأحمر (بيث عابي) ١٨٩
حنة ام صموئيل ٩١ ٢٧٧ ٢٧٨
— ابنة فنوئيل ٢٨٠
حواء ٤٢ ١١٨

— خ —

خوازناهير ٨٨
خوداهوي ٥٦ ٨١
خوسرو ١٨٧ ١٨٨

— د —

داثان ٧٩ ١٤٢
داديشوع القطري ١٠
— رئيس دير ايزلا ١٢ ٢٣ ٢٤
٢٥ ٢٦ ٣٠ ٣٦
داريوس ٤٧ ١٤٣ ١٥٥
دانيال النبي ١٠٥ ١٠٦ ٢٥٢
داود النبي ٣٦ ٣٩ ٦٣ ٦٤ ٩٦
١٠٥ ١٣٩ ١٤٠ ١٥٤ ١٦٥
١٦٦ ١٦٨ ١٧٠ ١٧١ ١٩٣
١٩٦ ١٩٨ ٢٣١ ٢٣٩ ٢٩٠
— اسقف الاكراد ٨٢ ٨٨ ٩٣
— اسقف جيلان ١٩٥ ٢١٦
— مطرافوليط الصين ١٩٥
دهقان ١٠٨ ١٣٤ ١٣٥ ١٤٤
دومط (الأنبا) ٢٩٢ ٢٩٧
ديندوي اسقف معلثا ١٠٠ ١١٩
ديودوروس اسقف بيث بغاش ١٩٥
ديوكاسيوس المؤرخ ٧٧
ديونيسيوس ٢٣١

— ر —

راعيا تلميذ قفريانوس ٣٨
راما ١١٣
رايت (وليم) ٤ ١٣ ٨٨ ١٢٩
١٣٠ ٢٢٠
الرشيد (الخليفة) ٢٣٣
رفقة ٩١
روبانس دوفال ٤ ٨ ٧٤
روسطم (انظر سبريشوع روسطم)
روسطم اسقف حنيثا ١٦٦ ١٦٧ ١٦٨
١٧٠

— ز —

زادوي ١٤٣ ١٥٥ ١٥٦
— بن زدبا ٣٠٦
زخايشوع الأنبا ٣٧
زدنفروخ ١٢٦
زربابل ١٢٦ ١٥١ ١٧٢
زريق حاكم الموصل ٢٣٣
زعورا (دير المعلق) ٢٠٢

زكا من بيث موبلي ١٩٥ ٢١٦
زكريا النبي ١٨٦ ٢٣٨

— س —

سابوخت ٣٦
سارة ٩١
ساما أخو كيوركيس بر صيادي ٨٨
سامراء ٥٢
سبريشوع الاول الجاثليق ٢٢ ٢٦ ٤٨
٤٩
— مؤسس بيث قوقا ٢٢ ٨٥ ٩٨
— الأحدب من بيث قوقا ٢٩٣
— روسطم ٢٢ ٥٨ ٨٤ ٨٧
— مؤسس الغاب الجميل ٣٦ ٣٧
— مطرافوليط بيث كرماي ٧١
— ابو الحسن ٧ ١٢٣
سرافيون ٢٦١
سرجيس (دير المعلق) ٢٠٢
سركيس اسقف معلثا ١٠٠ ١١٩
— اسقف معلثايا ١٦٥
— راهب بيث عابي ١٨٨
— محطم الاقوياء ٥٨ ٥٩
— مطرافوليط حدياب ٢٢
سعيد الديوهجي ١١ ٣٤
سقراطس ٢٨ ٢٠٧ ٢٥٨
سلطان ماهدوخت ٨٦
سلوانا ٢٠
سلوقوس نيقاطور ٤٥ ٦٦
سليمان الحكيم ٦٣ ٦٤ ١٧١
— اسقف الحديثة (شليمون)
— صائغ ٧
سمعان (انظر شمعون الصفا)
السمعاني (يوسف سمعان) ٤ ٧ ١٠
١٢ ٢١ ٢٢ ٧٢ ٨١ ٨٥
٨٨ ١١٩ ١٢٧ ١٢٩ ١٣٠
١٦٦ ١٧٢ ١٨٢ ١٨٥ ١٩٣
٢١١ ٢١٦ ٢٢١
سناط ٣٧
سهدونا اسقف ماحوزا داريون ٨ ٢٢
٢٥ ٤٦ ٥٦ ٥٩ ٦٠ ٦٧
٦٨ ٦٩ ٧٠ ٨٦ ١٠٤
سهدوي أو سهروي ٣٦
سورين ١٢١
سوزومين المؤرخ ٢٨ ٢٥٨
سوسائيس ٢٠ ٢٥٦
سويريوس الانطاكي ٢٣

— ش —

الشابشتي ٩٦ ١٤٦ ١٦٦ ٢٠٦
٢٣٢
شابع ١٥٤
شابو (الابيوحنا) ٤ ٢٢ ١٨١ ٢٧٢

شابور الثاني الملك ٥٩ ٨٦
— ابو ابراهام الثاني ١٤٣ ١٥٥
شابوران ١٤٤
شافيرة امرأة حنانيا ٢٧٣
شاول ٣٦ ١٠٥ ١٥٢ ١٦٥
شرزاد (كيوركيس) ١٤٥
شلمان اخو نرساي اسقف السن ٢٣٣
شليمون برسوتا ١٩٠ ١٩٢
— اسقف الحديثة ١٣٨ ١٦٥ ١٦٦
١٦٩ ٢٩٤
— الجرمقي ١٩٤
— برغاراف ٤٠ ٤١ ٤٦
شمشون ١٣٩
شمطا بن يزدين ٤٥ ٤٦
شمعون الصفا ١٩ ٢٠ ٩٧ ١٠٩
١٥٢ ١٨٥ ٢١٢ ٢٧٣ ٢٩٤
— الشيخ ٢٠١
— برصباعي ٢١٢
— السنوط ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣
— من قرتمين ٨٦
— اسقف بيث بغاش ١١٢ ١١٣ ٢٩٥
— مطرافوليط حدياب ٩٩ ١٠٩
— القديم ١١٤
— اسقف جيلان ١٩٥ ٢١٦
— مؤسس دير صليبا على صرصر ٥٢
٢٣٢
— الشقلاوي ٢٣
شمعي ١٥٤
شموئيل جميل (الانبا) ١٤
شهادوست القديس ٢١٢
— صهر مار نرساي ٢٣٣
شهريج ١٣٤ ١٣٥ ١٤٢ ١٤٤
١٦٦ ١٦٧ ١٧٠ ٣٠٠
شوحالماران رئيس دير الانبا شمعون ٢٣٨
٢٤٠ ٢٤٢ ٢٤٨
— أخو مار أحا المطرافوليط ١٠٦
— مطرافوليط نصيبين ٢٩٤
شوحاليشوع اسقف جيلان ٤ ١٩٤
٢٠٥ ٢٠٦ ٢٠٧ ٢٠٩ ٢١٠
٢١١ ٢١٢ ٢١٤ ٢١٥
الشونمية ٩٠ ٩١ ٢٨٦
شيبان (قبيلة) ٩٧
شيت بن آدم ١٠٥
شيروي ٦١ ٦٧
شيرين ٤٥
شيم برارلايي ١٩٥ ٢١٦

— ص —

صفنيا ٢٣٨
صليبا بن يوحنان ١٣
— راهب بيث عابي ٥٣ ٨٨ ٩٣
— زخا الجاثليق ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٩

١٠٣ ١٠٧ ١٢٥ ١٦٣
٢٠٣ ٢٤٨
صموئيل النبي ٢٧ ٩١ ٩٣ ١٦٥
٢٦٠ ٢٧٧ ٢٧٨
صموئيل من قرتمين ٨٦
صبيا ١٦٦

— ط —

طابيثا ١٥٢ ١٨٥
الطبري ٨٦
طوبيا ٢١٧
— (عائلة اسرائيلية) ٢٣٨
طيمثاوس الاول الجاثليق ٨٨ ٩٢ ١٣٠
١٤٦ ١٤٧ ١٦٣-١٦٧ ١٧٠
١٩٥ ٢٠٠ ٢٠١ ٢٠٥ ٢٠٦
٢٠٨ ٢٠٩ ٢١١ ٢١٣ ٢١٤
٢١٥ ٢٢٣ ٢٢٤ ٢٣٢ ٢٣٨
٢٤٥
— الثاني الجاثليق ٣

— ع —

عالي الكاهن ٢٧
عبد الله (الخليفة) ١٢١
عبديشوع الصوباوي ٣ ١٠ ٢٦ ٥٠
٥٢ ٧٠ ٧٦ ٨٢ ٨٨
١٥٣ ١٧٤ ٢٢١
عبديشوع راهب بيث عابي ٦ ١٥ ٤٨
٨٠ ٨٥ ١١١ ٢٠٥ ٢٥٤
— في كندك ٣٨
— الثاني الجاثليق ١٧٤
— اسقف بيث بغاش ١٩٥
— الكردي ٢٩٣
عبيدة (أبو) ١١
عثمان بن خوسرو اليعقوبي ٢٠٣
عمانوئيل الكاهن ١٤٣
عمران ابو موسى ٢٦٥
— بن محمد ٥ ١٩٥ ١٩٦ ١٩٧
١٩٨ ١٩٩ ٢٩٦ ٢٩٧ ٣٠٤
عمرو بن متى الطيرهاني ٤٠ ١٢ ١٣
٥٣ ١٢١ ١٤٦ ٢٤٨
عنانيشوع كاتب « الفردوس » ١٠ ٤٠
٧٥ ٧٦ ٨١ ٨٢ ٩٨ ٩٩
— مؤسس دير برقانا ٢٥٧ ٢٩٥
عيسو بن اسحق ٢٧ ٣٦ ١٦٥ ٢٣٣

— غ —

غريغوريوس الاول الجاثليق ٢٦ ٤٨
٤٩ ٥٠
— النصيبيني ٤٩
— رئيس دير بيث عابي ١٤
— اليوناني ٢٥٨
غريغوريوس النزينزي ٧٧ ١٨٢

— ف —

فاخوميس ٢٠ ١٧٢ ١٨٧ ٢٦١

فالوحا (خادم بيث عابي) ٢٥٢

فثيون الناسك ٢٩٣

فرندي (فرنرسي) ١٠١

فروخبنداد ١٠١

فروخزاد ١٢٦

فقنوطيس ٢٠٧

فنحاس ١٥٣

فؤاد جميل ٧٧

فوستي (الاب) ١٤ ٢٣

فومان ٢٧ ٣٥

فنسيس ٢٠٧

فيثاوغوراس ٢٣٥

فيي (الاب حنا) ٤ ١٤ ٢٣٢

— ق —

قاميشوع الجرمقي ٥٨ ٥٩ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٧١ ٧٣ ٧٧ ٨٤ ٨٦

قاميشوع ربان ١٠٤

قايين ١١٨

قباذ (انظر شيروي)

قرداغ (مار) ١٦٧ ١٧٩

— اسقف ديلم ١٩٤ ٢٠٥ ٢١٣ ٢١٤ ٢١٥ ٢١٦ ٢٢٣

— راهب بيث عابي ٨٤

— الجاهل ٢٩٤

قرياقوس اسقف نينوى ١٩٥

— بيث كرماي ١٩٥

— الجبيلي ١٨٠ ١٨١ ١٨٣ ١٨٤ ١٨٥ ١٨٦ ١٨٧ ١٨٨ ١٩٠ ١٩١ ١٩٢ ١٩٣ ١٩٤ ١٩٦ ١٩٧ ١٩٨ ١٩٩ ٢٠٠ ٢٠١ ٢٠٢ ٢٠٣ ٢٠٤ ٢٣٤ ٢٣٦ ٢٣٨

— دورا عربايا ١٦٩ ٢٠٤

— مطرافوليط نصيبين ٥٠ ٦٨

قطورة ٢٢

قفريانا تلميذ نرساي السن ٢٤٦ ٢٤٨

قفريانوس ٥ ٦ ٢٥٥ ٢٥٧ ٢٥٨ ٢٥٩ ٢٦٠ ٢٦١ ٢٦٢ ٢٦٣ ٢٦٤ ٢٦٥ ٢٦٦ ٢٦٧ ٢٦٨ ٢٧٧ ٢٧٨ ٢٨٤ ٢٨٦ ٢٨٨ ٢٨٩ ٣٠٨

قورح ٧٩ ١٤٢

قورطا بن يزدين ٦١

قوفرا بن سبريشوع ٣٠١

قيرلونا أو كيرلونا (انظر قيورا تلميذ القديس اورام)

قينارغ ١٤٣

قيورا تلميذ القديس أفرام ١٢٩

— تلميذ مار آبا ٨٣

— ك —

كبرييل الكشري ٢٣١
كرامرس ٢٨٧
كسرى الاول انوشروان ٨٥
كسرى الثاني ابرويز ١٢ ٢٢ ٤٥ ٤٨
٤٩ ٥٠ ٥١ ٦٠ ٦١ ٦٧
كسوسطوس البابا ١١١
كنعان ١١٨
كوركيس عواد ١٣ ٩٦ ١٤٦ ١٦٦
كورنيليوس ١٨٥
كوريا ١٣٠ ١٨١
كومينا الناسك ٢٩٣
كيدي ٤٨
كيوركيس مطرافوليط نصيبين ٧٧ ٧٨
٧٩ ٨٠
— مطرافوليط فرات ميشان ٧٧
٨٠ ٨١
— الاول الجاثليق ١٤٥ ١٤٦ ١٧٥
١٩٤
— اسقف بيث بغاش ١٦٣ ١٦٤
— اسقف البوازيج ١٩٥
— ابن الصيادين ٥٣ ٧١ ٨٨ ٩٣
— رئيس بيث عابي ٢٠٣

— ل —

لابور ٢١
لعازر اسقف مركا ١٩٥
لوهرسف ١٢٦ ١٣٦ ١٤٨ ١٤٩
ليبسيك ٢٢

— م —

ماجوج (بنو) ١٧٢
مارن امه الجاثليق ٧٠
مارن زخا الأنبا ١٠١ ١١٣
— اسقف الحديثة ١١٦ ١١٧ ١١٨
— اسقف نينوى ١٨٥
مارن عمه ٦ ٩ ٢٤ ٥٩ ١١٣
١٢٣ ١٢٤ ١٣١ ١٣٢ ١٣٣
١٣٦ ١٣٧ ١٣٨ ١٣٩ ١٤١
١٤٤ ١٤٦ ١٤٧ ١٤٨ ١٤٩
١٥٠ ١٥١ ١٥٩ ١٦٤ ١٦٥
٢٩٣
مارون من قرية نيرم ٣٠٠
مارون الناسك ٢٩٤
ماري بن سليمان ٤ ٥٢ ٨٣ ١٢٩
١٤٦
— راهب دير شمعون ٢٤٠ ٢٤٢
ماني ٢١٢
ماي ١٧٤
المتوكل (الخليفة) ١٢٥
متى الرسول ٦٨ ٨٣
— الشيخ ١٠١ ١١٣

متيا الرسول ٢٣٨
مرقس الناسك ١٨٣ ٢١٤ ٢٢٠
٢٣٧ ٢٥٦
ـ من دير برطورا ٢٩٥
مرقيون ٢١١
مروا من بيث قواز ٣٠٠
مريم العذراء ٤٢
ـ الخاطئة ٣٨
المسعودي ١٠٩ ١٣٤ ١٣٦
مسلمة بن فروخزاد ١٢٦ ١٣٦
ـ بن نكارا ٣٠٠ ٣٠١
المصلين (بدعة) ٥٠ ٥٢ ٦٦
معنا ١٢٩
ـ الناسك ٢٩٣
ملبد ٢٨٧ ٢٩٧
ملكيصادق ٥٢
منسى ٥٢
المهدي (الخليفة) ١٦٥
موآب ٣٠
موسى ١٨ ١٩ ٢٠ ٢٧ ٣٦ ٦٣
٧٩ ١٠٥ ١٠٦ ١٣٩ ١٥١
١٥٣ ١٦١ ١٧١ ١٧٥ ١٩٦
٢٣٠ ٢٣٥ ٢٦١ ٢٦٣ ٢٦٥
ميخا المعلم ١٠٣
ميخائيل الجندي النينوي ١٤٤
ميلس ١١٤
ميهرنرسا ٨٦
ميهروي ١٤٥

ـ ن ـ

ناجي الأصيل ٨٥
نثائيل راهب بيث عابي ٥٣ ٨٨
نخوار ٢٠٢ ٢٠٤
نرساي الملفان ١٢٩ ٢٤٨ ٢٤٩
ـ تلميذ باباي ٧٥ ٨٤ ٨٦
ـ اسقف السن ١٩٥ ٢٣٠ ٢٣١
٢٣٣ ٢٣٤ ٢٣٥ ٢٣٦ ٢٣٧
٢٣٨ ٢٣٩ ٢٤٠ ٢٤١ ٢٤٢
٢٤٥ ٢٤٦ ٢٤٧ ٢٤٨ ٢٤٩
٢٥٠
نسطوريس ١٢٩ ١٥٦
نسطير ٢٠
النعمان بن المنذر ٢٠٦
نعمان بن شهادوست ٢٣٣
نقطريس ٧٧
نكارا من حطرا ١٢٧ ٣٠٠
نوح ١٣٨ ٢٨٣
ـ من بيث قواز ٣٠٠
نودلمان (شيلدن ارثر) ٧٧
نولدكه ١٣٤
نيلوس القديس ١٨٣

— ه —

هارون أخو موسى ١٨
— الانبا ١٦٩
هاشم ٢٤٨
هرقل الامبراطور ٨ ٥٠
هرمزد (ربان) ١٧٥
— أبو كسرى ٤٥ ٦٠
هوفمان ٤ ٢٢ ١١٩
هوميروس ٢٣٥
هونوريوس ٢١
هونيغمان ٢٤٩
هيبوقراطس ٢٣٦
هيرودس اغريبا ٩٧
هيرونيموس ٨٢

— و —

والنس الامبراطور الروماني ٦ ٢٥٨

— ي —

ياسين العمري ١١ ٣٤ ٣٦ ٦١
٢٠١ ٢٣٢ ٢٨٧
ياقو (انظر دير مار ايشوعياب)
ياقوت الحموى ١١ ٢٦ ٣٦ ٤٥
٥٣ ٦١ ٨١ ٩٠ ٩٩
١٠٨ ١٢٦ ١٣٢ ٢٣٢
يدعيا ٢٣٨
يزد (صنم) ٢٢٦
يزدين ٤٥ ٤٦ ٦٠ ١٩٢
يشوع بن نون ١٥١ ١٥٤ ١٥٦ ١٩٦
يشوع بن يوزاداق ١٥١ ٢٣٨
يعقوب (الآباء) ٣١ ٣٦ ٤٤ ٧٩
٩١ ٩٢ ٩٣ ١٠٤ ١٠٥
١٣٩ ١٥٨ ١٦٤ ١٦٥
٢٣٣ ٢٧٦
— أبو توما المرجي ٣ ١٠١
— النصيبيني ٢٥
— الانبا ٣٦
— حزايا من بيث نوهذرا ٦٤ ٦٥
— مؤسس دير بيث‌عابي ٩ ١٢ ١٣
٢٤ ٢٥ ٣٢ ٣٣ ١٤ ٣٥
٣٨ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥
٤٦ ٤٧ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦
٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦٣ ٦٤
٦٥ ٦٧ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٦
٨٦ ١٠٣ ١٠٤ ١٠٥ ١٠٧
١٠٩ ١٢٩ ١٧٦ ١٧٧ ١٨٨
١٩١ ١٩٣ ٢١٨ ٢٢٣ ٢٣٣
— البرادعي ٢٠٣
— ناسك جبل ديانن ٢٩٣
— الثاني البطريرك ١٢١ ١٣٦
— اسقف مركا ١٩٥ ٢٢٨

يعقوب بن بابانوش ١٨٨

يعلي بن حمران ٨٥ ٢٤٧ ٢٤٨

يهب (مار) ٤١ ٤٢

يهبالاها الجاثليق ٣

— اسقف ديلم ١٩٤ ٢٠٥ ٢١٣ ٢١٤ ٢١٥ ٢١٦ ٢٢٣

— الراهب ١٤

يهمارن ٢٦٩

يهوذا (سبط) ١٣٩ ١٦٦ ١٧٢ ١٨٦ ٢٥٢

يهوذا الاسخريوطي ٢٠٧

يوحنا المعمدان ٢٠ ١١٨ ٢١٧ ٢٦٥

— الرسول ٨٤ ٩٧ ٢٥٦

— الدامني ٤١

يوحنا الذهبي الفم ٨٢ ١٨٣

— بركلدون ١٨١

— كاتب حياة برعيتا ٢٢

يوحنان المطرافوليط اليوناني ١٢٧ ٢٥٨ ٢٨٤ ٢٨٥ ٢٨٦ ٢٨٨

— الشيخ (سابا) ٣٦ ٥٦ ٥٧ ٦٤

— راهب دير ايزلا ٣٦

— الحيري ١٣٨

— آذرمه ٣٧

يوحنا اسقف المشتين ٦٩ ٧٠ ٧٥

— مطرافوليط حدياب ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ١٠١ ١٠٣ ١٠٧ ١٠٨ ١٠٩ ١١٣ ١١٩ ١٢٦ ١٦٣

— بيث ربان ١٢٩ ١٣٠

— الديلمي ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤

— الاسقف الجمال ١١٨

يوسف بن يعقوب ٣٦ ٤٤ ٧٩ ٩٢ ١٠٥ ١٠٦ ٢١٢

— يوسف ربان ١٠٤

— بن ماري ١٦٥ ١٦٦ ١٦٨ ١٦٩

— بوسنايا ١٨١

— حزايا ٨٢

— ربان من بيث قوقا ٥٧ ٥٨

— الانبا من بيث عابي ٢٥١ ٢٥٢

— رئيس الدير ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٢٠٣

يوشيا ٢٣٨

يوناثان النبي ٣٩

يوناداب مطرافوليط حدياب ٥٠ ٩٠

يونان الانبا ٣٩ ٤٠

— (النبي يونس) ٣٤ ٣٩ ٥٣ ١٤٠ ١٥٤

***

فهرس البلدان والمواقع

ـ أ ـ

اتروش ١٢٧

آثور ٧ ١٤ ٢١ ٧١ ١٠٩ ١٢٣ ٢٢٣

اثينا ٢٣

أذربيجان ٩٩ ١٠٠ ١٣٨ ١٩٥ ٢٣٣

اربيل ٤٧ ٨٤ ٩٦ ١١٠ ١٢٣ ١٢٦ ١٣٠ ١٣٩ ١٤٨ ١٥١ ١٦٥ ١٦٦ ١٧٩ ١٩٣

اردبيل ٩٩

الاردن (نهر) ٢٦١ ٢٦٥

ارزون ٣٦

اركن ١٢

ارمينية ٣

اريحا ٣١

اريون (انظر ماحوزا داريون)

اسروينا ٤٥

اسطرنيا ١٦٧ ٢٤٨

اسطنبول ٨٦

اسطوان ٤٧ ١٩١

الاسكندرية ٣٥ ٥٢ ٢٠٧ ٢٦١

اسكي كلك ٢٢

اسكي موصل (انظر بلد)

اسين (انظر بيث اسيا)

اشعيا (كنيسة) ١١٠

اشيمون (برية) ٧٤

افامية ٦٩

افوكي (انظر اواخ)

اقرا (انظر عقرة)

اقرونتا ٢٤٩

الطون كوبري ٦٧

القوش ٢٢

اموليحير ٣٠١

انحل ٣٦

انطاكيا ٦٨ ٦٩ ٨٢

اواخ ١٠٥ ١٩٥

اوانا (بلد) ٩٧ ٩٨ ١٦٩ ٢٠٣

— (الطيرهان) ٢٢ ٩٧

اور ٢١

اورشليم ١٩ ٣١ ٧٥ ١٢٦ ١٧١ ١٨٦ ٢٦٠ ٢٦١

[illegible] بيت كوزا ٢٣٣
[illegible] ٩٩
[illegible] ٣٠٢
[illegible] ١٠٠
[illegible] ١٧١
[illegible]) ٩٨
[illegible] ٢٣ ٢١٧
[illegible] ٨ ١٣ ٢١ ٢٢ ٢٥ ٢٦
٨٠ ٨٤ ١٤٦ ٢٩٢

— ب —

بابل ٥١ ١٠٦ ١٢٥ ١٨٦ ١٩٧
٢٣٨ ٢٥٢
باقيشر (انظر بيت خاش)
[illegible] (انظر بيت بوري)
بارما (انظر بيت رمان)
باريس ٧ ٨ ١٣٤ ١٨١
[illegible] (انظر بيت زيوا)
باشوش ٨٨ ٩٢ ١٢٠ ١٢٧ ١٣٠
١٤٢ ١٤٣ ١٤٦ ١٦٣
١٦٤ ١٩٦ ٢٣٢
باطاي (انظر بامازاي)
باعذري (انظر بيت عذري)
باقربا ١٢٣
بامازاي أو بامداي ١٣
باهذرا أو باوهدرا (انظر بيت نوهدرا)
بجيل (انظر بيت طحوني)
البحرين ٨١
بخمة ١٠٠
براين (جبل) ٨٦
برلي (انظر بلا)
برتلي أو برطلي (انظر بيت تلي)
برجبتون (جبل) ١٧٢
بردرش ٤٧
برزي (وادي) ١٢٧
برواري بالا ٢٣٣
بز ٣٧
البصرة ٩ ٧٧ ١٢١
بطمان ٣٦
بغداد ١٣ ٢٢ ٤٩ ٧٦ ٧٨
١٤٦ ٢٤٥ ٢٩٤
بقوق ٩٩ ١٤٤
بلا أو بلان ١٢٧ ١٦٣ ٢٥٨ ٢٦٩
٢٨٧
بلاس (بيادر) ١٨٩
بلد (اسكي موصل) ٣٤ ٦١ ٩٧
٩٨ ١٦٩ ١٨٠ ١٩٤ ٢٠٠
٢٠١ ٢٠٢ ٢٠٣ ٢٠٤
٢٣٥ ٢٣٨ ٢٩٤
بلشفر ٤٥
البليخ (نهر) ٤٥
بني سلاوا (قرية) ١٣٠

بني مايي ٢٣٣
البوازيج ٦٧ ١٣٢ ١٦٧ ١٩٥
بون ٨٣
بي ١٢ا
بيث ادري ١٢٧ ١٤٣ ١٥٥
— ارامايي ٢٢ ٧٨ ٨٠ ٩٠ ٩٥
١٠١
— اروعي ١٦٦
— آسا ١٢٧
— ايل ٣١ ١٦٦ ٢١٢
— بغاش ٣٧ ٩٩ ١٠٧ ١١٢
١١٣ ١٦٣ ١٦٤ ١٧٧ ١٩٥
٢٣٣ ٢٦٩ ٢٧٤ ٢٩٥
— بوري ٩٩
— بوزي أو بيبوزي ١٤ ١٩٦
— ترتر ١٤٨
— ترشمايي أو ترمشايي ١٢٨
— ني ٢٧٠
— حبا ٧٦ ٧٧ ٢٠٨ ٢٠٩
— حسيخي (غاب) ٣٠٣
— رازيقايي ٢١٧
— رمان (بارما) ٧٥ ٢٣١
— رواي ١٤٨
— روستاق ٤٧ ٥٨ ١٢٨ ٢٠٤
— روستاقا (اذربيجان) ١٠٠
— زاطا (انظر بيث ساطي)
بيث زبدي ٢٦ ٣٣ ٣٦ ١٤٢
— زيوا ٤٧ ١٨٩ ٢٠٧
— ساطي ١٢٧ ٢٥٨
— سفوان ٣٠٣
— شارونايي ٣ ١٠١
— شمس دين ٩٩
— صيادي ١٣٠
— طحوني ١٤٢ ١٥٤
— طوري (داسن ٣٧
— طيمي ٣٠٣
— عابي ٣ ٤ ٦ ٨ ٩ ١٠ ١٢
١٣ ١٤ ١٦ ١٧ ٢٢ ٢٤
٣٢ ٣٧ ٣٨ ٤١ ٤٢ ٤٤
٤٧ ٥٣ ٥٧ ٦٥ ٦٦ ٧٦
٨١ ٨٦ ١٢٣ ١٢٩ ١٤٥
١٦٢ ١٧٣ ١٧٤ ١٨٠ ١٨٥
١٨٦ ١٩٨ ٢٠٠ ٢٠٣ ٢٠٤
٢٠٨ ٢٣٢ ٢٣٤ ٢٣٨ ٢٥٤
٢٩٢ ٢٩٧
— عبيد ٣٠٢
— عذري ١٢٧
— عربايي ٣ ٣٤ ٦١ ٢٧٤
— عيناثا (قريةفي بيثزبدي) ٢٦ ١٤٢
— عيناثا (قريةفي سفسفا) ١٤٢ ١٥٥
— عيناثا (صوامع) ٥٩
— قديشي ٢٦٨

بيث قرداغ ١٢٧ ١٤٤ ١٥٥
— قطرايي ٨١ ٩٠
— قوار ٢٩٩
— قوقا (انظر دير بيث قوقا)
— كلاي ١٤٦
— كرماي أو باجرمي ٤ ٥ ١٢ ٢٤
٣٨ ٥٦ ٥٨ ٥٩ ٦٤ ٦٦
٦٧ ٧١ ٧٦ ٩٤ ٩٧ ١٠٣
١٢٥ ١٣٢ ١٦٥ ١٦٧ ١٩٥
٢٥١ ٢٥٢ ٢٦٩ ٢٧٤ ٢٧٩
٢٨٦ ٢٩٢
— كزا (وادي) ٥٩ ٩٣ ٢٩٢
— كوايا ٧٦
— مار قرداغ (كرسي حدياب) ١٦٧
١٦٩ ١٧٩
— ماروث (قرية) ٢٧٦
— مشمناني ٢٥١
— مغوشي ٢٦٠ ٢٦٤
— موبلي ١٩٥
— نوا ١٣٢ ١٥٢
— نوهدرا ٣٧ ٥٩ ٦٠ ٩٧ ١٠٠
١١٠ ١١٩ ٢٠٣ ٢٧٤
— وازيق (انظر البوازيج)
— وردا (رحى) ١٣٦
— ورك ١٣٤
بيخير (جبل) ٦٦
بيرتا ٥ ١١ ١٢٧ ١٤٦ ١٥٤ ١٦٣
١٩٦ ٢٥٥ ٢٥٧ ٢٦٠ ٢٦٦
٢٦٩ ٢٧٨ ٢٨٧ ٣٠١
— (قلونتا ـ كلاتي) ١٤١
بئر سبع ٩٣
بيرستك (انظر بيث روستاق)
بيروت ١١ ٢١ ٢٥ ٩٧ ٢٣٢
بيساط أو بيساطي (انظر بيث ساطي)
بين النهرين ٧٨

— ت —

تخوما ٣٧
تربة سبي (انظر دير اسطون)
ترجلا ٩٦ ٩٧ ٢٩٢
ترشيش ١٥٤
تركستان ١٠٩
تركيا ٢٥ ٣٧ ٤٥ ٥٩
تكريت ٩٧ ١٢٥ ١٣٢
تشي ٢١٧
التل (قرية) ٥٢
تل الخيم ٨٥ ٢٤٨
تل الشعير ٩٠
تل عوينات ٦١
تل الهوا ٦١
تلا أو تلان ١٢٧ ١٦٣ ٢٩٩
تلا زالي ٧٦

تياري ٣٧
تيدور ١٩٠

— ج —

جبع ٣٠
جبل خير ١١ ١٢٧
جبيلتا ١٢٥ ١٢٦ ١٢٩ ١٣٢
١٥١ ١٨١
جدالا ٣٤ ٦١
جزيرة ابن عمر ٢٦
الجزيرة العربية ٨١
جسر الملك ٤٧ ٢٧٦
الجص (كنيسة) ٨٣
الجعفري (نهر) ١٢٥
الجلجلة ٢١٢ ٢٦١
جنديسابور ١٢١
جودي (جبل) ٦٦
جولاي ١٠٢ ٢٩٤
جيحون (نهر) ٣٠
جيلان أو كيلان ١٩٥ ٢١٠ ٢١٥
٢٢٣
جيلو ٢٣٣

— ح —

حاشا ٥٩
حاصا أو حاصين (انظر حاشا)
حالا ٨٣
حبتون ١٠٠ ١١٩ ١٥٣ ١٦٨ ٢٧٤
حبوشتا ١٤٣ ١٥٥
حثر ١٣٤
حدياب ٣ ٤ ٧ ٩ ٢٢ ٢٤ ٤٧
٥٠ ٥١ ٦٧ ٦٨ ٧٠ ٧١
٧٥ ٧٦ ٨٤ ٩٠ ٩٨ ٩٩
١٠٠ ١٠٤ ١٠٨ ١٠٩ ١٢٣
١٢٦ ١٣٦ ١٣٧ ١٣٨ ١٤٩
١٥٣ ١٦٥ ١٦٦ ١٦٧ ١٦٨
١٧٣ ١٧٩ ٢٢٣ ٢٤٧ ٢٦٥
٢٧٤
الحديثة (دجلة) ٥٠ ٩٠ ١١٦ ١١٨
١٣٨ ١٦٦ ١٧٣ ١٩٤ ٢٤٨
٢٩٤ ٢٩٥
حديثة الفرات ٩٠
حذوذ ١٣ ٣٧ ١٧٨ ١٩٥
حران ١٢٩
حربي ٢٥٨
حريم ٢٢ ٨٤
حزة ٤٧ ١٢٦
حسن شامي ٢٩٢
الحصن العبوري (انظر الموصل)
الحضر ١٣٢
حطرا (بيرتا) ١٢٧ ١٤٦ ١٥٦
١٩٦ ٣٠٠

حطرا أو هطره (الطيرهان) ١٣٢ ١٥٠
حلب ٣٦
حلبجة ٨٥
حلوان ٤٥ ١٢١ ١٦٥
حماة ٦٩
حمرين (جبال) ٨٣
حميما ٢٤٧
حنس ١٢٧ ١٤٥ ١٤٦ ٢٥٧ ٢٥٨
حنيثا ١٠٠ ١١٩ ١٥٣ ١٦٦ ٢٩٤
حوريب (جبل) ٣١
حويلا ١٧١
الحيرة ٢٨ ٥٦ ٨٣ ١٦٦ ٢٠٦

— خ —

الخازر (نهر) ١١ ٩٦ ١٢٧ ١٩٦ ٢٦٨ ٢٩٢ ٣٠٠
خان جدال (انظر جدالا)
خانقين ٤٥
خربا ١٢ ١٤ ٧٣ ٧٦ ١٠١ ١٧٥ ١٩٦ ١٩٨
خربة جلال ٦٥
خرجاوة ٤٧
خردس ١٤ ١٢٧
خلفتا ١٩٦
الخليج الفارسي (العربي) ٨١
خنس (انظر حنس)
الخوزيستان ٨١
الخوسر (نهر) ١٤٦
خونياشابور (انظر البوازيج)

— د —

دارا ٤٨
دارين (انظر ديرين)
داسن ١١ . ٢٢ ٣٧ ٨٧ ٩٩ ١٣٨ ٢٣٣ ٢٧٤
داقوق أو طاووق ٢٤ ٥٦
دان ٩٣
الداودية ١١٩
دجلة (نهر) ٢٦ ٣٣ ٣٤ ٣٦ ٤٧ ٥٢ ٦١ ٧٥ ٧٧ ٨٣ ٨٥ ٩٠ ٩٨ ١٢٥ ١٣٢ ١٣٨ ١٤٦ ١٤٧ ١٤٨ ١٥١ ١٦٧ ٢٠٢ ٢٠٣ ٢٣٢ ٢٣٥ ٢٤٧ ٢٤٨ ٢٤٩ ٢٩٤
دخيا (وادي) ٢٥١
دشت كنديناوة ٦٧ ٢٤٨
درصف ٢٤٨
دفريه (انظر دورا)
دمشق ١٥٣ ١٦٥
دهوك ٦٠ ٦٤ ١٠٠ ١٢٩ ٢٩٤
دورا ٩٢

الدوسكي (ناحية) ٢٦٠
ديالى (نهر) ٨٣
ديانن (جبل) ٢٩٣
ديبور ١٣٧ ١٣٨
دير آبا ٢٥٨
— (مار) ابراهام بالقرب من بطنايا ١٣
— « « في شمرخ ٢٧٠
— « « بردشنداد (انظر الدير الاعلى
— « أحا ١٢٧
— « ادي (ديرا دراما) ٢٥٨
— اسطون ١٤٤
الدير الأعلى ١٣٠ ٢٣١ ٢٣٢
دير مار افرام في هرماشي ١٢٧ ٢٥٧
— افنيماران (انظر دير الزعفران أو دكوركما)
— مار ايثالاها ٢٥٧
— ايزلا أو الدير الكبير (انظر ايزلا)
— ايشوع رحمه (انظر دير البطم)
— ايشوعزخا أو زخايشوع ٢٢ ٨٤ ٨٧ ٩٢ ٢٥٢
— ايشوعياب برقوسري ١١٠ ١٤٧
— « (مار ياقو) ٦٤
— مار ايليا (انظر دير سعيد)
— ربان أيوب ٨٥ ٢٤٧
— برطورا ٤٠ ٢٩٥
دير برعيتا ٩٦ ١٢٨ ٢٠٣ ٢٩٢
— برقانا أو برقا (انظر دير بيث حالي الحديثة)
— برقيطي (انظر دير برطورا)
— بركامش ٢٤٩
— البطم (ايشوع رحمه) ٢٥٧
— بوصيل أو برصيل ١٢٧
— بي ١١٢
— بيث حالي الحديثة ٥٦ ٨١ ٩٠ ١٣٨ ١٤٨ ١٦٦
— بيث حالي الحيرة ١٦٦
— بيث حزقيال ٥٦ ٥٧
— بيث قوقا ٢٢ ٥٧ ٨٤ ٨٥ ٩٨ ٢٩٣
— بيث نسطوريس ٢٤٨
— الجاثليق (انظر دير كليليشوع)
— الجسر ٤٧
— الجص (انظر دير ايشوعزخا)
— حجير آباد ١٢
— حدياب (انظر دير ايشوعزخا)
— خشبة الصليب (انظر دير ربان هارون)
— دريشا ٢٤ ٢٥٧ ٢٨٤
— الزعفران (دكوركما) ٦٦ ٨٠ ٩٨ ٢٩٥
— سعيد أو مار ايليا ٢٨ ٣٦ ١٤٦
شاميرا ١٢٧

دير الانباشمعون ٢٣٢ ٢٤٠ ٢٤٨ ٢٤٩
— الشياطين ٢٠٢
— الصليب أو ربان صليبا في بيرستك
١٢٧
— ربان صليبا على صرصر ٥٢ ٢٣٢
— الطين (انظر بيث حالي)
— الطين في مصر ١٦٦
— عاصي (انظر دير برطورا)
— مار عبديشوع في كندك ٣٨
— عمر (انظر دير قرتمين)
— عنانيشوع فوق حطرا ٢٥٧
— الغاب الجميل (مار عبديشوع) ٣٧
— ربان فثيون ٢٠٢
— قرتمين ٨٦
— فقريانوس ٢٠٩ ٢٧٨ ٢٨١ ٢٨٦
٢٨٨ ٢٨٩
— مار كبرييل (انظر الدير الاعلى)
— كليليشوع ١٤٦
— مار متى ٢٣ ٥٠
— مركانا ٢٤٨
— المعلق ٢٠٢
— ملبد ٢٨٧
— مار ميخائيل ترعيل ١٢٦ ١٢٧
— ربان هارون ١٦٩ ٢٠٣ ٢٠٤
— مار يوحنا الانجيلي (انظر رير برقانا)
— مار يوحنان نيرب برزي ٢٨٤ ٢٨٦
٢٨٨ ٢٩٩
دير ربان يوسف الشهرزوري ٢٠٣
— يونان ٢١ ٥٢ ١١٠
— ديرين ٨١
— ديصان (نهر) ٤٥
— ديلم ٩١ ٢١٠ ٢١٥ ٢١٦ ٢٢٣

— ر —

رادان ٨٣
رأس العين ١٩٧ ٢١٤
راوندوز ١٠٠ ١١٩ ١٣٧
راي (انظر بيث رازيقايي)
رضائية ١٠٠
رمون (كهف) ٤٠
الرها ٤٥ ٥٠ ٨٦ ١٢٩ ٢٢٩
روما ٤ ٧ ١٣ ١٤ ٢٣ ١٧٤
٢٨٧
ريشا أو دريشا (جبل) ٦ ٦٤
ريشهر (انظر ريوارد اشير)
ريوارداشير ٨١ ٨٥

— ز —

الزاب الكبير ١١ ٤٧ ٥٨ ٦٠ ٨٥
٩٠ ٩٦ ٩٩ ١٠٠ ١٣٨
١٤١ ١٥٧ ١٦٨ ١٧٢ ١٩١
١٩٢ ٢٥٨ ٢٧٦ ٢٩٣ ٢٩٤

٢٩٩
الزاب الصغير ٥٨ ٦٧ ٧٥ ١١٩
١٢٦ ١٣٧ ٢٣٠ ٢٤٧ ٢٤٩
٢٥١ ٢٥٢
زاخو ٤٧ ٦٠ ٦٦ ٩٩ ١٤٤
زاران أو زارني ٢٣٣
زنطة (مضيق) ١٤٢
الزيبار ٢٦٩
الزيتون (جبل) ٢٠ ٢٦٨
زيناي (جبل) ٥٨ ٢٩٣
زيناي (قرية) ٥٨ ١١٦ ٢٤٨

— س —

سادوم ٣٠ ١٥٤ ١٥٥
ساليق (انظر المدائن)
ساوا (كنيسة) ١٤٣ ٢٥٨
سبا ١٧١
سباق الحمير (منحدر) ١٧٩
سبريشوع (قرية) ٣٧
ستراسبورغ ٦٠
سربس عزيز ١٢٦ ١٢٧
سعرد ٣٦
سفسفا ١١ ٣٧ ٧٣ ٨٨ ١٠٦
١٢٧ ١٣٦ ١٦٣ ١٩٦
١٩٨ ٢١٤
سفين (جبل) ٤٧
سلاخ ٣ ٤ ٥ ٩٣ ٩٩ ١٠٠
١٠١ ١٠٢ ١١٣ ١١٩
١٣٣ ١٣٧ ١٣٨ ١٥٢ ٢٩٤
سلطان عبدالله (مرقد) (انظر دير برقانا)
سلمان باك ٤٩
سميل ١٩٢
السن (شنا) ٧٥ ٢٣٠ ٢٣١ ٢٣٢
٢٣٥ ٢٣٦ ٢٣٨ ٢٤٥
٢٤٦ ٢٤٩
سنجار ٣ ٤٠ ٦١ ٢٩٤
سوق الاحد ٢٨٧
سيكركاني (انظر كار الكهنة)
سيلان (انظر حبوشتا)
سيناء (جبل) ١٩ ٢١ ٦٠ ٢٦١

— ش —

شاروناي (انظر بيث شاروناي)
الشام ٦٩
شحري (قرية) ٢٢٨
شرمن (انظر شلمث)
شلمث ١٠٦ ١١٢ ١١٣ ١٢٠
١٢١ ١٢٧ ١٣٦ ١٤٣
شمرخ ٢٧٠
شنعار ٢٧
شوش (انظر باشوش)
شوشان ١٩٥

شهراباذ (انظر بلد)
شهرزور ٤٨ ٨٥ ٩٤
شهرقرد ٦٦
شيزي أو شيوز ٦٤
شيكون أو جنكو ١٩٨

— ص —

صرصر (نهر) ٥٢ ٢٣٢
الصعيد المصري ٢٠ ٢١ ٢٧ ٢٨
٥٢ ٧٥ ١٠٨ ٢٧٤
صفنا (وادي) ١١٩
صفي (وادي) ٢٩٣
صنعاء ١٩٥
صهيون ٢٢٣
صوبا (انظر نصيبين)
صور ١٧١
صورا ٢٦٥ ٢٦٦ ٢٧١ ٢٧٤ ٢٨٠
٢٨٧
صيان أو عصيان ٢٦٩ ٢٧٠
صيدا ١٧١
الصين ٨ ١٩٥

— ط —

طابور (جبل) ١٩ ٢٠
طاووق (انظر داقوق)
طلانا ١١ ٢٧ ١٠٥ ١٣٨ ١٩٦
٢٦٥ ٢٦٩
طلانيثا أو طنيثا ١٢
طهران ٢١٧
طور عبدين ٣٦ ٨٦
الطيرهان ٢٢ ٩٧ ١٢٥ ١٣٢
١٥٠ ١٨١

— ع —

العاقول ٨٠
عامورة ١٥٤
عدن ٢٦٢ ٢٧٣
عدي (معبد الشيخ) ٢٥٧
عربايي (انظر بيث عربايي)
عطوش (جبل) ١٠٥ ١٩٦ ٢٦٥
٢٦٩
العظيم (نهر) ٨٣
عقرة ١١ ١٢ ١٤ ٣٨ ٨٨
١٠٦ ١٢٧ ١٤١ ١٤٢ ١٧٥
عكبرى ١٣٢
العمادية ٥٩ ٢٣٣
عمر مندان ٢٠٣ ٢٩٢
عميقي ٢٥٧
عيلام ١٤٦ ١٩٤ ١٩٥
عين برقي أو بقري ٥٧ ٢١٨
— دلبي ١٢٩
— ربان ١١٥

عين سفني ٤٧ ٥٨ ١٢٧ ١٢٨
٢٥٧ ٢٨٧
عينكاوة ١٣٠ ١٧٩

— غ —

غيرين (انظر كارا)

— ف —

فارس (بلاد) ٨ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨١
٩٠ ١٠٨
الفرات (نهر) ٤٥ ٧٧ ٩٠
فرات ميشان ٧٧ ٨٠
فلسطين ١٤٣
فنك ٢٦
فوغنتا أو فوغيثا ٣٩
فيروزاباد ٤٨

— ق —

القاحل (جبل) ٢٠٢
القامشلي ٢٥
القاهرة ٩٧
قرداغية (انظر بيث قرداغ)
قردو (جبل) ٣٣ ٤١ ٤٢ ٢٨٢
٢٨٤ ٢٨٥
قرديلاباد (انظر السن)
قره جوغ (جبل) ٥٨
قزوين (بحر) ٨ ٩١ ٢١٠
القسطنطينية ٢٨ ٧٧ ٢٥٨
قصر يزدين ١٩٢
قطر (انظر بيث قطرايي)
قطيسفون (انظر المدائن)
قلعة سوريش ١٢٣
قليسما (جبل) ٢٠
قوب (قرية) ١٢٧ ١٤٤ ٢٥٨ ٢٦٦
٢٨٥

— ك —

كار الكهنة ١٠١ ١١٣ ١٧٧
كارا (جبل) ١١ ١٢ ١٠٥ ١٢٧
٢٦٩
كافيتا ٥٧
كاني فلا ١٢٧
كاور ٩٩
كرخ سلوخ (كركوك) ٢٤ ٤٧ ٥٠
٥٦ ٥٩ ٦٦ ٦٨ ٧٦
١٠٣ ١٩٥
كرخ ميشان (انظر فرات ميشان)
كرد كومي ٢٤٨
كرد مامك ٤٧
الكرمل (جبل) ٢٠
كرمليس ٩٦ ٢٧٠ ٢٩٢

كفرا (كفري) ٧٦
كفرا صور (انظر صورا)
كفر عزي (انظر كفر عوزيل)
كفر عوزيل ١٢٦ ١٢٨ ١٣٠ ١٣٢
١٤٢ ١٤٩ ١٥١ ١٦٦
١٦٨
الكليسة (انظر دير مار ميخائيل ترعيل)
كملولوحي ١٣٨
كندك (انظر نيرم)
كوبا (انظر كافيتا)
كوبي أو كبي ١٢٧
الكوفة (انظر العاقول) و ٢٠٦
كوفلانا أو قوفلانا ٦٧
كوكاملا ٤٧ ١٤٣
كوكي ٢٥٢
كولاب (نهر) ٤٥
كولي ٦٦
الكومل (نهر) ١١ ٩٦ ١٢٧ ١٤٣
الكومل (قنطرة) ٤٧ ١٤٣

— ل —

لاشوم أو لاشين ١٢ ٢٤ ٤٨
لالش ٢٥٧
لندن ٨ ٢٢
لوز (قرية) ٢٧٩ ٢٨٦
لوفان (بلجيكا) ٤٨

— م —

ما حوزاداريون ٦٧
ماحوزي (انظر المدائن)
مادي ٢١٧
مانكيش ٢٦٠ ٢٧٠
محرقية ٩٧
مخمور (انظر زيناي)
المدائن ٢٢ ٤٧ ٤٩ ٦١ ٦٧ ٧٨
٨٣ ١٢١ ١٤٦ ١٦٥
مديات ٣٦ ٨٦
المرج أو مركا ٣ ٤ ٥ ٨ ٩ ١٠
١١ ١٢ ٢٢ ٢٤ ٣٤ ٤٧
٥٨ ٥٩ ٧٦ ٩٦ ١٠٥
١٢٦ ١٢٨ ١٣٦ ١٣٨ ١٣٩
١٤١ ١٤٢ ١٤٣ ١٥٠ ١٥٣
١٦٢ ١٦٣ ١٦٨ ١٩١ ١٩٢
١٩٥ ٢٠٣ ٢١٤ ٢١٨ ٢٢٨
٢٥٥ ٢٦٠ ٢٦٣ ٢٦٤ ٢٦٩
٢٧٤ ٢٨٧ ٢٩٢ ٢٩٧
مردي ٢٣٨
مرو ١٦٢ ١٦٦
المزوري (منطقة) ١٢٧ ٢٥٧
مصر ١٠٦ ١٥٧ ١٦٦ ١٧٢ ٢٦٦
٢٧٤
معلتا ١٠٠ ١١٩ ١٥٣ ٢٩٤

معلثايا ٤٧ ٦٠ ١٠٠ ١٦٥ ٢٥٨
٢٩٤
مقبثا ١٢٧ ٢٦٠
مقلوب (جبل) ٦ ٢٤ ٤٧ ١٢٧
مكحول (جبل) ٢٣٠
ملي سوكا (انظر سوق الاحد)
منداوا ٤٧
الموصل ٧ ٨ ٩ ١١ ٢٢
٢٨ ٣٦ ٥٢ ٦١ ٧١ ٧٧
٩٢ ٩٦ ٩٩ ١١٠ ١٣٤
١٤٤ ١٤٦ ١٤٧ ١٥٧ ١٦٦
١٧٣ ١٨٤ ٢٠١ ٢٠٣ ٢٠٦
٢٠٨ ٢٣١ ٢٣٢ ٢٣٣ ٢٩٢
موقان ١٩٥ ٢١٨ ٢٢٣ ٢٢٥
ميافرقين ٣٦
ميا قريري ١٢٧ ١٤٣ ١٤٤
ميشان (انظر فرات ميشان)

— ن —

نابو (جبل) ٢٣٠
نافكر ٤٧
نثفر ٨٥ ٩٨
النجف ٢٠٦
نحشون ٣ ١٣٥
نحلا دملكا ١١ ٣٧ ٥٧ ٩٢ ١٣٨
٢٥٧
يحلا دنهرا ٢٥٧
نصيبين ٣ ٢١ ٢٢ ٢٥ ٢٦ ٢٨
٣٤ - ٤١ ٤٥ ٤٨ ٦٠ ٦١
٦٨ ٧٠ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠
٨٢ ٨٣ ٨٥ ١٠٣ ١٢١
١٢٩ ١٦٧ ٢٩٤
نهرمش (انظر هرماشي)
نوارد اشير (انظر الحصن العبوري)
نيترية ١٨٣ ٢٠٧ ٢٢٠
نيرب برزي ٢٥٨ ٢٨٤
نيرم كندك ٣٧ ٣٨ ١٢٧
— دراعاواثا ١٢٧ ٢٦٤ ٢٦٨ ٣٠٠
٣٠١ ٣٠٤
نيفات (جبل) ١٢
نيقية (مجمع) ٢٥
نينوى ١٣ ٢٤ ٢٨ ٣٤ ٣٦ ٣٧ ٤٧
٥٢ ٥٦ ٥٩ ٦٠ ٦٧ ٧٠
٧٧ ٩٦ ٩٩ ١٠٠ ١١٠
١٤٣ ١٤٦ ١٤٧ ١٥٤ ١٦٣
١٦٦ ١٦٧ ١٩٥ ٢٧٤ ٢٩٢
٣٠١

— ه —

هرماشي ١٢٧ ٢٥٧ ٢٧٠
هيغلا أومد ٥٢ ١٦٧
هلمون ٥٩ ٦٠

الهند ١٨٥

— ي —

يافا ١٨٥
يانس أو بنانس (انظر سلاخ)
يزدیناباد ١٩٢ ١٩٦
اليمن ١٩٥
اليونان ٢٦٢

فهرس محتويات الكتاب

صحيفة

مقدمة المعرب ٣

الجـــزء الأول

الفصل ١ ــ مقدمة المؤلف موجهـــة الى الشخص الذي طلب اليه ان يصنف هذا الكتاب ١٥

» ٢ ــ دوافع السير والروايات ١٦

» ٣ ــ مدخل الرواية ١٩

» ٤ ــ الطوباوي ربان مار ابراهام الكبير رئيس دير جبل ايزلا ٢١

» ٥ ــ مار داديشوع ٢٣

» ٦ ــ معلمنا مار يعقوب مؤسس دير بيث عابي ٢٤

» ٧ ــ الطوباوي مار باباي ٢٦

» ٨ ــ ظهور اناس فاسدين على عهده في ذلك الدير ٢٦

» ٩ ــ القديس ربان مار ايليا ٢٨

» ١٠ ــ ما قام به الطوباوي غداة ذلك اليوم ٣٠

» ١١ ــ ما عمله مار باباي وجمع الآباء ٣١

» ١٢ ــ الظلم الفاحش الذي انصب على قديسنا مار يعقوب مؤسس دير بيث عابي والحكم الجائر الذي صدر بحقه ٣٢

» ١٣ ــ ماذا حدث في ذلك الدير المقدس اثر خروج مار يعقوب منه ٣٣

» ١٤ ــ تفرق الآباء القديسين الى كل صوب . وكانت تلك ارادة الله وإن كان البعض قد نسب ذلك الى الميول والأهواء الشخصية ٣٥

صحيفة

الفصل ١٥ ــ ربان برحذبشبا والدير الذي أسسه	٣٧
« ١٦ ــ الى أين توجه وسكن الاناس الذين طردوا من الدير وكيف استطاعوا ان يرضوا الله	٣٨
« ١٧ ــ بجيء الانبا يونان القديس اليهم من الدير الكبير	٣٩
« ١٨ ــ أخبار شليمون بن غاراف من دير برطورا	٤٠
« ١٩ ــ الطوباوي مار يهب والبتول الراهبة الناسكة	٤١
« ٢٠ ــ ربان يعقوب مؤسس دير بيث عابي	٤٢
« ٢١ ــ عودة القديس الى الدير الكبير	٤٣
« ٢٢ ــ الرهبان الذين سبقوه الى هذا المكان يستقبلوه بفرح عظيم وحفاوة بالغة	٤٤
« ٢٣ ــ في زمان بجيء ربان يعقوب الى هذا المكان وفي الملك كسرى	٤٥
« ٢٤ ــ اخبار الشريف بسطوهماغ والد مار ايشوعياب الجاثليق	٤٦
« ٢٥ ــ غريغور بساماياً	٤٨
« ٢٦ ــ بقاء الكنيسة بدون رئيس بعد وفاة مار سبريشوع الجاثليق	٤٩
« ٢٧ ــ مار باباي والخدمة الكنسية التي اقتبلها	٥٠
« ٢٨ ــ مقدمة الكاتب موجهة الى السائل	٥١
« ٢٩ ــ بجيء مار باباي الى هذا الدير والاعجوبة التي جرت أمامه في الهيكل	٥٣
« ٣٠ ــ الأشخاص الشهيرون الذين تتلمذوا لربان مار يعقوب في هذا الدير	٥٥
« ٣١ ــ الأنبا يوحنان الشيخ (سابا)	٥٦
« ٣٢ ــ ربان يوسف من بيث قوقا وأخوه ربان ابراهام	٥٧
« ٣٣ ــ ربان سركيس المدعو « محطم الأقوياء »	٥٨
« ٣٤ ــ سهدونا وتآليفه	٥٩

صحيفة

الفصل ٣٥ ــ في مصرع الملك كسرى ٦٠

الجزء الثاني

الفصل ١ ــ مقدمة الجزء ٦٣

« ٢ ــ ربان يعقوب من بيث نوهذرا ٦٤

« ٣ ــ ربان افنيماران ٦٦

« ٤ ــ ذهاب مار ايشوعياب الجدالي الجاثليق والأساقفة الذين معه الى بلاد الروم ٦٧

« ٥ ــ صندوق عظام الرسل الذي جلبه معه ايشوعياب من أنطاكيا ووضعه في هذا الدير ٦٨

« ٦ ــ كيف زاغ سهدونا عن الايمان المستقيم ٦٩

« ٧ ــ كيف ان ايشوعياب الجاثليق يريد تأسيس مدرسة في هذا الدير ٧٠

« ٨ ــ المقاومة التي أثارها الربان قاميشوع رئيس الدير ضد مار ايشوعياب ٧١

« ٩ ــ ربان قاميشوع والاخوة يغادرون الدير الى خربا قرية سفسفا ٧٣

« ١٠ ــ في الحلم الذي حلمه مار ايشوعياب ليلاً ورأى فيه ان الاخوة أخذوا ربان وانتقلوا ٧٣

« ١١ ــ ربان عنانيشوع المعلم والناسك الذي نظم كتاب الفردوس ٧٤

« ١٢ ــ الطوباوي مار كيوركيس الجاثليق ٧٦

« ١٣ ــ تواضع القديس كيوركيس الجاثليق ووداعته ٧٨

« ١٤ ــ كيوركيس الآخر مطرافوليط فرات ميشان الذي حنق هو أيضاً وأراد ان يشق عصا الطاعة على السيد الجاثليق ٨٠

« ١٥ ــ تنظيم كتاب الفردوس ٨١

« ١٦ ــ وفاة القديس مار كيوركيس الجاثليق ٨٣

« ١٧ ــ ربان سبريشوع المسمى « روسطم » ٨٤

صحيفة

الفصل ١٨ ــ رئيس الدير ربان جبرائيل الملقب « تورتا »	٨٥
« ١٩ ــ ربان مار ابراهام رئيس دير ربان زخايشوع	٨٧
« ٢٠ ــ الرؤساء الآخرون الذين ساسوا هذا الدير	٨٨
« ٢١ ــ الانبا شمعون الملقب بالسنوط (الأمرد)	٨٩
« ٢٢ ــ نزول الربان شمعون عند الجاثليق كيوركيس	٩٠
« ٢٣ ــ مار يوحنا الديلمي	٩٠
« ٢٤ ــ في المجاعة التي اجتاحت هذه المنطقة في ذلك الزمان وفي ذهاب يوحنان ومعلمه الى وادي « بيث كزا »	٩٣
« ٢٥ ــ كيف سبى البرابرة يوحنان	٩٤
« ٢٦ ــ ربان يوسف رئيس الدير	٩٤
« ٢٧ ــ الجاثليق صليبا زخا وقدومه الى هذا الدير	٩٥
« ٢٨ ــ انتقال ربان يوسف الى دير ربان برعيتا	٩٦
« ٢٩ ــ هرب الربان يوسف من قدام اياس الشيباني الذي أراد قتله	٩٧
« ٣٠ ــ ربان مار يوحنان مطرافوليط حدياب	٩٨
« ٣١ ــ مار ديندوي اسقف معلتا	١٠٠
« ٣٢ ــ مار ايشوعزخا الآرامي اسقف سلاخ	١٠٠
« ٣٣ ــ جبرائيل مطرافوليط كرخ سلوخ المدعو « الراقص »	١٠٣
« ٣٤ ــ الطوباوي مار أحا مطرافوليط حديات ورئيس ديرنا هذا	١٠٤
« ٣٥ ــ انتخاب الطوباوي مار أحا رئيساً لهذا الدير المقدس	١٠٧
« ٣٦ ــ انتخاب القديس مار أحا رئيس الدير مطرافوليطاً	١٠٨
« ٣٧ ــ القديس مار ايشوعياب رئيس الدير	١٠٩
« ٣٨ ــ الاعجوبة التي أجراها الطوباوي مار أحا	١١٠
« ٣٩ ــ في انكشاف ما سيحدث للطوباوي مار أحا القديس وكيف انه سينهي حياته ويستريح	١١١

صحيفة

الفصل ٤٠ ــ الانبا حنيا آكل البقول والراعي مع الحيوانات الذي كان في هذا الدير في عهد القديس مار أحا ١١٣

« ٤١ ــ الطوباوي مارن زخا اسقف الحديثة والاسقف الجمال الذي وجده ١١٦

« ٤٢ ــ الطوباوي مار سركيس اسقف حنيثا ١١٩

« ٤٣ ــ حجير المؤمن الشريف والدير الذي شيده ١٢٠

« ٤٤ ــ مبارحة الطوباوي مار أحا المطرافوليط الحياة الزمنية ١٢١

الجزء الثالث

الفصل ١ ــ مقدمة الكاتب موجهة الى الكريم والمؤمن الحسن الشريف ١٢٣

« ٢ ــ الطوباوي ربان باباي الملفان ١٢٥

« ٣ ــ المدارس التي أسسها ربان باباي وأسماؤها ١٢٦

« ٤ ــ تآليف ربان باباي وخاتمة حياته ١٢٨

« ٥ ــ قصة القديس مار مارن عمه المطرافوليط ـ المقدمة ١٣١

« ٦ ــ أصل مار مارن عمه وكيف وممن تلقى العلم الالهي ١٣٢

« ٧ ــ الاسقفية التي اقتبلها الطوباوي على بلاد سلاخ ، والآيات التي جرت هناك على يده ١٣٣

« ٨ ــ كيف سيم القديس مار مارن عمه مطرافوليطاً لحدياب ، والاعجوبة الاولى التي عملها في هذه البلاد ١٣٦

« ٩ ــ المقاطعات التي أخذها من المراعيث الاخرى ووضعها تحت ولاية أبرشية حدياب والمقاطعات التي أعطاها عوضها ١٣٧

« ١٠ ــ ظهور ملاك الرب له في الرؤيا يطلب اليه ان يبيد الزرع الشرير والاولاد الفاسدين الذين عاثوا فساداً في بلاد مركا ١٣٨

« ١١ ــ مغادرة الطوباوي دار المطرانية وهربه وتدخل الملاك وردعه ١٤٠

جرت على يده ١٤١

« ١٣ ــ ريح السموم والمجاعة التي حدثت في أيام مار مارن عمه والآية التي أجراها بعصاه ١٤٦

« ١٤ ــ مرض القديس وانتقاله من الحياة الزمنية الى الأبدية ١٤٨

القصيدة في القديس مارن عمه ١٥٠

الجزء الرابع

الفصل ١ ــ المقدمة ١٦١

« ٢ ــ في أصل الطوباوي ربان ايشوعياب رئيس الدير ووالديه وتربيته ١٦٢

« ٣ ــ مار طيمثاوس اسقف بيث بغاش وما تنبأ عنه أحد شيوخ هذا الدير ١٦٣

« ٤ ــ في كيف ان طيمثاوس أخذ البطريركية بخديعة كما أخذ يعقوب بركات اسحق أبيه مكراً ١٦٤

« ٥ ــ روسطم اسقف حنيثا ١٦٦

« ٦ ــ صعود قديسنا مار ايشوعياب الى حدياب ١٦٧

« ٧ ــ في القصاص العاجل الذي حل بروسطم وكيف خجل الذين رسموه وخذلوا ١٦٨

« ٨ ــ ندامة الحديابيين والطلب الذي رفعوه بكل تواضع الى مار ايشوعياب راجين ان يأتي الى مركزه ١٦٩

« ٩ ــ في ان ايشوعياب هدم هيكل الطين وبنى آخر من الجص ١٧١

« ١٠ ــ كيف ان الله دفع البشر الى مساعدته في هذا العمل العظيم ١٧٣

« ١١ ــ الرؤيا الشيطانية التي رآها الانبا ايشوعداد أحد شيوخ هذا الدير والفضة التي وجدها ١٧٤

« ١٢ ــ في كنز آخر أتحفه به المسيح الرب ١٧٦

صحيفة

الفصل ١٣ ــ الاعجوبة التي أجراها المسيح على يد القديس ايشوعياب ١٧٨
« ١٤ ــ إنجاز بناء الهيكل ووفاة مار ايشوعياب ١٧٩
« ١٥ ــ قصة القديس مار قرياقوس الجبيلي رئيس دير بيث عابي واسقف مدينة بلد ١٨٠
« ١٦ ــ أصل الطوباوي مار قرياقوس وقدومه الى هذا الدير ١٨١
« ١٧ ــ دعوة أبينا مار قرياقوس الى الرئاسة ١٨٣
« ١٨ ــ الاعجوبة الاولى التي أجراها الله على يده وبقية آياته ١٨٤
« ١٩ ــ في مجيء ذلك الرجل الى هذا الدير وقيامه بواجب الوفاء اللائق وفي بقية عجائب مار قرياقوس ١٨٦
« ٢٠ ــ الرؤى التي شاهدها القديس بينما كان مع الجمعية كلها في غرفة الطعام ١٩٣
« ٢١ ــ مجيء عمران بن محمد الى بلاد مركا هذه وكيف انه اغتصب قرى كثيرة وقتل أصحابها وقد وطد العزم على القضاء على القديس قرياقوس ايضاً واستملاك هذا الدير ١٩٥
« ٢٢ ــ ارسال عمران خمسة رجال من العرب ليكمنوا بجوار صومعة ربان قرياقوس ويقتلوه ويأتوا برأسه الى عمران ١٩٨
« ٢٣ ــ رؤيا اخرى رأى فيها قرياقوس انه لا بد له ان يكون اسقفاً مدة قصيرة ثم ينتقل من هذا العالم ١٩٩
« ٢٤ ــ مجيء أهل بلد الى الدير يطلبون الطوباوي قرياقوس حاملين رسالة من البار طيمثاوس يمنعه من البقاء في الدير بعد قراءتها ٢٠٠
« ٢٥ ــ الاعجوبة التي صنعها الطوباوي مار قرياقوس في مدينة بلد وختام حياته ٢٠٢

الجزء الخامس

الفصل ١ ــ ربان مار شوحاليشوع ٢٠٥

صحيفة

الفصل ٢ ــ أصل الطوباوي شوحاليشوع ومجيئه الى هذا الدير ٢٠٦
« ٣ ــ اضطهاد القديس شوحاليشوع يجلب النقمة على هذا الدير ٢٠٩
« ٤ ــ إقامة الطوباوي مار شوحاليشوع مطرافوليطاً على جيلان وديلم ٢١٠
« ٥ ــ في اغتيال القديس مار شوحاليشوع واستشهاده المجيد ٢١٢
« ٦ ــ مار يهبالاها وأخوه مار قرداغ ٢١٣
« ٧ ــ انتخاب هذين الرجلين وارسالهما الى تلك الامصار ٢١٥
« ٨ ــ الطوباوي مار ايليا اسقف موقان وبلدان البرابرة ٢١٨
« ٩ ــ انواع الصلاة السامية التي بها أغنى نفسه ٢٢٠
« ١٠ ــ انتخاب القديس مار ايليا لأسقفية موقان مدينة البرابرة ٢٢٣
« ١١ ــ دخول الطوباوي مار ايليا الى مدينة موقان وكرازته فيها
وعودته الى هذا الدير وختام حياته ٢٢٥
« ١٢ ــ قصة الطوباوي مار نرساي اسقف مدينة السن ٢٣٠
« ١٣ ــ أصل الطوباوي مار نرساي وقدومه الى هذا الدير ٢٣٣
« ١٤ ــ انتخاب مار نرساي القديس لاسقفية قرديلاباد وهي السن ٢٣٨
« ١٥ ــ التأمل الروحي والنعيم الفكري الذي يجده المرء في أنواع
التأمل الثلاثة : أي التأمل في الامور المادية وغير المادية وفي
الثالوث الأقدس. وكان يمارسها القديس مار نرساي ويتأمل فيها ٢٤٠
« ١٦ ــ أعمال القديس مار نرساي النظرية منها والعملية وختام حياته ٢٤٥
« ١٧ ــ قصة القديس الانبا يوسف ٢٥١
الملحق ـ قصتا ربان قفريانوس والانبا جبرائيل رئيس الدير المقدس الذي في منطقة
بيرتا الواقعة في بلاد مركا
الفصل ١ ــ علة الكتاب ٢٥٥
« ٢ ــ أصل الطوباوي قفريانوس وتلقيه العلم في المدرسة وذهابه
الى اورشليم ٢٦٠

صحيفة

الفصل ٣	ـــ انتقال القديس قفريانوس من البرية الى جزيرة في بلاد اليونان	٢٦٢
« ٤	ـــ قدوم ربان قفريانوس الى بلاد مركا وظهوره في هذا المكان	٢٦٤
« ٥	ـــ بناء هذا الدير المقدس على يد الطوباوي	٢٦٦
« ٦	ـــ العجائب التي اجترحها الطوباوي قفريانوس	٢٦٨
« ٧	ـــ نهاية حياة الطوباوي وتوجيهاته لأولاده في ساعة موته	٢٧٥
« ٨	ـــ مقدمة الكاتب الى القارىء	٢٧٨
« ٩	ـــ في أصل القديسين ربان جبرائيل وبولس اخيه	٢٧٩
« ١٠	ـــ ترهب الطوباويين بولس وجبرائيل في دير ربان قفريانوس	٢٨١
« ١١	ـــ انتقال الربان جبرائيل الى الحياة النسكية في بلاد قردو وعودته الى هذه البلاد	٢٨٢
« ١٢	ـــ الطوباوي مار يوحنان وجمعيته في الدير المقدس الواقع في نيرب برزي	٢٨٤
« ١٣	ـــ مجيء الربان جبرائيل الى دير نيرب برزي وتوليه رئاسته ووفاة بولس اخيه	٢٨٦
« ١٤	ـــ رئاسة ربان جبرائيل على دير ربان قفريانوس واهتمامه بكل الشؤون	٢٨٨
« ١٥	ـــ النساك والقديسون الذين عاشوا في شتى الاماكن في عهد ربان جبرائيل	٢٩٢
« ١٦	ـــ معرفة الامور العتيدة التي نالها القديس ربان جبرائيل من الله	٢٩٦
« ١٧	ـــ العجائب والاشفية التي اجترحها ربان جبرائيل	٢٩٨
« ١٨	ـــ فاجعة وفاة ربان جبرائيل وانتقاله الى عالم الافراح	٣٠٦
فهرس اسماء الأشخاص		٣٠٩
فهرس البلدان والمواقع		٣٢٥
فهرس محتويات الكتاب		٣٣٩

بوشر بطبع الكتاب في ٩٦٦/٦/١٠ وانتهى في ٩٦٦/٨/٥

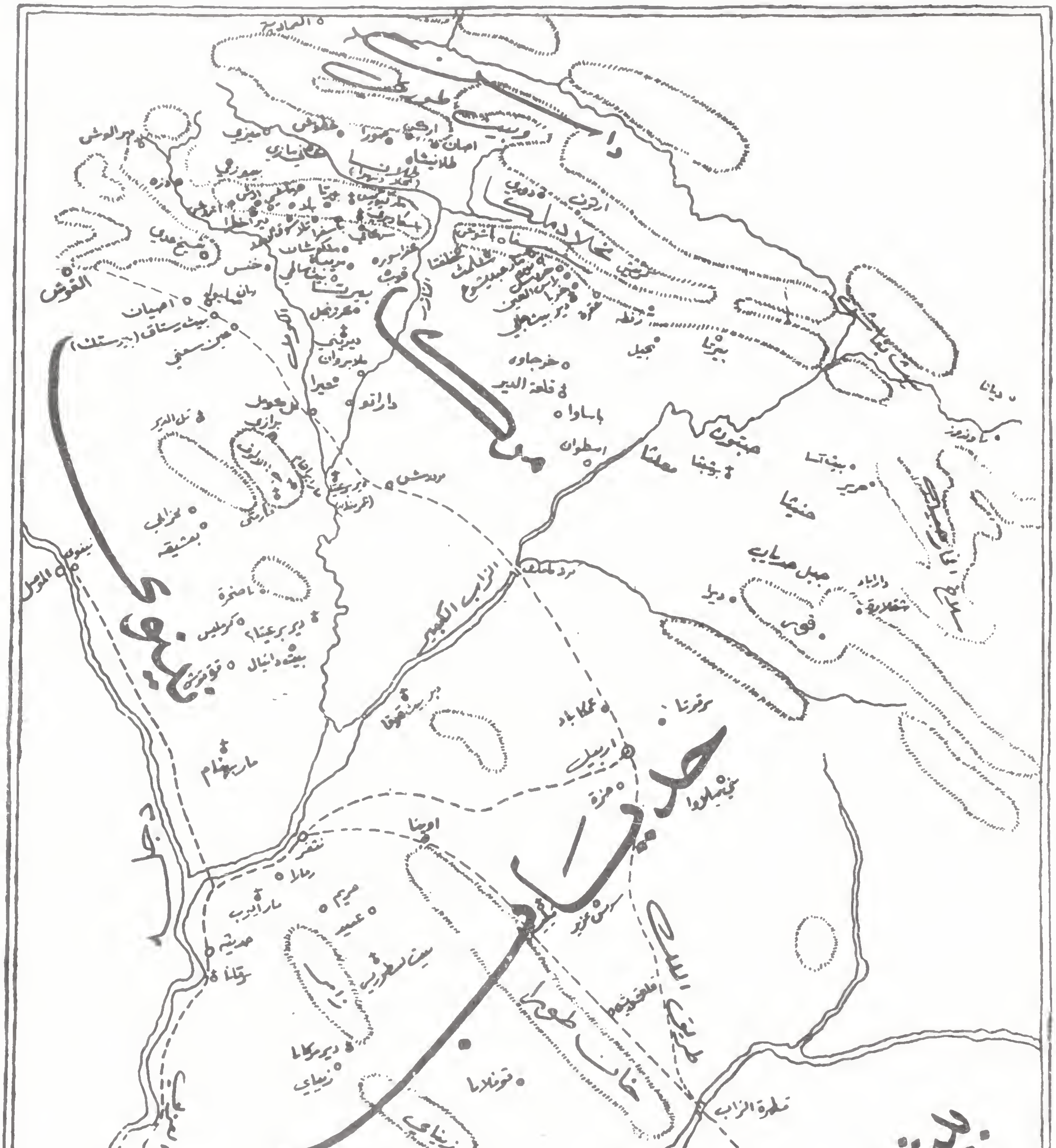
حدياب ومرگا
المقاس بالكيلومترات
حدياب
نينوى
بيث گرماي
اربيل
الزاب الكبير
الزاب الصغير
الموصل

كتاب

الرؤساء

ويتناول اخبار اناس فضلاء عاشوا في مختلف الأجيال

في دير « بيث عابي » المقدس

وضعه

توما اسقف المرج

عربه ووضع حواشيه

الاب البير ابونا